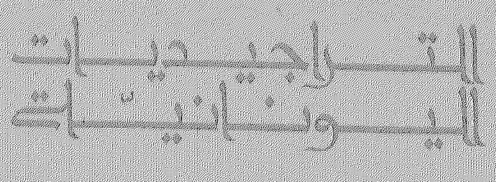
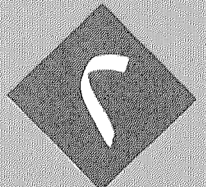




تراجيديات أسخولوس

ترجمها عن اليونانية وقدم لها وعلق عليها:
د. عبد الرحمن بدوي







تراجيديات اسخولوس

تراجيديات أسخولوس / مسرح إغريقي
اسخولوس / مؤلف
د.عبد الرحمن بدوي / ترجمة وتقديم
الطبعة العربية الأولى، ١٩٩٦
حقوق الطبع محفوظة



المؤسسة العربية للدراسات والنشر
المركز الرئيسي:
بيروت، ساقية الجنزير، بناية برج الكارلتون،
ص.ب: ٥٤٦٠-١١، العنوان البرقي: موكيالي، هـ/١ ٨٠٧٩٠٠
تلكس: LE/DIRKAY ٤٠٠٦٧
التوزيع في الأردن:
دار الفارس للنشر والتوزيع، عمّان
ص.ب : ٩١٥٧ هاتف ٦٠٥٤٣٢ فاكس ٦٨٥٥٠١
تصميم الغلاف والإشراف الفنّي :
®
الصف الضوئي :
المؤسسة العربية ، بيروت / حكمت مشموشي

التراجيديات اليونانية

٢

تراجيديات أسخولوس

ترجمها عن اليونانية وقدم لها وعلق عليها:

د. عبد الرحمن بدوي



اسخولوس

حياته ومؤلفاته

ـ (١) ـ

حياته

مصادرنا عن حياة اسخولوس هي:

أ ـ «حياته»، وهي نبذة وردت في مخطوط مدتشي (في فيزتسه) إلى جانب النص اليوناني لما بقي لدينا من مؤلفاته، وهذه النبذة مكونة من أخبار متناثرة وناقصة. ومن المحتمل أن يكون كاتبها قد جمعها من مصادر شتى» كتبت في القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد، وهذه المصادر كتبها مشاؤون، منهم: هرقليدس البيزنطي (القرن الرابع قبل الميلاد)، وخامليون (كان حياً في سنة ٣٠٠ ق.م Chameeleon) ودكيارك Dicearque (حوالى سنة ٣٠٠ ق.م)، وساتيروس (الذي وصل الينا منه قطعة من «حياة يوريفيدس» في ورقة بردي اكتشفت في أهناسيا ببني سويف في مصر العليا).

ب ـ لوحة مرمر فاروس[١] (I. G XII, 5, 44h)

جـ ـ معجم سويداس، تحت مادة: اسخولوس.

وقد جمع هذه النصوص كلها فريدرش شيل Fr. Schöll وطبعت في بداية

---

(١) في سنة ٢٦٤ ق.م نقش على لوحة من المرمر في جزيرة فاروس ـ احدى جزر الكوكلادس أخبار اليونان، وخصوصاً تاريخ مدينة أثينا من سنة ١٥٨١ ق.م حتى سنة ٢٦٤ ق.م.

نشرة رتشل Ritschil لمسرحية: «السبعة ضد ثيبا» لاسخولوس (ليبتسك، ١٨٧٥ كما أن «حياة» أسخولوس قد نشرت في كثير من نشرات مسرحيات اسخولوس.

أما تاريخ ميلاده فيمكن أن يستنتج من تاريخ وفاته، اذ تاريخ وفاته ثابت من الوثائق، وهو سنة ٤٥٦ / ٥ ق.م (لوح مرمر فاروس النقش رقم ٥٩) وكذلك الحاشية على مسرحية «الأخرنيا» لأرستوفان). وبحسب مرمر فاروس كانت سنة ٦٩ لما توفي، وكانت سنة ٣٥ سنة لما اشترك في معركة ماراتون (النقش رقم ٤٨). ومن هذا نستخلص انه وُلِدَ في سنة ٥٢٥ / ٤ ق.م أو ٥٢٤ / ٣ ق.م. وهذا يتفق أيضاً مع الرقم الذي أورده سويداس.

وكان مولده في الويسيس Eleusis، وهي أهم مدن أتيكا بعد أثينا وبيريه. وأرسطوفان يجعله يبتهل الى إلاهة الويسيس هكذا:

«إيه يا ديميتر Deemetear، يا مَنْ غذيت روحي، اعملي كيما أكون جديراً بأسرارك»[١].

وكان أبوه يدعى يوقوريون، الذي كان من سلالة نبيلة وكان مالكاً لأراضي زراعية («حياته» بند ١ ك. ١؛ هيرودوت ٢: ١٥٦ وما يليها) وكان له أخ يدعى كونيجايروس («حياته» بند ١؛ سويداس) وقد اشترك معه في معركة ماراتون وفيها قُتل ويذكر سويداس اسم أخ آخر يدعى Animias اشترك أيضاً في معركة سلامين».

ولما كان قد وُلِدَ في الويسيس المشهورة بما كان يقام فيها من «أسرار» فقد ستنتج البعض ان اسخولوس كان من «المطلعين» على «الأسرار»[٢]. وقد اتهم ذات يوم بأنه أفشى بعض «الأسرار» في إحدى مسرحياته. لكننا لا نملك دليلاً يدلنا على ما هي هذه المسرحية. ويذكر أرسطو[٣] أن اسخولوس دافع عن نفسه من هذه لتهمة بأن قال: «إنه لم يعرف ان الأمر هنا يتعلق بأمور سرية». وقد استدل البعض من هذا الجواب على أن اسخولوس لم يكن من «المطلعين»، لأن «المطلع» على لأسرار لا يمكن أن يجيب بمثل هذا الجواب، كما قال كلمانس السكندري «الأمشاج» Stromates ٢ : ٦٠ : ٣.

---

١) أرسطوفان: «الضفادع» البيت رقم ٨٨٦ وما يليه.

٢) ترجع شهرتها خصوصاً إلى «الأسرار» التي كان يحتفل بها على شرف ديمتر وبرسفونيه.

٣) أرسطو: «الأخلاق إلى نيقوماخوس»، المقالة الثالثة، فصل ٢، ص ١١١١ أ س ٩.

وكانت له أخت، لم يرد ذكر اسمها، تزوجت من شخص يدعى فيلوبيتس. ومن هذا الزواج ولدت ذرية من مؤلفي المآسي هم: فيلوكلس، وابنه مورسموس، وحفيده أستودامس، وأبناء أحفاده: فيلوكلس وأستودامس. أما اسخولوس نفسه فقد وُلِدَ له ولدان كلاهما شاعر مأساوي، بحسب ما يقوله سويداس وهما: يوفوريون وأويايون Evaion.

وقد حارب اسخولوس في معركة ماراثون[1]، كما هو وارد في الشاهد المكتوب على قبره وذكرته «حياته». كذلك يشهد أحد معاصريه، وهو إيون الذي من خيوس، على حضور اسخولوس في معركة سلامين[2]. أما الأخبار التي تذكر انه اشترك أيضاً في معركة ارتمسيون[3] Artemision أو معركة پلاتيا فليست مؤكدة (پاوسنياس ١: ١٤: ٥؛ «حياته» ٤).

أما نشاطه في المسرح فيذكر سويداس أنه ابتدأ في سنة ٥٠٠ ق.م. ويذكر مرمر فاروس أنه نال أول انتصار له في مباريات المسرح التي كانت تقام في عيد ديونسيوس - في سنة ٤٨٤. ثم إنه في سنة ٤٧٢ حصل على المرتبة الأولى بمسرحية «الفُرْس».

وقام اسخولوس برحلات عديدة إلى جزيرة صقلية (في جنوب غربي ايطاليا). ويلوح أن أول رحلة له كانت حين دعاه ملك صقلية هيرون الأول Hieron (توفي سنة ٤٦٧ / ٦ ق.م) لتمثيل مأساة «الفرس» في سرقوسة، بعد أن كانت مُثِّلت من قبل في أثينا سنة ٤٧٢ ق.م.

وفي أثناء إقامته في سرقوسة (أكبر مدن صقلية) ألّف اسخولوس مأساة على شرف مدينة اتنا Etna المدينة الجديدة التي اسّسها هيرون الأول.

ثم عاد الى مدينة أثينا حيث اشترك في المباريات المسرحية في سنة ٤٦٨ وقد فاز بالجائزة الأولى فيها سوفوقليس لأول مرة. وفي السنة التالية - ٤٦٧ فاز

(١) معركة ماراثون بين اليونان والفرس في سنة ٤٩٠ ق.م وفيها انتصر الأثينيون - بمساعدة أهل پلاتيات على الفرس.

(٢) أوسلاميس، وهي جزيرة في الخليج الساروني بين الشاطىء الغربي لأتيكا والشاطىء الغربي لميغارا، وعندها هُزم الأسطول الفارسي هزيمة نكرة، سبتمبر سنة ٤٨٠ ق.م من جانب اليونانيين.

(٣) لسان على الساحل الشمالي الغربي ليوبوا، وفيه وقعت معركة بين الفرس واليونان.

اسخولوس بالجائزة الأولى عن رباعيته المتعلقة بثيبا والتي منها مسرحية: «السبعة ضد ثيبا».

كذلك انتصر في سنة ١٤٥٨ بالرباعية المؤلفة من ««الأورستيات» وبعدها استأنف السفر الى صقلية. ومن الصعب معرفة السبب الذي من أجله قام بهذه الرحلة. ويستدل من كلام لأرسطوفان في مسرحية «الضفادع» (البيت رقم ٨٠٧) أنه كانت لدى اسخولوس دوافع للابتعاد عن أهل أثينا: ما هي هذه الدوافع؟ هذا هو ما حار في معرفته الباحثون. فقيل إنه لم يكن موافقاً على السياسة الداخلية للمجلس النيابي في أثينا وقيل أيضاً إن السبب في رحيله عن أثينا هو أنه أُتهم باهانة الآلهة. وبولغ فيما بعد في هذه التهمة، وقُيل إنه حدثت ضجة واضطرابات في المسرح كادت أن تؤدي الى قتل اسخولوس!! كذلك قيل إنه رُفعت ضده قضية في هذا الموضوع أمام محكمة أثينا (الأريوفاغ).. بل حدد بعضهم المسرحيات التي وقعت فيها هذه الاهانة: فذكر Asqines أن هذا وقع في مسرحية «المحسنات» لكننا لا نجد في هذه المسرحية أية إهانة «للأسرار» أو للآلهة، كما أثبت ذلك G. Hermann (Opusc. II, 163 f6).

ومهما يكن السبب الحقيقي في هجرة اسخولوس وذهابه الى صقلية، فإنه قد استقر هناك في مدينة جيلا Gela. وما لبث أن توفي فيها في سنة ٤٥٦ / ٥ ق.م. ومدينة جيلا (وكانت حتى سنة ١٩٢٧ تسمى في العصر الحديث باسم Terranove) تقع على الساحل الجنوبي لجزيرة صقلية. وقد تأسست في سنة ٦٨٨ ق.م، أسسها جماعة من كريت ورودس. وتهيمن على سهل يجري فيه نهر جيلاس. وفي عهد طاغيتين هما كلياندر Cléander، وهيبوقراطس Hippocrates أصبحت أهم مدينة في صقلية بتحصيناتها.

موقفه السياسي

وليس من السهل تحديد موقفه السياسي إبان حياته؛ كما اننا نعلم أن مدينة أثينا كانت تنعم بحكم ديمقراطي ابتداء من سنة ٥٠٧ ق.م، كما انتصر قلشانس Clisthènes بن مجاقلس Mégacles على الحزب الارستقراطي واستطاع ان يقيم حكماً ديمقراطياً.

وبعد انتصار اليونان على الفرس في معركتي ماراتون (سنة ٤٩٠) وسلاميس (سنة ٤٨٠) شب النزاع الداخلي في أثينا بين الحزب الديمقراطي بقيادة افيالت Ephialte، الذي اغتيل في سنة ٤٦١ ثم خلفه بركليس، وبين أعداء الديمقراطية الذين كان أبرز زعمائهم هو كيمون بن ملتيادس. وقد قام افيالت باصلاح مهم هو أنه انتزع من «الأريوفاغ» (محكمة اثينا) مهمة «السهر على حراسة القوانين»، وقصر دوره على الشؤون القضائية. ومن ثم صار «البوليه» Boulé هو المجلس الاستشاري الوحيد في الشؤون السياسية، إلى جانب الجمعية الشعبية.

ماذا كان موقف اسخولوس من كل هذه التغييرات السياسية؟ - ليس لدينا في مسرحياته الباقية ما يدل على اتجاهه السياسي. لكن يمكن أن نستنتج من الأشخاص الذين تولوا تمويل مسرحياته للتمثيل ما يمكن أن يشير الى ميوله السياسية، فنحن نعلم ان المموّل لتمثيل الرباعية التي لم يصلنا منها إلا مسرحية «الفُرس» - كان بركليس، وكان آنذاك في حوالى العشرين من عمره، وذلك في سنة ٤٧٢ وقد يدل هذا على أن اسخولوس كان من انصار الحزب الديمقراطي. لكن تلبيته لدعوة الطاغية، كيمون، طاغية صقلية، وعدو الديمقراطية، وقضائه بقية عمره في كَنَف هذا الطاغية يدل على عكس ما استنتجناه من علاقته مع بركليس. وبهذا لا نستطيع ان نقرر شيئاً قاطعاً بالنسبة الى موقفه السياسي من الحكم في أثينا.

وفاته

قلنا إنه توفي في مدينة جيلا في صقلية في سنة ٤٥٦ / ٥ وقد اخترعت اسطورة حول كيفية وفاته، تقول إن السبب في موته هو أن نسراً محلقاً في السماء، لما شاهد صلعة رأس اسخولوس حسبها صخرة فأراد أن يكسر هذه الصخرة، فألقى عليها من علٍ سلحفاة، فقضت عليه. وزعموا أن وحياً قد تنبأ له بهذه النهاية. وعلى هذا النحو تحققت نبوءة هذا الوحي[١].

وراح الكتّاب يؤولون هذه الحكايات تأويلات موغلة في الاسراف: فقال

(١) راجع: «حياة» (بند ٩)؛ سويداس (تحت المادة)؛ استوبايوس: Floriley. ٩٨: ٩، بلينوس: «التاريخ الطبيعي» ١٠: ٣؛ فلريوس كاسيموس ١٠: ١٢؛ ابليانوس Nar. an. VII, 16. ثم راجع: ارفن رودة في «حوليات الفيلولوجيا» ج ١٢١ (سنة ١٨٨٠) ص ٢٢ وما يليها.

البعض ان هذه الحكاية رمز على تحليق الشعر، كان في البدء منقوشاً على شاهد قبر، وأنها ترمز الى تحليق الشعر، في أعلى السماء مثل تحليق النسر[١] ـ وقال البعض الآخر انها تعبر عن خصائص شعر اسخولوس وهي أنه جريء يحلق كالنسر، ولكنه ثقيل ثقل السلحفاة[٢].

وقد أصدر لوكرجس (٣٩٠ ـ ٣٢٤) امراً بعمل تماثيل من البرونز للشعراء المأساويين الثلاثة: اسخولوس، وسوفقليس ويوريفيدس، ووضعت هذه التماثيل حول المسرح في أثينا[٣].

فوزه بالجوائز

وقد فاز اسخولوس بالجائزة الأُولى في المباريات المسرحية التي كانت تقام في أعياد ديونيسيوس: ١٣ مرة بحسب ما تذكره «حياته»؛ و٢٨ مرة بحسب ما يذكره سويداس، ويرجع الفارق بين الرقمين إلى كون سويداس قد أدخل مرات الفوز بعد وفاته ضمن العدد الذي ذكره بينما اقتصرت «حياته» على ذكر مرات الفوز أثناء حياته. ومن المعلوم أن بعض مسرحيات اسخولوس قد مثلت من جديد بعد وفاته وأنها فازت في مباريات المسرحيات.

وهاك ثبتاً بالسنوات التي من المؤكد ان اسخولوس فاز فيها بالجائزة الأُولى في هذه المباريات:

٤٨٤ ق.م ـ ٤٧٢ ق.م ـ ٤٦٧ ق.م (بثلاثية ثيبا) ـ ٤٥٨ (بثلاثية الأورستيات) ـ

---

(١) راجع Götling: Opux (ص ٢٣٠ وما يليها)؛ و: .Welcker alte Denhsm جـ ٢ ص ٣٣٧ وما يليها.

(٢) راجع W. Tleufel في مجلة Rh. Mus جـ ٩ (سنة ١٨٥٤) ص ١٤٨ وما يليها.

(٣) راجع فلوطوخس المنحول: «السير» (جـ ١ ص ٨٤١)؛ ذيوجانس اللائرسي ٢: ٤٣؛ باوسيناس ١: ٢١؛ فلكر: «التماثيل القديمة» جـ ١ ص ٤٦٥ وما يليها.

ـ (٢) ـ

مؤلفاته

يذكر سويداس أن اسخولوس ألّف:

١ ـ إيلجيات.

٢ ـ وتراجيديات (مآسي).

وقد بقيت لنا بعض الايلجيات التي نظمها. وقد نشرها Theo. Bergk في Griechisshe Literatur gesch. (طـ ٤ ص ٢٤٠ وما يتلوه). وفي المنافسة على نظم مرثية في الذين قتلوا في معركة ماراثون تغلب عليه سيمونيدس في سنة ٤٨٩.

لكنه توجه مبكراً الى تأليف التراجيديات حتى لو لم نصدق الرواية التي تقول انه دخل في مباراة في التأليف المسرحي مع براتيناس Pratinas وخويريلوس Choirilos في سنة ٤٩٧.

وعدد التراجيديات التي ألفها اسخولوس هو تسعون (٩٠) مسرحية بحسب معجم سويداس، وهو سبعون (٧٠) بحسب «حياته». ونجد في مخطوط مدتشي (في فيرنتسه) بعد «حياته»: «فهرساً بدرامات اسخولوس» يحتوي على ذكر ٩٠ دراما مرتبة أبجدياً. وبحسب الروايات السكندرية يذكر لاسخولوس: ٩٠ دراما، و٧٠ تراجيديا، و٢٠ مسرحية نقدية.

وفي هذه التراجيديات عالج اسخولوس الأساطير الملحمية الكبرى التي صيغت حول: طروادة، وثيبا وأرجوس خصوصاً وبعض الأساطير الصغرى. لكنه لم يَبْقَ لنا من هذه التسعين مأساته إلا سبعاً فقط هي التي وصلتنا كاملة وهي:

١ ـ «الفرس»، وقد مثلت في سنة ٤٧٢ ق.م.

٢ ـ «السبعة ضد ثيبا»، وقد مثلت سنة ٤٦٧ ق.م.

٣ ـ «المحسنات»، وقد مثلت في سنة ٤٥٨ ق.م.

٤ ـ «المستجيرات»، ولا يعرف تاريخ تمثيلها.

٥ ـ «بروميثيوس في الأغلال»، ولا يعرف تاريخ تمثيلها.

٦ ـ «حاملات القرابين»، ولا يعرف تاريخ تمثيلها.

٧ ـ «أجاممنون»، ولا يعرف تاريخ تمثيلها.

ومعظم الباحثين يميلون الى تقدير تاريخ متأخر لمسرحية «بروميثيوس في الأغلال». ونظراً إلى الملامح القديمة في تركيب مسرحية «المحسنات»، فقد كان الباحثون السابقون يميلون الى عدها أقدم المسرحيات الباقية لدينا. لكن في سنة ١٩٥٢ نشرت تعليقة على ورقة البردي تؤذن بأن الثلاثية التي تؤلف مسرحية «المستجيرات» جزءاً منها كانت مثلت في منافسة مع سوفقليس، الذي اشترك في المنافسة لأول مرة في سنة ٤٦٨. لكننا لا نستطيع أن نستنتج نتيجة دقيقة من هذا الخبر.

تاريخ النص اليوناني

لا نكاد نعرف شيئاً عن أحوال النص اليوناني لمسرحيات اسخولوس حتى النصف الثاني من القرن الرابع قبل الميلاد. لكن علينا أن نحسب حساباً لما كان يحدث مراراً في نصوص المسرح اليوناني من تعديلات واضافات في النص، خصوصاً بفعل الممثلين أنفسهم طلباً للتسهيل والمزيد من التأثير الانفعالي. وقد كان ذلك امراً معاصر الحدوث. وقد بحث هذه النقطة D.L. Page في كتابه: «اضافات الممثلين الى نصوص المآسي اليونانية»[١].

لكن النص ثبت لأول مرة لما أن أمر لوكرجس حوالى سنة ٣٠٣ ق.م بكتابة نسخة رسمية ـ إن صح هذا التعبير. ثم قام الفيلولوجيون في مدينة الاسكندرية ابتداء من القرن الثالث قبل الميلاد وتوفروا على تحقيق النص، واستمرت هذه الحركة الفيلولوجية من القرن الثالث قبل الميلاد الى القرن الثالث بعد الميلاد، وقد وصلتنا منها أوراق بردي نجد ثبتاً بها في كتاب R.A. Pack[٢].

وقد وصلنا ١٣٣ مخطوطة لمسرحيات اسخولوس، وصفها اسمث[٣] ومن بعده A. Iwyn في كتابه: The Manuscript Eadition of The Tragedies of aeschylus (New York, 1943).

---

(١) D. L. Page: Actors Interpolation in Greek Trayedy. Oxford, 1934.

(٢) R. A. Tack: The Greek and Latin Library Texts from Greco-Roman Egypt. Ann ablor 1952.

(٣) H. W. Smith: catalogue of the Manus-upts of Aeschylos II, PH, 1933, p. 1-62.

لكن أهم هذه المخطوطات هو مخطوط آل مدتشي (في مكتبة آل مدتشي ـ فيرنتسه بايطاليا) رقم 32,9.

وترتيب المآسي الباقية لدينا في هذه المخطوطات هو في الغالب كما يلي:

بروميثيوس في الأغلال ـ السبعة ضد ثيبا ـ الفُرس ـ الأورستيات ـ المستجيرات.

نشراتها بالمطابع

ـ الطبعة الأُولى تمت لدى الناشر Aldi في ڤينتسيا، سنة ١٥١٨، وتولى تحقيقها F. Asulanus.

ـ ثم توالت النشرات المحققة في القرن التاسع عشر حتى اليوم هكذا:

- G. Hermann, Leipzig, 1852.
- U. von wilamowitz - Möllen dorf, Berlin 1964, 1958.
- M. Unter steiner, Milaw, 1946, 17.
- P. Mazon: Paris 1949/52.
- G. Murry, Oxford, 1955.

ـ (٣) ـ

تجديدات اسخولوس في فن التراجيديا

اسخولوس هو المؤسس الحقيقي لفن التراجيديا. وإليه تنسب التجديدات التالية:

١ ـ يعد اول من استخدم ممثلين اثنين، وبالتالي خلق الحوار، والحوار هو جوهر التراجيديا والمسرحيات بعامة. ولهذا فإن أرسطو («فن الشعر»، فصل ٤) يقول: «اسخولوس أول من زاد عدد الممثلين من واحد الى اثنين، وقلل من أهمية الكورس، وأعطى للحوار المقام الأول؛ أما سوفقليس فقد زاد عدد الممثلين الى ثلاثة، ورسم المناظر على المسرح. ثم إن التراجيديا اتسعت، تاركة الحكايات القصيرة واللغة الفكهة التي كانت تدين بها لأصلها الساتوري، وفي وقت آخر أحرزت الجلالة» (ص ١٤٤٩ أ س ١٥ ـ ٢٠).

ونحن نجد ان عدد الممثلين في مسرحيتي: «الفرس» و«المستجيرات» هو اثنان فقط.

لكننا نجد في مسرحيتي: «السبعة ضد ثيبا» و«بروميثيوس في الأغلال» أنه قد أضاف ممثلاً ثالثاً. وخاتمة مسرحية «السبعة ضد ثيبا»، لا يمكن أن تتم دون ممثل ثالث. لكن «حياة» وكتاباً آخرين يؤكدون صراحة أن الذي أضاف ممثلاً ثالثاً هو سوفقليس، وأن اسخولوس قد أخذ عنه هذا التجديد. وأرسطو يذكر، كما رأينا في النص الذي أوردناه متى حصل هذا التغيير ويؤكد صراحة أن سوفقليس هو أول من أضاف ممثلاً ثالثاً. وقبل ذلك كان هناك ممثل واحد هو الذي يتحاور مع الكورس.

٢ ـ والتجديد الثاني لاسخولوس هو أنه هو الذي أبدع الثلاثيات في المسرح، أعني تأليف ثلاث تراجيديات في موضوع واحد ومرتبطة معاً بفعل مسرحي واحد كبير.

كذلك كان اسخولوس هو الذي أبدع الرباعيات في التأليف المسرحي؛ والرباع يتألف من ثلاث تراجيديات مترابطة في الموضوع يضاف اليها مسرحية نقدية (ساتورية). وبهذا أمكنه أن يجمع بين ثلاثة معان مهمة هي: الجرأة (أو الوقاحة hybris)، وقوة الاضطراب Afe، والعدالة Dike.

٣ ـ والفكرة المركزية في مآسيه هي أن وجود الانسان خطيئة (راجع مسرحية «أجاممنون»، البيتين ١٥٦٣ ـ ١٥٦٤).

٤ ـ والشاعر اللاتيني هوراس ينسب اليه أنه هو الذي اخترع «القناع» الذي يضعه الممثل على وجهه، كما اخترع الكوتورن Cothurne وهو الحذاء العالي الكعب، والرداء ذا الذيل الطويل المسحوب على الأرض، كما أنه هو الذي ابتكر وضع المسرح على جرارات (هوراس: «فن الشعر» البيت رقم ٤٧٥ وما يتلوه).

٥ ـ وليس لنا أن نتوقع أن نجد عنده الفعل، والعقدة المسرحية، ووصف الانفعالات والوجدانات على النحو الذي سنجده بلغ ذروته عند سوفقليس ويوريفيدس. ذلك لأن التراجيديا عند اسخولوس بسيطة، كما قال أرسطو، في مقابل التراجيديا المركبة. إذ هي مهنة تقوم على أساس واقعة وحيدة، تامّة، ذات سعة معيّنة. وإنما اكتفى اسخولوس برسم العواطف التي تنبجس عن هذه الواقعة

البسيطة سواء عند الكورس، وعند الأشخاص. والتنوع في مجرى المسرحية يتم بمجيء رسول، أو دخول ممثل. مثلاً في مسرحية «بروميثيوس في الأغلال» يتوالى التنويع بظهور الأوقيانوسيات، ثم يتلوها أوقيانوس، ثم تتلوه إيو Io، ثم أخيراً هرمه، حتى يغور في أحشاء الأرض بفعل من زيوس.

٦ - والحوار - خصوصاً في مسرحية: «بروميثيوس في الأغلال» وفي «الأورستيات» يتميز بالقوة في الاجابات، وهو مع ذلك يجري على السليقة والطبع.

٧ - لا يزال العنصر الغنائي والأوصاف الملحمية واضحة جداً في تراجيديات اسخولوس لأنها لا تزال قريبة من الأصل الذي نشأت عنه وهو الشعر الغنائي والشعر الملحمي. وسنجد أن هذين العنصرين سيخفّان تدريجياً عند سوفقليس ويوريفيدس.

- (٤) -

النزعة الدينية

في تراجيديات اسخولوس نشاهد بكل وضوح أن وراء الأشخاص وأفعالهم تعمل الآلهة عملها على نحوٍ رهيب ومستتّر معاً. وهذا هو القَدَر أو المصير الذي يطارد المذنبين ابناً عن أب وينتقم للجريمة بمثلها، ويخرّب البيوت الملكية، بل ويحسد الانسان على سعادته فيجعله يقدم عنها كفّارة. والحضور الخفيّ للقدر يشيع خوفاً ورهبة، ويثير في نفوس المشاهدين الفزع والتعاطف معاً، ويسمو بالتأثير الدرامي للأحداث.

وهذا التداخل بين العالم والانسان والعالم الإلهي نجده سائداً في كل مسرحيات اسخولوس: وكلا هذين العالمين ينعكس على الآخر. وليس ثم نزاع انساني لا يعبر عن نزاع بين الآلهة. وليس هناك مأساة إنسانية إلا ووراءها مأساة إلاهية.

ومن هنا نجد زيوس يسود تراجيديات اسخولوس. والأمر نفسه نجده في تراجيديات سوفقليس. لكن مع هذا الفارق وهو أن زيوس سوفقليس خارج التاريخ، بينما زيوس اسخولوس مشتبك في التاريخ.

لكن ليس معنى هذا أن الانسان يستسلم في إذعان تام لهذا القَدَر. بل

الإنسان يسعى إلى مشاركة الآلهة في قدرتهم: فهذا برومثيوس يسرق النار من الآلهة كي يفيد منها الانسان، ويدخل بروميثيوس في صراع مرير مع الألوهية. صحيح ان زيوس طاغية جبار، وبرومثيوس عَبْد؛ لكنه عبد يسيطر على الزمان، ويستطيع ان يفرض على زيوس تكرار الجريمة التي تميز آل أتريوس وآل لبدك. ويجد الانسان القدوة في تصرفات الآلهة بعضهم مع بعض: فالإله خرونوس (الزمان) صرع اورانوس (السماء) ثم جاء زيوس فصرع أباه خرونوس؛ ثم يأتي ابن زيوس ليصرع أباه. وفي أثناء حكم خرونوس كان المصير ذو النزوات والأهواء المنقلبة هو الذي يتحكم في العالم، لكن مع مجيء زيوس والآلهة الجُدُد ستحل العدالة العاقلة الحكيمة وهذه العدالة هي التي تعطي لمسرحيات اسخولوس قيمة أخلاقية سامية. وهذه العدالة لها ضوابطها، وأهم ضابط لها هو الاعتدال: فلا يحق لأحد حين يعاقب على جريمة أن يتجاوز في العقاب.

والانسان في صراعه مع القدر يستعين بأمرين: بالعلامات، وبالأحلام. واسخولوس يفرط في استخدامهما، بحيث يجعل مجرى الأفعال محكوماً لهما أحياناً: ومن هنا جاء الدور المسيطر للكاهن الذي ينبىء عن وحي الآلهة، وللأحلام والرؤى في النوم التي تملي على الأبطال سلوكهم. ومن هنا جاء دور «الفوثيا» ـ الكاهنة المتنبئة في معبد دلف ـ في بداية مسرحية «المحسنات»؛ ودور المتنبىء بالغيب كلخاس في مسرحية «أجاممنون» (الأبيات ٣٦٠ وما يليها). وكان كلخاس ـ بحسب الأساطير اليونانية ـ هو عرّاف الجيش اليوناني إبّان حرب طروادة. وهو ابن نستور، وأصله من ميغارا أو من موقانا. وقد ذهب إليه أجاممنون بنفسه لإقناعه بالانضمام الى الحملة ضد طروادة. وكان ينبىء عن المستقبل بملاحظة الطيور. وتنبأ بتنبؤات مهمة تتعلق بمجريات الحرب ضد طروادة.

أما الأحلام فكثيراً ما كانت تتشخص في الأدب اليوناني وفي الأدب اللاتيني، وعلى وجه التخصيص في شعر الملاحم. ففي «الإلياذة» مثلاً نرى زيوس يبعث إلى أجاممنون بحلم خدّاع يأمره فيه بالاستعداد لقتال الطرواديين، ويوهمه بأن سقوط طروادة صار وشيكاً. وكان غرض زيوس من هذا الحلم الخدّاع أن يمكّن الطرواديين من سوق الأخاويين إلى سفنهم. وامتثالاً لأمر زيوس ذهب الحُلم الى جوار سرير أجاممنون متخذاً هيئة مستشاره العجوز نستور Nestor.

وإذن ليست استعانة التراجيديين اليونانيين بهاتين الوسيلتين: العرافين والأحلام - إلا مستمدة من شعراء الملاحم، وعلى رأسهم هوميروس.

عقيدة اسخولوس

ويرى كارل راينهرت[1] أننا «لو جمعنا كل ما في إنتاج اسخولوس من نصوص تتخذ شكل إقرار بالعقيدة الدينية، وكل العبارات، وكل «الاقرارات» التي تنطق بها أفواه الآلهة وأعضاء الكورس - وبنينا بهذه المواد لاهوت اسخولوس، فإن النتيجة هي خليط سيىء الترابط، ومتناقض، وأحياناً غير شاعر بذلك، من التقديس القديم ومن الخبرة الحقيقية أو المفترضة. وبالجملة فإن دين اسخولوس هو الدين اليوناني القديم: وعلى الرغم من بعض الاستثناآت، فإن مجموع الآراء الدينية لاسخولوس والتي لا نستطيع أن نجد لها مصدراً عند هوميروس ولا عند هسيود، ولا عند هيراقليطس، ولا عند سولون، ولا پندار ولا هيرودوت - نقول إن هذا المجموع ضئيل يمكن إهماله نسبياً. فمن ناحية: اللعنة الموروثة، والاعتقاد في «حسد» الآلهة أمام افراط السعادة (في بني الانسان)، والابتهال الى أرواح الانتقام - ومن ناحية أخرى: العطف الإلهي، وفكرة العدالة الإلهية، والإيمان بـ «فكرة» سامية: وهي أمور متقابلة متضادة تبقى بدون تسوية أو توفيق. فمن ناحية: القدرة الكاملة وتقرير المصير سابقاً من جانب الآلهة، الذين، مع ذلك، يطالبون بتعاون الإنسان - ومن ناحية أخرى: عدالة زيوس الذي يحدد عقاباً عن كل ظلم، دون أن يستبعد مع ذلك أن تتولى الألوهية - كما لو كانت العلّة الباطنة في الإنسان نفسه - إرشاده وسَوقه نحو الخير أو الشر، نحو الخطيئة، او البراءة. وربما كان الجديد ها هنا ليس في مضمون هذه الأفكار المتقابلة والمتداخلة على التبادل - بقدر ما هو في الكيفية التي بها يعبّر تقابلها عن نفسه».

وينبه راينهرت الى أن العبارات الواردة على لسان الشخصيات تعرّض من يريد تفسيرها لخطر مزدوج: هو أولاً تنظيمها في مذهب محكم وجعلها عصرية، والثاني هو تفسيرها تفسيراً مستقلاً عن العملية المسرحية الشاملة التي قيلت فيها. إن تفسير استخدام الأشخاص في مآسي اسخولوس على غرار ما فعلت النزعة

(١) Karl Rainhardt: Ecshyle. Tr. fr. p. 37 ss. Paris, 1972.

الكلاسيكية الألمانية بردها الى التقابل بين الحرية، والضرورة ـ هو مجازفة خطرة. صحيح أن الضرورة ananke حاضرة عند اسخولوس، ولهذه الضرورة يخضع الآلهة كما يخضع بنو الانسان: إذ يقول بروميثيوس إن زيوس خاضع للضرورة. لكن لو تسرّعنا ووضعنا هذه «الضرورة» في مقابل «الحرية» فإننا لن نفهم التفكير اليوناني. «فالقول بأن حرية بدون ضرورة هي ليست حرية، وبأن التناقض بين كلتيهما هو وحده القادر على جعل أفعالنا أخلاقية ـ تلك الفكرة لا نجدها أبداً عند اسخولوس، بل هي لا تتفق مع مقتضى مفهومه للعدالة الإلهية».

والخطر الثاني هو بعزل أقوال اسخولوس بعضها عن بعض. فلنأخذ مثلاً قوله في البيت رقم ٧٥٠ وما يليه من مسرحية «أجاممنون»: «إن قولاً قديماً يسري بين الناس وهو: إن البركة المفرطة في المقدار إذا ما تم نضوجها فإنها لا تموت أبداً محرومة من الأولاد؛ إن السعادة تنبت في البيت لعنة لا تشبع. لكنني اعتقد غير هذا تماماً: إنها الجريمة هي التي تلد ذرّية شبيهة بها، ومصير البيت الذي تسود فيه العدالة هو أن يُبارك بأبناء حِسان». ثم تتوسع الفكرة وفق شكل قديم روحاني: فالعدالة والظلم يشبهان الأرواح التي تسكن البيت.. فالهوبريس (الجرأة المفرطة)، متى ما أقامت فيه، فإنها تلد، إذا كانت عجوزاً، روحاً أكثر شباباً: روحاً على صورتها، ـ بينما «العدالة» Diké مهما طال منحها للنّعَم، فإنها تهجر البيت الحافل بالخطايا.

لقد قال سولون إن كل مصيبة تصيب بيتنا هي عقاب، وإن زيوس يعاقب الأبناء على خطايا آبائهم. ويلوح أن اسخولوس قد أخذ بهذه الفكرة فقال إن خطايا الآباء يكفّر عنها في الذرية، وأنها تسري في دم الأبناء، وتنتقل من جيل إلى التالي على شكل لعنة وراثية. وكما أن دم الأجداد يسري في الأحفاد، فكذلك أرواحهم تقيم في بيوتهم وسلالتهم مرتبطة فيما بينها بنفس السلسلة الوراثية. وزيوس يشغل المكانة العظمى في عالم الآلهة كما تصوره اسخولوس. والصفة الرئيسية في زيوس هي «الحكمة». وكما أن الحكمة تسود سائر فضائل الانسان، فإن زيوس بحكمته يسود سائر الآلهة. ومع ذلك، وعلى الرغم مما هو معروف عن اسخولوس من تقوى، فإنه يصوّر زيوس بصورتين متناقضتين تماماً. فهو في مسرحية «پروميثيوس في الأغلال» يصور زيوس بأنه طاغية مستبد، لا يرحم، حسود، يحب الانتقام. ولكنه في مسرحيات «السبعة ضد ثيبا» و«المحسنات»، و«المستجيرات» ـ يصوّره

بصورة مضادة تماماً: إنه الرحيم الحافظ، المنجي، المهيب. وبينما نجد بروميثوس يقول صارخاً في وجه رئيس الكورس: «مَجْد، استنجد، تملق القدير الآن. لكنني أنا لا أحفل بزيوس ولا بغيره. فليفعل وليحكم خلال مدته القصيرة كما يشاء» (البيت رقم ٩٣٧ وما يليه)؛ ـ نجده في مسرحية «المستجيرات» يقول: «لا تَنْسَى أن حكم زيوس عادل». (البيت رقم ٤٣٥).

لكن ربما كان هذا التناقض راجعاً إلى أشخاص المسرحية، وليس الى الاعتقاد الحقيقي عند اسخولوس؛ والتناقض بين الأشخاص في المسرحية أمرٌ لازم وإلاّ لما قام حوار ولا نزاع. ولكن معنى هذا هو أننا لا نستطيع أن نستنتج من أقوال أشخاص المسرحية ما هو الاعتقاد الحقيقي للمؤلف. فالمؤلف لا يعبر عن حال نفسه، بل عن حال الشخصية التي يقدمها لنا على المسرح.

لكن المعنى الذي يمجده اسخولوس في كل مآسيه هو «العدالة». فهو يقول عنها في كورس «أجاممنون» (البيت رقم ٧٧١ وما يليه) إنها تلمع في البيوت التي يعلوها الدخان، وهي تشرّف الحياة الشريفة. لكنها تعرف المساكن الفخمة المليئة بالنفوس الخسيسة. وهي لا تحفل بالقوة والسلطان، ولا بالحال الزائف، وهي تقود كل شيء إلى نهايته. وفي «الأورستيات» تسود فكرة العدالة وحولها يدور الحوار والأحداث.

بيد أن القدر (أو المصير) يسود إلى جانب العدالة. ماذا أقول! بل القَدَر فوق العدالة، وأحياناً يعاكسها، كما يقول الكورس في مسرحية «المستجيرات» (البيت رقم ٧٨ وما يليه). وقد حاول البعض أن يخفف من حدة هذا القول: فقال بعضهم إن المقصود بذلك أنه حين يقضي القدر على حياة إنسان، فإنه يستطيع ان يفعل ذلك قبل ان تعاقبه العدالة! ومعنى هذا أن القدر وجه من أوجه العدالة[١].

وإرادة الآلهة ليست هي القَدَر؛ ولكنها تتدخل لسوق الإنسان نحو قَدَره ومصيره. فنحن نجد أورست ـ في مسرحية: «حملة القرابين» (البيت رقم ٢٦٩ وما يليه) يعرض كل العقوبات التي أنذر بها لوخاس إن لم ينتقم لمقتل أبيه.

---

(١) وهذا ما حاول اثباته Setti في دراسته بعنوان: «أورستيات أسخولوس»، ص ٢١٤ وما يليها. فيرنتسه L'Orestia di Eschilo.

ومن رأي لسكي[1] أن ثم ارتباطاً وثيقاً بين الضرورة التي تفرضها الآلهة، وبين القرار الشخصي للإنسان، وهذا الارتباط يدع هامشاً للإراة الفردية للإنسان، وفي الوقت نفسه يضع لها حدوداً. ذلك هو موقف اسخولوس في هذه القضية. والدليل على هذا الهامش من الحرية في مسرحيات أسخولوس هو أن برومثيوس تصرَّف بحرية في سرقته للنار؛ وأن احشورش ـ ملك الفرس ـ كان حرّاً لما قرر غزو بلاد اليونان؛ وأن الدائيات قد هاجرن من مصر هرباً من أبناء ايجبتوس بإرادتهن.

العدالة

والعدالة معنى يسري في كل مسرحيات اسخولوس. ولكنها عدالة من نوع خاص. فهي عدالة تتعلق بالعقاب أكثر من ان تتعلق بالإنعام والإحسان. يقول اسخولوس: «لا حصن يمكن أن يحمي من قلب المذبح الجليل للعدالة: إنه سيهلك» ولهذا نجد «الارينات» (آلاهات أو جنيات الانتقام) تلعب دوراً كبيراً في مسرحياته. وهذه العدالة هي كما يتصورها الآلهة، وتتم لصالح الآلهة بالضرورة، لا لصالح الانسان في مواجهة الآلهة. ولولا التنافس بين الآلهة بعضهم وبعض، لما ظفر الإنسان بالعدالة في مواجهة ما يفعله إله ما بإنسانٍ ما. ذلك أن آلهة اليونان لا يريدون بالضرورة خير الإنسان، بل هم أحياناً ـ أو بعضهم على الأقل ـ يسعون لإيقاع الأذى به، ويطاردونه دون أن يكون مرتكباً لذنب. فبرومثيوس سعى لجلب الخير للإنسان، ومن ذلك استعمال النار، فطارده كبير الآلهة زيوس مطاردة قاسية لا مبرر لها إلاّ الهوى والاستبداد.

وإذا أراد الآلهة إيقاع إنسان في الهلاك، نصبوا له الحبائل، وأضلوه، واجتذبوه إلى ارتكاب الخطايا التي تدمّره. فالآلهة هم أنفسهم الذين أوحوا إلى أجاممنون بذبح ابنته ايفجنيا برغم أن هذه التضحية هي التي ستسمح للإله بتعديل مجرى الريح لتكون مواتية لقيام الأسطول اليوناني بالإبحار لغزو طروادة! والآلهة في مطاردتهم لإنسان ما ـ لأي سبب يرونه داعياً إلى ذلك ـ لا يكتفون بالانتقام من

(١) A. Lesley: «Decision and rospous abiligy in the Tragedy of Aesckylus» in Journal of Hellenic Studies, LXXX VI (1966), oo. 78-85.

الشخص الذي ارتكب جريمة معينة، بل يواصلون الانتقام منه في شخص ذريته، بأن يوجهوا أحد الأبناء للانتقام للأب. فينتقم الابن (أورست) لمقتل أبيه «أجاممنون». ثم يطاردون أورست لقتله أمه انتقاماً منها لقتلها أباه. وهكذا يتواصل الانتقام: أجاممنون يذبح ابنته ايفجنيا، وزوجته قلوطمنسترا تقتله انتقاماً لقتله ابنتهما ايفجنيا، وأورست يقتل أمه قلوطمنسترا لقتلها زوجها، وهكذا باستمرار. فأية عدالة هذه؟!

ولو كانت عدالة الآلهة تقتصر على عقاب مرتكب الجريمة وحده بل وذريته أيضاً - لهان الخطب. وإنما العقاب يؤدي أيضاً إلى إيقاع الأذى والهلاك بالغير البريء الذي لا شأن له مطلقاً بالجريمة. فمثلاً عقاب باريس لخطفه هيلانة أدّى إلى عقاب مدينة طروادة بأسرها وقتل معظم أهلها وهم لا شأن لهم بهذا الاختطاف. وإذن فمعنى المسؤولية قد ضاع تماماً في عدالة الآلهة هذه. خصوصاً وأن القَدَر أو المصير يسيطر على تصرفات بني الإنسان؛ أي انهم ليسوا أحراراً في أفعالهم. فكيف يكونون إذن مسؤولين عنها؟ وهكذا يكون الانسان في فعله للشر بريئاً ومذنباً معاً.

وهذا هو ما يفسر لماذا قسم القضاة، حين عُرِضت قضية اورست على محكمة أثينا (الاريوفاغ)، إلى قسمين متساويين: أحدهما يرى إدانة اورست، والثاني يرى تبرئته. وللفصل في القضية كان لا بد من تدخل الإلاهة أثنا برأيها مؤيدة براءة اورست في قتله لأمه انتقاماً لقتلها لأبيه.

وقد تساءل الباحثون عما أدى باسخولوس إلى الاهتمام بالأمور الدينية الى هذا الحد في كل مسرحياته. فقال البعض إن مرجع ذلك الى كونه ولد ونشأ في مدينة الوسيس، حيث ازدهرت عبادة الأسرار. وكان رائدهم في ذلك هو ارسطوفان في ملهاة «الضفادع» (البيت رقم ٨٨٦) حين جعل اسخولوس يقول: «يا ديميتر، يا من غذّيت عقلي، اعمل على أن أكون جديراً بأسرارك». وعزّزوا رأيهم هذا بكون اسخولوس ولد من أسرة عريقة نبيلة في مدينة الوسيس، مما مكنه من أن يتلقى مشاعر دينية قوية من الوسط الذي نشأ فيه.

وقال البعض الآخر انه لم يكن من المريدين الذين اطلعوا على الأسرار الدينية، وما التأثيرات الدينية الشائعة في مسرحياته إلاّ نتيجة لما اطلع عليه من نزعات دينية لدى كبار الشعراء اليونانيين، وعلى رأسهم: هوميروس، وهسيود. وإننا لنجد نفس النزعة الدينية عند معاصريه: الشاعر پندار، وعند المؤرخ

هيرودوت الذي نشأ في ايونيا. وفي هذا يقول موريس[1] كروازيه: «إنه بواسطة كل شعر العصر السابق وصلت هذه المشاعر الدينية الى اسخولوس، وليس ابداً بواسطة تعاليم خاصة بالأسرار في الوسيس. وما استطاع الوسط العائلي أن ينمّيه فيه هو فقط نوع من الميل الى معالجة هذه الأفكار، ورد كل ابداعات خياله الى هذه الأفكار. ومن حيث هي تتجلى لنا في تراجيدياته فإنها، في قسمها الأكبر، قديمة ونقلية؛ لكنها تكشف ايضاً عن تقدم العقل الذي حدث في بلاد اليونان منذ ان ظهر فيها التفلسف. والمعتقدات القديمة الخاصة بالمصير، وبتضامن الأجيال، وباللعنة ونتائجها، وفكرة ما يحيق بالانسان من أخطار حين يريد أن يرتفع الى درجة مفرطة من العلو، وفكرة الغيرة عند الآلهة - كل هذا يظهر أنه موروث عن الماضي. والأمر كذلك فيما يتعلق بتصور الآلهة على شكل بني الانسان، تصوّراً يسمح بأن ينسب اليهم انفعالات شبيهة بانفعالات الإنسان، وتصورهم على أنهم في نزاع بعضهم مع بعض. لكن إلى جانب - أو بالأحرى فوق هذه المعتقدات التقليدية، يتجلى ميل إلى تصحيحها، لأنها لم تعد تتفق مع التفكير الأكثر نضوجاً. فأصبحت المنازعات بين الآلهة تردُّ الى الماضي، في عصر يتصوّر أنه تمهيد لحال أفضل، هي الحال الحاضرة في العالم. وزيوس صار يميل إلى اتخاذ مكانة سامية تجعل منه الممثل والحارس للقوانين الأبدية؛ والقَدَر هو نفسه، الذي يمسك هو بأسراره، صار كأنه - قدر الإمكان - إرادته هو؛ وفكره يشمل كل الأزمنة، وينفذ في المستقبل، ويعرف نهاية الحوادث بينما هي تبدو كما لو كانت من صنع الصُدفة؛ وإذا لم يكن ميسوراً للإنسان دائماً ان يدرك نيات زيوس ومقاصده، فإنه يقرّ دائماً تقريباً - حين تتحقق - بأن علّة عليا هي التي وجهتها (راجع خصوصاً: «المستجيرات»: الأبيات ٩٠ - ١٠٢) و«أجاممنون» الأبيات ١٧٤، ١٨٣، ٣٦٧، ٣٨٠). لكن هذا الاتجاه ليس مقصوراً على اسخولوس، بل هو موجود أيضاً عند پندار، وعبر روح العصر. وليس في هذا تقوم أصالة اسخولوس، من الناحية الدينية. وإنما تقوم اصالته في ادراجه هذه الأفكار في التراجيديا».

(١) Maurice Croiset: Eschyle. Etudes sur l'invention dramatique dams son théatre, p. 25. Paris, 1965.

ـ (٥) ـ

البناء الفني للمأساة

نشأت المأساة عن الشعر الغنائي وعن الملحمة الشعرية. فكان من الطبيعي أن يبقى فيها تأثير هذين النوعين من الأدب.

ويتجلى هذا التأثير أولاً في الأسلوب واللغة والأداة. فالأداة في التراجيديا هي الوزن الشعري، ولم يكن من المتصور ـ على الأقل، في بداية نشأة المأساة، ان تكتب بالنثر، لأن للشعر جلالة وفخامة لا تتوافران في النثر. ثم كان للشعر الغنائي تأثير آخر وهو أن يكثر ما يشبه الشعر الغنائي في المأساة. وقد تم ذلك عن طريقين: الكورس، والمناجاة. فجاء معظم كلام الكورس ممزوجاً بلهجة غنائية. وكذلك الحال في المناجاة. بيد أن المناجيات قليلة الورود في المأساة؛ وعلى العكس من ذلك يلعب الكورس دوراً سائداً في كل مأساة.

الكورس

وأرسطو في كتابه «فن الشعر» (فصل ٤ س ١٥ ـ ١٦) يقول إن الكورس كان له ـ قبل اسخولوس ـ الدور الأول في المأساة؛ ثم جاء اسخولوس فجعل الدور الأول للممثل الأول.

وإلى الكورس وكل عنصر التأملات التي يثيرها مجرى الأحداث. ويتألف كلامه من أناشيد، وتأملات، وابتهالات، والتعبير عن مشاعر الخوف أو الرجاء، والسرور أو الألم. والكورس بهذا يسعى إلى توجيه المشاهدين نحو تأمل القوى المستسرّة التي يستحيل على الشاعر ان يقدمها بشخوصها على المسرح. وأعضاء الكورس يهيبون باللعنات القديمة او الوعود التي بقيت مغلقة دون أن تتحقق، ويحاولون النفوذ الى نيات ومقاصد الآلهة، ويعلنون عن كون هذه النيات ليست بذاتها ستتحقق، مما يزيد من مخاوف الأشخاص الفاعلين في المسرحية ومن فزع المشاهدين لها. ثم هم أحياناً يعلنون أن العدالة ستأخذ مجراها، وأن القصاص لا بد سيحيق بمرتكبي الجرائم.

الشعر الغنائي في المأساة

أما الشعر الغنائي في المأساة فإنه يختلف عن الشعر الغنائي الخالص كما يتمثل خصوصاً في قصائد Odes پندار (٥٢٤ ـ ٤٤٢ ق.م). وهذا طبيعي لأن القصيدة الشعرية نَسَق واحد، بينما المأساة حوار متنوع. ففي قصائد پندار نجد تركيباً موحداً يتألف من ثلاثة مقاطع: دور strophe ـ دور مقابل anti-strophe ـ ختام epode. وقد سبق پندار إلى نظم هذا النوع من الشعر عند اليونان: الشاعرة سافُو Sappho (ازدهرت حوالى سنة ٦٠٠ ق.م) والشاعر الكايوس Alcaeus (ازدهر بين سنة ٦١١ ـ ٥٨٠ ق.م). وقد وصلتنا من سافُو قصيدة بعنوان: قصيدة موجهة إلى أفروديت، ووصلتنا من الكايوس: قصيدة موجهة إلى كاستور وپوليديكوس. أما الكورس في المأساة عند اسخولوس فيتألف من سلسلة من المثاني (الدور والدور المقابل) وهي دائماً مختلفة في كل المأساة، وغالباً ما يضاف إليها خاتمة epode. وهذا تجديد كبير لا نعلم هل كان اسخولوس هو الذي ابتكره، أو سبقه إلى ذلك شاعر غيره، لأنه لا توجد لنا وثائق في هذا المجال. على كل حالٍ كان هذا التجديد ضرورياً كي يتلاءم الشعر الغنائي مع الشكل الدرامي. إن أناشيد الكورس تساير مجرى أحداث المسرحية، ولهذا لا يمكن أن تفصل عنها: إنها جزء من سياقها لا ينفصل عنها.

ويقارن موريس كروازيه (الكتاب نفسه، ص ٣٤ ـ ٣٥) بين پندار واسخولوس فيما يتصل بالجانب الغنائي من اسخولوس فيقول: «عند كلا الشاعرين نجد نفس العظمة في الخيال، ونفس القوة في الإبداع اللفظي لكن نشيد پندار يجري باتساع ساج خلال الأساطير والتلميحات، والأفكار التي تتمثل لعقله الواحدة بعد الأخرى، والتي يلذ له أن يوضحها بفيض رائع من الألفاظ ذوات الرنين. وعبقريته يلذ لها أن تبسط أمام عيوننا ـ بسهولة سامية ـ على شكل تطريز يبهر الأبصار، الثراء اللامتناهي لابتكاراته الشعرية. أما عند الشاعر الأثيني (اسخولوس) فإن عمل المفكر مشعور به بقوة تأكيد، ويشارك في الحركات العميقة لحساسية تعكس وتعبّر عن كل الاضطرابات التي تقدر النفس الانسانية على معاناتها. وحتى التلقائية نفسها تشعر بأن ثمّ تحتها يوجد مجهود. وهذا يتمثل في تعبيرات تستخدم العنف مع اللغة ابتغاء قهرها على التعبير عن الفكرة وعن الوجدان. وأحياناً ينتج عن ذلك غموض مزعج، ولكن يعوّض عنه القوة والعظمة».

الأسلوب

أما عن أسلوب اسخولوس، فيقول موريس كروازيه:

«إن أسلوبه يبدو لنا كمزيج أصيل من العناصر المستمدة من الملحمة، والشعر الغنائي، والاستعمال الشامخ. فمن الملحمة والشعر الغنائي حاكى نبالة اللغة، والكنايات Périphrases، والمجازات الجريئة، واستخدام الكلمات المركبة والألفاظ الشعرية الخالصة، وكل ما بدا انه خليق بأن يحقق المثل الأعلى للعظمة كما تصورها عقله.. لكنه كان يهتم في الوقت نفسه بأن يزود جمهوره بانطباع الواقع الحيّ، ولهذا اقترب من الاستعمال الجاري، وذلك باستبعاد الصيغ الجاهزة، واستخدام أسلوب أسرع، وأشد قوة، وباستعمال التعبيرات الحادّة، بل وأحياناً التعبيرات المألوفة، وأخيراً بالاستعمال المتحوّط للألفاظ المستخدمة في اللغة اليومية. وبهذا الطريق خلق جُمَلاً درامية حقاً للاستعمال في المسرح، بدلاً من الجمل الواسعة الفضفاضة الطافية المألوفة في الملحمة والشعر الغنائي؛ وهذه الجمل الدرامية تكون أحياناً موجزة وقويّة، وفي أحيان أخرى تكون متسعة لتكفل التعبير الوافي عن الفكرة، لكنها مع ذلك تُقَطَّع دائماً إلى أجزاء موجزة بارزة التعبير، راسخة محكمة البناء، وقادرة على إبراز كل عنصر من عناصر الفكرة الواحد بعد الآخر دون أن يغفل التناسق بينها وبين ناحية أُخرى، فإن ما يستبعده من الشعر السابق عليه، هو يقوم بتجديد شبابه. وعنده نجد أن الألفاظ المركبة دقيقة محرّرة، وهي في الوقت نفسه وصفيّة؛ والكثير منها جديد، أبدعه اسخولوس من أجل الوفاء المباشر بحاجة الفكر والعاطفة. وحينما يقرؤه المرء بعناية، يُدهش مما تحتويه كل مجموعة أبيات شعرية من معنى ومن انفعال. وفي كل موضع تتجلى قوة باطنة خليقة بالإعجاب» (الكتاب نفسه، ص ٣٥ ـ ٣٦).

الحوار

والحوار[١] عند اسخولوس موجز ومحكم، ويقتصر في الغالب على سطر واحد لكل من المتحاورين. ويكون ذلك إما بتبادل بيت واحد، أو بتبادل عدد قصير من الأبيات ذوات طول متساوٍ بين المتحاورين. وحيث يطيل الشخص في

---

(١) راجع Wilhelm Schmid: Geschichte der griechischen Literatur. 2. Band, S. 286f München, 1934.

الكلام، فإنما يحدث ذلك غالباً حين يتعلق الأمر برواية تقرير عن حادث، أي في الروايات الإخبارية، ومع ذلك يحاول اسخولوس أن ينوّع في الرواية، ويقطّعها بفواصل من كلام الآخرين. تأملاته وتعليماته تتصل بالموضوع اتصالاً وثيقاً، ولا نجد عنده استطرادات خارجة عن الموضوع، كما هي الحال مثلاً عند يوريفيدس الذي كثيراً ما يستطرد متناولاً أموراً تتعلق بالسياسة او مشاكل الساعة.

ولهذا السبب ايضاً لا نجد عنده إلا مقداراً قليلاً نسبياً من الجُمل الحكمية والأمثال. وربما كان السبب في ذلك انه يؤمن بما سيؤمن به الموسيقار العظيم جوزپه ڤردي Verdi حين قال في إحدى رسائله: «كل الأمثال، وكل الجُمَل الحكمية خطِرة على المسرح». وهو يضع الجُمل الحكمية على لسان الشيوخ المسنّين، كما هو ظاهر في مسرحية «المستجيرات» ومسرحية «أجاممنون». أما في مسرحية «السبعة ضد ثيبا» فإن اتيوكل هو الذي استخدم الجُمَل الحكمية لتهدئة النسوة الهائجات. ولما كان الكورس في «أجاممنون» مؤلفاً من شيوخ عجائز فقد كثرت في كلام الكورس الجُمَل الحكمية. واستعمال الجمل الحكمية في ختام المسرحية أمر نادر الحدوث في مسرحياته، ولم يحدث في «الأورستيات» الثلاث أبداً. وهذا على عكس ما فعل سوفقليس.

وأما الأمثال القليلة الواردة في مسرحياته فقد نطق بها إما أشخاص في مراتب ثانوية، وإما الكورس، وإما الإلاهة أثنا (في «المحسنات»، البيت رقم ٤٢٨): وأرسطو (في كتاب «الخطابة» المقالة الثانية ف ٢١، ص ١٣٩٥) قد طالب بأن توضع الحِكَم على ألسنة الشيوخ والمسنّين، وليس الشباب أو الكهول.

والحوار القائم على المناقضة بين كلا المتحاورين لا نجده عند اسخولوس إلاّ في المحاكمة الواردة في مسرحية «المحسنات» أمام المحكمة، ومع ذلك فإنها تخلو من المِراء والجدل الأجوف. وهذا على عكس ما نجده عند سوفقليس، الذي أفسح المجال لهذا اللون من الحوار.

وقد أُخِذَ[1] على أسلوب اسخولوس أنه ينقصه بعض المراس والتجربة ويتجلى هذا خصوصاً في كونه رتيباً، وفي وجود بعض التصلّب فيه. «والالتجاء

(١) موريس كروازيه: «اسخولوس» ص ٣٦. باريس ١٩٦٧.

الى السطر الواحد sticho mythes حين يريد أن ينعش الحوار، يعوزه السلاسة والمرونة. فكل شخص لا ينطق فيه بأقل من بيت شعر كامل؛ وفي هذا التبادل للكلمات، الذي فيه نصيب كل واحد من المتحاورين محدد تماماً، فإن مجهود الفكر غالباً ما يتجلى في إيجازٍ مفرط ينحلّ إلى تكلُّف. وحتى في خارج هذه المناظر ذات الطبيعة الخاصة، فإن الأسلوب بعيد عن التنوع وفقاً لصفة من يتكلمون، وبينما الفوارق الأخلاقية بين الأشخاص تتجلى بوضوح في عواطفهم، فإنها ليست جليّة في لغتهم. فداناوس وبناته - في مسرحية «المستجيرات» لا يعبّرون بعبارات مختلفة عن تلك التي يستخدمها ملك أرجوس. والأمر كذلك في مسرحية «الفرس» فيما يتعلق بأتوسا، وبالرسول وبداريوس: وكذلك الحال في مسرحية «السبعة ضد ثيبا» لا تختلف لهجة اتيوكل عن لهجة رسوله. وفقط في مسرحية «پرومثيوس» وفي «الأورستيات» نشاهد الحرص على جعل الأسلوب المأساوي متفقاً مع أحوال الأشخاص في بعض المواضع».

كما يلاحظ ڤلهلم[1] اشمد Schmid أن «اسخولوس في الترتيب الشكلي لمناظر الحوار ظل - جزئياً - خاضعاً لتأثير التأليف التماثلي التجاوبي، الملائم للأسلوب الغنائي، لا للأسلوب الدرامي المسرحي، وذلك حين يطيب له أن يرتّب الحوار على شكل سطر واحد stichomytisch أو على شكل قول متأخر epirrhematisch. ومع ذلك فإنه حتى في هذا الشكل[2] غير الدرامي، في التطور - كما في المنظر الرئيسي في مسرحية «حاملات القرابين» (الأبيات ٣٠٦ - ٤٧٨) فإنه أبدع انعاشاً وسموّاً لا يُعْلى عليه. وهو لا يزال حتى اليوم يؤثر في نفوسنا تأثيراً قوياً».

---

(١) المرجع نفسه ص ٢٨٨.

(٢) يحسن بنا شرح معنى هذين اللفظين: (أ) أما الأول وهو Sticho my chia (ومعناه اللغوي في اليوناني: الكلام المؤلف من سطر واحد) هو الحوار المؤلف من أسطر واحدة يتلو بعضها بعضاً على لسان المتكلمين. وهو ذو تأثير قويّ على السامع. وكثيراً ما نجده في المسرحيات اليونانية، ولكنه نادر في المسرحيات الحديثة. بيد أننا نجد نماذج مشهورة له في مسرحية «هاملت» (٣: ٤) و«رتشارد الثالث» (٤: ٤) لشكسبير، وفي مسرحية «النساء العالمات» لموليير (٣: ٥). - (ب) أما epirrhema (ومعناه اللغوي: ما قيل بعد ذلك) فهو كلام يقال في أواخر المسرحية، يقوله قائد أحد نصفي الكورس بعد أن يكون هذا النصف الكورس قد أنشد قصيدة ode. وكان في الغالب هجائياً، أو تعليمياً أو للوعظ والارشاد.

لغته

أما لغته فتغلب عليها اللهجة الأتيكية[1]. ومع ذلك لم تقتصر ألفاظه على اللهجة الأتيكية، بل كثيراً ما استمد من الأدب الملحمي والشعر الغنائي القديمين، ومن اللهجات الأخرى الحية، وخصوصاً الآيونية. ثم إنه هو نفسه قد ابتكر من عنده كثيراً من الألفاظ. ولكن الألفاظ الجديدة التي اخترعها تقتصر على الألفاظ الغنائية.

وكان معجمه اللفظي وفيراً جداً، وقد أسرف فيه إلى درجة أننا نجد أن ما بين ٣٢٩ إلى ٧٨٢ من الألفاظ التي نجدها في إحدى المسرحيات الست، لا نجدها في نص واحدة أخرى من المسرحيات الخمس الأخرى. وعدد الكلمات الجديدة التي ابتكرها يبلغ على الأقل ألف ومائة كلمة: خمسماية منها في الحوار، و٦٠٠ في الأجزاء الغنائية.

ومن ناحية أخرى أغنى اسخولوس اللغة اليونانية بوفرة من الروابط التصويرية. ولا قرين له في هذا المجال غير پندار. فهو أضفى على الأشياء غير الحية شخصية وكياناً حياً، وتجاسر في هذا الاتجاه الى درجة كبيرة لم يحدّها حدّ. واستعان في هذا بالمجازات الجزئية وبتوجيه الخطاب الى الكائنات غير ذوات الشخصية، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في مسرحية «أجاممنون»، الأبيات: ٢٢ ـ ٥٠٣ ـ ٥٠٨ ـ ٥١٨، ـ ومسرحية «حاملات القرابين»: البيت ٩٦٣.

ـ (٦) ـ

تأثيره في عصره والعصور اليونانية التالية

وقد حظي اسخولوس إبان حياته بتقدير بالغ. والدليل على ذلك أن مآسيه حظيت بالنصيب الأوفر من التمثيل المسرحي. وبقي هو المؤلف المسرحي المحبوب لدى شعب أثينا بعد وفاته، إلى جانب سوفقليس. ومن الأدلة على ذلك

---

(١) كانت لكل مدينة يونانية تكوّن دولة City-States لهجتها اليونانية الخاصة بها. لكن يمكن تقسيمها الى ثلاث مجموعات: (١) الأتيكية ـ الأيونية التي كان يتكلم بها في اقليم اتيكا، والمستعمرات الايونية على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى وبعض الجزر؛ (٢) الأيولية في جزيرة لسبوس وما جاورها في برّ آسيا الصغرى وتساليا وبوئتيا؛ (٣) اليونانية الغربية في جوكيس ولوكريس، وايليس، وتشمل الدورية.

أن أرسطوفان، في ملهاته «الضفادع» يجعل إله المسرح يستدعي اسخولوس من العالم السفلي. وكثرة الاشارات إليه لدى مؤلفي الكوميديات في أواخر القرن الخامس، وخصوصاً لدى أرسطوفان، تدل على أن مآسي اسخولوس كانت لا تزال يعاد تمثيلها باستمرار. كذلك ثم دلائل على أن مآسي اسخولوس كانت تمثّل وتُقرأ كثيراً في القرن الرابع قبل الميلاد. صحيح أنه في الأوساط السقراطية كان سوفقليس ويوريفيدس يفضّلان عليه (راجع: ديوجانس اللائرسي: «سير الفلاسفة» ٢: ١٨؛ اكسينوفون: «الذكريات» ١:). ولئن كان أفلاطون لا يزكيه كمربٍّ للشباب («السياسة» م ٢، ص ٣٨٠ أو، ٣٨١ د، م ٣ ص ٣٩١ هـ)، إلاَّ أنه كان يديم قراءة مسرحياته، كما أن دين الدولة كما رسمه في محاورة «النواميس» يتفق في خطوطه العريضة مع ديانة اسخولوس كما عرضناها منذ قليل..

لكن مآسيه لم تَعُدْ تمثل في الأعياد الديونوسيوسية ابتداء من سنة ٣٨٦. ومن هنا قل الاهتمام بها منذ ذلك التاريخ لدى عامة جمهور أثينا.

لكن ارسطو، كما أوردنا نص كلامه في كتابه «فن الشعر» أشاد كثيراً باسخولوس؛ كما أنه جعل تلميذه الاسكندر (الأكبر المقدوني) يديم الاطلاع على مآسي اسخولوس.

وفي الاسكندرية، في عهد البطالسة، عني الفيلولوجيون بمآسي اسخولوس وقاموا بتحقيق نصّها وبشرحها.

وفي روما القيصرية كان الكتّاب يفضلون عليه سوفقليس ويوريفيدس ومن بين مؤلفي المآسي في روما قام انيوس Ennius (٢٣٩ ق.م - ١٦٩ ق.م) وأكيوس accius (١٧٠ ق.م - حوالى ٩٠ ق.م) بتلخيص بعض مسرحيات اسخولوس. ونظر الرومان إلى اسخولوس على أنه «مخترع» الأسلوب العالي في المسرح المأساوي، لكنهم لم يكونوا يقرأونه كثيراً، حتى في القرن الأول قبل الميلاد الذي انتعش فيه الميل الى الكلاسيكيين اليونانيين. وقد أشاد به أرشيدس Aelius aristides (١١٧ م - ١٨١ م) وديون الذي من قراسا Prusa. وفي مقابل ذلك لا نجد إلاَّ ذكراً قليلاً له لدى المفكرين البيزنطيين المتأخرين: فثامسطيوس لا يذكره إلا مرة واحدة، وليبانيوس لا ينقل عنه إلاَّ عبارة تافهة. ويذكر ثامسطيوس أنه لم يكن يَقرأ في مدرسة أبيه من بين أصحاب المآسي القدماء إلا سوفقليس ويوريفيدس. وإلى هذه الحال من هجر قراءة اسخولوس يرجع السبب في قلة

أوراق البردي التي وصلتنا فيها نصوص من اسخولوس. كذلك أهمله واضعو القواميس ومن كتبوا عن الأساطير اليونانية.

لكن يلوح أنه عند نهاية عصر الأوائل (أي في القرنين الخامس والسادس بعد الميلاد) عاد الاهتمام بانتاج اسخولوس. وهو ما أدى إلى انقاذ مختار من مآسيه (بما في ذلك «پرومثيوس») يشتمل على سبع مآسٍ، وهذا المختار هو الذي وصلنا وحده من المسرحيات الكاملة.

أمّا شرّاح اسخولوس في العصر القديم فلا نعرف منهم غير واحد، وهو أرستارخوس Aristarchos الذي من سارنراس (حوالى ٢١٧ إلى ١٤٥ ق.م) الذي وضع شروحاً أيضاً على هوميروس، وهسيود، وأرخيلوخوس وپندار وسوفقليس وإيون، وأرسطوفان، وهيرودوت.

لكن في القرن الثاني عشر بدأ الفيلولوجيون في بيزنطية بالعناية باسخولوس. ونذكر منهم خصوصاً: يوهانس تزتزس Tzetzes. ومن بعده في القرنين الثالث عشر والرابع عشر في بيزنطية: توماس ماجستر Magister وديمتريوس تركلينيوس Triklinios.

ثم طبع النص اليوناني، في سنة ١٥١٨، للمسرحيات السبع. وفي سنة ١٥٥٥ ترجمه إلى اللاتينية يوهانس سانراڤيوس Sanravius وطبعت هذه الترجمة اللاتينية النثرية في بازل بدون تاريخ. وبفضل هذه الترجمة اللاتينية أصبح اسخولوس ميسوراً لأوسع دائرة من العلماء والشعراء والأدباء في أوروبا.

ويلوح أن شكسبير لم يقرأ اسخولوس؛ بينما معاصره المؤلف التراجيدي الهولندي يوست ڤان فوندل Joost van Vondel اطّلع على اسخولوس جيداً. وفي شعر جون ملتون Milton وما يسري فيه من معنى الارتباط بين الخطيئة والجزاء، وقوة العدالة الإلهية، والتقابل بين النور والظلمة - نلاحظ تأثير اسخولوس ممزوجاً بتأثير سوفقليس. وكان خصوصاً لمسرحية «پرومثيوس» تأثير هائل في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر في انجلترا عند شلي وبايرن وسونبرن.

ثم بدأت ترجمة مجموع مسرحيات اسخولوس إلى اللغات الأوروبية الحديثة ابتداءً من سنة ١٧٧٠. إذ ترجمها إلى الفرنسية لوفران دي پومپينيان Lefranc de Pompiynan سنة ١٧٧٠. وتلاه روشفور Rochefort في سنة ١٧٨٥،

- وترجمها إلى الإنجليزية Potter.

- وكانت أول ترجمة لكل مؤلفاته الباقية الى اللغة الألمانية هي تلك التي قام بها دانس I. h. Danz، وظهرت سنة ١٨٠٥ - ١٨٠٨، لكن سبقتها ترجمات لمسرحيات مفردة إلى الألمانية: إذ ترجم جولد هاجن J. E. Goldhagen مسرحية «السبعة ضد ثيبا» في سنة ١٧٦٧، وترجم اشتولبرج F. L. von Atolberg في هامبورج سنة ١٨٠٢ المسرحيات التالية: «پرومثيوس»، «السبعة ضد ثيبا»، «الفرس»، «المحسنات».

أما جيته فقد تأثر خصوصاً بمسرحية «پرومثيوس»، وبوحي منها كتب مخطط مسرحية «پرومثيوس» التي لم يتمها، وهو في مطلع شبابه في سنة ١٧٧٢. وهو أشار مراراً إلى مسرحيات اسخولوس واقتبس منها اعتماداً على الترجمة التي كان يقوم بها في ڤيمار الكاتب السويسري G. Chr. Tobler نظماً، وترجمة هومبولت لـ «أجاممنون».

وتناوله ڤون اشليجل F. von Schlegl في كتابه: «تاريخ الأدب القديم والحديث» (نشره اشپاير في ريجنزبرج سنة ١٩١١، ص ٣٤ - ٣٦)، لكن بطريقة سطحية.

وتعمق دراسته الشاعر النمساوي جرلپارتسر Grillparzer، وأطرى مسرحياته مراراً («مؤلفات جرلپارتسر»، نشرة نكر، جـ ١٤ ص ١٤٦ - ١٥٣).

وخصّه بدراسة وافية ڤلهلم فون اشليجل (راجع مجموع مؤلفاته نشرة Bocking سنة ١٨٤٦ جـ ٥ ص ٨٩ وما يليها) وذلك في محاضرات ألقاها في ڤيينا سنة ١٨٠٨ دارت حول مسرحيات اسخولوس.

أما شلر[1] (١٧٥٩ - ١٨٠٥) فقد قال في سنة ١٧٨٨ عن مسرحية «أجاممنون» «إنها من أجمل الأعمال التي كتبها عقل شاعر». ووعد أن يترجم هذه المسرحية إلى الألمانية لنشرها في مجلة Merkur التي كان يُصدرها الشاعر ڤيلند Wieland (كما أشار هو إلى ذلك في رسالة إلى شارلوت لنجفلد Lengefald بتاريخ ٤ ديسمبر ١٧٨٨).

(١) راجع M. Gerhard: Schiller and die griechische Tragödie. Wermiar, 1919.

ثم توالت الترجمات الألمانية الدقيقة والقائمة على التحقيق الفيلولوجي الوافي. فظهرت في سنة ١٨٣٢ (والطبعة الرابعة في سنة ١٨٨٤) الترجمة العظيمة التي قام بها درديزن J. G. والتي سيطرت على كل القرن التاسع عشر في ألمانيا. وتلتها ترجمات كل من J. V. Danner، وهارتونج Hartung، ومنكفتس Minckwitz. ثم ظهرت بعد ذلك ترجمات لمسرحيات منفصلة، نذكر منها ترجمة ألرش فون ڤيلاموڤتس Wilamowitz «للأورستيّات» (في سنة ١٨٩٩).

أما في اسبانيا فيلوح أن كيبيدو Quevedo (١٥٨٠ ـ ١٦٤٥) كان هو الوحيد، في عصر النهضة الأسبانية في القرنين السادس عشر والسابع عشر الذي درس اسخولوس وقرأه مباشرة في الأصل اليوناني، وهو قد ترجم إلى اللاتينية وصاغ في تلخيص موسّع على شكل سوناتات باللغة الاسبانية الأبيات ٩٦٦ ـ ٩٦٩ من مسرحية «پرومثيوس». والترجمة الكاملة الوحيدة لمسرحيات اسخولوس إلى الاسبانية هي تلك التي قام بها بريڤا Breiva في سنة ١٨٨٣ (وأعيد طبعها بعد ذلك مراراً). لكن ظهرت قبل ذلك ترجمات منفصلة لمسرحيات مفردة، نذكر منها «پرومثيوس» في سنة ١٨٧٨، و«السبعة ضد ثيبا» في سنة ١٨٧٩ اللتين ترجمهما مننذث إي پلايو Menendez Y Palayo، لكن عن اللاتينية، وكان في عزمه أن يترجم كل مسرحيات اسخولوس بالتعاون مع خوان ڤاليرا Valera، لكن لم ينجز هذا المشروع. كذلك قام الأب سولا Sola بترجمة «پرومثيوس» مع طبع النص اليوناني، وذلك في سنة ١٩٤٣.

- (٧) -

خاتمة

والخلاصة هي:

- إن اسخولوس كان أبا المأساة عند اليونان، وفي الأدب العالمي؛

- وأنه حصر دور الكورس والشعر الغنائي في المأساة، وجعل للحوار الدور الأول في بناء المأساة؛ وجعل وجود الكورس ضرورياً لمجرى الأحداث؛

- وأنه جعل السياسة والأخلاق في خدمة المدنية، وفي هذا السبيل قدّم نماذج رائعة للبطولة والصدق، واستبعد الضعف والفسولة في الأخلاق؛ ومجّد دور الانسان في مواجهة المقدر وأهواء الآلهة؛

- وأنه نظم قصائد وأغاني سامية؛ وزود العرض المسرحي بأدواته الرئيسية.

- ولهذا رأى فيه شعب أتيكا (مدينة أثينا وما أحاط بها) معلّماً وقائداً من الطراز العالي؛ خصوصاً لأنه قدّم شخصيات نموذجية مثل: اتيوكل، وپرومثيوس، وقلوطمنسترا، وأورست. وهي شخصيات تحيط بها الأسرار: فپرومثيوس قد أودع فيه سرّ يتوقف عليه مصير آلهة الأولمب، واتيوكل يحمل على عاتقه ثقلاً من الوراثة رهيب: إذ هو يناضل ضد لعنة وراثية أقوى منه؛ وقلوطمنسترا هي أداة للعنةٍ قديمة.

إن مآسي اسخولوس حافلة بالقلق، والرهبة، وجلال العبارة.

باريس في ٦ يوليو ١٩٩٥

د. عبد الرحمن بدوي



مَسرحيَّة «المُسْتَجيرات»



مُقَدّمَـة

«المُسْـتَجيْرات»

بقلم: الدكتور عبد الرحمن بدوي

ـ (١) ـ

الدانائيد

كان داناوس Danaus وايجپتوس Egyptos هما الابنان التوأمان لبيلوس Belos الذي كان ملكاً تشتمل مملكته على آشور (النصف الشمالي من العراق)، وبلاد العرب، ومصر وليبيا. وقد قسّم هذا الملك بينهما، فأعطى ليبيا إلى داناوس. وأعطى بلاد العرب (شمال شبه الجزيرة العربية) إلى إيجپتوس. لكن إيجپتوس فتح مصر، وبهذا هدّد أمن داناوس الحاكم على ليبيا. وقد أنجب ايجپتوس خمسين ولداً ذكراً، بينما أنجب داناوس خمسين بنتاً أطلق عليهن اسم: الدانائيد (أي: بنات داناوس).. فاقترح ايجپتوس أن يتزوج أبناؤه الخمسون من بنات داناوس الخمسين. فشكّ أخوه داناوس في القصد من هذا الاقتراح إذ خشي أنها تكون حيلة ليسلبه ايجپتوس من مُلْكه. ولهذا أمر ببناء سفينة كبيرة، بمساعدة الإلاهة أثنا Athena، وركبها ومعه بناته الخمسون وأبحر متجهاً نحو مدينة آرجوس (في جنوب بلاد اليونان)، وهي المدينة التي كانت قد جاءت إليها جدّته إيو Io (بنت كارموس والانسجام). وفي الطريق إلى أرجوس، توقف في لندوس، وفي جزيرة رودس

حيثُ بنى فيها معبداً مكرّساً للإلاهة أثنا Athena شكراً لعطفها عليه.

ثم وصل داناوس وبناته الى آرجوس، وهناك طالب بتولي الملك فيها بدعوى قرابته من إيو Io؛ وكان ملك أرجوس آنذاك هو جيلانور Gelanor الذي سرعان ما رفض دعوى داناوس. فرُفع الأمر إلى شعب أرجوس ليفصل فيه. لكن سوّيت المسألة، قبيل انعقاد الجمعية الوطنية لشعب أرجوس، بواسطة ما جاء به الفأل: فعشية الاجتماع حدث أن ذئباً انقضّ على قطيع الماشية في أرجوس وقتل الثور الذي كان على رأس هذا القطيع. وفُسّر هذا الفأل على أنه يعطي الأولوية في تولي الملك لداناوس. وهكذا تولى داناوس الملك في أرجوس. وشيَّد داناوس معبداً للإله أپولون اللوقياني (= الذئبي، نسبة إلى هذا الذئب). ووفّر الماء لأهالي أرجوس، ذلك لأن فوسيدون Poseidon (إله البحر) كان قد حرمهم من الماء غضباً منه عليهم: وذلك لأن هذا الإله قد نازع هيرا (زوجة زيوس) الولاية على أرجوس، لكن آلهة الأنهار التي حول أرجوس فضلت هيرا على فوسيدون. فانتقم فوسيدون بأن أصاب بالجفاف ينابيعهم لكن حدث فيما بعد أن أحب فوسيدون ابنة داناوس - واسمها أمومونة Amymone، ففجّر ينبوعاً في لرن Lerne. وثم رواية أخرى تقول إن داناوس إنما اختير ملكاً على أرجوس لأنه علّم أهلها كيفية حفر الآبار.

فلما فرت بنات داناوس الخمسون مع أبيهم إلى أرجوس أبحر أبناء إيجپتوس الخمسون إلى أرجوس لاسترداد هؤلاء البنات من اجل التزوج بهنّ. وكان ذلك - بحسب مسرحية اسخولوس - بعد وصول داناوس إلى أرجوس بوقت قصير. وبناءً على هذه الرواية التي اعتمدها اسخولوس، فإن پلاسجوس Pelasgos، ملك أرجوس، ساعد داناوس في الدفاع ضد أبناء ايجپتوس الذين كان أبوهم هذا قد حرّم عليهم العودة إلى مصر طالما كان داناوس حيّاً. بيد أن داناوس أُرغم على الاستسلام لرغبة هؤلاء الأبناء وتزوج كل واحد منهم بابنة من البنات الخمسين.

لكن كل بنت تلقت - سرّاً - من أبيها خنجراً، آمراً إياها بأن تقتل به زوجها في فراش الزوجية. فأطاعت كل البنات، باستثناء واحدة هي كُبْراهن، واسمها هوبرمسترا Hypermestra لأنها كانت تعشق زوجها لونقيه Lyncée، لأنه احترم بكارتها فلم يفضّها، وأخبرت زوجها هذا بالمؤامرة ودعته إلى النجاة بنفسه. ففرَّ إلى لورقيا Lyrceia، ومن هناك أرسل إشارة تفيد بأنه وصل سليماً. فألقي

بهوپرمسترا في السجن، ومثلت أمام المحكمة؛ لكن محكمة أرجوس برّأتها، وربما كان ذلك بتدخل من الإلاهة أفروديت (إلاهة الجمال والحب).

وأخيراً وافق داناوس على أن يتزوج لونقيه من ابنته هوپرمسترا وتصالح معهما.

أما البنات التسع والأربعون الأُخريات فقد أحضرت كل واحدة منهن رأس زوجها إلى أبيها داناوس لإثبات اخلاصهن لأمره. وقد طهرهن من جرائمهن هذه هرمس وأثنا بأمرٍ من زيوس. وبعد ذلك أمر داناوس بتزويجهن من شباب من أهل أرجوس ولم يطلب أيّ مهر، بل على العكس، زوّد كل واحدة منهن بهدايا فاخرة، وذلك لأن أهل أرجوس لم يرضوا كثيراً عن هؤلاء الزوجات القاتلات لأزواجهن السابقين.

وأخيراً اضطر داناوس إلى تنظيم مسابقة للعدو، والكاسب في كل شوط يختار من بينهن زوجة له،وهكذا حتى تمّ اختيار الشباب المتنافس في العدو لزوجاتهن التسع وأربعين. والأبناء الذين أنجبوا من هذه الزوجات سمّوا الدانائين Danaens وهو الاسم الذي اطلقه هوميروس على كل اليونانيين.

وثم رواية تقول إن لونقيا انتقم لإخوته التسعة والأربعين فيما بعد، بأن قتل داناوس، وتولى الملك مكانه وقتل ايضاً كل الدانائين (= بنات داناوس) باستثناء زوجته هوپرمسترا. وبعد موتهن، عوقبن في العالم السفلي بالعقاب التالي وهو: أن يملأن بالماء جَرّة مخروقة.

وقد نظم الشاعر اللاتيني هوراس Horace قصيدة في هذه الأسطورة، أشاد فيها خصوصاً بهوپرمسترا.

ـ (٢) ـ

تاريخ تأليف هذه المسرحية

ومن هذه الأسطورة كلها تقتصر مسرحية اسخولوس وعنوانها: «المستجيرات» على أمر واحد هو: وصول بنات داناوس الخمسين إلى أرجوس هرباً من الزواج بأبناء إيجپتوس (وسنسميه: مصرايم، بحسب ما ورد في كتب التاريخ العربية)،

وعلى رأسهن أبوهن: داناوس. ثم طلب من ملك أرجوس حمايتهن من أبناء مصرايم الذين جاءوا لأخذهن. فهن إذن مستجيرات بآلهة أرجوس. ومن عادة المستجير أن يحمل غُصناً من الزيتون طويلاً ومستقيماً، ومحاطاً بأربطة من الصوف الأبيض. ولهذا سميت المسرحية باسم: «المستجيرات».

والشخصية الرئيسية فيها هي: الكورس، وهو مؤلف من خمسين فتاة، هن الدنائيد، أي بنات داناوس، وتصحبهنّ خادماتهن.

ويتلو الكورس ـ بمسافة بعيدة ـ أبوهن: داناوس، ثم المنادي الذي جاء من قِبَل الأبناء الخمسين الذين نزلوا على شاطىء أرجوس طلباً لاسترداد الخمسين بنتاً للزواج بهن.

وهذا الدور الحافل الذي للكورس يرجع إلى كون مسرحية اسخولوس هذه الوليدة الأولى للمسرحيات اليونانية في نشأتها. ذلك أن المسرحية اليونانية ـ كما قال أرسطو[1] ـ هي وليدة الدثيرمبوس. ولهذا السبب، تعد مسرحية «المستجيرات» أقدم مسرحيات اسخولوس تأليفاً، بين مسرحياته التي بقيت لنا وعددها سبع..

ويذهب الباحثون إلى تحديد تاريخ تأليفها بالفترة بين هزيمة مدينة أرجوس على يد كليومين حوالى سنة ٤٩٣ ق.م، وبين انتصار اليونانيين على الفرس في معركة ماراثون الشهيرة والتي وقعت في سنة ٤٩٠ ق.م. وكانت سن اسخولوس آنذاك بين اثنتين وثلاثين إلى خمس وثلاثين سنة.

ولم يحصل اسخولوس على الجائزة التي كان يتنافس عليها الشعراء المسرحيون آنذاك، لأن أول ظفر له بالجائزة كان في سنة ٤٨٤ ق.م.

وثم شذرة على ورق البردي، نشرت سنة ١٩٥٢، تتعلق بتواريخ وظروف تمثيل الرابوع المسرحي الذي يضمّ مسرحية «المستجيرات» ـ تفيد بأن هذه المسرحية مُثّلت في عهد أرخونية أرخدميدس Archedemides، أي بين سنة ٤٦٤ و٤٦٣ ق.م. ولو صحّ هذا لانقلب الوضع تماماً فيما يتعلق بتاريخ تأليف مسرحيتنا هذه! وذهبت أدراج الرياح كل الحجج التي انتحلها الباحثون لإثبات أنها باكورة

---

(١) راجع ترجمتنا لكتاب «فن الشعر» لأرسطو، القاهرة سنة ١٩٥٣. والديثرمبوس نشيد وجداني عنيف، على شرف ديونوسيوس إله الخمر. وقد برع في نظمه أريون Arion في نهاية القرن السابع ق.م.

إنتاج اسخولوس، وهي: (١) بساطة الفعل؛ (٢) سيادة الكورس إلى درجة أنه يلعب الدور الرئيسي في المسرحية من أولها إلى آخرها؛ (٣) استفاضة الجانب الغنائي.

ـ (٣) ـ

خلاصة المسرحية

وخلاصة الاسطورة التي استلهمتها مسرحيتنا هذه هي:

كانت إيو كاهنة للإلاهة هيرا في مدينة أرجوس. وقد أحبها زيوس فغارت منها هيرا، زوجة زيوس، وانتقمت منها بأن حوَّلتها إلى بقرة. ومع ذلك استمر زيوس في وطئها وهو على شكل ثور. هنالك أرسلت هيرا عليها نعرة (ذبابة شديدة اللسع) راحت تطاردها مما جعل إيو يصيبها الجنون. فراحت تذرع أوروبا وآسيا وهي في هذيان شديد، دون أن تتمكن من الهدوء لكي تضيع الأبن الذي أنجبه منها زيوس. وبعد تشرد طويل وصلت إلى مصر. وهنا لَمَس زيوس جبينها ونفخ على وجهها. فهدأ شرودها وهذيانها في الحال، واستعادت شكلها الأصلي، وولدت ولداً هو إپافوس (ومعناه باليونانية: اللمس، إشارة الى لمس زيوس لجبين أمّه إيو). ومن اپافوس هذا انحدر ملوك مصر.

ومن سلالة اپافوس كان داناوس وايجپتوس، وقد تنازعا المُلْك في مصر. وكان لداناوس خمسون بنتاً، كما كان لايجپتوس خمسون ولداً ذكراً. ولما كان داناوس هو الملك، فقد أراد ايجپتوس أن يضمن لأبنائه الخمسين وراثة عرش داناوس. ولتحقيق هذه الغاية اقترح على داناوس أن يتزوج أبناؤه الخمسون من بنات داناوس الخمسين. فلم يرضَ داناوس. فقامت الحرب بين كليهما. فانتصر ايجپتوس على داناوس. فهرب هذا الأخير ومعه بناته على سفينته ذات الخمسين مجدافاً قاصداً مدينة أرجوس (في بلاد اليونان)، وأهلها من البلاجيين. والتمسوا أن يجيروه هو وبناته. فوافق البلاجيون على حمايتهم وإيوائهم. ومن ناحية أخرى لما علم ايجپتوس وأبناؤه بهرب داناوس من مصر، توجهوا في سفينة إلى أرجوس لاسترداد الفتيات واعادتهن إلى مصر للزواج منهن. ولما نزلوا إلى أرجوس، تظاهر

داناوس بالاستسلام وتزويج بناته من أبناء عمّهن ايجپتوس. ثم أمر كل واحدة من بناته بأن تقتل زوجها في فراش الزوجية في أول ليلة تتلو مراسم الزفاف؛ ولهذا أعطى كل واحدة منهن خنجراً لتنفيذ هذا الأمر. وأطعن جميعاً ونفذن هذا الأمر، باستثناء واحدة اسمها: هوپرومسترا فإنها لم تقتل زوجها لونقيا. فقام هذا بالانتقام فقتل داناوس ثم سائر الفتيات التسع والأربعين. ومن كليهما انحدرت السلسلة الملكية في أرجوس، ومنذ ذلك اليوم صار الپلاجيون يسمّون باسم: الداناثيين.

ـ (٤) ـ

مغزى المسرحية

والمعنى السائد في المسرحية هو: وراثة الشقاء. فالشقاء الذي حلَّ بإيو توارثته سلالتها في جنس داناوس، الذي عانى الكثير من الكوارث الرهيبة.

لكن الآلهة ـ وعلى رأسهم زيوس، رب الأرباب ـ ليسوا غير مكترثين بمصير الانسان. بل هم يحاولون نجدته في إبان محنته. ومن هنا نجد زيوس يعطف على سلالة داناوس، ويخلصهم ذات يوم من المصير القاسي الذي فرضته الوراثة عليهم.

وما عاناه أبناء دانوس وسلالة إيو من العذاب يكوّن الجانب المأساوي الرهيب في مسرحية اسخولوس هذه، وهو ما يجعل كل كلمة في أفواه بنات الكورس تفيض أسى وتثير الرحمة في قلوب المشاهدين. وفي هذا ما يعوّض عن خلو المسرحية من العقدة ومن الأحداث المثيرة.

كذلك يعوض عن هذا الخلو الرسم الدقيق للشخصيات:

١ ـ الفتيات الفزعات من الزواج لأسباب لم تبيّن صراحة في شكاتهن ونواحهن. وهو مسلك راح الباحثون يضربون أخماساً لأسداس من أجل تفسيره، لأنه ليس من طبيعة المرأة أن تكره الزواج. فهل كان ذلك امتثالاً لأمر أبيهن داناوس الذي خشي من أن يؤدي هذا الزواج إلى أن يرث أبناء أخيه ـ وخصمه اللدود في وقت واحد معاً ـ عرش داناوس في مصر؟ ربما كان هذا أحق التفسيرات بالاقناع.. وبهذا يكون موقفهن هذا مزيجاً من اطاعة الأولاد لمشيئة ابيهم أو

أبيهن، ومن الحكمة السياسية. ـ ومع ذلك نجدهن في آخر المسرحية يتخلّين عن آلهتهم المصريين، آلهة النيل، ويتوجهن بالدعاء والنشيد إلى آلهة اليونانيين ـ وهو غَدْر لا يغتفر.

٢ ـ داناوس، اكبرهن، وقد كشف عن حكمة بارعة أمام القوة القاهرة لأبناء أخيه، وعن احتيال فعّال في ترتيب المؤامرة التي أودت بأبناء أخيه. والمغزى المستخرج من هذا هو: تظاهَر بالاستسلام أمام القوة القاهرة للعدو، وفي الوقت نفسه دَبّر حيلة للانتقام منه والتغلب عليه.

٣ ـ ملك أرجوس: والمسرحية لا تذكر اسمه، بل صفته فقط: ملك أرجوس. وفيه تتمثل الشهامة بإجارة هؤلاء المستجيرات، والفطنة العملية بمحاولة تجنب الحرب ضد الغزاة: أبناء إيجپتوس الذين جاءوا لاسترداد الفتيات الهاربات من الزواج بهم.

٤ ـ المنادي الذي أرسله هؤلاء الغزاة ليفاوض ـ أو يقسر ـ هؤلاء الفتيات على العودة إلى مصر. وهو يتصف بالوقاحة والتحدي شأن أمثاله الذين يتولون مثل مهمته.

٥ ـ ووراء هؤلاء الأشخاص من بني الإنسان يتخذ الآلهة مواقفهم منهم: فزيوس يحمي إيو وسلالتها، أعني داناوس وبناته؛ وأفروديت تتدخل لصالح هوپرمسترا التي عَصَت أمر والدها فلم تقتل زوجها؛ وأرتميس تحمي العفة وتتبنى قضية هؤلاء الفتيات اللواتي يفزعن من الزواج، وهيرا إلهة الزواج والأمانة الزوجية، ودورها سائد في المسرحية كلها من وراء الستار.

وأخيراً نرى أنه لا محلّ لاستخلاص رأي اسخولوس من الزواج اعتماداً على هذه المسرحية، كما ذهب البعض، لأن اسخولوس لم يتعرض فيها لهذه المسألة لا تصريحاً ولا تلميحاً.

د. عبد الرحمن بدوي

باريس في ١٠ فبراير ١٩٩٥



«المستجيرات»

شخصيات المسرحية

كورس من الدانائيد وخادماتهن

داناؤس حفيد حفيد اپافوس Danaos

پلاسجوس، ابن بالايختون، ملك أرجوس، ويسمى: الملك

منادي مصري



(من عمق الأوركسترا رابية تحمل عليها مذبحاً وتماثيل آلهة. يدخل الكورس: خمسون أميرة لهن أقنعة ذوات هالة ومزينات بأشرطة وبراقع على طريقة الأجانب. وخمسون تابعة يصحبنهن)(١)

رئيسة الكورس: ليت زيوس الشفيع يلقي نظرة حنوناً على هذه الجماعة الشاردة، التي ارتحلت سفينتها من مصبّ النيل ذي الرمل الناعم!

بعيداً عن أرض زيوس(٢) التي تتاخم البلاد السورية، نحن نهيم على وجوهنا بوصفنا منفيّات؛ وليس ذلك لأن مدينة قد أصدرت ضدنا حكماً بالنفي جزاءً وفاقاً للدم المسفوح؛ وإنما لأننا مملوءات بالفزع الفطري من الانسان(٣)، ولهذا فنحن نكره الزواج من أبناء مصرايم ونكره جنونهم الفاسق.

وداناوس، الذي يلهم كل خططنا، والذي ألهم تمرّدنا، قد وزن الضربات، ومن بين الآلام اختار الألم الذي أنقذ ـ على الأقل ـ مجدنا، أعني: الفرار المستمر خلال أمواج البحار والنزول على شواطىء الأرجولين، مهد جنسنا، الذي نفخر بأنه جاء إلى العالم من البقرة التي تدور وفقاً للنعرة تحت لمس ونَفَس زيوس(٤).

---

(١) بنات داناوس Danauos الخمسون، مصحوبات بتابعاتهن، وهن معاً يكوّنَّ الكورس ـ قد جئن ليستجرن بملك أرجوس كي يهبهن المأوى والمساعدة، ومن هنا جاء عنوان المسرحية.

(٢) أرض زيوس = مصر؛ وفيما بعد ستنعت هكذا: «أرض زيوس التي تنمو فيها كل انواع الفاكهة».

(٣) النص اليوناني غير واضح؛ لكن المعنى الذي اعتمد عليه في الترجمة مستمد من التصور العام لدور الدانائيات في ثلاثية اسخولوس.

(٤) هناك اشارة الى الأسطورة التالية: ايو Io كاهنة هيرا في أرجوس، قد أحبّها زيوس. فغارت منها زوجته هيرا، وانتقمت منها بأن حولتها إلى بقرة. ومع ذلك استمر زيوس في مناشدتها وهو على

في أي بلد مناسب لنا نستطيع إذن أن ننزل ونحن على هذه الصفة، أذرعنا متوسّلة، ومعنا أغصان ملفوفة بالصوف[1]؟

ألا ليت هذا البلد، وأرضه ومياهه الصافية، ـ ويا ليت الآلهة السماوية والآلهة الأرضية ذوات التارات الثقيلة، من آلهة المقابر[2]، ـ وليت زيوس المنجّي، الذي يحرس بيوت العادلين، ـ يتفضل بقبول هذه الجماعة من النساء بوصفهن متوسلات إليهم، في هذا البلد الذي يستروح أنفاس الرحمة؛ وقبل أن يطأ الذكور الوُقحاء ـ على هيئة كوكبة مندفعة ـ المنحدرون من صُلب مصرايم Egypptos، هذه الأرض الغرينية قادمين على سُفُنهم السريعة ـ أستحلفك أيتها الآلهة أن تردّيهم إلى وسط البحر، وأن يصطدموا ببحر متوحش وأن يهلكوا، وهم في عذاب من العواصف القاتلة، وبين الرعود والبروق، تتقاذفهم الرياح المحملة بالأمطار قبل ان يستعبدوا ـ على الرغم من السماء التي تحميهم ـ بنات أخي والدهم، بالصعود إلى أسرّة لا تريدهم!

الكورس: لكن أولاً صوتي وراء البحار سيدعو مُعيني: وهو الثور الشاب المولود من زيوس ومن البقرة التي شوهدت هنا وهي ترعى الأزهار؛ وتحت أنفاس زيوس، وتحت الملامسة التي أعطته اسمه ـ تمّت المدة المحدّدة «للپاركات»[3] وضعت إيو ابنها اپافوس.. وبمناشدتي لهذا الاسم، وبأن أُعيد اليوم ذكر بلاياه الماضية في نفس الأماكن التي فيها كانت ترعى جدتي العفيفة ـ سأزوّد هذا البلد بأدلّة وعلائم على ميلادي، ومهما تكن غير متوقعة فإنها ستبدو مع ذلك جديرة بالتصديق: وسيرى الناس ذلك إن شاؤوا سماعي.

شكل ثور. هنالك أرسلت عليها هيرا نعرة (ذبابة) تعاكسها وتطاردها، واصابها الهذيان؛ وراحت تجري تارة في أوروبا وتارة في آسيا دون رحمة وهدوء يمكنها من ان تلد المولود الذي حملت به من زيوس. وبعد شرود طويل، وصلت الى مصر. وهنا لمس زيوس جبهتها ونفخ على وجهها فتوقف شرودها في الحال، واستعادت شكلها الأصلي وولدت ولداً هو اپافوس Epaphos معناه «لمس» زيوس ومن اپافوس، ابن زيوس هذا، انحدر كل ملوك مصر.

(١) تقضي الشعائر بأن المتوسل يحمل غصن زيتون طويلاً ومستقيماً، ملفوفاً بأشرطة من الصوف الأبيض.

(٢) أي الأبطال الذين يحمون البلد الذي فيه قبورهم.

(٣) مدة الحمل، وكانت طويلة جداً بالنسبة الى ايو. لكن ملامسة زيوس لها وضعت حداً لهذه المدة، فولدت اپافوس (= في اليونانية: اللمس) ومن هنا جاء اسمه. والثور الشاب المولود من زيوس ومن البقرة هو اپافوس هذا، وقد شبّه بعجل ابيس.

وإذا كان بالقرب مني انسان يستطيع فهم نشيد الطيور، وسماع شكواه، فإنه سيعتقد أنه يسمع صوت زوجة تيريه[1]، المثير للشفقة في ندمه، صوت البلبل الذي يطارد الصقر.

لقد طُرِدت من مقامها القديم، وها هي ذي تبكي بحرارة مسكنها المألوف وهي تردد موت ابنها، وكيف هو تحت يدها وهي أُمه، تحت ضرباتها هي، فريسة أُمٍّ فقدت صوابها.

وهكذا أنا بدوري ملزماً أن أنوح على أنغام ايونيا، وأن امزق خدي الذي نضج على شمس النيل وقلبي الحديث العهد بالدموع. إن باقة من الزفرات تعبّر عن مخاوفي: فهل أجد ها هنا إخوة مستعدين للسهر على منفاي بعيداً عن الأرض ذات الضباب[2]؟

هيا! أي صانعي ميلادي الإلهيين! أنتم ترون أين الحق. فأعينونا. أو إذا كان المصير لا يريد للحق أن يتوافر بأكمله، فعلى الأقل، في كراهيتكم المتأهّبة دائماً لضرب تجاوز الحدود، تبينوا عدالتكم في مواجهة هذا الزواج. حتى بالنسبة الى الهاربين الذين عذبتهم الحرب[3]، يوجد أمان لهم ضد الشقاء في المذبح الذي تقيم فيه جلالة الآلهة.

آه! لو كانت الخاتمة يمكن ان تكون تلك التي تطمح إليها أمانينا! إن رغبة زيوس من العسير ادراكها. لكن مهما يحدث، فإنها تتلألأ فجأةً، وأحياناً في وسط الكلام[4]، مصحوبة بعقاب أسود، في عيون أُناس زائلين.

---

(١) تيريه Térée: ملك ترافيا تزوج من بروكنيه، بنت بنديون ملك أثينا. وأرادت بروكنيه أن تحضر بالقرب منها أختها فيلوميلا. فأغرم بها تيريه وانتهك عرضها، وكي يمنعها من أن تخبر بذلك أحداً فإنه قطع لسانها. ومع ذلك وجدت فيلوميلا وسيلة لإخبار أختها بما فعل زوجها وانتقمت كلتاهما بأن قدمتا إليه أعضاء جسم ابنه اتوس Itys ليأكلها. ومنذ ذلك الوقت وقد تحوّل الى صقر، فإن تيريه يطارد دائماً بروكنيه وقد تحولت الى بلبل، وفيلوميلا وقد تحولت الى سنونو. وفي رواية أخرى لهذه الاسطورة يتحول تيريه الى هدهد، وبروكنيه الى سنونو، وفيلوميلا الى بلبل.

(٢) المقصود هو مصر، لكن المعنى الدقيق لهذا الوصف الذي ينطبق على بلاد أُخرى، ليس مؤكداً عندنا، ولا كان مؤكداً عند الأقدمين الذين اقترحوا تفسيرات أُخرى.

(٣) لم يهرب داناؤس وبناته صوب اقليم أرجوس إلا بعد حرب بائسة ضد ابناء مصرايم.

(٤) إن المذنب يظن ان ليل النسيان يحميه، وإذا به يشاهد فجأة في الظلام ارادة زيوس المنتقمة ـ ومن الممكن ايضاً أن يكون اسخولوس يشير هنا الى الليلة الدامية التي يجب أن تهلك بها كل ابناء مصرايم.

إن المصير الذي قرره زيوس بعلامة على جبينه يهوي رأساً على استقامة، ولا يذهب ابداً إلى الأرض، بعد ان قرر انه لا بد حدوثه. إن طرق الفكر الإلهي تمضي الى الهدف خلال التواءات وظلال كثيفة لا تستطيع أية نظرة أن تنفذ فيها.

إن زيوس يلقي بالفانين من أعلى آمالهم الفخمة ـ في العدم؛ لكن دون ان يتسلح بالعنف: لا شيء يكلف الإله مجهوداً. إن فكره يتربع على القمم العالية، ومن هناك يحقق أغراضه، دون أن يغادر كرسيه المقدس.

فليلق إذن نظرة الى تجاوز الحدّ عند بني الانسان، وقد تجسَّد من جديد في الجنس ـ من اجل أن يحصل على الزواج ـ تفيض منه أفكار جنونية منحوسة! إن شعوراً متولداً من الهذيان ينخسه بمنخاس لا يقاوم، فيذكر الماضي ويقع في شرك أتيه Até.

(يبدأ الكورس في محاكاة عنيفة يتضايق منها الآلهة الذين يتوسل إليهم. فهو يمزّق ملابسه، ويصاحب كل مقطع برقصة وحشية).

تلك هي الآلام المحزنة التي تعبّر عنها صرخاتي الحاقدة، وزفراتي الخرساء، وسيول الدموع التي تفيض مني، وحتى هذه الصيحات التي تميّز الأناشيد الجنائزية: إنني، وأنا حيّة، أعزف نشيدي الجنائزي.

كوني مواتية لنا، يا أرض أپيس Apis[١] الجبلية، هل تسمعينني جيداً، أيتها الأرض، على الرغم من لهجتي الأعجمية[٢]؛ وبدون توقف تهوي يدي على نقابي الصيداوي لتمزق تيله إرباً إرباً.

نحو السماء ترتفع حشود من الأقسام[٣]، وأماني الشكر، حينما يكون الموت هناك وهو يهدّد. وا أسفاه. رياح غير دقيقة! الى أين ستحملنا هذه الأمواج؟

كوني مواتية لنا، يا أرض أپيس الجبلية! ـ هل تسمعينني جيداً، أيتها الأرض، على الرغم من لهجتي الأعجمية؟ ـ وبدون توقف، تهوي يدي على نقابي الصيداوي لتمزق تيله إرباً إرباً!

---

(١) راجع عنها ما سيقوله الملك فيما بعد (ص ٤٩).

(٢) نحن هنا بإزاء تعزيمات سحرية. وهذا النوع من التعبير لا يؤثر إلاّ اذا كانت التعزيمة منطوقة بتنغيم صحيح. والدانائيد يخشون أن تحول لهجتهم الأجنبية دون أن تسمع أرض أرجوسن نداءهن.

(٣) جمع: قسم (بفتح القاف والسين): حلف.

لا شك في أن المجاذيف، والسفينة ذات الألواح المخرومة بالحبال والتي توقف هجوم الأمواج ـ قد اقتادتني إلى هنا دون عواصف، وذلك بمساعدة النسيم، ولا شكوى لي من هذا. لكن الخاتمة التي أرجوها ألا ليت «الأب» الذي يرى كل شيء يمنحني إياها بجوده!

ألا ليت البنات اللواتي انجبتهن أمٌّ جليلة يُفْلِتن من معانقات الذكور، وهن حرائر من الزواج، وحرائر من القيود!

ويا ليت بنت زيوس العفيفة[1]، والرحيمة لمن ينشد رحمتها، تُنزِل من وجهها العبوس نظرة تؤكّد نجاتي! ويا ليتها بكل قوّتها. وقد غضبت من مثل هذه المطاردة ـ وهي العذراء، تنقذ عذراء!

ألا ليت البنات اللواتي أنجبتهن أمٌّ جليلة يُفْلِتن من معانقات الذكور، وهن حرائر من الزواج، وحرائر من القيود!

وإلاّ فإننا، ببشراتنا التي لوّحتها ضربات الشمس، سنمضي ـ والأغصان المستجيرة في أيدينا ـ نحو زيوس العالم السفلي، زيوس المعنيات للموتى: وسنشنق أنفسنا، ما دامت أصواتنا لم تستطع بلوغ آلهة الأولمب.

أيّ زيوس! أنها إيو Io ـ وا أسفاه ـ هي التي تطاردها في أشخاصنا ـ غضبة إلاهية: إني أتبين أن غيرة زوجية[2] تتغلب على السماء كلها. إنها عنيفة، العاصفة التي سيصدر عنها الإعصار[3]!

حينئذ سيُسلم زيوس إلى روايات تصف ظُلْمَه، لأنه احتقر ابن البقرة الذي أنجبه هو، والذي يشيح عنه في ساعة الأدعية والصلوات. ألا ليته، بدلاً من ذلك، يستجيب من أعلى السموات لدعاء أولئك الذين يدعونه!

أيّ زيوس! إنها إيو Io هي التي تطاردها في أشخاصنا غضبةٌ إلاهية. إني

(١) هذه الصفة تدل بوضوح على أن المقصودة هي أرتميس، إلاهة العفّة.

(٢) غيرة هيرا من غرام زوجها زيوس بإيو.

(٣) عنف العاصفة التي تؤذن بالإعصار يسمح بالتنبؤ، بأن هذا الإعصار سيكون رهيباً ولا يمكن أن يصدر إلاّ عن هيرا. والعاصفة هنا يقصد بها الحرب التي طردت الدانائيد من مصر؛ والإعصار هو المصير الذي ينتظر الآن هؤلاء الهاربات.

أتبين أن غيرة زوجية تتغلب على السماء كلها. . إنها عنيفة، العاصفة التي سيصدر عنها الإعصار.

(داناوس، وقد دخل في الأوركسترا خلف الفتيات يصعد على الأرض المرتفعة، التي منها ظل يرقب الأفق طويلاً وفجأة يوجه الكلام الى الكورس، فيقول:)

داناوس: يا بنات، الاحتياط يجب أن يكون قانوننا: إن الأب العتيق - بوصفه مرشداً محتاطاً تثقن فيه - هو الذي اقتادني الى هنا؛ والآن، ونحن على الأرض، فإن تحوُّطي يدعوكن الى مراعاة آرائي ونقشها جيداً في قلوبكن. إني أرى غباراً هو بمثابة رسول صامت يعلن عن جيش. إن عجلات تصرخ وتجرّها خيولها، وأتبصّر فرقة تحمل الدروع، وجيشاً من الرماة، يمتطون خيولاً وعربات ملتوية.

- لا شك في أن زعماء هذا البلد قد جاؤوا للفحص عنّا، وقد نبههم أحد الرُّسل. وسواء أكان من يقود حملة هذه الفرقة يأتي إلى هنا بدون نيّة سيئة، أم كان - على عكس هذا - قد شحذ غرائز قاسية - فإن الأفضل - أخذا بالأحوط - يا بناتي، ان تجلسن على هذه الرابية المقدسة المكرّسة لآلهة المدينة. إن المذبح دِرْع لا يُمس، وهو لذا أمنع من أي تحصينات. هيا، أسرعن، وأمسكن بأذرعكن اليسرى بالتيجان البيض المؤلفة من الأغصان، وهي شارات لزيوس المستجار به، وأجِبْنَ على الأجانب بعبارات مستجيرة، نائحة، متضرّعة، كما هو اللائق بالفارات، قائلات بوضوح إن منفاكن ليس مضرّجاً بالدم. وليس لصوتكن أن يتخذ لهجة التوكيد؛ ولا تقرأن في نظراتكن الهادئة أية علامة على الوقاحة، ولا على وجوهكن التي لا بد لجباهها أن تلتزم التواضع. وأخيراً لا تسرعن إلى أخذ الكلام، ولا إلى التمادي في القول طويلاً: فإن القوم ها هنا سريعون في الانفعال. وتعلمن التسليم والرضا، فأنتن أجنبيات، منفيات وفي محنة: إن الكلام الشديد الثقة بنفسه لا يليق بالضعفاء.

رئيسة الكورس: أيها الأب، أنت تتكلم عن الاحتياط مع بنات محتاطات: وسأحرص على تذكر نصائحك الحكيمة. لكن، ليت زيوس، جَدَّنا الأعلى، يلقي نظرة عطفٍ علينا!

داناوس: أجل، ليته يتعطف علينا بنظرة رحيمة.

رئيسة الكورس: لِيَشأ هذا فقط، ينته كل شيء على وفق مرامنا.

داناوس: إذن لا تبطىء، واتبع نصيحتي.

رئيسة الكورس: بودّي أن أكون جالسة الى جانبك. (يصعد الكورس على الرابية ويحيّي أولاً تمثالاً لزيوس). إيه يا زيوس! ارحم آلامنا، قبل أن ننهار تحتها!

داناوس: توجهن بالدعاء أيضاً إلى ابن زيوس الماثل أمامكن.

رئيسة الكورس: إنّي أُحيّي الأشعّة المُنجّية التي للشمس.

داناوس: التي هي أيضاً أپولون الطاهر، الإله الذي نُفِي في الماضي من السماء.

رئيسة الكورس: إنه لا بد يتعاطف مع مصير قد عرفه وجرّبه.

داناوس: فليتعاطف إذن وليساعدنا بإحسانه!

رئيسة الكورس: مَن مِنْ هؤلاء الآلهة ينبغي عليَّ أن أتوجه إليه بالدعاء أيضاً؟

داناوس: إنما أُشاهد هناك شوكة ذات ثلاث أسنان، هي شارة أحد الآلهة[1].

رئيسة الكورس: كما اقتادنا إلى هنا، فليتفضل باستقبالنا والترحيب بنا ها هنا.

داناوس: وها هوذا ايضاً هرمس على الطريقة اليونانية[2].

رئيسة الكورس: آه! ليته يخبرنا برسالة جميلة، رسالة الحرية!

داناوس: وإلى كل سادة هذا المذبح المشترك توجهن جميعاً بتحية الولاء. لكن اجلسن في المعبد، مثل سرب من الحمام يفرّ من صقور. ـ هي مع ذلك

(١) المقصود هو إله البحر: فوسيدون.

(٢) ذلك لأن المصريين يمثلونه بشكل آخر مختلف تماماً عن اليونانيين. فهرمس المصري ـ وهو الإله تحوت ـ رأسه مثل رأس أبوقردان. والدانائيد يتعرفن هذا الإله من عصاه التي هي عصا المنادي والرسول.

إخوة لها تحولوا الى أعداء، ويريدون أن يتنجسوا بجريمة يرتكبونها في حق جنسهم. وهل يبقى الطائر طاهراً إذا أكل لحم طائر؟ فكيف يمكن إذن أن يكون طاهراً من يريد أن يتزوج من امرأة على الرغم منها ومن أبيها؟ كلا، وحتى في العالم السفلي هو لن يفلت ابداً من رئيس الفجور إذا كان هذا هو سلوكه.. وهم يقولون[١] في هذا إنه يوجد زيوس آخر هناك يحكم على كل الخطايا عند الموتى بأحكام عليا. ـ فاعملن على الاجابة بهذا المعنى[٢]، إن شئتنّ الانتصار لقضيتكن.

(الملك يدخل على عربة، يتبعه حرّاس مسلحون)

الملك[٣]: مِنْ أين أتت هذه الجماعة التي تلبس ملابس لا تشبه ملابس اليونانيين، وعليهن أثواب فاخرة وأشرطة أجنبية واللواتي أتحدث إليهن ها هنا؟ ليست هذه أزياء النساء في أرجوس، ولا في أي بلد من بلاد اليونان. أما أنكنّ قد تجاسرتنّ على المجيء إلى هنا دون مناد ولا ممثل دولة[٤] ـ ولا مرشدين! ـ فهذا هو الأمر الذي يثير دهشتي. صحيح أنني أُشاهد معكن أغصان استجارة موضوعة بحسب الشعائر عند أقدام آلهة المدينة: وفي هذا فقط يمكن الافتراض أن بلادكن هي بلاد اليونان. لكن ثمت ما يبرر افتراضات أخرى؛ لكنك أنتِ ها هنا، فتكلمي واشرحي.

رئيسة الكورس: أنت لم تخطىء فيما يتعلق بثيابنا. لكنني أنا مع من أتكلم هنا؟ هل أنت مواطن، هل انت منادٍ يحمل عصا مقدسة؟ هل أنت رئيس المدينة؟

الملك: في هذا تستطيعين أنت أن تجيبي عليّ وأن تتكلمي بكل ثقة وأمان: إنني ابن پالايختون Palaichton الذي وُلِد من الأرض، أنا پيلاسجوس Pelasgos، الرئيس الأعلى لهذا البلد؛ وشعب الپيلاجيين الذي يزرع هذه الأرض قد اتخذ اسم مَلِكه. أنا سيّد هذا البلد كله، الذي يخترقه نهر الاسترومون Strymon المقدس، ابتداءً من شاطئه الغربي. إنني أملك أراضي پريبس Perrhebes، وجبال دودونا إلى

---

(١) إن ما يشعره الدنائيد من فزع طبيعي تجاه أبناء مصرايم يحملهن على أن يحسبن الشهوة مسلكاً سيذكرن للملك فيما بعد أسبابه الحقيقية وهي الطمع والجشع. وداناوس يأخذ بآرائهن.

(٢) اشارة الى العقائد الأورفية والفيثاغورية.

(٣) اسم الملك هو: پلاسجوس Pelasgos، كما سيقول هو فيما بعد.

(٤) هو ممثل مدينة أجنبية في مدينته هو، أي الوكيل القنصلي بالمعنى الحديث. وهو يمثل المدينة (الدولة) الأجنبية أمام السلطات السياسية في مدينة أو أمام المحاكم، وفي العلاقات التجارية.

النقطة التي عندها تكوّن مياه البحار حدودي: وكل ما هو من هذا الجانب مِلْك لي. أما بلد أپيس Apis فإن هذه الأرض قد اتخذت هذا الإسم (= أپيس) تذكاراً لطبيب كان يعيش في الأزمنة القديمة، وهو ابن أپولون، وهو نبيٌّ طبيب جاء من الساحل المجاور لنوپكت، من اجل تنظيف هذه المنطقة من الوحوش القاتلة لبني الإنسان، وهي بلايا أطلقتها الأرض ذات يوم لما أن غضبت من النجاسات التي نجستها بها جرائم قتل قديمة - إنها أفاعٍ متعدِّدة، ورفاق قاسية. فجاء أپيس Apis وبواسطة أدوية حاسمة حرر البلاد كلها بطَريقة حاسمة، وكان كل أجره عن هذا هو أن اسمه كان يذكر في أدعية وصلوات أهل أرجوس. لديك الآن ما يكفي لتعرف مَنْ أنا. فخبريني أنت مَنْ هو جنسك، وقُولي لي كل شيء، لكن لا تَنسي أن هذا البلد يكره إلاه الكلام.

رئيسة الكورس: سأتكلم بإيجاز ووضوح. إننا نتشرف بأننا من جنس أرجوس، وننحدر من بقرة ولود. كل هذا حق، وإذا تمكنت من الكلام فسأتمكن من إثبات ذلك.

الملك: لغتكن، أيتها الأجنبيات، تبدو غريبة على أُذنيّ: من أين أتاكن هذا الأصل؟ إنّكن تشبهن الليبيات أولى من أن تشبهن الأرجوسيات. إن (نهر) النيل يستطيع أن يروي مثل هذه النباتات. ثم إن النمط القبرصي الذي يطبع - كما في القالب - الذكور في أرحام النساء، يشبه نمطكن. ولقد سمعت ايضاً عن هنديات رحّالات، يركبن الجمال على سروج ذات مساند للظهر (هوادج) خلال مناطق تجاور الحبشة. أو أمازونات، هن عذراوات يأكلن اللحوم! - بهن أشبهكن ايضاً لو كنتن تحملن أقواساً. لكن خَبِّرنني حتى أفهم جيداً كيف يمكن ان يكون أصلكن ودماءكن يمكن أن تكون أرجوسية.

رئيسة الكورس: ألا يقولون أنه كانت توجد هنا، في اقليم أرجوس، حارسة على معبد هيرا، اسمها إيو Io؟

الملك: نعم، لا شك في هذا، وقد استقرت التقاليد على هذا.

رئيسة الكورس: ألا توجد رواية تقول إن زيوس أحبها، على الرغم من أنها إنسانة فانية؟

الملك: وعلاقاتهما الجنسية لم تغفل عنها عيون هيرا.

رئيسة الكورس: وكيف انتهى النزاع الملكي؟

الملك: إلاهة أرجوس حوّلت المرأة (إيو) إلى بقرة.

رئيسة الكورس: وهل استمر زيوس في النُّزاء على البقرة ذات القرنين؟

الملك: يقال هذا، وهو على شكل ثور كثير النزاء.

رئيسة الكورس: فماذا صنعت حينئذ زوجة زيوس العنيدة؟

الملك: وضعت لدى البقرة حارساً يشاهد كل شيء.

رئيسة الكورس: ومَنْ كان هذا الحارس الذي يشاهد كل شيء، وكان مرتبطاً بالبقرة وحدها؟

الملك: إنه أرجوس، ابن الأرض، وقد قتله هرمس.

رئيسة الكورس: وماذا دبّرت هيرا إذن للبقرة المسكينة؟

الملك: حشرة تثير الجنون وتطارد البقر.

رئيسة الكورس: بالقرب من النيل الناس يقولون إنها «نُعرة»!

الملك: وهذه النُعرة طردتها من أرجوس وساقتها الى أسفار لا نهاية لها.

رئيسة الكورس: في هذا أيضاً تتفق روايتك مع روايتي!

الملك: وأخيراً وصلت الى كانوب وممفيس.

رئيسة الكورس: حيث لمسها زيوس بيده، وعلى هذا النحو أسّس جنسها.

الملك: أي ثور، هو ابن زيوس، يتشرف بأن أُمه هي البقرة؟

رئيسة الكورس: إنه ايپافوس Epaphos، واسمه الحقيقي يعبّر عن خلاص إيو.

الملك: ومَنْ وُلِد إذن من ايپافوس؟

رئيسة الكورس: ليبيا[1]، الذي يملك الجزء الأكبر من أجزاء العالم.

---

(١) Libye (وينطق في اليونانية: لبوا) كانت تعني عند اليونانيين القدماء كل افريقيا المعلومة عندهم، باستثناء مصر والحبشة. راجع مقالنا: «ليبيا في مؤلفات أرسطو»، مجلة كلية الآداب بالجامعة الليبية، سنة ١٩٦٩.

الملك: وما هو الفرع الآخر الذي خرج منها؟

رئيسة الكورس: بيلوس Belos الذي أنجب ولدين، وكان أباً لأبي.

الملك: وما هو الاسم الذي أُطلق على حكمته؟

رئيسة الكورس: داناوس Danaos، وله أخ هو والد لخمسين ولداً.

الملك: اذكر لي اسمه، ولا تبخل عليّ بشيء.

رئيسة الكورس: اسمه: اجيپتوس[١] Agyptos.. والآن صرت تعرف أصلي القديم: فعامل إذن الجماعة الماثلة أمامك هنا على أنهن أرجوسيات.

الملك: يلوح في الواقع أن لكن روابط قديمة مع بلدنا. لكن كيف تجاسرتن على ترك قصر أبيكن؟ وأي مصير انقضّ عليكن؟

رئيسة الكورس: يا ملك الپيلاجيين، إن المصائب الإنسانية لها أشكال مختلفة: ولا يوجد أبداً نفس النوع من الألم. مَنْ كان يتصور أن هذا النفي غير المتوقع سينزل في أرجوس قوماً كانوا في الماضي إخوة لقومك وينقلهن الى هنا بسبب الخوف من فراش الزوجية؟

الملك: ماذا تطلبين إذن من آلهة المدينة، بوصفك مستجيرة، ومعك هذه الأغصان الحديثة القطع تلفُّها الأشراط البيض؟

رئيسة الكورس: أُريد ألا أكون عَبْدة لأبناء مصرايم.

الملك: هل هي مسألة كراهية؟ أو تقصدين أن تقولي إنهم سيجلبون عليكن مصيراً خسيساً؟

رئيسة الكورس: مَن ذا الذي يحبّ سادة عليه أن يشتريهم[٢]؟

الملك: بهذه الطريقة يمكن زيادة قوة البيوت.

---

(١) عزبناه باسم: مصرايم، كما يرد في كتب التاريخ والأخبار العربية القديمة.

(٢) اشارة الى نظام «البائنة» المتبع في الزواج في أوربا منذ أقدم العصور حتى اليوم والذي بموجبه تلتزم الزوجة بدفع بائنة (دوطا، كما يقال في اللغة العامية في مصر، تعريباً لكلمة dota, dot الخ)، لزوجها، بعكس ما هو جار في الشريعة الإسلامية من ان الزوج هو الذي يلتزم بدفع «مهر» للزوجة.

رئيسة الكورس: وأن يعثر ايضاً على رداء سهل للبؤس!

الملك: كيف أستطيع معكم أن أتجاوب مع قانون الآلهة؟

رئيسة الكورس: إن طالبوا بي: فلا تُسَلمني إلى أبناء مصرايم.

الملك: هذه كلمات سخيفة! معناها شنُّ حرب غير موثوق بنتيجتها!

رئيسة الكورس: إن العدالة تحارب في صفّ من يدافع عنها.

الملك: نعم، إن كانت منذ أول يومٍ معكن.

رئيسة الكورس: احترم مثل هذه القرابين المقدمة الى السفينة الأرجوسية.

الملك: إني أرتعد حين أُشاهد مذابحنا تظللها هذه الأغصان.

رئيسة الكورس: اعترف بأنه من المخيف ايضاً غضبة زيوس المستجير!

الكورس: إيه يا ابن بالايختون، يا أمير البيلاجيين! أعرني قلباً مليئاً بالإحسان. شاهد هنا مستجيرة، هاربة شاردة، شبيهة بالبقرة التي يطاردها الذئب، والتي تستجير بالصخور العاتية، ثم تخور وتروي آلامها لمراعيها.

الملك: إني أُشاهد في ظل الأغصان المقطوعة حديثاً ـ مؤمنات غريبات أمام آلهة مدينتي. يا ليت قضية هؤلاء المواطنات ـ الأجنبيات لا تخلق متاعب! وحاشا أن ينتج عن ذلك، وفجأة، وبغتة، منازعات مع أرجوس: فإن أرجوس ليست بحاجة الى ذلك.

الكورس: أجل وحتى لا يخلق منفانا مصائب، يا ليت أرتميس المستجيرة ـ بنت زيوس الذي يقسم المصائد[1] ـ تلقى علينا بنظرة!

على الرغم من سنّك ومن علمك، فتعلّم هذا مِمن هو أصغر منك سِناً: إن الفلاح والنجاح سيكون من حظ من يوقّر المستجير؛ والمعابد الإلاهية المفتوحة

---

(١) فيما خاطب الملك الشعب عند أقدام آلهة المدينة، فإنه يذكر صورة المرشد البحري الذي يمسك بسُكّان سفينة الدولة.

(٢) كثيراً ما تستخدم أرتميس كنائبة عن زيوس، فتتخذ ـ وفقاً للأحوال ـ هذا الشكل، وذاك من أشكاله. وهي هنا تمثل زيوس المستجير، وبهذه الصفة تطلب من زيوس مقسم المقادير ان يمنح الفلاح والنجاح الموعود به لمن يحترم المستجيرين.

لتلقي القرابين لا تتقبّل قبولاً حسناً إلاّ ما تتلقاه من انسان فانٍ لم يتلطخ بأيّ ذنب.

الملك: إنكن لَسْتُنَّ جالسات في بيتي أنا: إذا كانت النجاسة ستصيب أرجوس، والمدينة كلها، فعلى الشعب أن يعمل على اكتشاف العلاج. أما فيما يتعلق بي أنا، فإنّي لا أستطيع أن أعدكنّ بشيء قبل أن أُبلّغ كل الأرجوسيين بالأمر.

الكورس: إنك أنت، المدينة؛ وأنت المجلس؛ أنت الرئيس الذي ليس عليه رقيب، أنت سيّد المذبح، أنت البؤرة المشتركة للبلد؛ ولا أصوات هناك إلاّ العلامات المرسومة على جبينك، ولا صولجان إلاّ ذلك الذي تمسك به أنت على عرشك. أنت وحدك تقرر كلّ شيء: فاحفظ نفسك من كل نجاسة.

الملك: لتكن النجاسة من نصيب أعدائي! لكني لا أستطيع إغاثتكم دون أن يلحق بي ضرر. ومع ذلك فإنه من المؤلم لي أيضاً أن أحفل بتوسلاتكن. لست أدري ماذا أعمل؛ الجزع يسيطر على قلبي: أينبغي عليَّ أن أفعل، أو ألاّ أفعل؟ وهل ينبغي عليَّ أن أُنازل المصير؟

الكورس: تتطلّع نحو مَنْ مِنْ أعلى ينظر إلى كل شيء، حامي بني الإنسان المعذبين الذين يركعون عند أقدام اخوانهم فلا يحصلون على الحق الذي يكفله لهم القانون: فكّر في هذا: إن غضبة زيوس المستجير تتربّص بكل أولئك الذين لا يتأثرون بشكوى من يتألمون.

الملك: إذا كان لأبناء مصرايم سلطان عليكن، بموجب قانون بلدك، منذ أن يعلنوا أنهم أقاربكن الأقربون، ـ من ذا الذي يستطيع أن يعارضهم! ينبغي عليكِ أنتِ أن تثبتي أن القوانين عندكن لا تمنحهم وصاية عليكن.

الكورس: آه! ليتني لا أقع أبداً تحت سلطان الذكور الظافرين! الهرب ـ ولنا مرشد غير النجوم ـ هذا هو النصيب الذي أُوثر أن أُهيئه لنفسي إن كان يصونني عن زواج بغيض. هيا اعقد محالفة مع العدالة: اتخذ قراراً يوقّر الآلهة!

الملك: اتخاذ قرار في هذه المسألة ليس بالأمر السهل، فلا تعتمدي عليَّ في اتخاذ القرار. لقد قلتُ لك: مهما يكن سلطاني، فإنني لا أملك أن أفعل شيئاً دون استشارة الشعب. ولتحفظني السماء من سماع أرجوس تقول لي ذات يوم، لو حدثت مثل هذه المصيبة: «من اجل تكريم أجانب أنت قد ضَيَّعت مدينتك».

الكورس: إن الصانع المشترك لجنسينا يتأمل هذه المجادلة: زيوس النزيه[١]، ويعامل الأشرار وفقاً لما يستحقون من كونهم مذنبين، ويعامل القلوب المستقيمة بوصفها عادلة. فإذا كان كل شيء يوزن هكذا «بميزان» عادل دقيق، فلماذا تتردد في فعل ما تقتضيه العدالة؟

الملك: أجل، أنا في حاجة الى تفكير عميق ينقذنا، مثل غوّاص ينزل في الهاوية بنظرة واضحة، لم تُشِع الخمر فيها الاضطراب[٢]، حتى لا يؤدي الأمر إلى خلق بلايا لمدينتنا، ولي أنا بعد ذلك، وينتهي الأمر على خير وجه ـ أقصد أن تنجو أرجوس من ويلات حرب انتقامية؛ وحتى لا أربط نفسي بإله الخراب، الجنيّ المكلف بالانتقام والذي لا يفلت منه حتى الميت في العالم السفلي ـ وذلك لو أنني أسلمتكنّ هكذا راكعات عند مذابح آلهتنا. خبّرنني: ألستُ في حاجة إلى تفكير يُنَجّي؟

الكورس: فكّر إذن، وكُنْ وكيلاً عنّا تقياً، كما هو الواجب. لا تُسلم الهاربة التي ألقى بها النفي الفاسق على هذه الشواطىء وقد جاءت من بعيد.

وأرفض أن تراني وقد انتزعتُ من هذا المعبد المكرّس لآلهة عديدين، أيها السيّد الأعلى لأرجوس. وتفهّم تجاوزات الذكور؛ وتجنّب الغضبة التي تعرفها!

لا توافق على أن تشاهد المستجيرة ـ على الرغم من العدالة ـ وقد جُرَّت بعيداً عن المذبح من رباطاتها، مثلها مثل المهرة، وتمسك بيديها القماش المحكم النسج لنقابي.

واعلم ـ مهما فعلت ـ أن أولادك وأهلك ملزمون بأن يدفعوا ثمن ذلك لآرس[٣] Ares. فكّر جيداً: إنَّ ملكوت زيوس هو ملكوت العدالة.

---

(١) النص الحرفي: «الذي يرجح كفة الميزان إلى ناحيته»؛ والمعنى المضمر: «أو إلى ناحية أخرى» ـ أي العادل النزيه الذي لا ينحاز إلى جانب ضد الجانب الآخر ظلماً.

(٢) اسخولوس يفكر هنا في صيادي الاسفنج.

(٣) ليس المقصود هنا آرس: إله الحرب، بل آرس إله الطاعون، المنفذ للانتقامات الإلهية. إن المدن اذا ارتكبت نجاسة، فإن بلايا كثيرة تنتفض عليها، وتصيب الناس والقطعان والحصاد: وهذا كله من عمل آرس هذا.

الملك: لقد أتممت تفكيري؛ إن سفينتي قد اختطفت: فإما أن أشنَّ حرباً ضروساً ضد هؤلاء، وإما ضد أولئك، فإنني مضطر إلى ذلك، وعند هذه العقبة قد تسمرت كما لو كانت قد رفعت هناك بمساعدة كبيرة من روافع بحرية. لا مخرج بدون آلام.

إذا انتزعت ثروات عديدة من بيت، فإن ثروات أخرى يمكن أن تدخل فيه قيمتها تفوق المفقود، إلى درجة ملء الحمولة[1] بفضل زيوس حامي الأموال. وإذا كان لسانك قد رمى بسهام غير موفّقة تهزّ القلب هزّاً قاسياً، فإن ثم كلمات تستطيع أن تخفف الألم الذي أحدثته هذه الكلمات. لكن حين يتعلق الأمر بدم إخوتنا فيجب من اجل صيانة التضحية أن تقدم إلى كل الآلهة كل الأضاحي الكفيلة بعلاج هذه البلوى ـ أو أنا أُخطىء خطأ فاحشاً فيما يتعلق بطبيعة المناقشة الوشيكة[2]. بيد أني أُفضّل أن أكون متنبئاً رديئاً على أن أكون متنبئاً صادقاً جداً بالمطلب: ليت كل شيء ينتهي على خير وجه ـ على عكس ما أتوقع.

رئيسة الكورس: لقد نطقت بالكثير من الكلمات المستجيرة: فاسمع الأخيرة.

الملك: أنا أُصغي اليك، فانطقي بها، وسأسمعها.

رئيسة الكورس: عندي هنا شرائط، هي أحزمة لربط ثوبي.

الملك: لا شك أنها زينات تليق بالنساء؟

رئيسة الكورس: إني أنتظر منها مساعدة عظيمة.

الملك: خبريني إذن ما هي الكلمات التي تريدين أن تنطقي بها.

رئيس الكورس: إذا لم تعط هذه الجماعة وعداً ملكياً. . .

الملك: ما هي المساعدة التي تنتظرينها من هذه الأحزمة؟

رئيسة الكورس: أن تزيّن التماثيل التي تشاهدها بقرابين غير عادية.

الملك: هذه ألغاز. تكلمي إذن بصراحة.

---

(١) النص اليوناني هنا غامض جداً.

(٢) اي: أن الأمر يتعلق بدم شعبي أنا.

رئيسة الكورس: هذه المساعدة هي أن نشنق أنفسنا بها في الحال ونعلقها لهؤلاء الآلهة الماكثين أمامنا.

الملك: إني أسمع في هذا كلمات دامية لقلبي.

رئيسة الكورس: أنت فهمت؛ ولقد أوضحت لك الأمور.

الملك: نعم، والهموم التي لا تُقهر تحيط بي من كل جانب. إن حشداً من الشرور ينقضّ عليّ كأنه نهر، وهأنذا في عرض بحرٍ من الآلام، بحر لا قاع له، من الصعب اجتيازه - وليس ثم أيّ مرفأ مفتوح لاستقبال محنتي! إذا لم ألبِّ طلبكن، فإن النجاسة التي أشرت إليها تتجاوز نطاق عقلي - وعلى العكس إذا أنا قررت أن أحسم الأمر بشن حرب ضد أبناء عمومتكن: أبناء مصرايم، الواقفين أمام أسوارنا - أفلن تكون هذه خسارة مريرة، خسارة دم رجال من أجل نساء؟ - ومع ذلك فأنا مضطر الى احترام غضبة زيوس المستجير فليس ثم ما يخيف بني الإنسان اكثر منها. . فاذهب إذن، أيها الشيخ العجوز، باراء هؤلاء العذراوات، وخُذ بين ذراعيك هذه الأغصان، وضعها في مذابح أخرى لآلهتنا القوميين، حتى يشاهد كل المواطنين هذه العلامة المستجيرة، ولا يرفضوا الاقتراحات الصادرة عنّي. إن الجمهور يحب أن يبحث عن أسباب لدى سادتهم. ولا شك ان العطف سيتولد لدى رؤية هذا المنظر: وتجاوزات جماعة الذكور تثير الفزع في نفس شعبي وسيشعر باستعداد أحسن نحوكن. إن الإرادات الطيّبة تتجاوب دائماً مع الضعفاء.

داناوس: إنه لشيء ثمين جداً أن نكون قد وجدنا فيك وكيلاً يحترم المستجيرين. لكن زودني بحرّاس ومرشدين محلّيين لمساعدتي على العثور على مذابح موضوعة أمام معابد آلهة المدينة ومساكنها المضيافة، لزيادة تأمين أمننا حين نعبر المدينة. إن الطبيعة قد خلقتنا بملامح غير ملامحكم: فالنيل والإناخوس Inachos لا يغذيان جنسين متماثلين. وحذار أن تولد الثقة المفرطة خوفاً كبيراً: وأكثر من إنسان قد قتل صديقاً له لأنه أساء فهمه.

الملك: هيّا، أيها الحرّاس، إن هذا الرجل الأجنبي على حق؛ فأرشدوه؛ الى مذابح المدينة، مساكن آلهتنا؛ ولمن يقابلونكم قولوا. بدون تطويل، إنكم ترشدون ملاّحاً مستجيراً بآلهاتنا.

(داناوس يخرج مصحوباً ببعض الحرّاس)

رئيسة الكورس: أنت اعطيته تعليماتك. فليذهب معهنّ. أما أنا فماذا يجب عليّ أن أفعل؟ وأين ـ بحسب رأيك ـ سأكون في أمان؟

الملك: اترك هناك أغصانك، فهي رموز لمأساتك.

رئيسة الكورس: هأنذا أتركها، في حراسة ذراعك ووعدك.

الملك: انتقل الى هنا الآن في الجزء المستوي من المعبد.

رئيسة الكورس: أية حماية يقدمها لي المعبد هناك حيث هو مفتوح للجميع؟

الملك: لا تَخْشَي شيئاً؛ إني لا أريد أن أُسلمك إلى الطيور الجارحة.

رئيسة الكورس: أجل، ولكن إلى وحوش اكثر قسوة من أقسى أفعى؟

الملك: على من يقول لك: «كن واثقاً» ـ أجب بكلمات ملؤها الثقة.

رئيسة الكورس: لا تندهش إذا كان قلبي الخائف يشعر بالجزع.

الملك: الملك لا يشعر أبداً بالخوف.

رئيسة الكورس: عليك ان تطمئنني بالأفعال مثلما تطمئنني بالأقوال.

الملك: إن أباك لن يتركك وحيدة وقتاً طويلاً. وسأدعو أهالي هذا البلد ليجعلوا الرأي الشعبي يدافع عنكن؛ ثم سأعلّم أباك اللهجة التي ينبغي عليه أن يتكلم بها. ابقي إذن ها هنا، ولتطلبي في دعواتك من آلهة المدينة ما تحبين الحصول عليه، بينما سأذهب أنا لآمر بكل هذا. يا ليت الإقناع والحظ المؤثر يصحباني!

(يخرج الملك مع فرقته. الكورس ينزل إلى الأوركسترا).

الكورس: يا سيد السادة[١]، أيها السعيد بين السُعداء، يا أيتها القدرة القديرة بين القدرات، من أعلى سعادتك، يا زيوس استمع الينا. ابعد عن جنسك تجاوزات الذكور، فهي جديرة بالكراهية، وألقِ في البحر الأسود بالشقاء ذي الجوانب السود[٢].

أنت نصير قضية النساء، فشاهِدْ قِدَم جنسهن؛ إن جدّتهن الأولى كانت أثيرة

---

(١) يتوجه الدانائيد الى زيوس لأنه هو أقوى الآلهة، ولأنه مُؤسس جنسهن. وعليه أن يعين أبناء إيو.

(٢) أي السفينة السوداء التي تجلب لنا الشقاء.

لديك: فجرِّد أسطورة إحسانك. تَذَكَّر أنت، يا من لمست يد إيو Io إننا بنات زيوس، ومن هذا الشاطىء رحلت جماعتنا.

إن جنساً عتيقاً أحضرني اليوم إلى الأماكن التي فيها رَعَت أُمي في الماضي، تحت حراسة حارس. هذه هي المراعي التي ترعى فيها البقرات، والتي منها هربت إيو Io ذات يوم وقد طاردتها النُّعرة، فمرت، مذهولةً حائرة العقل، بمئات من الشعوب المختلفة، واخترقت المضيق ذا الأمواج، بناءً على أمر «المصير»، واجتازت حدود القارّتين المتواجهتين..

إنها تجوب خلال آسيا، مارّة بافروجيا ذات قطعان الضأن، وتصل الى مدينة تويثراس Teuthras في موسيا، ومن خلال أودية لوديا، ووراء جبال قليقية وپمغوليا[1]، ذوات الأنهار التي لا تجفّ ابداً، في بلاد يَعُمُّ فيها الثراء، وفي أرض أفروديت المجيدة الغنية بالقمح.

لكنها، تنخسها لسعة راعي البقر المجنّح، تصل الى الأرض المقدسة لزيوس حيث تنمو كل الثمار، وإلى المرعى الذي تخصبه الثلوج[2] وتهاجمه غضبه تيفون Typhon والنيل ذو المياه الصحيّة التي لا يفسدها شيء. وقد جُنَّ جنونها من الآلام المُهِينة وألوان العذاب التي بعثت بها هيرا، فصارت تهذي!

ولهذا فإن الناس الذين كانوا يسكنون في هذه الأقاليم شعروا فجأة بأن قلوبهم تتواثب من خوف شاحب أمام هذا المنظر الذي لم يعرفوه من قبل.

أمام عيونهم تجلت دابة كريهة المنظر، دابة ممزوجة بشكل إنسان: جزء منها لبقرة، والجزء الآخر امرأة. وأمام هذه الأعجوبة بقوا مُبْلِسين.

---

(١) پمغوليا والجزء الجبلي من قليقية (في آسيا الصغرى) يكوّنان في نظر اسخولوس كُلاً شاملاً، ولهذا فإنه يذكر قليقية قبل پمغوليا، وهذا يخالف الجغرافيا. وايو لا تلاقي هناك إلاّ مجاري سيول هي في الغالب جافّة. لكنها تنزل بعد ذلك في سهول قليقية وتجد في مواجهتها «أنهاراً لا تجف أبداً»؛ وهي: نهر ساوس، ونهر فوراموس، الخ. وأخيراً تصل الى البلد الخصب المكرّس لأفروديت وهو: فينيقيا.

(٢) مصر تدين بخصبها لفيضان النيل، وفيضان النيل مصدره ثلوج أثيوبيا. وبدون النيل كانت أرض مصر ستكون قاحلة بسبب ريح الصحراء التي تهب عليها باستمرار بهواء مُحْرِق، هو التيفون Typhon.

لكن، أي ساحر جاء حينئذ ليشفي إيو الشاردة البائسة، والتي كانت تدور بحسب طيران النعرة؟

مَنْ يملأ ملكوته الأبدية، زيوس، حررها من أدوائها.

بقوته ذات الحنان القوي، وبنفسه المعجز، انتهت هذه الأدواء؛ والآن، ببطء، تسيل عَبَرات حيائها المتألم.

لكن رواية لا تكذب تقول إنها أنجبت ولداً كاملاً بفعل ذرة ألقاها زيوس فيها.

إنه وَلَدٌ ملأت سعادته أياماً طويلة! لهذا فإن الأرض، كلها تعلن: «هذا الولد، ينبوع الحياة، هو من زيوس حقاً!» ومَنْ ذا الذي يستطيع أن يهذّيء هذياناً أرادته هيرا؟

لكن هذا هو ما فعله زيوس؛ ومَنْ يَقُل إن هذا الجنس هو من إنجاب إيافوس يَقُلْ الحق.

وأيّ إله آخر أستطيع ان أتوجه إليه بالدعاء ـ بسبب أفعاله ـ؟

مولانا وأبونا، مَنْ بيديه غَرَس هذا الحذر، الصانع القديم القدير الذي أنجب هذا الجنس، إنه وحده العلاج، إله الأنفاس المواتية ـ زيوس!

لا تقوم قوة فوق قوته. وناموسه لا يخضع لقانونٍ أقوى. ولا أحد يجلس على عرش أعلى من عرشه، ويجب على كل الذين اسفل منه أن يعبدوه.

فعله سريع سرعة كلمته، إن الفِعل تحت إمرته لانجاز ما يقترحه مجلس أفكاره في الحل.

(داناوس يدخل)

داناوس: اطمئننّ، يا فتياتي: كل شيء يسير سيراً حسناً من ناحية أرجوس؛ فالشعب قد أصدر قراراً حاسماً.

---

(١) إشارة ليست فقط الى ذرية اپافوس، بل وايضاً الى دوره بوصفه مؤسس مدن. يقول پندار (Nem. X, 5. . عديدة هي المدن التي أسسها داناوس بيده في مصر».

رئيسة الكورس: السلام عليك، أيها الشيخ العجوز، الحامل لهذه الأنباء السارة! خبّرنا، ما هو مضمون القرار الذي اتُّخِذَ، وفقاً للاستفتاء الشعبي الذي تنتصر فيه الأغلبية.

داناوس: أصدرت أرجوس قراراً بالإجماع، به شعر قلبي بأنه استرد شبابه. إن الشعب بأسره هزّ الأثير بأيديه اليمنى وهي مرفوعة، من أجل التصديق على هذه الكلمات: «سنقيم في هذا البلد أحراراً ومحميين ضد كل محاولة لأمتنا، وهذا بموجب قانون للجوء معترف به؛ ولن يستطيع أي مواطن، أو أجنبي أن يقبض علينا؛ وإذا استخدم العنف، فإن كل مواطن من اهل أرجوس لا يساعدنا فإنه يحكم عليه بالعار، وينفى بناءً على حكم الشعب، تلك هي الصيغة التي دافع عنها حامينا ملك البلاجيين، ودعا المدينة الى عدم تقديم غذاء في الأيام المقبلة لغضبة زيوس المستجير الرهيبة، وأشار إلى النجاسة المزدوجة: القومية والأجنبية، التي ستحلّ حينئذ بالمدينة، والوحش الفظيع الذي لا بدّ أن يتغذى حينئذ بالآلام[1]. ولدى نطقه بهذه الكلمات وافقت أكفّ شعب أرجوس على هذا القرار، دون ان تنتظر نداء المنادي. إن الشعب البلاجي قد اقتنع بالحجج القوية التي وردت في خطبته البارعة، بيد أن زيوس هو صانع القرار النهائي.

رئيسة الكورس: هيّا، ولتحقق تمنياتنا لأهل أرجوس الخيرات التي يستحقونها لأنفسهم، وليعمل زيوس المضياف على ان يحقق تحقيقاً كاملاً وبدون تحفظ ـ الأماني التي يتفوه بها فم ضيوفه.

الكورس: ها هي ذي الساعة التي تكرسها الآلهة يا أبناء زيوس، للإصغاء إلينا، بينما نحن نستنزل الأماني الطيبة على هذا البلد[2].

(١) «غضبة زيوس» غالباً ما تجسّد في جني منتقم، يتغذى بدم الضحايا التي يطالب بها الإله الذي يهان. وفي هذا الموضوع نجد أن النجاسة هي الأخرى تتجسد في شخص الإله المكلّف بفرضها، واسخولوس يشبه النجاسه بوحش هائل تلتزم المدينة بتغذيته بالآلام المفروضة عليها.

(٢) لو كان طلب الدانائيد اللجوء في أرجوس، لكنّ قد طلبنّ من زيوس المستجير ان يطلق آرس على اهل أرجوس، وحينئذ كان آرس سيصيبهم في أولادهم ومحصولاتهم وماشيتهم. فجاءتهم هي إذن لعنة مقلوبة. مؤلفة وفقاً لصيغة تقليدية. واسخولوس يكتب هذا تحت تأثير الكارثة التي حلت بأرجوس (راجع المقدمة) وقد هلك الكثير من اجلها الى درجة انها أدرجت بين المواطنين العبيد. واسخولوس يشير هنا خصوصاً إلى خراب هذه المدينة من اهلها.

ألا ليت أرض البلاجيين لا تقع فريسة لنيران آرس Ares الموقدة! إن ضحيته توقف الرقص وتحصد الناس في الحقول التي لا تنضج محاصيلها.

لقد اشفقوا عليَّ، وأصدروا قراراً مبنياً على الإحسان، إنهم يحترمون المستجيرين بزيوس من بين هذا القطيع الذي يدعو الى الرحمة.

إنهم لم يحكموا لصالح الذكور، احتقاراً منهم لقضية النساء.

لقد ابصروا ما سيفعله زيوس المنتقم الساهر، وما ينبغي لأحد أن يعمل ضده، ولا يستطيع أيّ بيت أن يطرده إذا انقض بثقله الذي لا يقاوم على سقف ليحدث فيه تأثيراً.

إنهم يمجّدون إخوة لهم في شخوص هؤلاء المستجيرات بزيوس ذي الجلال والتقديس، ولهذا السبب فإن المذابح التي يستنزلون فيها رضا الآلهة ستكون طاهرة.

وهكذا إذن، في ظل الغصن التقي ستطلق شفاهنا تمنيات حافلة بمجدهم.

ليت الطاعون لا يُخْلي المدينة من الناس!

وليت الأجنبي لا يخضّب ارضهم بدم أبنائهم المُضحّى بهم!

وليت زهرة شبابهم تبقى على عودها، وليت العاشق لأفروديت والقائل: آرس لا يطيح بالأمل، وليت الشيوخ[١] يملأون الحجرات التي يتجمعون فيها حول المذابح التي تحفل بالشُعلات.

ليت المدينة تزدهر هكذا في إجلالٍ لزيوس القدير، زيوس المضياف بخاصة، والذي ينظّم ناموسه المصائر[٢].

ولو استجابت السماء لرجائي، فيا ليت مواليد جديدة تعطي لهذا البلد زعماء باستمرار، ويا ليت أرتميس هيكاته تسهر على أرحام نسائها!

---

(١) مجلس الشيوخ ينعقد حول نار المدينة. وبعد الخسائر في النفوس الذين فقدتهم أرجوس، فإنه يخشى أن تخلو المدينة من الشيوخ.

(٢) دار الندوة هي بمثابة معبد زيوس المضياف، لأن فيها تستقبل الدولة ضيوفها. ورفاهية مدينة ما تتوقف على زيوس المضياف الذي منذ أقدم الأزمان لا يهبها إلاّ لمن يراعون حقوق الضيافة.

ألا لا تأتين أية كارثة لتدمير هذه المدينة، بتسليح آرس، إله الدموع، ومصدر فزع الكورسات والقيثارات، وإثارة ضجيج الحروب الأهلية!

ويا ليت أسراب الأمراض[1] تَحُطّ بعيدا عن جباه الأرجوسيين! ويا ليت أپولون اللوقياني يُحسن إلى كل أبنائهم!

وأخيراً، ليت زيوس يجعل هذه الأرض خصبة دائماً في كل موسم! ويا ليت الأغنام التي ترعى في مروجها تكون خصبة! ويا ليت النغمة تزهر في كل شيء برعاية من الآلهة!

ويا ليت الشعراء يرددون الأناشيد التقيّة أمام مذابحهم!

ويا ليت الشفاه العذراوات ينطلق منها نشيد مصحوب بالقيثارة!

ويا ليت «المجلس» الذي يحكم هذه المدينة يحفظ شرفه دون ثلم، وهو السلطة الساهرة التي تفكر لخير الجميع!

وقبل تسليح آرس، ليت الأجانب يُمنَحون ترضيات تنظمها معاهدة، ابتغاء تجنب الشرور!

ويا ليت الآلهة الذين قُسِمت لهم هذه الأرض ينالون عبادة المذابح المنعزلة عن الأجداد، ويتم ذلك والجبين متوّج بالغار.

ولهذا فإن احترام الآباء هو القانون الثالث المسجّل في كتاب العدالة وهو جدير بأعلى تقدير.

(داناوس عاد الى الصعود على الرابية، ومن هناك راح ينظر الى البحر. ثم تلفّت إلى أبنائه).

داناوس: لا أملك إلاّ الموافقة على هذه التمنيات الحكيمة، يا بناتي؛ لكن لا تخفن إذا أعلن لكنّ أبوكنّ فجأة أنباء جديدة. من هذه الرابية المرحبة بالمستجيرين، أنا أشاهد سفينة. ومن السهل تعرُّفها، ولا يندّ عنّي شيء منها: لا

(١) ليس المقصود الطواعين الكبيرة، بل الأمراض التي تسلب المدينة مَنْ يدافعون عنها؛ والتي يستطيع الأرجوسيون أن يلتمسوا للشفاء منها حماية أپولون اللوقياني الذي هو في وقت واحد إله قومي وإله يشفي من الأمراض.

ترتيب الأشرع، ولا صناديقها ولا جؤجؤها، الذي منه العين[1] ترقب الطريق الذي تسير فيه، وهي مطيعة للسُّكّان الذي يقودها من الخلف - بل مطيعة جداً لرغبة أولئك الذين تأتي إليهم لا كصديقة. وأميّز بحّارتها بأغصانهم السوداء الخارجة عن قمصانهم البيضاء. وها هي ذي بقية الأسطول، وكل الجيش على مرآى النظر. والسفينة التي في المقدمة وقد وصلت الى الشاطىء، قد طوت شراعاتها ومجاذيفها بعمليات سريعة. هيا! خليق بكنَّ أن تتأمّلن هذا الأمر بهدوء وحيطة وأن تتعلقن بهؤلاء الآلهة، بينما أذهب أنا للبحث عن مدافعين ومحامين. ومن الممكن أن يأتي مناد أو سفارة الى هنا، بدعوى أخذكن والقبض عليكن بناءً على قانون الغنائم. لكن لن يحدث شيء من هذا: فلا تخفن! لكن من المستحسن، إذا نحن تأخرنا في جلب النجدة، ألاّ تنسين ابداً هذا الملجأ ولا للحظة واحدة. كُنَّ واثقات: مع الوقت، في اليوم المحدد، كل انسان يزدري الآلهة سيلقى العقاب.

رئيسة الكورس: يا أبي، إني خائفة. إن السفن السريعة قد وصلت فعلاً. لا مجال للتمهّل.

الكورس: إن فزعاً مقلقاً يستولي عليّ: هل كسبت حقاً من الهرب في كل الطرق؟ يا أبي، إني أموت من الخوف.

داناوس: إن الأرجوسيين قد أصدروا قراراً لا رجعة فيه، يا ابنتي: فاعتصمي بالثقة، إنهم سيقاتلون من أجلك، أنا متأكد من هذا. هيّا!

رئيسة الكورس: إنهم ملاعين! هذا هو انتقام مصرايم - وهم لا يشبعون من القتال: أنت تعلم هذا مثلما أعلمه أنا.

الكورس: على سُفنهم ذوات الألواح المحكمة الشدّ، وعلى وجه اللازورد الكابي، قد مرّوا إلى هنا، وساعد الحظُّ حقدهم، مع جيشهم العرمرم الأسود!

داناوس: وعديدون ايضاً مَنْ سيلاقونهم وأذرعهم مصقولة من حرارة الشمس.

رئيسة الكورس: لا تتركني وحيدة، أتوسل اليك يا أبي! فما قيمة المرأة حين تكون وحدها؟ إن آرس لا يسكن فيها.

---

(١) اسخولوس يتصور السفن المصرية على شاكلة سفن أثينا التي كانت تحمل في مقدمتها عيونا.

الكورس: إنهم مملؤون بالأفكار الإجرامية، والمقاصد الغدّارة، وهم أنجاس في أعماق قلوبهم، وهم لا يحفلون بالمذابح شأنهم شأن الغربان.

داناوس: سيكون مكسباً عظيماً لنا، يا ابنتي، إن كرهتهم الآلهة مثل كراهيتك أنت لهم.

رئيسة الكورس: آه! ليست هذه الشوكات المثلثة، هذه الجلالات الإلهية، هي التي تستطيع أن تبعد أيديهم عنا، يا أبي.

الكورس: إنهم متغطرسون[1]، ممتلئون بالجرأة الفاجرة كالكلاب التي لا حياء عندها، ولهذا فإنهم صُمٌّ عن صوت الآلهة.

داناوس: أفلا يقول المَثَل إن الذئاب تتغلب على الكلاب؟ وبين ثمار الأرض، ليس البردي[2] هو الذي يتحكم في السنابل.

رئيسة الكورس: وأكثر من هذا: إن غرائزهم هي غرائز دوابّ شرهة ونجسة. آه! حذار أن يحكمونا ابداً.

داناوس: إن الجيش البحري لا يكون مستعداً بسرعة. بل إن الرسوّ يحتاج الى وقت طويل: إذ لا بد من ان تنقل الى البرّ المراسي الحامية؛ وحتى لو ألقى بالمرساة، فإن مرشدي الأسطول لا يتحررون من الخوف بسرعة، خصوصاً إذا وصلوا إلى بلد لا مرفأ له في الساعة التي تميل فيها الشمس نحو الغروب: إن الليل مصدر قلق في نفس المرشد الحاذق. ولهذا فلا يمكن ان يحدث انزال كما ينبغي إذا لم يُؤمّن للسفينة الرسوّ مقدّماً. ومع ذلك، فإن كنتِ خائفة. فاستعدي للعياذ بالآلهة. أما أنا فسأبذل كل ما في وسعي وأعود سريعاً[3] متى ما حصلت على نجدة. إن أرجوس لن تشكو من الرسول: لئن كان عجوزاً، فإن روحه شابة ويحسن صياغة الكلمات الواجبة.

---

(١) اشارة الى الحرب التي خاضها الدانائيد في مصر ضد أبناء عمومتهن.

(٢) ويرد في حاشية ما يلي: «المصريون هم أكلة البردي» ولا تزال جذور البردي حتى اليوم تعدّ قابلة للأكل؛ لكن المصريين كانوا يأكلون عود البردي، أو على الأقل الجزء الأسفل من عود البردي ـ هكذا يقول هيرودوت (٢: ٩٢). وسنرى بعد قليل ان پلاسجوس يصنع الخمر اليونانية في مقابل الجعة (البيره) المصرية.

(٣) يبدو أنه سقط هنا في النص اليوناني بعض الأبيات، وقد وضع المحققون مكانها المعنى العام المذكور هنا.

الكورس: يا أيتها الأرض الجبلية[1]، يا موضوع عبادتي، ماذا سيكون مصيري؟ وأين أفرّ، هل في أرض أپيس Apis مكان مظلم اختبىء فيه؟

آه! بودّي لو كنت البخار الأسود الذي يقترب من سُحُب زيوس، كي أموت مثل الغبار الذي يتطاير ـ بدون أجنحة ـ ويختفي!

إن القشعريرة تسري بسرعة في نفسي؛ وقلبي، وقد صار الآن أسود، ينبض بشدة. إن ما شاهده أبي من مرصده قد هز كياني؛ إني أموت من الخوف.

آه! يا ليتني وجدت الموت في انشوطة حبل أُشنق فيها، قبل ان يمس زوج بغيض جسمي بيده. أولى من هذا ان يكون سيّدي هو هادس بعد الموت!

ألا ليتني أستطيع الجلوس على صدر الأثير، هناك حيث ماء السُّحُب يتحول إلى ثلج!

أين اجد صخرة وعرة، هجرها الماعز، ولا تبلغها العين، عالية متوحدة، معلّقة في الخلاء، مأوى للحدأة، تضمن لي سقطة عميقة قبل ان اعاني ـ على رغم ارادتي، زواجاً من مختطف!

وليجعلوا مني ـ وانا موافقة على هذا ـ فريسة للكلاب، ومأدبة للطيور المحلقة حوالينا.

من يُمت يتحرر من الآلام والدموع. فليأتِ الموت قبل فراش الزوجية!

هل هناك طريق للخلاص أستطيع ان اسلكه للإفلات من الزواج؟

فلتطلق الأناشيد التمنيات نحو السماء، صوب الآلهة والآلهات!

لكن من هم الذين سيقومون بها! أدِر نحونا إذن، أيها الأب، عيوناً تعِدُنا بالخلاص، حتى لو كان ذلك في مقابل معارك! وألقِ نظرة غضب على العنف: فهذه هي ما يستحقه. واحترم فينا المستجيرات بك، يا زيوس القدير، ويا مولى مدينة أرجوس! لأن أبناء مصرايم الذكور يطاردوننا، وهذا تجاوز لا يحتمل، ويلحّون على الهاربة بصرخاتهم الشهوانية ويزعمون أنهم سينالونها بالقوة القاهرة!

---

(١) إن أرض أرجوس، التي استجارت بها هذه الفتيات، ينبغي عليها ان تساعدهن بعد أن باركتها.

لكن أنت وحدك الذي تُمسك بقبّ الميزان: وهل يمكن أن يتم شيء عند بني الانسان الفانين بدونك أنت؟

(يبصرن من بعيد فرقة من المصريين)

آه! آه! الآسر هناك[1]. . . . .

آه! أيها الآسر، ليتك تهلك. . .

إني أصرخ صرخة مَنْ في محنة. هذا هو استهلال العنف الذي ينتظرنا. آه! آه! اهرب الى النجدة. الارهاب ينتصر، وهو لا يحتمل سواء على البرّ أو على البحر! يا سيّد هذا البلد، احمِنا!

(يتدافعن نحو المذبح. منادٍ مصري يدخل وهو يرشد فرقة مسلحة)

المنادي: هيا! سِرن إلى السفينة بأسرع ما تستطيع سيقانكن وإلاّ لانتزعت الشعور[2]، وعلّمت الأجسام بالحديد، وقطعت الرؤوس، وسالت أمواج من الدماء التي احدثتها المذابح. هيا، سِرْن. . .

الكورس: ليتك تهلك انت وسط الأمواج العديدة في طريقك في البحر، انت ومعك تجاوزات سادتك وسفينتك ذات السواند القوية!.

المنادي: . . . . هيّا! اتركي المذبح، وسيري نحو السفينة. . . . .

الكورس: كلاّ، كلاّ، لا أُريد أن أرى مرة أخرى المياه المحققة للخصب والتي عند بني الانسان تولد دماً حاملاً للحياة ومسبباً للتكاثر[3].

---

(١) نص كل هذا المنظر قد وصل مخروماً مشوّهاً. ومعظمه غير مفهوم، لكن يمكن مع ذلك تصور السياق.

(٢) يعني أنهن سيعاملن معاملة العبيد الآبقين والذين يعلّمون بواسطة كيّهم بالحديد المحمى. وهذا قد يدل على ان ابناء مصرايم لهم حقوق مطلقة على الدانائيد. ولا يقتصر الأمر إذن على الوصاية الشرعية التي تسمح لهم باتخاذ زوجات بدون موافقتهن ولا موافقة وليهنّ الشرعي. لكن لما كان أبوهن داناوس،

(٣) تشير هذه العبارات الى ما كا ينسب الى ماء النيل من خاصية الإخصاب، كما يشهد بذلك أرسطو (بحسب ما نقله عنه سطرابون). فهل كانت الدانائيد تخشى من كثرة الحمل؟ هذا محتمل، لأن =

المنادي: . . . . . . ستركبين السفينة، نعم: السفينة، شئتِ أم أبيتِ. . . . . .

الكورس: آه! آه! لتهلك أنت هلاكاً بشعاً بأن يبتلعك الماء المقدس للبحر، بعد أن تتلاعب بك الريح السماوية حول القبر الذي فيه يرقد في الرمل ساربدون[1] Sarpedon.

المنادي: اصرخي، أعولي، نادي الآلهة: متى ما صرت في الغليون المصري، فإنك لن تستطيعي أن تقفزي منه! . . . . . .

الكورس: وا أسفاه! وا أسفاه! . . . . . . يا ليت النيل القدير[2] الذي يراك يضع حداً للتجاوزات التي لم تسمع بها.

المنادي: أنا أدعوك الى النزول في السفينة ذات الجوانب المنحنية، وبسرعة! وبلا تأخير! حين تجَرُّ عاصية متمردة، فإن شعرها لا يعفى من الشدّ.

(المنادي وفرقته يصعدون على الرابية ويحاولون القبض على الدانائيد).

الكورس: وا أسفاه! يا أبتاه، هل نجدة المذابح سيكون فيها هلاكي؟ نعم، إن الشبح الأسود يجرّني مثل عنكبوت خطوة فخطوة! وا أسفاه! وا أسفاه! ثلاث مرات! يا أيتها «الأرض» الأمّ ابعدي عني الصارخ المفزع! أيها الأب يا زيوس يا ابن «الأرض»!

المنادي: اغربي عني، أنا لا أخاف آلهة هذا البلد. انهم لم يربّوني في طفولتي ولم يغذّوني في أيام شيخوختي!

الكورس: إنه يتواثب نحوي، هذا الثعبان ذو القدمين إنه يشبه الأفعى. . . . . . وا أسفاه! وا أسفاه ثلاث مرات! يا أيتها «الأرض» الأم، أبعدي عني هذا الصارخ المخيف! أيها الأب، أي زيوس يا ابن «الأرض»!

= اسخولوس يمثلهن متمردات، لا يردن أن يكنَّ أمهات ولا زوجات ـ وواضع إحدى الحواشي يزعم أن ماء النيل يساعد على إنجاب الذكور وآية ذلك أن زيوس أنجب آرس لما أن شرب ماء النيل. وبحسب هذه الفكرة فإن الدانائيد كانت تخشى من ماء النيل لأنه أنتج جنساً من الذكور البغيضين، مثل جنس سلالة مصرايم.

(١) بحسب الشارح صاحب الحاشية فإن المقصود هو رأس ساربدون الموجود على ساحل قليقية في مواجهة قبرص.

(٢) هن يستغثن بإله اجنبي لأنهن يعلمن أن المنادي لا يتأثر بآلهة اليونان.

المنادي: إذا لم تذعني وتركبي في السفينة، فإن قميصك المزركش سيُمَزَّق بلا رحمة.

الكورس: لقد ضِعنا! يا سيدي، نحن نعامل معاملة فاسقة!

المنادي: أما عن السادة، فسيكون لكُنّ سادة عما قليل، عددهم كبير، هم أبناء مصرايم! لا تَخَفنَ، لن تشكين من نقص في السادة!

الكورس: آه! يا زعماء هذا البلد وأُمراؤه، إني أنهار أمام القوة القاهرة!

المنادي: أعتقد أنه لا بد من جرّكن من شعوركن، لأنكن بقيتن صمّاوات عن صوتي.

(فجأة يدخل الملك ومعه رجال مسلّحون)

الملك: ما هذا، ماذا تفعل؟ أية وقاحة تحملك على أن تزدري هكذا أرض البلاجيين؟ هل تظن أنك نزلت في دولة من النساء؟ وباعتبارك أجنبياً فإنك تبدي وقاحة شديدة تجاه اليونانيين! إنك بهذا ترتكب الكثير من الأخطاء وتكشف عن قلة عقل.

المنادي: أي خطأ ارتكبته في حق القانون؟

الملك: أنت تجهل أولاً واجبات الأجنبي.

المنادي: في ماذا؟ إني إنما أسترد ما فقدت.

الملك: إلى أي وكلاء قنصليين توجهت إذن؟

المنادي: إلى أكبر الوكلاء: هرمس، إله كل من يبحثون.

الملك: أنت تتوجه إلى الآلهة، ولكنك لا تكِنّ أي احترام للآلهة!

المنادي: إن آلهة النيل هم الآلهة الذين أعبدهم.

الملك: والآلهة الذين يُعْبَدون ها هنا ليسوا بشيء في نظرك؟ إني أسمع هذا من فمك.

المنادي: سأقتاد هؤلاء النساء اللهم إلاّ إذا انتزعوا مني بالقوة.

الملك: لو مسستهن لدفعت ثمناً غالياً، ولن يطول الأمر!

المنادي: إني أسمع كلمات غير مضيافة. .

الملك: أنا لا أرى ضيوفاً في أولئك الذين يزدرون الآلهة.

المنادي: هذا هو ما سأقوله لأبناء مصرايم.

الملك: هذا شيء لا يقلق قلبي.

المنادي: لكن، من أجل ان يكون تقريري دقيقاً ومحدّداً ـ لأنه ينبغي على المنادي ان يقدم تقريراً واضحاً عن كل شيء ـ ماذا سأقول؟ مَنْ أقول انه انتزع مني جماعة بنات العم اللواتي سأعود بدونهن؟ هذه الأمور آرس لا يحكم فيها وفقاً لشهادة شهود؛ وخصومة كهذه هو لم يشترها بالمال[1] بل لا بد أولاً من مصرع مئات المحاربين في وطيس المعركة.

الملك: ولماذا اذكر لك اسمي؟ ستعرفه مع الزمن، أنت وأصحابك. هؤلاء النسوة أنت ستأخذهن معك! إن هن وافقن على ذلك عن طيب خاطر، وحين تجد لإقناعهن أسباباً وجيهة كريمة. إن شعب أرجوس قد أصدر بالإجماع قراراً لا رجعة فيه يقضي بأنه لن يسلم للعنف طائفة من النساء. وهذا مسمار قد دق مراراً وغاص بحيث لا يمكن أبداً نزعه. إنها ليست كلمات مكتوبة على ألواح ولا مرقمة في لفائف من البَرْدى: أنت تسمع هنا اللغة الواضحة الصادرة عن فم حرّ. اغرُب عن وجهي بسرعة!

المنادي: اعلم منذئذ أنك تثير حرباً غير مؤكدة النتيجة. إن النصر والفتح سيكونان للذكور!

الملك: أما الذكور فستجدهم ايضاً في هذا البلد، وهم لا يشربون نبيذاً مصنوعاً من الشعير[2].

(المنادي ينسحب. الملك يستدير نحو الكورس)

---

(١) يقصد المنادي ان يقول: حذار، إنها الحرب. وآرس (إله الحرب) لا يحكم مثل القضاة العاديين الذي يستمعون شهادات الشهود، ويحددون الغرامة والتعويض. بل لا بد ـ عند آرس ـ من أن يكون الدفع بأرواح الناس، لا بالمال.

(٢) إشارة إلى ان خمر المصريين هي الجعة المصنوعة من الشعير، بينما خمر اليونانيين مصنوعة من العنب.

أما أنتن فامتلئن ثقة، وادخلن جميعاً ومعكن خادماتكن، في مدينتنا المغلقة إغلاقاً محكماً، والتي يحميها جهاز من الاستحكامات العالية. والدولة تمتلك فيها مساكن عديدة. وقد هُيىء لي فيها شقق بذلتها يد سخية. وهناك مساكن مهيّأة لكُنّ، إن شئتن ان تسكُنّ مع آخرين وأنتن حُرّات ايضاً في السكن في مساكن معدّة لكن وحدكن. فاخترن إذن ـ وأنتن حُرّات ـ ما يلوح لكنّ أنه الأنسب والأمتع. وكفلائكن[1] هم الملك وكل المواطنين وهنا ينفّذ قرارهم: فهل تتوقعن من هم أفضل منهم؟

رئيسة الكورس: جوزيت خير الجزاء عن إحسانك، أيها الملك المُبَجّل بين الپلاجيين! وليُعِدْ إلينا إحسانك أبانا، داناوس الشجاع، الذي يفكر لنا ويريد. وهو الذي يقرّر أولاً أين ينبغي علينا أن نسكن، وما هو الاختيار الذي سيكفل لنا حسن الضيافة. إن كل إنسان متأهب لأن يصب الاتهام على مَنْ هو أجنبي فلتؤمل أن يجري كل شيء على ما يرام!

(الملك يخرج)

ولحسن سمعتنا، ولكي يتحدث عنا أهل هذا البلد بدون خبث، رَتِّبن أنفسكن، أيتها الأسيرات العزيزات، بحسب الترتيب الذي حدّده داناوس لكل واحدة مِنّا حسبما هو مقرر في بائنتها.

(يدخل داناوس محروساً بحرس)

داناوس: يا بناتي، لا بد لكُنّ أن تقدمن لأهالي أرجوس الدعوات والأضاحي والرشّات، كما تقدم إلى آلهة الأولمپ، لأنهم جميعاً بدون تفرقة قد قاموا بانقاذنا. لقد أصغوا إلى روايتي بعطفٍ جديرٍ بالأقارب، وغضبوا الغضبة التي يستحقها أبناء عمكُنّ، وزودوني بهؤلاء التابعين، هؤلاء الرجال المسلحين، أولاً لمنحي امتيازاً يشرّفني، وبعد ذلك لحراستي أنا من أية ضربة مفاجئة قاتلة قد تصيبني بالمفاجأة، وتكون عاراً أبدياً ووسيلة لاختطافكن بالقوة. وفي مقابل هذه

---

(١) في معظم المدن اليونانية، كان لا بد للأجنبي المقيم من مواطن كفيل او مولى Prostates. وبالنسبة الى الدنائيد فإن كفيلهن الملك نفسه ومعه كل أهالي ارجوس الذين قبلوا المستجيرات وأعلنوا أنهن في حمايتهم.

النّعم ينبغي علينا نحوهم، إن كانت روحنا يرشدها مرشد صالح، أن نشكر لهم أطيب الشكر ونعرف لهم هذا الجميل الذي يشرّفهم إلى الأبد. ـ والآن، أضفن ـ إلى الدروس العديدة في التواضع التي نقشها أبوكن في قلوبكن ـ ما يلي: إن الجماعة المجهولة لا تقدّر إلا مع مرور الزمن؛ ذلك لأنه بالنسبة الى الأجنبي، كل انسان متأهب لأن يقول عنه كلمات سيئة، ولا شيء أسرع إلى الشفاه من الكلمات النسائية. لهذا فإني أدعوكن إلى عدم سربلتي بالعار، لأنكن تملكن هذا الشباب الذي يجتذب عيون الناس. إن الثمرة الناضجة الحلوة ليس من السهل حمايتها: فالدواب شأنهم شأن بني الإنسان تتعدى عليها، وكذلك الطيور ذات الأجنحة وذوات الأربع من الحيوان، وأنتن تعرفن هذا جيداً. ثم إن كوپريس (أفروديت إلاهة الجمال) ستطالب بثمن الأجسام المليئة بالعصارة، وذلك بأن تدعو الحبّ إلى اقتطاف زهرة الشباب[1]. ولهذا فإن كل المارّة إذا ما شاهدوا جمال العذارى، فإنهم ينهارون أمام الشهوة ويرسلون إليهن سهام النظرات الساحرة. فلا تلقين مثل هذا المصير، بينما نحن من أجل الهرب منه عانينا أشدّ الآلام، واجتزنا المسافات الشاسعة من البحار؛ فلا نخلقكن لأنفسنا العار، وللأعداء ما يدعوهم إلى التشفي والابتهاج. إن المسكن لن يعوزنا، ولقد عُرِض علينا اثنان: أحدهما عرضه پلاسجوس Pelasgos، والثاني عرضته المدينة، وفي وسعنا ان نستعمله دون أجر: لقد يسّروا لنا كل شيء.. لكن فكّرن جيداً في دروس الأب: اجعلن التواضع فوق الحياة.

رئيسة الكورس: لنحتفظ لآلهة الأولمپ بتمنيات أخرى، وإذا تعلّق الأمر بزهرتي أنا، فاطمئنّ يا أبي: لن أحيد عن الطريق الذي اتبعته روحي حتى الآن، اللهم إلاّ إذا كانت السماء قد فكّرت في خطط جديدة تماماً.

(داناوس يخرج. موكب الدانائيد يستعد للسير وراءه)

الكورس: هيّا، ولنحتفل بالسُّعداء، سادة أرجوس، الآلهة البلديين والآلهة الساحليين على مياه اراسينوس القديم. وأنتن، أيتها الخادمات، أجِبْن على نشيدنا... ـ ولتتناول مدائحنا مدينة الپلاجيين! ولن يحظى النيل والأفواه بعد بتحية

(١) النص في المخطوط الوحيد الذي بقي لنا من هذه المسرحية شديد التشويه. ولهذا فإن الترجمة احتمالية تقريبية ها هنا.

من أناشيدنا، بل الأنهار[1] التي تمد هذا البلد بالمياه الهادئة التي ترويه، وتتكاثر الى جداول مخصبة، لتطرية أرض أرجوس. ليت أرتميس العفيفة تلقي على هذه الجماعة بنظرة من الشفقة، حتى لا يأتي أي زواج ليخضعنا لنير كوپريس (الإلهة الحب). ولتُصِب هذه المحنة مَنْ أكرهه!

الخادمات: إن نشيدي الورع لا يستطيع أن ينسى كوپريس إنها حليفة لهيرا، وتكاد تصيب سلطان زيوس، وحينئذ فإن الإلاهة ذات الأفكار الوظيفية تتلقي التشريف الراجع إلى أفعالها المقدسة. والى جانبها، ومن أجل مساعدة أمهما، ها هي ذي الشهوة والإقناع الساحر الذي لم يُعانِ أي رفْض؛ و«الإنسجام» هو الآخر له نصيب من حظ أفروديت، شأنه شأن «المحبات» ذوات الثرثرة الفَرِحة.

وأنا أخشى على الهاربات من رياح معاكسة: ومن آلام قاسية وحروب دامية.. لماذا حظوا[2] من السماء بأنسام مواتية لمطاردتهم السريعة؟ إن ما قرره «المصير» يخشى أن يتحقق ـ إنه لا يمكن تجاوز فكر زيوس، الجليل الذي لا يدرك غوره ـ وبعد آلاف من النساء قبلك، ومن الممكن أن يكون الزواج هو نصيبك النهائي.

الكورس: آه! ليت زيوس الجليل يُبْعِد عني الزواج بأبناء مصرايم!

الخادمات: ومع ذلك فإن هذا سيكون هو الأحسن.

الكورس: هيّا، عاملي على حسب هواك امرأة عنيدة.

الخادمات: هيّا، أنت لا تعلمين المستقبل.

الكورس: هل أستطيع أن أدّعي إدراك فكر زيوس، وأن يغوص نظري في الهاوية؟

الخادمات: تمنّي إذن أُمنيةً أكثر اعتدالاً.

الكورس: أيّ درسٍ في الاعتدال تريدين أن تُلَقّنيني إياه؟

---

(١) الأنهار تمثل القوى المغذية لبلد ما. وله الحق في ان يمجدها كل من يأتي ليعيش فيه ولو لمدة قصيرة وكانت الدانائيد قد مجّدنها، لما وضعن أقدامهن على شاطىء أرجوس. وهن يعلنّ ها هنا أنهن سيبقين له مخلصات الى الأبد.

(٢) الضمير يعود الى أبناء مصرايم الخمسين الذين طاردوا بنات داناوس الهاربات منهن كي لا يتزوجن من أولئك الأبناء.

الخادمات: «لا إفراط» ـ حتى بالنسبة إلى الآلهة.

الكورس: كلا! ليت المولى زيوس يجنبني الزواج القاسي بزوج بغيض! إنه هو الذي حَرّر إيو Io، وأبطل عذابها بيده الشافية وأشعرها بقوته الحلوة.

وليَهَبْ النصر للنساء ـ إني أقنع بأقل شرّ، وبثلثي سعادة[1]، وأن يستجيب حاكم عادل لنداء العدالة إذا استجيب دُعائي بالطرق التي تكفل النجاة والتي هي تحت تصرف الآلهة.

(تذهب الدانائيد ومعهن خادماتهن).

انتهت مسرحية «المستجيرات»

(١) الثلث الباقي من السعادة هو ألا تقع حرب.. فإن لم يظفر به الدانائيد، فإنهن سينعمن بالثلثين الآخرين، أي: العثور على مدافعين عنهن، والحصول على النصر وهذا النصر هو «الحكم العادل» الذي ينتظرنه من الآلهة. والعبارة قد ذهبت مثلاً.



مَسْرحيَّة «السَبْعَة ضدَّ ثيبا»



مُقَدّمَـة «السَـبْعَـة ضدّ ثـيبـا»

بقلم : الدكتور عبدالرحمن بدوي

- (١) -

اتيوكل

بطل هذه المأساة هو اتيوكل وهو ابن أوديب ، ملك ثيبا ، من زوجته - وهي أمّه أيضاً - يوكاسته . وإلى جانب اتيوكل أنجب أوديب ويوكاسته : فولونيقس ، وأنتيجونا ، وإسـمينا . ويمكن عرض جدول هذا النسب على الشكل التالي :

كادموس + هارمونيا

فولودورس

لايوس + يوكاسته

أوديب + يوكاسته

فولونيقس أتيوكل أنتيجونا اسمينا

ولما اكتشفت أوديب أنه إنما تزوج أمه يوكاستـه ، فإنه فقأ عينيه بدبوس يوكاستـه ، وهذه بدورها شنقت نفسها . فتولى الملك أخوها كريون كريون في شكل وصيّ على عرض ثيبا ، إلى أن يبلغ ابنا أوديب ويوكاستـه سن الرشد ، وهما : اتيوكل وفولونيقس .

وكان هذان الوالدان قد أهانا أباهما أوديب مرّتين:

الأُولى: حينما وضعا أمام أبيهما أوديب بعد أن صار أعمى أطباقاً من الفضة كانت لأبيه لايوس، فشعر أوديب بأنه أُهين ـ لماذا؟ لا توضح لنا الرواية السبب في ذلك.

والثانية: هي أنه جرت العادة بأنه يجب على الأبناء أن يقدموا إلى والدهم الملك قطعة من لحم الأضاحي مأخوذة من الكتف. لكن اتيوكل وفولونيقس قدما إلى أبيهما الأعمى قطعة من لحم الفخذ، بدلاً من لحم الكتف، فشعر أوديب بالاهانة مرة ثانية. وهنالك استشاط غضباً ونطق ضد ابنيه بلعنة مغلظة، إذ تنبأ لهما بأن كليهما سيقتل الآخر.

تلك هي الرواية المشهورة للسبب في لعنة أوديب التي صبّها على ولديه. لكن سوفقليس يعتمد رواية أخرى تقول أن كريون ـ أخا زوجته يوكاسته ـ كان قد أرسل أوديب إلى المنفى بسبب افتضاح أمر زواجه من أُمّه يوكاسته، بدعوى أن مدينة ثيبا ستصبح دنِسة لو بقي فيها أوديب، هذا الملك الذي ارتكب هذه الخطيئة الكبرى ولم يفعل ابناه: اتيوكل وفولونيقس شيئاً لمنع تنفيذ قرار كريون بنفي أبيهما؛ لهذا لعنهما أبوهما أوديب بأن تنبأ لهما بأن كليهما سيقتل الآخر.

ولما بلغ اتيوكل وفولونيقس السنّ التي يحق لهما فيها أن يتوليا حكم مدينة ثيبا خلفاً لأبيهما أوديب، قررا أن يتناوبا على تولي العرش لمدة عام في كل مرة. وبحسب مسرحية «أوديب في كولون» لسوفقليس كان فولونيقس أول من تولى العرش وأنه نفى أباه أوديب. لكن الرواية الأشهر تقول إن اتيوكل هو الأول: إمّا لأنه كان الأكبر سناً (وثم خلاف حول هذه النقطة)، وإما لأنه أُجريت القرعة بينهما فخرجت لصالح اتيوكل فتولى عرش ثيبا لأول مرة. لكن لما انقضى العام المخصص له، رفض أن يُسَلِّم العرش لأخيه فولونيقس بناء على الاتفاق المعقود بينهما، وسانده في هذا الرفض كريون. هنالك ذهب فولونيقس إلى مدينة أرجوس التي تزوج فيها «أريجا»، بنت الملك أدراست Adraste ملك أرجوس وأنجب منها ولداً هو ثوساندروس. وكان أخوه اتيوكل هو الآخر قد تزوج وأنجب ولداً اسمه: لاورامس. واستنجد فولونيقس بوالد زوجته أدراست ملك أرجوس لأخذ العرش من أخيه. فقام أدراست بتجهيز جيش كبير يقوده سبعة رؤساء وتوجه به إلى ثيبا، وحاصرها، وخصّ كل باب من أبوابها السبعة بواحد من هؤلاء الزعماء السبعة.

وقد تولى فولونيقس قيادة الكتيبة التي خصص لها مهاجمة المدينة من الباب الذي وراءه وقف للدفاع عنه أخوه اتيوكل.

وشارك في هذه الحملة ايضاً أمفياراوس، زوج أخت ادراست. وكان عرّافاً، فتنبأ بأن مصير الحملة هو الاخفاق الشنيع. ولهذا رفض الاشتراك فيها في أول الأمر. لكن فولونيقس أغرى زوجته اريفوله بأن أعطاها عِقْد هارمونيا وثوب زفافها، فحملت زوجها أمفياراوس على الاشتراك في الحملة. وفي الطريق إلى ثيبا وجه اللوم العنيف الى السبعة الزعماء بسبب تهورهم وغطرستهم، ووبّخ خصوصاً توديا Tydée. وفي ساحة القتال حارب توديا ضد ميلانيفوس حتى قُتِل. وهنالك وضع أمفياراوس في يدي توديا وهو يحتضر، رأس ميلانيفوس مقطوعاً! ففتح توديا جمجمة خصمه ميلانيفوس وأكل المخ الموجود فيها!

واستمرَّ القتال بين المحاصِرين والمحاصَرين، لكن دون نتيجة حاسمة. لهذا اتفق الطرفان على أن يحسما الأمر في مبارزة فردية، بين الأخوين: اتيوكل، وفولونيقس: فإن انتصر اتيوكل انسحب جيش أرجوس وعاد أدراجه؛ أما إذا هُزِمَ، فإن تولّي العرش سيكون من حق فولونيقس. لكن لم يكن هناك منتصر، بل قتل كلا الأخوين الآخر. ولما كان اتيوكل يجود بنفسه تطلع في أخيه وبكى، إذ لم يكن في وسعه أن يتكلم. أما فولونيقس فقد استطاع أن يتمتم ببضع كلمات هي: «يا أخي، وعدوّي، أنت دائماً عزيز عندي، عزيز جداً. اسمح لي بأن أُدفن في بلدي الذي ولدت فيه ـ وحسبي هذا».

وهكذا لم تحسم المبارزة الفردية الأمر. فاستؤنف القتال. وأخيراً انتصر أهل ثيبا، وقُتل جميع الزعماء، باستثناء أدراست، الذي هرب مع بقايا الجيش الغازي، وذهبوا إلى مدينة أثينا.

وفي ثيبا استأنف كريون تولّي السلطة، وأعلن أنه لا يجوز دفن أي واحد من الذين حاربوا ضد ثيبا، بينما تقام لاتيوكل كل المراسم الجنائزية المخصصة لأشرف الناس؛ أما جثة فولونيقس فيجب تركها في العراء نهباً للكلاب وجوارح الطير.

ومن المقرر بحسب الديانة اليونانية أن أرواحَ مَنْ لا يُدْفَنون من الموتى لا تستطيع أن تعبر النهر الذي يحيط بمملكة الموت، بل تبقى في التشرد والتجوال الضّال دون أن تحظى بمكان تستريح فيه.. ولهذا كان دفن الموتى واجباً مقدّساً

ليس فقط تجاه الأقارب، بل وأيضاً تجاه الغُرَباء. لكن بحسب قرار كريون صار دفن فولونيقس جريمة كبرى يُعاقب عليها بالإعدام.

لكن أختيه: أنتيجونا واسمينا، لما علمتا بقرار كريون هذا، امتلأتا حنقاً وغضباً. أما إسمينا فلم تشأ الذهاب إلى حد تحدِّي قرار كريون هذا، وقالت لأختها: «نحن نسوة، وليست لدينا القوة لتحدّي أمر الدولة». فأجابتها أنتيجونا: «أنت أخذت دورك. أما أنا فإني ذاهبة لدفن أخي الذي أحببته». فصاحت اسمينا قائلة: «ليست لديك القوة لفعل ذلك». فأجابت أنتيجونا: «إذا خانتني قوّتي، فسأستسلم». وغادرت أختها إسمينا، التي لم تجرؤ على الذهاب معها، ومضت لتنفيذ ما عزمت عليه.

وهنا نتوقف عند هذا الحد، محيلين فيما يتعلق بما يتلو هذا، إلى المقدمة التي قدّمنا بها ترجمتنا لمسرحية «أنتيجونا» لسوفقليس.

- (٢) -

ومسرحية «السبعة ضد ثيبا» لأسخولوس قد مُثّلت في ربيع سنة ٤٦٧ ق.م وكانت المسرحية الثالثة في ثلاث من المسرحيات لأسخولوس هي «لايوس» و«أوديب» و«السبعة ضد ثيبا»، وأُضيفت إليها دراما هجائية بعنوان: «الاسفنكس». وقد حصل اسخولوس على الجائزة في مسابقة ذلك العام بهذه المسرحيات الأربع.

وقد حظيت مسرحية «السبعة ضد ثيبا» بنجاح متواصل طوال القرن الخامس قبل الميلاد، بدليل أن النص اليوناني قد عانى الكثير من التنقيحات والاضافات طوال القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد. ثم إن شاعراً مجهول الهوية قد أضاف إلى المسرحية خاتمة من عنده يعلن فيها تمرّد أنتيجونا.

أما المصادر التي رجع إليها اسخولوس في تأليفه لمسرحيته هذه فيعرف منها ملحمتان هما: «ملحمة أوديب» Oedipodie وملحمة «ثيبا» Thébaide. ويلوح أن هاتين الملحمتين كانتا مزيجاً من الأغاني الشعبية القديمة. ولما كانت هاتان الملحمتان قد ضاعتا، فمن الصعب تحديد ما استقاه منهما اسخولوس، وما ابتكره هو.

كذلك ضاعت المسرحيتان الأُخريان اللتان كانتا تؤلف مع مسرحيتنا هذه

الثلاث المسرحي الذي أشرنا إليه في أول هذا الفصل. بيد أننا نستطيع أن نستخلص الملامح الرئيسية فيها بفضل ما ورد في مسرحية «السبعة ضد ثيبا». إنها تدور حول أسطورة لايوس. وخلاصتها هي أن لايوس، ملك ثيبا، رغب رغبة حارّة في أن يكون له ولد ذكر: لكن زوجته يوكاسته بقيت عقيماً فذهب ثلاث مرات إلى مدينة دلف حيث معبد ووحي أپولون، كي يضرع إلى أپولون كيما يهبه ابناً. لكن هذا الإله أمره بأن يتخلى عن الأمل في أن تكون له ذريّة، لأن ذرّيته مقدّر لها أن تضيع مدينة ثيبا. إنه لو صار له نسل، فإنه بهذا سيضحي بمدينة ثيبا. بل إن رغبته هذه قد صارت إجرامية، منذ اليوم الذي فيه كشفت له السماء الخطر الذي يتعرض له بلده. لكن الآلهة يساعدون الناس الذين يعملون على هلاك أنفسهم، ولهذا سمحوا لزوجته ـ يوكاسته بأن تحمل وتنجب ولداً. فلما وُلِدَ هذا الابن أدرك لايوس أنه أخطأ؛ لهذا أرسل الطفل الوليد إلى العراء لتأكله الذئاب، لكن هذا الوليد نجا من الوحوش ونما وترعرع بعيداً عن مدينة ثيبا. وذات يوم، عند ملتقى طرق، لقي أباه دون أن يعرفه، وشبّ نزاع بينهما حول المرور من هذا الطريق، فما كان من هذا الشاب إلاّ أن قتل أباه هذا الذي لم يكن يعرف من هو. ثم تغلّب على الاسفنكس، هذا الوحش الذي كان يتعرض للمارّة ويلقي عليهم ألغازاً، فإن لم يستطيعوا الاجابة الصحيحة عليها قتلهم. لكن لما مرَّ هذا الشاب ـ واسمه أوديب ـ وألقى الاسفنكس عليه السؤال اللغز استطاع أوديب أن يجيب عليه إجابة صحيحة، ثم قتل الاسفنكس، وبهذا خلّص مدينة ثيبا من هذا الوحش الكاسر: الاسفنكس. ومكافأة له على هذا العمل، قرر أهل ثيبا أن يولوه ملكاً عليهم؛ ثم تزوج يوكاسته، زوجة ملكهم السابق لايوس؛ وأنجب منها ولدين هما: اتيوكل وفولونيقس، وبعد ذلك ابنتين هما: أنتيجونا وإسمينا. وكبر هذان الابنان، وهنا انكشفت الحقيقة المروّعة وهي أن أوديب إنما تزوّج أُمّه يوكاسته التي كانت قد أنجبته من زوجها الأول: لايوس. وهكذا تبيّن أن أوديب ارتكب خطيئتين: الأولى هي أنه قتل أباه لايوس، والثانية هي أنه تزوج أُمّه يوكاسته. وأمام هاتين الخطيئتين شنقت يوكاسته نفسها، وفقأ أوديب عينيه بدبوس.. وحبسه ابناه في القصر الملكي في ثيبا، حيث لقي إهانات قاسية. وباقي الأسطورة قد عرضناه في الفصل السابق.

فموضوع ثلاثية اسخولوس هو اذن عصيان لأيوس وما ترتب على هذا

العصيان من نتائج. فالمصائب التي ستنصب على أبنائه جميعاً هي نتائج خطيئة لايوس. وانتقام أپولون لهذه الخطيئة سيطارد أبناءه وأحفاده. لقد كان لايوس على حق حينما تمنى أن تكون له ذرية؛ لكن بعد سماعه لوحي أپولون في دلف لم يعد له هذا الحق، لأن الوحي أنبأه أنه لو صارت له ذرية فسيكون في ذلك تدمير لمدينة ثيبا. فكان من الواجب عليه إذاً ـ بناء على هذا الوحي ـ أن يتخلى عن طلب الذريّة..

ومع ذلك فإن وحي أپولون لم يتحقق إلاّ جزئياً: وهو المصائب التي حلّت بأبناء لايوس، أما النتيجة الأخرى وهي تدمير مدينة ثيبا فإنها لم تتحقق، بل نجت مدينة ثيبا وارتد عنها الغزاة السبعة مهزومين. فهل أخطأ اسخولوس في تصوره حينما جعل ثيبا تنجو من هذا الغزو تلك النجاة التي تتعارض مع وحي أپولون؟

يجيب المدافعون عن اسخولوس قائلين إنه اذا كانت الآلهة لم تطلب ضحايا أخرى واكتفت بما فعلت، فإن السبب في هذا هو أن السلالة الخاطئة (سلالة لايوس) قد اعترفت باليد التي ضربتها: لقد رضيت بمصيرها، وبهذا أنقذت بلدها ثيبا. وهذا هو الدور الذي قام به اتيوكل في مسرحية «السبعة ضد ثيبا»: فقد دافع عن بلده هذا دفاعاً مجيداً وضحّى بنفسه في سبيل نجاتها، فنجت بفضل هذه التضحية، ولم يَعُد لدى الآلهة مبرر إذن لتنفيذ الشق الثاني من الوحي، وهو تدمير ثيبا. «إن الجريمة المشتركة بين لايوس، وأوديب، وفولونيقس كانت هي التضحية بوطنهم في سبيل أهوائهم: أما مجد اتيوكل فيقوم في إخلاصه التام لوطنه الى حد التضحية بنفسه في سبيله والنداء الذي يوجهه الى الشيوخ والشباب، في اللحظة التي فيها تبدأ المسرحية، يعبّر عن الدور الذي سيقوم به. إننا نشعر فيه بالحب الحارّ الذي يكنّه لوطنه، وبالمرارة العميقة تجاه الناس. بل إن اتيوكل لا ينتظر شيئاً من مواطنيه، اللهم إلاّ عرفان الجميل. ذلك أن هذا البطل ـ اتيوكل ـ هو أيضاً هدف للعنة. فعليه، مثلما على أخيلوس ـ البطل الوحيد الذي يمكن مقارنته به ـ يثقل الهم والجزع؛ لكنه ليس فقط الجزع من موت قريب، بل هو أيضاً الجزع من جريمة لم يكن من الممكن تجنّبها. بيد أن هذا المصير الذي يعلمه تمام العلم يزيد في طاقته بدلاً من أن ينتقص منها. إنه لا ينسى، بل هو يشعر دائماً بأنه تقف الى جانبه «اللعنة»، وهي إلاهة رهيبة، لكنها صارت مألوفة عنده، وتدين له بالحماية التي يدين بها الجلاّد لفريسته قبل ساعة تنفيذ العذاب: إنه منها، وفي الوقت نفسه

من زيوس يطلب الشيء الوحيد الذي يهمّه: ألا وهو نجاة مدينته. بيد أن هذا المصير، في مقابل ذلك، يعزله عن سائر الناس؛ وليس لديه، مثلما كان لدى أخيلوس، ملجأ في الصداقة؛ بل هو خَشِنٌ مع أولئك الذين يتولّون حمايته؛ وهو يجيب النساء اللواتي يرتعدن بعبارات السخرية والاستهزاء. ولم يشعر بالضعف إلاّ في لحظة واحدة وذلك حينما وضعه القدر في مواجهة أخيه، فإنه زفر بالشكوى. لكنه سرعان ما يستعيد قوّته وشهامته. إن الجريمة التي هو بسبيل ارتكابها - وهي قتل أخيه في المبارزة - هي موضوعة على الطريق المؤدي إلى واجبه: ولهذا وثب للقتال، ولا تثريب عليه في أن يهلك في هذه المبارزة الفردية، فإن شرفه سيسلم، وسينقضي بانقضائه هو وأخيه السلالة التي لعنها أپولون. من أجل إبعاد آلهات الانتقام لا بد من تقديم ضحايا ترضى عنها السماء؛ إن حياته هي العنوان الوحيد الذي تقدّره الآلهة، فليكن لها إذن ما تريد»[1]!

لكن الى جانب اتيوكل الذي تسود شخصيته كل المسرحية بجلالها وروعتها، ينبغي ألا ننسى دور الكورس، ودور الرسول. فالكورس بتعبيره عن الأحزان والمخاوف بلغة غنائية حافلة بالمجازات القوية يؤثر في نفس المشاهدين تأثيراً عميقاً. وتشغل شكاته وآهاته وحسراته حيّزاً ضخماً في المسرحية.

ثم إن الرسول، خصوصاً في استعراضه للرؤساء السبعة الذين تولوا قيادة الهجوم على ثيبا، قد برع كثيراً في وصف تهديداتهم المستكبرة وغطرستهم المتحدية - وذلك في مقابل الحزم والعزم ورباطة الجأش والثبات وصدق العزيمة: تلك الصفات التي تجلت في شخص اتيوكل ورفاقه المدافعين عن مدينة ثيبا. وكان لهذا التقابل بين خصال الفريقين أثر عظيم في المشاهدين اليونانيين في القرن الخامس قبل الميلاد وما تلاه من قرون كَثُرَ فيها تمثيل هذه المسرحية الفذة.

باريس في ٨ مارس ١٩٩٥

عبد الرحمن بدوي

---

(١) من مقدمة پول مازون Paul Mazon ترجمته الفرنسية. باريس، ١٩٢١، عند الناشر Les Belles Lettres.



«السبعة ضد ثيبا»

شخصيات المسرحية

اتيوكل: ابن أوديب ويوكاسته، وملك ثيبا

رسول

كورس من أهالي مدينة ثيبا



(سوق ثيبا. وفي عمق الأوركسترا تماثيل للآلهة. كل الجيش عند الاستحكامات.

ليس هناك في السوق إلاّ شيوخ أو شباب. يدخل اتيوكل)

اتيوكل: يا شعب كادموس! ينبغي على الرئيس أن يقول كل ما تقتضيه الساعة، الرئيس العاكف على عمله، الممسك بدفّة المدينة، المتولي بيده توجيهها، والذي لا تغفل عيناه. لأنه في حالة النجاح سيُردّ الفضل كله إلى الآلهة، وإذا حدثت ـ لا سمحت السماء! ـ مصيبة فإن اسماً واحداً هو: «اتيوكل» يكون في آلاف الأفواه هو الذي سيشهّر به في أناشيد صارخة ومناحات، ليت زيوس الحافظ يحمي منها المدينة الكادموسية، كيما يستحق لقبه هذا! وأنتم أيضا، يجب عليكم في هذه الساعة: سواء منكم من ينتظرون قوة الشباب المليئة، ومن منكم فارقته القوة مع طول العمر ـ أقول: يجب عليكم جميعاً أن تنفخوا في عضلاتكم لمضاعفة قوتها، وأن يقوم بدوره بحسب ما تسمح به قُواه ـ ابتغاء نجدة المدينة، وأن يذهب إلى مذابح آلهة البلاد ـ حتى لا تزول عبادتهم إلى الأبد، وابتغاء نجدة أبنائكم، وإنقاذ الأرض التي هي أُمكم، وأحنى المُرَبِّيات عليكم، ـ في هذه الساعة التي تدرجون فيها على تربتها المُحْسِنة وأنتم أبناؤها، وقد تكفلت لكم بغذائكم، وصنعت لكم مواطنين مخلصين مسلحين بالتُّرس الذي تتوقعه في هذا الوقت العصيب. صحيح أنه حتى الآن السماء لا تزال في صفّنا: ذلك أنه منذ الأيام الطويلة التي حوصرت فيها ثيبا، فإن الحرب ـ بفضل الآلهة ـ كانت لصالحنا في الغالب. لكن ها

هوذا العرّاف[1] اليوم - وهو راعي الطيور، يزن علائم التنبؤات بعلم لم يكذب أبداً، ودون أن يلجأ إلى العلامات المستمدة من النار. وما صرّح به - وهو أستاذ في هذه التنبؤات - هو أنه منذ وقت قليل تقرر قيام الأخاياوين بهجوم في الليل، وبخبث وخِسّة سيهاجمون مدينتنا. فهيا بكم إذن إلى أعالي الاستحكامات، وإلى أبواب الحصون! هُبُّوا جميعاً، واهرعوا وأنتم مسلحون من الرأس حتى القدم! إملأوا الشرفات، احتلّوا أسقف الأبراج، وعند مخارج الأبواب انتظروا في ثقة وعزم دون أن تخافوا من عدد المهاجمين: إن الآلهة ستكون معنا. وأنا من ناحيتي قد أرسلت إلى خطوط الأعداء مترصّدين وكشّافة، وأنا واثق أنهم لن يضلوا: ومتى استمعت إلى تقاريرهم، فإنني لن أخشى بعد ذلك أية مفاجآت.

(يدخل رسول)

الرسول: اتيوكل، يا سيد الكادموسيين الشجاع، لقد جئت من عند الخطوط الحربية، وأحضرت رواية دقيقة للأحداث: إنني بعينيّ شاهدت الأمور. إن سبعة من القواد الصناديد قد ذبحوا - على درع أسود - ثوراً، وأقسموا، وأيديهم في الدم، بحق آرس، وإنيو والهزيمة الممزوجة بالمذابح - اقسموا إمّا على ان يدمروا وينهبوا مدينة كادموس، أو بموتهم أن يروّوا هذه الأرض بدمائهم. وبعد ذلك علقوا بأيديهم على عربة أدراست[2] تذكارات لأقاربهم الذين بقوا في بيوتهم، وهم يبكون؛ لكن لم تتجاوز الشكوى شفاههم؛ بل كانت قلوبهم الحديدية تدخّن وتغلي بالشجاعة: لقد كانوا أشبه بالأسود في عيون آرس. ولا خوف احتجزهم عن وعودهم: لقد تركتهم وهم يجرون القرعة على الباب الذي سيكون من نصيب كل واحدٍ منهم ليقود إليه كتيبة. - عليك إذن، بأقصى سرعة، أن تختار أحسن قوادك، وصفوة أهل مدينتك، لكي يتولوا الإمرة عند مخارج أبوابنا. ذلك أن جنود أرجوس ها هم يقتربون وهم مدججون بأسلحة الحرب! إنهم زاحفون والغبار

---

(١) وهو تيرسياس Tiresias.

(٢) في مسرحية «ديار ثيبا» نجد أنه عُلّق في عربة أورست فَرَس إلاهي هو أريون (راجع باوسنياس ٨: ٢٥ ش). لقد كان السبعة يعتقدون أن هذا الفرس لن يهلك، ومهما كان مصير المعركة فإنه سيعود بالعربة إلى أرجوس.

يتصاعد، وحقولنا دُنّست بالرغوة البيضاء التي تبصق بها خيولهم النافخة. هيّا، أيها المُرشد البارع، أمسك بزمام السفينة! حَصِّن مدينتك، قبل أن تنطلق عاصفة آرس: ها هي ذي الأرض تزمجر من الأمواج الحربية! اهتبل أسرع فرصة للعمل! وسأكرّس عيوني الساهرة المخلصة لخدمتك؛ وبفضل اطلاعك على ما يجري خارج الأسوار بواسطة تقرير دقيق، فإنك ستتجنب كل خطر.

اتيوكل: يا زيوس، ويا أرض، ويا آلهة وطني، وأنتِ يا أيتها «اللعنة»، يا ارنيس Ernys الوالد القوية ـ اكفلوا السلامة لمدينتي لا تقتلعوا من التربة بجذورها المحطمة تماماً، فريسة للعدو: مدينةً تتكلم لغة اليونان الفصيحة، وبيوتاً يحميها إله السكن! لا تُذِلُّوا بلداً حرّاً، مدينة أسّسها كادموس، ولا تضعوها تحت نير العبودية. كونوا عوناً لنا ونجدة! إني أتكلم لمصلحتكم بقدر ما أتكلم لمصلحتي؛ أعتقد ذلك: لأن المدينة المزدهرة هي وحدها التي توقّر الآلهة.

(يخرج، أهل ثيبا يتبعونه.. جَمع من النساء الفزعات يتدافعن مضطربات في الأوركسترا)

الكورس: إني أعلن ها هنا عن فزعي وآلامي الهائلة! لقد أُطلق لها العنان. لقد غادرت المعسكر، وموجة من الفرسان لا حصر لعددهم تندفع ضدنا. ويحملني على هذا الاعتقاد الغُبار المفاجىء الذي يتصاعد إلى عنان السماء كرسولٍ بلا صوت، لكنه صادق أمين.

وها هي ذي أرض بلادي وقد أُسلِمت إلى ضجيج الحوافر[1]، الذي يقترب، ويطير، ويزمجر، مثله مثل السيل الجارف الذي يضرب سفح الجبل. أواه! أواه! أيها الآلهة ويا أيتها الألهات! أبعدوا عنا الكارثة التي تريد أن تنقضّ علينا.

آه، إن ضجة قد مرّت فوق أسوارنا: جيش الدروع البيضاوات[2] يتقدم، وهو متأهّب للقتال، ويُهْرع نحو ثيبا. من سينقذنا إذن؟ أيّ إله، أو أية إلاهة ستأتينا بنجدته؟ وماذا أستطيع أنا غير أن أركع على ركبتي أمام تماثيل آلهتنا؟ إيه أيها المخلصون السعداء لمعابدنا، إنّي أتشبث بصوركم! لأن الوقت يضغط. ولماذا أتلبث في المناحات التي لا جدوى منها؟

(١) النصّ اليوناني في هذا الموضع مضطرب.

(٢) الدرع المستديرة البيضاء المدهونة بالأبيض هي قطعة مميزة في سلاح أهل أرجوس.

هل تسمعون ـ أو لا تسمعون ـ ضجة التروس؟ متى إذن ـ إن لم يكن في هذه الساعة ـ نلجأ إلى توسلات الحجب والتيجان؟

آه! إني أُشاهد هذه الضوضاء إنه تصادم المقاليع؛ ماذا ستفعل، يا آرس؟ هل ستخون ميدانك القديم؟ أيها الإله ذو الخوذة الذهبية، ألْقِ نظرة، نظرة على المدينة التي أخلصت لك في الماضي[1] حبّها لك.

(يصعدن على المنصّة المنصوبة عليها تماثيل الآلهة، وهن يذهبن من تمثال إلى آخر).

يا آلهات ثيبا، تعالين جميعاً مسرعات: انظرن إلى مجموعة من العذارى المستجيرات اللواتي يخشين الوقوع في العبودية. حول مدينتهن تزمجر موجة حربية من ذوي الخوذات المجلجلات وقد أسكرتها رياح آرس. إيه يا زيوس! يا زيوس! أيها الأب الذي بدونه لا يتم شيء، أبعد عنّا إلى الأبد العدو الآسر. إن الأرجوسيين يحاصرون مدينة كادموس! الفزع ينفذ في باطني، الفزع من الأسلحة القتّالة! وبين فكوك الخيول ترنّ اللُّجم برنين المذابح! الرؤساء السبعة المتحالفون، الذين تسلحوا في أذرعتهم بالنشّابات، يتقدمون صوب أبوابنا السبعة، على الترتيب الذي قررته القرعة!

وأنت يا بنت زيوس، المحاربة القوية، كوني النجاة للمدينة. يا پلاّس (أثنا). وأنتَ، أيها الإله الفارس، يا مَنْ تتحكم عصاه المثلثة الأسنان ويخافها السمك ـ تتحكم في البحار، أي فوسيدون، خلِّصنا، خلِّصنا من هذه المخاوف! وأنت يا آرس، وا أسفاه وا أسفاه، اسهر على مدينة تحمل اسم كادموس: كُنْ حليفاً لها، بالسلاح، كما أنك نسيبها بالدم! وأنتِ يا كوپريس، الجدة القديمة لجنسنا[2]، احمينا! إن دمك هو الذي يجري في عروقنا، وقد جئنا إليك بنداءات، وزفرات ترجو الوهيتك. وأنت، أيها الإله الذي يُهْلِك الذئاب[3]، اقضِ على جيش أعدائنا، واجعلهم يدفعون ثمن تأوّهاتنا!

---

(١) في اليوم الذي فيه آرس زوّج كادموس من ابنته هارمونيا.

(٢) أهل ثيبا ينحدرون من كادموس وهارمونيا. وهارمونيا هي بنت آرس وأفروديت. إذن أفروديت هي الجدة المشتركة لكل هذا الجنس.

(٣) الصفة Lylkeios (مُهلِك الذئاب) كثيراً ما يوصف بها أپولون ولا يعرف ما هو الأصل فيها، كما هي الحال في كثير من الصفات التي يهاب بها في الطقوس. والعلماء المحدثون يريدون أن يجدوا فيها الجذر المعبر عن النور. أما القدماء فكانوا يعتقدون أن أصلها مأخوذ من اللفظ Lykos = ذئب.

وأنتِ، أيتها العذراء المولودة من ليتو[١] ـ امتشقي سلاحك!

آه! آه! إني أسمع جلجلة العَرَبات حول المدينة.. إيه يا هيرا القديرة!. إن العجلات تصدح تحت ثقل المحاربين يا أرتميس الحبيبة! ـ أجيبي غاضبة على النّبال التي تحرّك الأثير. ما هو إذن مصير ثيبا؟ ماذا ستصير إليه مدينتي؟ وإلى أين تقودها السماء في النهاية؟

إن رَخّة من الحجارة تأتي من بعيد وتصيب أبراجنا، يا أپولون العزيز! إني أسمع عند أبوابنا قعقعة التروس النحاسية. آه! أعِزنا سمعك، أنت يا من جعلك زيوس حَكَماً مقدّساً يفصل ـ في المعارك ـ في مصير الحرب[٢]؛ ـ وأنتِ يا أونكا Onka، أيتها الملِكة الإلاهية التي نعبد أمام أسوارنا، احمي المدينة ذات الأبواب السبعة!

آه! أيتها الآلهة القديرة، آه! أيتها الآلهة والإلاهات المنصّبون حراساً يحرسون استحكامات مدينة ثيبا! إن مدينتنا تترنّح تحت أفاعيل الرماح؛ لا تسلموها إلى جيش يتكلم بلغة أخرى[٣]. استجيبوا لدعوة العذارى، استجيبوا لدعوات الأذرع المبسوطة نحوكم.

آه! أيتها الآلهة الصديقة، اشملوا هذه المدينة بمساعدتكم المحرِّرة؛ برهنوا على أنكم تحبُّون مدنكم! تذكروا الأضاحي التي قدمها إليكم هذا الشعب، وليرشدكم هذا التذكر إلى نجدته. ولا تنسوا الأسرار الحافلة بالقرابين والتي كان يحتفل بها في هذه المدينة.

(يدخل اتيوكل)

اتيوكل: إني أطلب هذا منكم أنتم، أيتها المخلوقات غير المحتملة: أهذا هو

---

(١) أي: أرتميس، التي تصورها الأساطير غالباً وهي تقاتل إلى جانب أخيها: أپولون.

(٢) من الواضح أن المقصود هو «إله النصر» Nike، إذ اسمه مصحوب دائماً باسم زيوس، ويمكن أن يعد بمثابة المنفذ لإرادته ولما كان أهل أثينا غالباً ما يهيبون بالنصر على شكل: «أثينا نكيه» فإن اسخولوس هنا يقرّب «النصر» من أثنا الثيباوية: پلاس أونكا.

(٣) كان بين أهل بيوتيا وأهل أثينا اختلاف في اللهجة، لا في اللغة اليونانية، لكن اليونانيين كانوا شديدي الحساسية لاختلاف اللهجات بحيث كانوا يعدون ذلك اختلافاً في اللغة، وليس مجرد اختلاف في اللهجة.

ما يليق بالحال وينقذ المدينة؟ هل هذا هو ما يبثّ الثقة في هذا الشعب المحاصر: أن تنكبُّوا على تماثيل آلهة ثيبا بالصراخ والصياح اللذين يفزعان العقلاء من الناس؟ آه! ألا ليت السماء تحفظني من المرأة، سواء في الضرّاء وفي السرّاء! إن المرأة إذا انتصرت صارت وقاحة لا تُحْتمل؛ وإذا خانت، صارت كارثة على منزلها وعلى مدينتها. واليوم، بمشاويركم التائهة في المدينة، أنتن أطلقتنّ نداء الجبن الخوّاف؛ وكان في هذا خير مددٍ لمن هم أمام أسوارنا، بينما نحن ندمّر أنفسنا خلف هذه الأسوار. هذا هو ما يكسبه الناس من العيش مع النساء. لكن، في هذه المرّة، مَنْ لا يمتثل لأوامري، رجلاً كان أو امرأة، أو أي مخلوق آخر، فإنه سيرى في الحال قراراً بالإعدام ينقضّ عليه، ولن يَفْلت ـ وأنا كفيل بهذا ـ من الأحجار القاتلة يرميها به الشعب. إن ما يحدث خارج البيت هو من شأن الرجال؛ وليس للمرأة أي صوت فيه. التزمي بيتك، وكُفّي عن إيذائنا. هل سامعةٌ أنت، أو لا؟ هل أنا أُكلِّم صمّاء؟

الكورس: يا ابن أوديب العزيز! إنني أشعر بالخوف من الضجيج، ضجيج العربات ذات الأصوات، ومن الصياح الذي تحدثه العَجَلات، ومن لُجُم الخيول، التي لا تنام ابداً في أفواهها، ومن حديدة اللجام، وهي بنت النار.

أتيوكل: هل بالهرب من المؤخرة إلى الجؤجؤ يجد البحّار المناورة التي ستنقذه، في الوقت الذي فيه تترنح السفينة تحت هجمات الأمواج؟

الكورس: لا، إنني هُرِعت فقط إلى التماثيل القديمة لآلهتنا، واضعة أملي في السماء، لدى أول زئير أو سيل جارف قاتل تدفق على أبوابنا. هنالك دفعني الفزع إلى الذهاب إلى «السعداء» (= الآلهة) لأتضرع إليها كي تشمل بالنجدة مدينتنا.

اتيوكل: أن تصد استحكاماتنا جيش الأعداء: هذا هو الدعاء الذي ينبغي توجيهه إليهم! وهذا أيضاً هو ما تطلبه الآلهة هي نفسها. أفليس يقال إن المدينة التي تم الاستيلاء عليها تتخلى عنها آلهتنا؟

الكورس: آه! ليتني لا أرى ثيبا وقد تخلّت عنها الآلهة المجتمعون ها هنا! ألا ليتني لا أرى مدينتي تتجول فيها الخيول في كل اتجاه ملقية عليها شعلات من النار مدمِّرة!

اتيوكل: ادعي الآلهة، لكن لا تتصرفي تصرفاً أحمق! إن النظام أبو النجاح الذي يؤمن ـ وحده ـ النجاة في الحياة، يا أيتها المرأة! تلك هي الحقيقة.

الكورس: نعم، لكن القوّة السماوية أشدُّ قوّة! إنها وحدها التي تُنهِض الانسان، حين يكون غائصاً في مصائب لا مخرج منها وواقعاً في محنة مريرة بحيث يرى ضباباً ينزل على عينيه.

اتيوكل: إن على الرجال أن يقدموا إلى الآلهة مئات الأضاحي، وأن يمتحنوا الحظّ بالاشتباك مع العدو. أما أنتِ فدورك هو أن تسكتي وأن تقبعي في بيتك.

الكورس: إننا ندين للآلهة بالسكنى في مدينة غير مهزومة، وأن نشاهد استحكاماتنا تحمينا من جحافل الأعداء. أيّ قلق حاسد يمكن أن يرتاب في صلواتي؟

اتيوكل: إني لا أنكر عليك الحق في تمجيد الآلهة؛ لكن إذا شئت ألا تنشري الجُبن في قلوب المواطنين، فعليك أن تبقي هادئة، وألاّ تفصحي عن فزعك.

الكورس: إن ضجة مبهمة قد طرقت مسامعي منذ قليل، فهرعت خائفة إلى هذه الرابية التي هي مقام مقدس.

اتيوكل: إذن لا تندفعي في العويل حين تسمعين الناس يتحدثون عن جرحى وموتى.

رئيسة الكورس: يا للسماء! إني أسمع الآن صهيل الخيول!

اتيوكل: اسمعي، ولكن لا تُظْهِري أنك تسمعين.

رئيسة الكورس: ثيبا تنوح من أعماق تُرْبتها: إنهم يُحْدقون بنا!

اتيوكل: أنا هنا لإتخاذ الاجراءات اللازمة.

رئيسة الكورس: أنا خائفة؛ إن ضوضاء الأبواب المصدومة تتزايد باستمرار.

اتيوكل: ألا تكُفّين عن الصراخ هكذا في المدينة! اسكتي.

رئيسة الكورس: أيها الآلهة المجتمعون هنا! لا تتخلّوا عن متاريسنا!

اتيوكل: يا ويلتاه! ألا تستطيعين الاستسلام للصمت؟

رئيسة الكورس: يا آلهة مدينتي، احفظيني من العبودية!

اتيوكل: إنك إنت التي تُسلّميننا إلى العبودية، أنا وكلّ المدينة.

رئيسة الكورس: يا زيوس القدير: صَوِّب سهامك ضد أعدائنا!

اتيوكل) يا زيوس! ماذا خلقت حين خلقت لنا المرأة؟

رئيسة الكورس: كائناً بائساً، تماما مثل الرجل، حين يُسْتَوْلى على مدينته.

اتيوكل: لا تزالين تتكلمين عن المصائب، وأنت تحتضنين الآلهة!

رئيسة الكورس: لم تَعُدْ عندي شجاعة: إن الخوف ينتزع منّي كلماتي!

اتيوكل: أرجوك، هل تتفضّلين عليَّ بفضل رقيق؟

رئيسة الكورس: قُلْ لي بسرعة، وبسرعة أستجب لك.

اتيوكل: اسكتي، أيتها البائسة. كُفّي عن اشاعة الخوف في قومك.

رئيسة الكورس: سأسكت، إن مصيري سيكون مصير الجميع.

اتيوكل: هذه جملة أنا أحتفظ بها ـ وأترك لك ما عداها! لكن افعلي أكثر من هذا: غادري هذه التماثيل، وتوجّهي إلى الآلهة بالدعاء المفيد الوحيد، وهو أن يقاتلوا في صفّنا. ثم اسمعي تمنّياتي أنا، واصحبيها ـ مثل مصاحبة نشيد مناسب ـ بالهتاف المقدس، وبالصيحة الشعائرية التي ـ في بلاد اليونان ـ تُحَيِّي سقوط الأضاحي. إنها ستثبّت الثقة في رجالنا وتبدّد ما فيهم من خوف من العدو. . أمام الآلهة سادة هذا البلد، وآلهة الأرياف، والآلهة الحرّاس على ميادينا، وعلى نبع دركيه[1] Dirké، وعلى مياه نهر اسمينوس ـ أنا أُعلن أنه إذا تم كل شيء على نحو سعيد، وإذا نجت مدينتنا، فإنني سأسيل دماء النجاح على مذابح الآلهة، احتفالاً بانتصارنا؛ وبثياب أعدائنا، وهي أشلاء مزّقتها النّبال: سأعمل قرابين معلقة على جدران مقاماتهم المقدسة. تلك هي التمنيات التي أدعوك إلى تمنّيها، بدلاً من الانخراط في هذه المناحات، وهذه الصيحات المهدّجة، التي لا فائدة منها والتي هي وحشية، ولن تستطيع أن تساعدك على الإفلات من المصير. أما أنا فسأذهب إلى المخارج السبعة لاستحكاماتنا للتصدّي للعدو. فأمنع ستة محاربين أشداء ـ أنا سابعهم ـ قبل أن يأتي رُسُلٌ منزعجون وشائعات سريعة لمفاجأتنا، وتشعل النار في كل شيء تحت تهديد الضرورة.

الكورس: بودي أن أطيعك؛ لكن الفزع يوقظ قلبي والقلق المستعر عند أبواب نفسي يشغل فيها الفزع. . إني أخشى الجيش الذي يحيط بمدينتنا، مثلما

(١) نبع يتدفق من نهر صغير في الجنوب الغربي من كومايا، رابية ثيبا.

تخاف الحمامة المرتعدة على فراخها من الأفعى ذات الضمّات القاتلة.

إن بعضهم يزحف في كتل متراصّة نحو متاريسنا ـ فماذا سيكون مصيري؟ والبعض يرمون الآلاف بالأحجار الحادّة على مدينتنا المحاصرة، يا أيها الآلهة، يا أبناء زيوس، ساعدوا الشعب المنحدر من كادموس. أي بلاد ستقدم إليكم تربة أفضل من تربة ثيبا، إذا أنتم غادرتم هذا البلد الخصب، ونبع دركيه الذي هو أعذب الينابيع التي يفجّرها فوسيدون الذي يحيط بالأرض وأبناء تثيس[(١)] Tethys؟

إذن، يا أيها الآلهة سادة هذه المدينة، على أولئك الذين هم خارج اسوارها: أسقِطوا الجُبْن الذي يُضيع الرجال، والضلال الذي يرمي سلاحه، وفوزوا بالمجد من أجل هذه المدينة؟ وأنتم أيها المدافعون عن ثيبا، ابقوا مخلصين لمعابدكم: إن زفراتنا الحارّة تناشدكم وتبتهل إليكم!

وسيكون من المُخْزن حقاً أن مدينة عنيفة مثل هذه سيلقى بها في هادس، فريسة قد أطاح بها الرُمح، وعلى مشهد من الآلهة تصبح رماداً هشّاً، قد دمّرها الأخاياويّون؛ ـ وأن تجرّ نساؤها ـ أرامل المدافعين، ويا حسرتاه! شابات وعجائز على السواء. أن تجرّ من شعورهن، مثل المهارَى، وملابسهن ممزقة، بينما تقفز المدينة وسط الصراخ ـ وأن نسير نحو الموت غنيمة[(٢)] ذات صيحات مبهمة. آه! إني أخشى من وقوع كوارث فظيعة!

وسيكون مما يثير الأسى أن عذارى عفيفات ـ لم يحتفلن بعد بالمراسم التي تقتطف زهرتهن الرقيقة ـ يسلكن الطريق الجديد الى مسكن بغيض. آه. إني أوكد أن مصير الموتى أفضل من مصيرهن.

حينما تسقط مدينة فما أكثر ما ينهال عليها من المصائب! بعض المنتصرين يأسر أسارى، والبعض الآخر يقتل المهزومين؛ وأحياناً تشعل الحرائق فيها، ويدنّس الدخان

---

(١) أبنا تثيس والأوقيانوس هم الأوقيانوسيات، وهن حوريات المياه. وتبعاً لما يقوله هسيود («نَسَب الآلهة» البيت رقم ٣٦٤) فإن عددهم يبلغ ثلاث آلاف حورية: وكل ينابيع الأرض تتدفق بفضل فوسيدون (إله البحر) أو بنات أوقيانوس.

(٢) التعبير هنا مجازي. والمقصود، هو أن الأسيرات اللواتي اسرهن المنتصرون ستكون مسيرتهم شبيهة بالمسيرة الى الموت.

المدينة كلها. إن آرس[١] ينفخ بغضب ويطيح بالرجال، وينتهك كل ما يقدّسه الناس.

وها هي ذي تسري في المدينة شائعات حمّاء. وحولها مُدَّت الشبكة التي سيعاد بها حصونها. والمحارب ينهار، تحت رمح المحارب. وتأملات الأطفال الدامية ترفع شكواها الطفولية.

وفي كل مكان يجري الخطف، أخو المطاردة. وناهب مملوء اليدين يلاقي ناهباً مملوء اليدين؛ وناهب خاوي اليدين ينادي على ناهب خاوي اليدين، ليصبح له شريكاً: ولا واحد يريد أقل من الآخر، بل ولا مثل الآخر. وما ينجم عن هذا، في وسع العقل أن يتخيّله.

وثمار الأرض من كل لون سقطت على الأرض. يا له من منظر مؤلم! وعيون ربات البيوت تمتلىء بالمرارة. وهدايا الأرض على شكل أكوام مختلطة، تتدافع في سيول لا فائدة منها.

وأسيرات، حديثة عهد بالآلام، تتنهّد وهي تفكرّ في الفراش المخصّص للإماء، فراش الجندي الذي تعطيه الصدفة هؤلاء الأسيرات: إنهن ليس أمامهن مصير آخر ينتظرنه غير أن يكنّ - إبان الليل - في خدمة عدوّ منتصر، ابتغاء زيادة الآلام التي تستوجب كل دموعهن.

رئيسة الكورس: أعتقد أن هذا هو كشّاف الجيش وقد جاء إلينا نحن الصديقات، برسالة جديدة. وفي إسراعه يضغط على ركبتيه اللتين تحملانه. - هو الملك نفسه، ابن أوديب، وهو يسرع لسماع ما أتى به الرسول. وهو الآخر في إسراعه لا ينظّم سيره.

(يدخل الرسول وهو يجري. اتيوكل يأتي من الجانب المقابل ويندفع نحوه).

الرسول: أستطيع أن أذكر - وأنا أعلم هذا بدقة - ما يفعله أعداؤنا وخصوصاً نصيب كل واحد منهم من الأبواب بحسب القرعة: إن توديا Tydée هو الذي يزأر أمام باب پروتيد Proitide؛ لكن العرّاف يمنعه من اجتياز نهر اسمينوس Ismenos، لأن الأضاحي لا تزال غير مواتية. توديا يغلي وهو متعطش للقتال، ويصرخ مثل ثعبان يتلوى في شمس الظهيرة، ويَسُبُّ العرّاف، ابن أويكله Oiclée «الذي يسعى - بجُبن - إلى تملق الموت والقتال». هذا هو ما قاله، بينما هو يهز

(١) أي: الحمية في القتال، التي تنتاب المحاربين.

ثلاثة أعراف مُظَلَّلة هي عُرف خوذة، وتحت ترسه أجراس برونزية ترنّ بالفزع. وعلى الترس يحمل شارة الكبرياء: سماء منقوشة مرصّعة بالنجوم يتجلى فيها قمر بَدْرٌ يلمع في وسط الترس، كأنه ملك الكواكب، وعين الليل. ذلك هو الجنون الذي يكشف عنه لباسه الوقح بينما يصرخ على شاطىء النهر متعطشاً للمعارك، شبيهاً بفرس يبصق على لجامه بغضبه المتهدج، وهو ينتظر غاضباً نداء النفير.. فمن ذا الذي ستكلّفه بمواجهته؟ ولكن هو الجدير بتأمين الدفاع عن باب پرويتوس Proitos، حينما يزول الحاجز؟

اتيوكل: إن سلاح المحارب لا يخيفني. ولا توجد شارة تحدث جُرْحاً؛ ولا أعراف، ولا أجراس تمزّق، بدون مساعدة من الرمح. أما ذلك الليل، الذي تصف أنه مرسوم على تُرْسه، مرصّعاً بالنجوم السماوية، فإني أعرف إنساناً يمكن أن يتخذ منه دليلاً صادقاً على التنبؤ لو سقط هذا الليل على عينيه المائتين، فإن من يحمل هذه الشارة المتكبّرة ستنطبق تماماً عليه: إنه يكون قد جعل هذا الوحي حكماً عليه، وحي تجاوز[1] الحدا في مواجهة توديا سأضع ابن أستاكوس Astacos الجريء ليحمي هذا الباب:. إنه من سلالة نبيلة جداً، ويوقّر عرش الشرف ويكره العبارات المتغطرسة: واذا كان يأنف من السفالات، فليس من عادته مع ذلك أن يكون جباناً: لقد نبت على جذور أبناء سلّون[2] Sillon الذين أبقى عليهم آرس (إله الحرب)، وهو الابن الحقيقي لأرض ثيبا ـ ميلانيپ! أما المعركة فستفصل فيها قرعة آرس؛ لكن حق الدم هو الذي يبعثه باسمه ليبعد عن الأرض ـ التي يدين لها بالمولد ـ رماحَ الأعداء.

الكورس: ألا ليت السماء تكفل النجاح لبطلنا، لأن لديه كل حق في النهوض لنجدة ثيبا لكني أرتعد من فكرة أن أتأمل يوماً الموت الراضي للأبناء الذين يسقطون من أجل أُمّهم.

الرسول: ليت الآلهة تمنحه إذن النجاح الذي أنت تريده له! ـ ثم إن القرعة

---

(١) نصيب توديا هو «ليل» الموت: فإن مالانيپ ستقتله. لكن مالانيپ هو الآخر سيسقط ميتاً في الحال، وتوديا وهو يعالج سكرات الموت سيلتهم جمجمته. والعبارات الأخيرة في قول الكورس هنا تشير الى هذه الوقائع التي يعرفها المشاهدون جيداً.

(٢) المعنى الحرفي: «الناس المبذورون»، والمقصود هم الناس المولودون من أسنان التنين التي بذرها كادموس. لم يبق على قيد الحياة منهم إلا خمسة.

قد وضعت بعد ذلك كبانيه Capanée أمام باب الكترا: إنه كافر فاسق هو الآخر أسوأ من الأول، وتصرفاته تدل على الغطرسة التي تتجاوز الانسان. إنه يوجّه إلى أسوارنا تهديدات رهيبة ـ فليحفظنا المصير من أن تتحقق! وسواء شاءت السماء أو لم تشأ، فإنه يؤكّد أنه سينهب هذه المدينة، وأن تحدّي زيوس نفسه له لن يوقفه مهما انقض هذا التحدي أمامه! إن البروق، ومربعات الصاعقة هو يشبهها بقيظ الظهيرة. وشارته عبارة عن رجل عالٍ يحمل النار؛ وإن شعلة ملتهبة تسلّح يديه، وهو يعلن بحروف من ذهب: «سأُحرق المدينة». في مواجهة مثل هذا المحارب أرْسِل... لكن من ذا الذي يستطيع مصارعته. مَنْ ذا الذي يستطيع ـ دون خوف ولا وجل ـ أن يتحمل هذا الرجل وادعاآته؟

اتيوكل: إنه يخلق لنا ميزة فوق ميزة! إن الرجال حين يكونون مملوئين بالغرور الجنوني، فإن لهجتهم هي أصدق مُتّهم لهم. إن كپانيا يهدد، وهو مستعد للانتقال من القول إلى الفعل؛ وهو يزدري الآلهة، ويستخدم فمه للتعبير عن استكباره الجنوني، ويجرؤ ـ وهو الانسان الفاني البسيط ـ على أن يبعث إلى زيوس في السماء بكلمات رنّانة مزمجرة مهدّدة؛ وأنا أوكد أن الصاعقة ستنقضّ عليه، محملة بالنار، ولن تكون شبيهة بحرارة شمس الظهيرة. ومن ناحية رجالنا نحن، فإن من بينهم ـ على الرغم من وقاحة لهجته ـ رجلاً قد قُيِّض له أن يواجهه، وهو پوليفونت Polyphonte القدير: إنه إرادة حامية، وحِصْنٌ مجرّب، وسينعم بعطف أرتميس الحامية وسائر الآلهة.

انتقل إذن إلى زعيم آخر وباب آخر.

الكورس: آه! ليهلك من يوجّه إلى ثيبا هذه التهديدات، وليسمّره في الأرض سهم من سهام الصاعقة، قبل أن يستطيع اقتحام منزلي، وبرمحه المتعجرف يرمي بي خارج غرفتي العذراوية!

الرسول: أنتقل الآن إلى من قررت له القرعة أن يهاجم أبوابنا. الرئيس الثالث هو اتيوكلوس Eteoclos، الذي وثب ما قدر له من الخوذة النحاسية[١] المقلوبة. لقد قرر أن يسوق كتيبته ضد باب نايست Naiste وهو يتجول بخيوله[٢]

---

(١) وهي التي أجريت بها القرعة.

(٢) إن الخيول تريد الاندفاع الى الأمام باستمرار، ولهذا يجب على الفارس المحارب، ان يستدير بها في جولات ليطامن من جموحها واندفاعها.

المزمجرة في لجمها، والتي تريد أن تثب نحو أبوابنا، وشراكها تنفخ بأصوات وحشية، مملوءة بنفخات أنوفها المتعجرفة. ودرعه تحمل شارة لا تتسم بالتواضع. . إنها تصوّر جندياً يصعد درجات سُلّم موضوع على سور العدوّ، ويريد أن يقلبه، وهو يصرخ - إن كنت أصدّق الحروف المرسومة إلى جواره - بما معناه أن آرس هو نفسه لن يلقي به إلى أسفل هذا الاستحكام. - إلى هذا ايضاً أرْسِل المحارب القادر على إبعاده عن مدينتنا، وإبعاد نير العبودية عنّا نحن.

اتيوكل: سأرسل في الحال بالمحارب الذي تريده - إن لم يكن لحسن الحظ قد أرسل فعلاً. إنه رجل لا يحمل ادعاءاته إلاّ في ذراعيه: إنه ميجاريوس Megareus، ابن كريون Creon، من سلالة أبناء سيلون Sillon. وما هو بالرجل الذي يترك أبوابنا لمجرد أنه خاف من زمجرة خيول ذات صهيل غاضب؛ بل هو رجل إما أن يدفع الدين الذي عليه للأرض التي غَذَّته فيموت في سبيلها، وإما أن يتغلب على المحاربين الاثنين والمدينة المرسومين على ذلك الدرع، ويجعل منهما غنائم يزين بها منزل أبيه. - خبرنا بدعاوى زعيم آخر ولا تبخل علينا بالتقارير.

الكورس: الصلوات تطالب كلها بالانتصار - فامْضِ أيها المدافع عن بيتي -، وبالهزيمة للآخرين. وإذا كانوا في هذيانهم يتوقحون على ثيبا بعبارات مليئة بالعجرفة - فيا ليت زيوس المنجّي يلقي عليهم بنظرة غاضبة.

الرسول: زعيم رابع، مكلّف بالباب المجاور، باب أونكا، يقترب منه وهو يصيح: هذا هو الشكل الجبّار لهپوميدون Hippomedon. حينما شاهدتُ كوة درعه الهائلة وهي تدور على ذراعه، فإني ارتعدتُ، هذا أمرٌ لا أنكره. صحيح أن صانع الشارة لم يكن صانعاً غشيماً صنع درعه بهذا الشكل: توفيا Typhée، من فمه المشتعل، ينشر بخاراً مسواداً كأنه دوّامة من النار المشتعلة بينما حلقات من الأفاعي تكوّن قاع الشريط الذي يدور حول الكرة الواثبة. وهو نفسه قد صاح صيحة الحرب، ودعا - وهو ممتلىء بآرس، إلى القتال، مَثَلَه مَثَل تو ياد Thyiade وهو يهذي، وعيناه تنشران الفزع. لا بد من اتخاذ كثير من الحيطة في مواجهة مثل هذا المحارب، لأن ادعاءاته قد أثارت الهلع بالفعل أمام أبوابنا.

اتيوكل: نعم! لكن أوّلاً پلاس أونكا، جارة ثيبا، التي تسكن بالقرب من هذا الباب، تكره خروجه عن الحدّ، ولهذا فإنها ستبعده عن أولادها. إنه أفعى رهيبة. ثم إن هوپربيوس Hyperbios، هو البطل الذي اختير فعلاً لمواجهة هذا المحارب.

إنه لا يدّعي إلاّ أن يسأل الحظ في وقت الحاجة[1]. وليس في سمته ولا قلبه ولا سلاحه ما يدعو إلى اللوم. وهرمس قد رتب الأمور خير ترتيب: إنه عدوّ يصارع عدوّاً، وسيصطدمان بالآلهة المتحاربين على تروسهم: فإذا كان أحدهم يحمل توفيا Typhée ذا الفم الملتهب، فإن هوپربيوس يحمل على ترسه زيوس، أبا الآلهة، راسخاً على عرشه، ومربّعات النار في يده - وبحسب علمي لم يشاهد أحدٌ زيوس[2] مهزوماً.

الكورس: أنا متأكدة أن من يحمل، على تُرسه، الجسم المقبور للخصم الكريه للسماء، وهي صورة يفزع منها الناس والآلهة الخالدون على السواء سيأتي أمام أبوابنا يخبط جبهته.

الرسول: ليكن هذا إذن! - وانتقل الآن الى الزعيم الخامس، الواقف أمام بابنا الخامس: باب الشمال، بالقرب من قبر أمفيون Amphion ابن زيوس. إنه يقسم على حَرْبته التي يمسك بها في قبضة يده، والتي يقدّسها أكثر من الإله، بل اكثر من عيونه - بأنه سيخرّب مدينة كادموس (= ثيبا)، على الرغم من زيوس. هكذا يتكلم ابن الأُمّ الجبلية هذا، ووجهه لطيف، وهو رجل - طفل، زغب مراهقته بدأ يبرز على صدغيه وينمو في خصل كثيفة من الشَّعر. لكن ليس في قلبه شيء من العذارى اللواتي يحمل اسمهن؛ وهو يقترب بعين متوحشة. إنه پرتنوپيه الأركادي Parthénopée! ومثل هذا المحارب ليس إلاّ نغلاً؛ لكنه في أرجوس التي ربّته يرى أن يدفع دينه مضاعفاً؛ ولا شك أنه لم يأتِ للمساومة على المعركة، بل جاء من أجل أن يشرّف السبيل الذي سلكه. ومع ذلك فإنه جاء أمام أبوابنا وعليه سيما الغطرسة، لأنه - على التُرس النحاسي - الذي هو متراس مستدير لحماية

---

(١) يعني أنه سيقوم بدوره حينما تقتضي الظروف ذلك، ولا يريغ إلى التفاخر مقدماً بالنصر، كما يفعل خصمه المذكور آنفاً.

(٢) في المخطوطات ها هنا تصوير لنفس الكلمة، ينبغي أن يحل محل البيت الأخير، كما فعل بعض المحققين للنص. وذلك كما يلي:

«هؤلاء هم أولياؤهم الإلهيون. أما نحن فإننا في صف المنتصرين بينما هم في صف المهزومين، إن صحّ أن زيوس في القتال أقوى من توفيا. من المحتمل اذن ان كلا البطلين سيواجه مصيراً مماثلاً لمصير الآخر وهو بريتوس، كما تدل على ذلك شارته. سيجد منقذاً في زيوس المرسوم على ترسه..

جسمه ـ راح يشهر الاهانة المفروضة على ثيبا ـ أعني: صورة الاسفنكس (الذي يأكل اللحم الطريّ)، وهذه الصورة مثبتة بمسامير، ولكنها تبرز بوضوح، وتعلّق تحتها كادموشيا، من أجل اجتذاب أكبر عدد من السهام الى المحارب.

اتيوكل: آه! لكأن الآلهة أصابتهم بمصير خليق بأفكارهم وبغطرستهم الفاسقة! لكأن في ذلك إبادة كاملة بائسة لهم: ـ أما فيما يتعلق بالأركادي الذي تكلّمنا عنه، فإن عندي محارباً لا غطرسة عنده، وذراعه ترى ما ينبغي عليه أن يفعله: إنه أكتور Actor، أخو المحارب السابق ذكره. إنه لن يسمح لهذا السيل من الكلمات التي ليس وراءها أفعال أن تزيد في المصائب في داخل استحكاماتنا، ولا أن تعبر أسوارنا إلى مَنْ يحمل صورة دابّة متوحّشة بغيضة على تُرس عدوّ. إن هذه الصورة هي التي ستجعل حاملها ينخرط في الشكوى، حينما ينصبّ عليها طَرقٌ عنيف ـ هذه المرّة في الجون[1]! ـ عند اسفل أسوارنا. ليتني أَصْدق فيما أقول، إن شاءت الآلهة.

الكورس: الكلمات تنغرز في صدري، وشعوري المصفرّة تنتفض، حينما أسمع وقاحة هؤلاء المتعجرفين الفاسقين تتكلم. آه! ليت الآلهة تبيدهم على هذه الأرض.

الرسول: وانتقل الى السادس: إنه شجاع وعاقل معاً في القتال، إنه العرّاف القدير: أمفياراوس Ampharaos. إنه يقف أمام باب هومولوئيس Homolois، ويطارد بشتائمه توديا القدير «توديا القاتل[2]، مثير الاضطرابات في مدينته، وفيما يتعلق بأرجوس هو السيد الأكبر في المصائب، وأداة أرونيس Erynis،[3] وخادم الموت، ومستشار أدراست Adraste في كل هذه المصائب»! ثم إنه يدور بنظراته حول أخيك: فولونيقس، وعيناه مشرعتان نحو أعلى[4]، وفي النهاية يناديه مرتين، ناطقاً باسمه، وهذه الكلمات تخرج من فمه: عمل جميل، محبوب من السماء،

---

(١) حرفياً: إنها من الخارج صوب الداخل ستجعل من يحملها يشكو حينما تتلقى طرقاً متواصلاً في أسفل بيتنا».

(٢) اضطر توديا الى الذهاب الى المنفى بعد قتله أحد أقربائه.

(٣) حينما تأتي إلهة الانتقام لترغم الجناة على دفع ما عليهم من دين، فإن توديا يكون الى جانبها. كشاهد الى جانب الدائن.

(٤) النص هنا محرّف تحريفاً لم يستطع احد إصلاحه. على نحو مرضيّ.

مجيد للأسماع، ويكرر لأبناء أخيك: هذا القول: تدمير بلد آبائه، وآلهة جنسه، مرسلاً ضدهم جيشاً أجنبياً! هل هي شكوى تمكن من إنضاب الينبوع الأمومي؟ لعل أرض الوطن، التي فتحت بالرمح بفضل مجهوداتك - هي التي ينبغي أن تخدم قضيتك؟ فيما يتعلق بي، فإني سأسمّن هذه الأرض، بوصفي عرّافاً مختبئاً في أرض العدو. فلنقاتل: إن الموت الذي أتوقعه لن يكون خِلواً من المجد». هكذا تكلم العرّاف، بينما كان يحمل تُرساً من البرونز الثقيل. لكن لم تشاهد أية شارة على الكرة، لأنه لا يريد أن يظهر بمظهر البطل، بل يريد أن يكون بطلاً بالفعل، ويستثمر في قلبه الخط العميق الذي منه نشبت الخطط النبيلة. - وأنا أدعوك أن توجّه ضد هذا الشخص خصوماً حكماء وشجعاناً في وقتٍ واحد. إنه رهيب هذا الذي يوقّر الآلهة.

اتيوكل: وا أسفاه! أية علامة تقرّب هنا بين العادل والفُسّاق! في كل مغامرة، لا شيء أسوأ من الرفاق الأردياء! إن المحصول منهم لن يدخل في مخزن[1]. لو أبحر رجل تقيّ صالح مع تجار متحمسين لإرتكاب جريمة، فإنه سيهلك مع رفقته اللعينة. وإذا اشترك إنسان عادل مع مواطنين غير كرماء، قد نسوا حق السماء، فلا مناص من أن يؤخذ في نفس الشبكة: إنه سيسقط تحت وطأة السيف الإلهي الذي لا يميّز بين الناس! وهكذا الحال في شأن العرّاف، ابن أويكليا Oiclée: الرجل العاقل، العادل، الشجاع، الوَرِع، والنبيّ الشهير، متى وجد - على الرغم منه مشتركاً مع فُسّاق ذوي لهجة وقحة، متورطين في طريق العودة منه ستكون طويلة: فإنه سيلتقط في نفس الشبكة، إن شاء زيوس. - وأنا أعتقد انه لن يهاجم أبوابنا - لا لأنه خالٍ من الشجاعة أو واهي الإرادة. ولكن لأنه لا بد يعلم أنه سيسقط صريعاً في المعركة، إذا لم تكن تنبؤات لوكسياس زائفة، وقد اعتاد ألا يقول إلاّ ما هو لائق، أو يعتصم بالصمت. ومع ذلك فإننا سنضع في مواجهته بوّاباً مضيافاً هو

(١) أولج في النص في هذا الموضع بيت شعر منقول إما عن مسرحية أخرى لاسخولوس، أو عن شاعر مأساوي آخر - وهو: «في حقل الخطأ يحصد الموت». وهذا البيت لا محل له ها هنا. إن الخطأ المقصود ها هنا هو ذلك الذي يسببه رفاق فاسدون، لا ذلك الناشيء عن الخطأ. ثم إن هذه الفكرة لا تتفق مع حقيقة أمفياراوس، فإنه رجل فاضل. كما ان أمفياراوس لن يصاب بالموت: فإن الآلهة قد قرروا أن تنشق الأرض وأن تبتلعه وهو حي ومعه عربته، في اللحظة التي سيصيبه فيها رمح لاشين.

لاشين Lasthene القدير: ولئن كانت روحه روح عجوز، فإن عضلاته شابّة وعينه حادّة، وذراعه مستعدّة كي تضرب بالنبال الجانب المكشوف من الترس. لكن، بالنسبة إلى بني الإنسان الفانين، النجاح ليس إلاّ هبة من الآلهة.

الكورس: ليت الآلهة تسمع وتحقق دَعَواتي العادلة، ابتغاء أن يكون النجاح من نصيب ثيبا، ؛ وليتها تنزل بلايا الحرب على المعتدين علينا! ويا ليت زيوس، في خارج أسوارنا، يضربهم بصواعقه ويقتلهم!

الرسول: سأنتقل الآن إلى الرئيس السابع الواقف أمام الباب السابع - إلى أخيك أنت، وإلى المصير الذي يطلبه لهذه المدينة في دعواته ولعناته. إنه يريد، بعد أن يتسلّق أسوارنا، أن يعلن أنه انتصر، وأن ينشد نشيد الغزو، وأن يصارعك أنت فإما أن يسقط ميتاً، بالقرب منك، أو أن يقتلك ويسقط ميتاً بالقرب منك، أو - إن تركه حيّاً مَنْ سلبه مِنْ حقوقه، ينفيك بدوره خارج ثيبا فيكون انتقامه معادلاً لانتقامك منه. هذا هو ما يعلنه متوسلاً إلى آلهة الأجداد في أرض الآباء ان يسهروا على تحقيق أمانيه، أماني فولونيقوس القدير! وهو يحمل ترساً مستديراً، صُنِعَ حديثاً رسمت عليه شارة مزدوجة: محارب منحوت بالذهب تقوده امرأة، وهي تقوده وجبينها هادىء. وهي تطالب بالعدالة، كما تدل على ذلك الحروف المكتوبة الى جوارها: «وساعد هذا الرجل من أجل أن يستعيد مدينته ومدخل مسكنه الذي ورثه عن أبيه».

إني أخبرتك بالدّقة عن مقاصدهم: ولن تجد ما تعيبه على تقاريري؛ وقرر وحدك القرار الذي ستصدره إلى المدينة.

(الرسول يخرج)

اتيوكل: آه! يا له من جنس غضوب، تكرهه الآلهة أشد الكراهية؛ جنس أوديب - جنسي أنا! - جدير بكل الدموع؛ واأسفاه! لقد تحققت اليوم لعنات الوالد! لكن ليس من اللائق البكاء ولا الشكوى - خوفاً من توليد مآسي أشد تغلي على جبيني. وفيما يتعلق بفولونيقس هذا - وقد أُحسنت تسميته بهذا الإسم[1] - فستعرف عما قليل إلى أي حد ستتحقق شارته وهل من أجل إرجاعه تكفي

---

(١) المعنى اللغوي لهذا الاسم هو: «صاحب المشاجرات العديدة».

الحروف الذهبية المنقوشة على التُرس وهي سيل من الوقاحة متدفق من قلب في هذيان. لو كانت العذراء بعد، زيوس وهي: «العدالة» في أعماله وفي روحه، فهذا سيكون ممكناً. لكن «العدالة» لم تشرّفه بكلمة واحدة ابداً بعد، لا في اليوم الذي فيه هرب من ظلمات رحم أمّه، ولا حين كبر، ولا حين دخل في سن المراهقة، ولا حين تكونت خصلة من الزغب على ذقنه. ولا أظن أنه في اللحظة التي فيها ينجّس أرض آبائه، يمكن أن تكون العدالة في صفه، وإلاّ لكانت خائنة تماماً لاسمها، هذه العدالة تنضم حينذ إلى إنسان لا ترعوي جرأته عن أيّ شيء. هذا هو ما أومن به، وسأتولى أنا مواجهته وإلاّ فمن هو المرشح لمثل هذا غيري أنا؟ مَلِك ضد ملك، أخ ضد أخ، عدوّ ضد عدوّ: هكذا سأخوض القتال ضده. هيّا! أحضروا إليّ أغطية الركبة لحمايتي من الحجارة والنبال.

رئيسة الكورس: لا، يا أعزّ الرجال، يا ابن أوديب! لا تُصِرّ في غضبك شبيهاً بذلك الذي يتكلم لغة اجرامية كهذه! حسبُنا أن الكادموسيين سيتقاتلون ضد الأرجوسيين. من هذا الدم يمكن أن يتطهر الانسان. أمّا قتل أخوين، يسقطان تحت ضربات متبادلة، فهذه نجاسة لا يمكن أن تشيخ أبداً.

اتيوكل: احتمال مصيبته لا يصحبها عار ـ هذا ممكن؟ لأنه لا يوجد أيّ مكسب آخر يبقى عند الأموات. أما المصائب المصحوبة بالعار أيضاً فلن تحظى أبداً بالسمعة الحسنة!

الكورس: ما هذا الهذيان، يا أيُّها الوَلَد؟ لا تدع الضلال الناشىء عن جنون قاتل يملأ قلبك ويعصف به. انبذْ حتى مبدأ هذا المطمع الرديء.

اتيوكل: ما دامت السماء نفسها تعجّل بالأمور، فلتذهب موجة كوكوت Cocyte بحسب الريح التي تدفعها نحو مصيرها، هذا الجنس البغيض الى نفس فويبوس، جنس لايوس كله!

الكورس: آه! بأية سنّ قاسية تعضُّك إذن الرغبة التي تدفعك ـ رغم ثمارها المرّة ـ إلى القيام بسفك دمٍ محرّم عليك!

اتيوكل: ذلك لأن «اللعنة» الأبوية السوداء البغيضة، ودون أية دمعة في عينيه الجافتين ها هي ذي تقترب وتقول لي: مكسبٌ كلُّه أن يموت المرء مبكراً لا مؤخراً».

الكورس: إذن! قاوِم من يريد أن يجرّك. لن توصف بالجبن لأنك أفلحت في البقاء حيّاً. وآلاهة الانتقام ذات الشارة السوداء الموكلة بهذا البيت ألن تخرج منه في اليوم الذي فيه الآلهة سيرضون عن الضحيّة التي قدّمتها يداك؟

اتيوكل: الآلهة! إنهم لن يهتموا بعدُ بي. إن قربان موتي هو وحده الذي له قيمته عندهم. هل لا يزال عندي سبب لتملق موت يزيلني من الوجود؟

الكورس: نعم، اليومَ على الأقل، بينما هو قريب جداً. لكن مع الزمن فإن «المصير» يمكن أن يفيد الخطة وينفحك بنَفَس أكبر رحمة. أما اليوم، فإنه غاضب هائج.

اتيوكل: من الذي أثار هذا الغضب الهائج؟ لعنات أوديب. كانت صادقة جداً الرؤى التي رأيتها في أحلامي، وقسمت أملاكي.

رئيسة الكورس: اذهب، وأصغِ إلى النساء، مهما كان ذلك ثقيلاً على نفسك.

اتيوكل: أسْدي إذن نصائح يمكن اتباعها، وبدون خُطَبٍ طويلة!

رئيسة الكورس: لا تسْلُك هذا الطريق: لا تذهب إلى الباب السابع.

اتيوكل: إن قلبي مشحوذ: فالكلمات لن تفُلّ من حدّه.

رئيسة الكورس: إن النجاح، حتى لو كان الحصول عليه قد تم دون مجد، هو شاهد على رضا الآلهة.

اتيوكل: لا يليق بالجندي أن يأخذ بهذا المَثَل.

رئيسة الكورس: ماذا؟ هل تريد أن تطيح بحياة أخٍ لك؟

اتيوكل: لا يستطيع أحدٌ أن يُفلِت من المصائب التي ترسلها إليه الآلهة.

(يخرج وهو يجري)

الكورس: أخشى أن تلك التي تدمّر البيوت، الإلاهة القليلة الشبه بالآلهات، المتنبئة الصادقة جداً في تنبؤاتها بالمصائب، إلاهة الانتقام التي تمناها الوالد - أخشى أن تنفّذ اللعنات الغاضبة التي تفوّه بها أوديب وهو في حالة من الجنون: إن هذا النزاع يلقي بأبنائه الى التهلكة.

إنَّ من يحرّك نرد الحظ، خالوب Chalybe الغريب، المهاجر من اسقوثيا، القاسي في تقسيم الأموال، الحديد ذو القلب القاسي قد قرر، وهو يهزّ النرد، أنهم لن يشغلوا من أراضيهم إلاّ ما يمكن أن يشغله الميت ـ وسيحرمون إلى الأبد من مزارعهم الشاسعة!

وحينما يموتان كلاهما قَتْلاً، كلا الأخوين قتل أحدهما الآخر، وحينما تشرب الأرض الدم الأسود المتخثر الذي سفحه القتل، فمن ذا الذي يستطيع أن يتولى تطهير ذلك؟ ومَنْ الذي يستطيع أن يغسله عنهما؟ آه! هذه آلام جديدة تمتزج بالآلام الماضية!

إني أُفكّر في الخطيئة القديمة، التي عوقبت بسرعة، والتي يمكن أن تستمر إلى الجيل الثالث، خطيئة لايوس Laios الذي تمرّد على أپولون، وعلى فوثو Pytho ثلاث مرّات: معبده الذي يجري فيه التنبؤ، وهو مركز العالم، وقد أعلن له أنه يجب أن يموت دون أولاد إن شاء نجاة ثيبا.

لكن لايوس خضع لضلال رقيق[1]، وأنجب موته هو، أوديب قاتل أبيه، والذي تجاسر على أن يلقي بالبذور في الخط المقدس الذي تكوّن فيه، وأن يغرس فيه جذراً دامياً: إن الجنون جمع بين الزوجين في الجنون[2]!

والآن، فإن بحراً من المصائب يتدفق بأمواجه نحونا. وإذا انهارت إحدى الأمواج تلتها أخرى أعتى منها ثلاث مرات، تزمجر وتخلي حول مؤخر مدينتنا وبينها وبيننا لا يمتد أيّ دفاع غير ما سمكه متراس صغير؛ وأخشى أن تسقط ثيبا ومعها ملوكها[3]. فها هي ذي لعنات الماضي تتحقق على نحوٍ أليم. والبائسون يشاهدون الكوارث تمر الى جوارهم. لكن عليهم ـ على عكس ذلك ـ أن يلقوا بالكثير من الحمولة من أعلى مؤخر سفينتهم: المغامرون الفانون الذين زاد ثراؤهم زيادة مفرطة.

مَنْ من الناس نَعِم بالآلهة الجالسين في معبد ثيبا وفي السوق المزدحمة،

---

(١) هو الرغبة في أن يكون له ذرية. وكان الحرمان من الذرية أمراً قاسياً على نفوس الأقدمين، لأن ذلك معناه زوال الأسرة، وبالنسبة إلى الأب: انعدام الأضاحي الجنائزية التي يطلبها الموتى وهم في العالم السفلي.

(٢) المقصود هو يوكاسته ولايوس.

(٣) وحي أپولون كان مهدداً لثيبا، بقدر ما كان مهدّداً لسلالة ملوكها.

مثلما كان أوديب موقراً منذ أن خلّص هذه الأرض من الوحش الذي كان يغتال رجالها؟ لكن لما أن أدرك هذا الشيء النجس: حقيقة زواجه، فإنه ـ في ألمه الشديد، وفي هذيان نفسه ـ أتمّ شقاءه المزدوج: فبيده القاتلة لأبيه اقتلع عينيه، عينيه الأثمن من أبنائه! وضد أبنائه، أيضاً ـ وقد غضب من قلة رعايتهم[1] له ـ أطلق لعنات مرّة: إنهم سيتقاسمون أمواله والحديد في قبضة أيديهم! وأنا أرتجف الآن من أن تتحقق هذه اللعنات على يد إلاهة الانتقام ذات الركبة المَرِنة.

(رسول يدخل)

الرسول: اطمئنَّ يا نساء يا أصدق بناتٍ لأمّهاتكن: إن المدينة أفلتت من نير العبودية: لقد انهارت تنفُّجات هؤلاء المحاربين الأقوياء؛ إن ثيبا تنعم بالانفراج قبل ان تغرق تحت تصادم الأمواج. إن متاريسها تحميها؛ ونحن زوّدنا أبوابنا بأبطال مستعدين للدفاع عنها. وفي الجملة، كل شيء حَسَنٌ عند ستة أبواب؛ أما الباب السابع فقد احتفظ به لنفسه الإله الجليل، مولانا أپولون، من أجل ان يتم على سلالة أوديب عقاب لايوس وأخطاؤه القديمة.

رئيسة الكورس: أية محنة غير متوقعة لا تزال من نصيب ثيبا؟

الرسول: لقد نَجَتْ ثيبا. أما الملكان الأَخَوان...

رئيسة الكورس: مَنْ؟ ماذا تقول: إنّي سأُجَنُّ من الفزع.

الرسول: استردّي وعيك واسمعي: إن ذُرِّية أوديب...

رئيسة الكورس: وا حسرتاه! يا للشقاء! في وسعي أن أتنبأ بالمصيبة التي وقعت.

---

(١) في مسرحية Thébaide لعن أوديب أبناءه مرتين: ففي ذات يوم وضع فولونيقس أمامه المائدة الفضية وكأس كادموس الذهبية. فلما شاهد أوديب هذه الأشياء التي جاءت من لايوس شعر بأنه أُهين إهانة بالغة بفعل فولونيقس هذا، فأطلق ضد أبنائه هذه اللعنة: «أنهم لن يتقاسموا أمواله بالمعروف والتعاطف، ولن يكون بينهم إلاّ الحروب والمعارك» وفي مرة أخرى تالية بعث إليه أبناءه، بعد ذبح أضحية، بورك الضحية، لا بكتفها: ومعنى هذا أنهم رفضوا ان يعطوه القطعة المخصصة للملك، أي أنهم أعلنوا سقوطه! هنالك توسل أوديب إلى زيوس أن «ينزلهم الى العالم السفلي كل واحد منهم بضربة من أخيه» (حاشية على أوديب في كولون» لسوفقليس، البيت رقم ١٣٧٥ ـ راجع ترجمتنا لـ «مآسي سوفقليس»).

واسخولوس قد مزج هاتين اللعنتين معاً في لعنة واحدة..

الرسول: لا شك أنها تعضُّ على التراب...

رئيسة الكورس: مطروحة على الأرض هناك بلا حياة؟.. آه! مهما تكن الكلمة قاسية، فانطق بها.

الرسول: لقد مزّق كلاهما الآخر بيديه الأخويتين!

رئيسة الكورس: وكان الإله عادلاً معهما معاً. إنه هو الذي أهلك هذه السلالة البائسة.

الرسول: في هذا مادة للسرور وللدموع. إن ثيبا ظفرت بالنصر؛ لكنَّ مَلِكَيْها، رَئِيسيْ جيشها، تقاسما كل ثروتهما بواسطة الحديد الاشقوزي المصنوع بالمطرقة، ولن يملكا من الأرض إلاّ ما سيجدانه في القبر الذي دفنتهما فيه التمنيات الشقيّة لأبيهما[١].

(الرسول يخرج)

رئيسة الكورس: أي زيوس العظيم! ايتها الآلهة السادة على ثيبا: يا مَنْ تفضلتم بالدفاع عن استحكامات كادموس!

أينبغي عليّ أن أُسَرَّ وأن أُحيّي بصياح ورع المخلِّص[٢]، الذي حفظ مدينتنا من كل شرّ؟ أو أن أبكي على زعمائها في الحرب البائسين المتألمين المحرومين من الذُّرِّية، والذين ـ من أجل تبرير أسمائهم بوصفهم: «ساعين إلى المنازعات»[٣] حقاً، قد هلكوا في خلافٍ فاسق؟

الكورس: إيه أيتها اللعنة السوداء الجبّارة، لعنة أوديب[٤] وسلالته! إن برداً قاسياً يغشى على قلبي!

إني أُردد النشيد الخاصّ بالقبر، في هذيان ثياد Tyiade، حين أسمع عن الجثث الدامية التي سقطت سقوطاً بائساً. إن تلاقي هذه الرماح كان منحوساً!

---

(١) يتلو هذه الأبيات العبارة التي تبدو تكراراً وتقول: «المدينة قد نجت، لكن الأرض قد شربت دم الملكين الأخوين المسفوح بواسطة قتل متبادل».

(٢) المقصود هو: زيوس المخلص.

(٣) إن مصير فولونيقس لا ينفصل عن مصير أخيه اتيوكل، واسمه يعبّر ويتنبأ بمصيرهما المشترك.

(٤) أي: التي أطلقها أوديب وارتبطت بسلالته.

والكلمة التي تفوّه بها الأب قد أصابت إصابة قاتلة! وعدم لين لايوس قد أطال آثاره. والجزع يخنق المدينة؛ والتنبؤات لا تتلطف. آه! أيها المحاربون البائسون، لقد أنجزتم ما كان من غير الممكن التجرؤ على تصديقه! وها هي المصائب التي لا ترحم قد وقعت إذن، ولم يَعُد الأمر مجرد كلام!

(يُؤتى بجثتي اتيوكل وفولونيقس)

ها هوذا ما ينطق بأوضح كلام: إن عيوننا تشاهد ما رواه الرسول. إن نصيب كل واحد من المحاربين الاثنين، المثيرَيْن لجزعنا المزدوج، وقتل كل واحد من الأخوين لأخيه: كل هذا ماثل أمامنا الآن. ماذا أقول؟ نعم، ماذا أقول، غير أن الآلام قد جاءت لتأخذ مكانها في هذا البيت؟

هيّا، يا صديقاتي، استسلمن لريح المناحات، واضربن رؤوسكن بأيديكن، وردّدن خفقات المجاذيف التي تصاحب الموتى، وتقود دائماً خلال نهر أخيرون السفينة ذات الشراعات السوداء، غير متأثرة بالمناحات، نحو الشاطىء الذي لا يعرف أپولون، ولا الشمس، الساحل المستور الذي اليه يذهب كل الفانين.

[لكن ها هي أنتيجونا واسمينا قد جاءتا لأداء واجب قاس هو: انشاد النشيد الجنائزي لأخويهما. ولا شك في أنهما بصدريهما الفاتنين ذوي الثنايا العميقة، سيعبّران عن ألم عادل. لكن من العدل أن ننشد ـ قبلهما ـ النشيد الحزين لأرنيس Ernys وأن نردد ايضاً نشيد هادس البغيض: وأنتما، يا مَنْ مِن بين النساء اللواتي يحزمن ملابسهن بحزام كنتما أبأس البائسات بأخيهما، ـ إنني لن أبكي، ولن أنوح ولن أتظاهر بالصرخات الحادّة التي تنطلق فوراً من قلبي][1].

(ينقسم الكورس إلى نصفين يجيب أحدهما على الآخر)

وا أسفاه! وا أسفاه! أحمقان، لم يصغيا إلى نصائح أصدقاؤكما، صانعان للشرور لا تكلاّن، لقد تملكتما، أيها البائسان، بيت أبيكما بالسيف. آه! أجل! أنتما بائسان لقيتما موتاً بائساً من أجل تدمير أُسرتكما!

وا أسفاه! وا أسفاه! لقد دمرتما جدران بيتكما، بعد ملكية مريرة، ها أنتما قد تصالحتما بالسيف من الآن فصاعداً.

---

(١) يرى بعض النقاد والمترجمين أن هذه الأبيات قد أولجها هنا شاعر مجهول، من أجل ان يمهّد لدخول ابنتي أوديب ليجعلهما ينشدان النشيد الجنائزي التالي.

إن أرنيس القوية قد صدّقت على تمنيات أوديب، أبيكما مضروبين، نعم، مضروبين في الجانب الأيسر، في الجانب الأخوي، قد سقطتما أيها البائسان. وا أسفاه! تعيسان! وا أسفاه! لعنات كانت السبب في هذا القتل المتبادل!

بالضربات التي ضُرِبا بها اخترقا بيتهما مثلما اخذت جسميهما، وقد أعماهما جنون مُطْبق وخلاف ناشىء عن لعنة أبيهما.

إن نواحاً يسري خلال المدينة. استحكاماتنا تنوح، وهذه الأرض التي أحبتهما تنوح. لآخرين ستصير هذه الأملاك، التي هي السبب في كارثتهما، هذه الأملاك التي تسببت في نزاعهما وموتهما.

والحنق في قلبيهما تقاسما أملاكهما قسمة متساوية؛ لكن الوسيط لا يخلو من اللوم في نظر أصدقائهما، و«آرس» كان قاسياً عليهما.

هذه هي الحال التي وضعتهما فيها ضربات السيف. لكن، بعد ضربات السيف، ماذا ينتظرهما؟ جُزْءٌ من قبر آبائهما.

إن نواحاً صاخباً في بيتهما يرافقهما، نواحاً يمزّق القلب وينوح على نفسه ويتألم لنفسه، ويُحْزِن النفس ويطرد السرور، وينتزع من قلبي دموعاً صادقة، قلبي الذي يحترق وهو يبكي على هذين الأميرين.

يمكن أن يقال عن هذين البائسين انهما أهلكا في القتال كثيراً من المواطنين وكثيراً من الغرباء في صفوف الأعداء. بائسةٌ بين كل النساء اللواتي يسمين أمّهات تلك التي أنجبتهما. لقد أنجبنهما من ابنها هي الذي اتخذته زوجاً لها ـ وهكذا انتهيا تحت الضربات المتبادلة بأيديهما الأخوية.

أجل هما أخوان، أضاع كلاهما الآخر بالكراهية التي فصلت بينهما، والصراع الجنوني الذي أنهى نزاعهما. وأخيراً انتهت كراهيتهما؛ وفي الأرض المغمورة بدمائهما اختلطت حياتاهما وهما حقاً من نفس الدم. لقد كان قاسياً الحَكَم الذي فصل في نزاعهما، الأجنبي الذي من بُنْطش. السيف الحاد الخارج من الفرن؛ وقاسٍ أيضاً القاسم الشرير الذي قسم ثروتهما: آرس، الذي صدّق على اللعنة التي نطق بها أبوهما.

هذان البائسان كان لهما نصيب في المصائب التي فرضتها الآلهة وقررها

لمصير وتحت جسميهما ستكون لهما ثروة التراب التي لا قاع لها. آه! لقد بلغا لذروة بالمصائب العديدة التي أصابت سلالتهما. لكن اللعنات جعلت النشيد الحاد لانتصار يتردد، بعد أن هزمت السلالة هزيمة كاملة. إن غنيمة آتيه Até تقف عند لباب الذي اصطدما عنده، وتوقف الإله بعد أن هزمهما كليهما.

أنتيجونا (مخاطبة فولونيقس): أنت ضَرَبْت، أنت ضربتَ.

(الموكب الجنائزي ينظم، ثم يتحرك».

اسمينا (مخاطبة اتيوكل): أنت مُت، بعد أن قَتَلْتَ.

أنتيجونا: أنت قَتَلت بالرمح

اسمينا: أنت هَلكت بالرمح.

أنتيجونا: أنت تسببتَ في مصيبة.

اسمينا: انت عانيت مصيبة.

أنتيجونا: ها أنت طريح.

اسمينا: بعد أن قَتَلْتَ.

أنتيجونا: يا زفراتي، انطلقي.

اسمينا: يا دموعي، سيلي.

انتيجونا: وا أسفاه!

اسمينا: وا أسفاه!

أنتيجونا: الألم يصيبني بالجنون.

اسمينا: إن قلبي ينوح في صدري.

أنتيجونا: ستكونين أنت دائماً حزينة!

اسمينا: وأنتِ ايضاً، ستكونين دائماً بائسة.

أنتيجونا: أنت قد هَلَكْتِ على يد أخ.

اسمينا: وأنتِ أيضاً، أنتِ قتلتِ أخاً.

أنتيجونا: حُزْنٌ مزدوج يُتكلّم عنه.

اسمينا: حزن مزدوج يُشاهد.

أنتيجونا: شقاء مزدوج نراه أمام أعيننا.

اسمينا: شقاء أخوينا تحت مرأى أختيهما.

أنتيجونا واسمينا معاً: آه! أيتها «الپارك» Parque أنت قاسية في توزيع المصائب! وأنت أيها الشبح المقدس لأوديب! آه! يا «أرتميس» السوداء، إن قوّتك هائلة!

أنتيجونا: أنت تعلمين هذا، لأنك جرّبتها.

اسمينا: وأنتِ، لم تتأخري في معرفتها.

أنتيجونا: لما عُدْتِ إلى بلدك.

اسمينا: وأنت حينما صدمت رمحك برمحها!

أنتيجونا: شقاء يعزّ على النفس تذكره!

اسمينا: شقاء يعزّ على النفس رؤيته.

أنتيجونا: آوه! الألم!

اسمينا: أوه! البلاء!

أنتيجونا: بلاء على القصر وعلى البلاد.

اسمينا: وعليَّ أنا أيضاً.

أنتيجونا: وا حسرتاه! وا حسرتاه! أمير مصائب جدير بالرثاء!

اسمينا: وا حسرتاه! أحق الناس بالرثاء.

أنتيجونا واسمينا معاً: وا حسرتاه! لقد أعماهما آتيه Até.

أنتيجونا: آه، آه. أين نقبرهما؟

اسمينا: آه! في أشرف مكان.

انتيجونا واسمينا معاً: آه! آه! إن شقاءهما سيتقاسم مرقد أبيهما.

المنادي: أنا مُكَلَّفٌ بأن أعلن لكم ما قرره مستشارو الشعب في مدينة كادموس. لقد قرروا، فيما يتعلق باتيوكل ـ نظراً لإخلاصه لوطنه ـ أن يحفر له قبر وأن يدفن فيه بورع وتقوى. لقد كان مملوءا بالكراهية للعدو، ولهذا أراد ان يموت في وطنه. لقد كان طاهراً ولا تثريب عليه فيما يتصل بمعابد آبائنا، فمات حيث يطيب للشباب أن يموتوا. هذا هو ما طلبوا مِنّي إعلانه فيما يتعلق به. أما فيما

يختص بهذه الجثة الأخرى، جثة أخيه فولونيقس، فسيرمى بها خارج الأسوار، دون أن تُدْفَن، كيما تمزقها الكلاب، لأنه كان سيخرّب أرض كادموس لولا أن أحد الآلهة قد أوقف رمحه. وحتى وهو ميّت فإنه سيظل نجساً بعدوانه على آلهة البلد، إذ أهانهم بأن وجه جيشاً أجنبياً لغزو هذه المدينة. ولهذا تقرر أنه ـ عقابا له على هذه الجريمة ـ سيدفن دفنة مجلّلة بالعار بأن تتخطفه الطير، ولا تتولى يدٌ إهالة التراب عليه وقبره، وألاّ يُشرّف بانشاد نشيد حادّ للنواح عليه، وألاّ تصحب جثته المحتقرة بأي واحد من أقاربه. ذلك هو ما قررته السلطات في مدينة كادموس.

أنتيجونا[1]: أما أنا فأعلن للزعماء الكادموسيين أنه إذا لم يرد أحدٌ أن يساعدني في دفنه فسأتولى أنا بنفسي دفنه. إنه أخي؛ ولهذا فإني سأواجه الخطر بأن أقوم بدفنه في قبر، ولن أخجل أبداً من عصياني وتمرّدي على قرارات المدينة. إنّنا كلينا مرتبطان ارتباطاً وثيقاً جداً بالاشتراك في الرحم الذي وُلِدنا منه، ونحن أبناء أمٍّ بائسة وأب سيىء الحظ. ولهذا يطيب لنفسي أن أشاطره بإرادتي في شقائه غير الإرادي، وأن أشهد، وأنا حيّة، للميت بعواطفي الأخويّة. إن لحمه لن يصير غذاءً للذئاب الجائعة؛ وليس لأحد أن يعتقد هذا؛ لأنني، وإن كنت امرأة، فإنني قادرة على أن أُزوّده بقبر أدفنه فيه، وسأحضر التراب في حجري الذي من التيل، وسأغطيه به، وليس لأحد أن يعتقد عكس هذا. وسأجد وسيلة فعّالة لتنفيذ خطّتي الجريئة.

المنادي: إني أُحذرك من التمرد هكذا على المدينة.

أنتيجونا: وأنا أُحذرك من أن توجّه إليّ إنذارات لا فائدة فيها.

المنادي: إن الشعب لا يقبل التساهل، وقد أفلت من كارثة.

أنتيجونا: لا يقبل التساهل، إن شئت؛ لكن هذه الجثة لن تبقى بدون دفن.

المنادي: رجلٌ تكرهه المدينة ـ أتريدين أنت أن تشرّفيه بقبر؟

أنتيجونا: هل الآلهة، حتى الآن، قد رفضوا أن يعطوه نصيبه من التشريف؟

---

(١) يرى المترجم الفرنسي مازون Mazon والمترجم الانكليزي مرّي Murray أن هذا المنظر الأخير هو من عمل نفس الشاعر المجهول الآنف الذكر، من أجل ان يعلن عن عصيان أنتيجونا، هذا العصيان الذي سيصبح موضوعاً اليفاً شائعاً منذ مسرحية «أنتيجونا» لسوفقليس. راجع ترجمتنا لها.

المنادي: كلا، على الأقل قبل الخطر الذي أوقع فيه المدينة.

أنتيجونا: إنه لم يفعل إلاً أن بادل الشرَّ بالشر.

المنادي: لكنه عاقبنا نحن جميعاً بسبب غلطة شخص واحد.

انتيجونا: إن النزاع يمنع أن تكون له الكلمة الأخيرة بين الآلهات. إنني أنا سأدفنه: فوفّر على نفسك الأقوال الطويلة.

المنادي: اتبعي وحدك خُطَطَك: لكني سأمنعك من هذا.

رئيسة الكورس: وا أسفاه! وا أسفاه! يا مدّمّرة الأجناس يا مستكبرة! يا كيرس ارنيس Kers Ernyes، يا من دمّرتِنّ حتى الجذور سلالة أوديب ـ ماذا سأصير؟ وماذا ينبغي عليَّ أن أفعل؟ ماذا أُقرّر؟ هل سيكون في وسعي أن أبكي عليك، وأنا أُشيّعك حتى القبر؟ لكني خائفة أيضاً وأُريد أن أصرف الرُّعب الذي تبثه المدينة في نفسي. ومع ذلك فإنك أنت سيكون لك باكيات عديدات، بينما هذا البائس سيذهب بدون نواح عليه، مشيّعاً بمرثية واحدة تنشدها أُخته المفجوعة: مَنْ يستطيع أن يصدّق هذا؟

رئيسة النصف الأول من الكورس: سواء أضربت المدينة أو لم تضرب أولئك الذين يبكون على فولونيقس، فإننا نحن سنذهب وسنشارك في جنازة ونكوّن موكبها إن الأمر يتعلق بحداد عام مشترك على السلالة كلها، وما تقرر الدولة أنه الحق، فإنه أحياناً يكون هذا وأحياناً أخرى يكون ذاك!

رئيسة النصف الثاني من الكورس: أما نحن فإننا سنشيّع ذاك، كما توصي بذلك الدولة والحق.

بعد «السعداء» (= الآلهة) وقوة زيوس، فله تدين مدينة الكادموسيين بأنها لم تُخَرَّب ولم تُغرّق تحت الموجة الأجنبية دون رحمة.

انتهت مسرحية

«السبعة ضد ثيبا»

مَسْرحيَّة «الفرسْ»



مُقَدّمَة «الفرس»

بقلم: الدكتور عبد الرحمن بدوي

ـ (١) ـ

الخلفية التاريخية

مسرحية «الفرس» لأسخولوس مسرحية تاريخية، موضوعها فصل مهم من تاريخ اليونان هو الحروب التي تسمى بالحروب «الميدية» ـ نسبة إلى ميديا، أي فارس القديمة ـ التي وقعت بين الفُرس واليونانيين في الفترة بين سنة ٤٩٢ ق.م و٤٧٩ ق.م. وتنقسم إلى حربين: الحرب الأُولى (٤٩٢ ق.م ـ ٤٩٠ ق.م)، والحرب الثانية (٤٨٤ ـ ٤٧٩ ق.م).

وكان السبب في قيام الحرب الأُولى أن الفرس كانوا قد استولوا على كل آسيا الصغرى التي كانت تتألف من مستعمرات يونانية أهمها: موسيا، وافروجيا، ولوديا (وأكبر مدنها: سرديس)، وايونيا (ومن اسمها جاء اسم: يونان، الذي أطلقه الجغرافيون العرب على الشعب اليوناني كله: ما كان منه في بلاد الاغريق الأصلية، وما كان منه في هذه المستعمرات اليونانية)، وكاريه). ـ فقامت ثورة في أيونيا ضد الحاكم الفارسي، بتحريض من أرستاجوراس، الطاغية الحاكم في ملطية وكان شاهنشاه (= ملك الملوك) فارس (من ٥٢١ ق.م حتى ٤٨٥ ق.م) هو داريوس. فأثار ذلك غضب داريوس ضد المدن اليونانية في آسيا الصغرى، فأرسل جيشه لإخماد ما ثار فيها من ثورات، وقام هذا الجيش بتدمير مدينة ملطية. كما أرسل

حملة ضد مدينة أثينا وارتريا لأنهما ساندا الثوار في أيونيا.

أ) الحرب الميدية الأولى (٤٩٢ ـ ٤٩٠ ق.م): وكانت الحملة الأولى بقيادة مردونيوس في سنة ٤٩٢ ق.م؛ لكنها أخفقت. فتلاها داريوس بحملة ثانية، تحت إمرة داتس Datis وأرطافرن Artapherne، عبرت البحر إلى أرض بلاد اليونان الأصلية. فاستولت على ارتريا (مدينة في جزيرة أيونيا)، في مواجهة مدينة ثيبا في اقليم أتيكا). ثم نزل الجيش الفارسي في سهل ماراتون (جنوبي ثيبا). لكن الأثينيين وحلفاءهم من پلاتايا، بقيادة ملتيادس انتصروا على الجيش الفارسي، وذلك في سنة ٤٩٠ ق.م فاضطر الأسطول الفارسي إلى العودة إلى آسيا الصغرى دون أن يحاول القيام بهجوم جديد. وأمام هذا الخطر الفارسي قام ثمستوكل (٥٢٥؟ ـ ٤٥٩ ق.م) وقد صار أرخون (حاكم على مدينة) في سنة ٤٩٣ بإجراء اشغال في مرفأ پيريه (ميناء أثينا) وبناء سفن حربية، وذلك في سنة ٤٨٣ ق.م. وكان رئيساً للحزب الديمقراطي في أثينا، وخصماً لرئيس الحزب الارستقراطي أرستيد Aristide الذي صار أرخون في سنة ٤٨٩ ق.م. لكن ثمستوكل تغلب عليه واستطاع أن يحمل شعب أثينا على اصدار قرار بنفي أرستيد.

ب) الحرب الميدية الثانية (٤٨٤ ـ ٤٧٩ ق.م): وتوفي داريوس في سنة ٤٨٥ ق.م فخلفه ابنه احشويرش Xerxes[1] (٤٨٥ ـ ٤٦٥ ق.م). فقام بحملة جديدة ضد بلاد اليونان الأصلية، اشترك فيها جيش برّي ضخم، واسطول حربي كبير التزم شواطىء آسيا الصغرى، ثم شواطىء اليونان.

فقام اليونانيون بمواجهة هذه الحملة براً وبحراً. فحاول ليونيداس (ملك اسبرطة) الذي كان يقود طليعة الجيش اليوناني أن يوقف تقدم الجيش الفارسي في شِعب ثرموپيل (حيث الممر ضيق بين سلسلة جبال أوتا والبحر)، لكنه أخفق في هذه المحاولة. واستطاع الجيش الفارسي أن يغزو بلاد اليونان الوسطى، وأن يستولي على أثينا ويدمّرها. لكن الأسطول اليوناني انتصر في خليج سلامين (أو: سلامينا ـ وهي جزيرة في خليج سارونيك، بالقرب من سواحل أتيكا ـ وذلك بفضل الفرقة الأثينية. وكان ذلك في ٢٨ سبتمبر سنة ٤٨٠ ق.م.

(١) يكتب في اللغة الفارسية القديمة: خشيآرشا؛ وفي العهد القديم من الكتاب المقدس: احشويرس، اخشويروش؛ وفي النقوش الآرامية: خشيأرش.

وفي السنة التالية ـ سنة ٤٧٩ ـ انتصر الجيش اليوناني، تحت إمرة باوسانياس ملك اسبرطة (توفي من الجوع في سنة ٤٧٧ ق.م!) في معركة پلاتايا، بينما الأسطول اليوناني، تحت قيادة اكسانتيپوس Xanthuppos الأيكي، هزم الفُرس عند رأس موكاله (في آسيا الصغرى، في شمال خليج لاتميك، في مواجهة ساموس): وبهذين الانتصارين الحاسمين صارت بلاد اليونان بمنأى عن غزو الفُرس.

تلك هي الوقائع التاريخية. فماذا فعل بها اسخولوس في مأساته: «الفرس؟» لقد أهملها كلها، واقتصر منها على شيء واحد هو هزيمة الأسطول الفارسي على يد اليونانيين في معركة: سلامين وپلاتايا!

ثم إنه زيّف الحقيقة التاريخية حين قارن بين داريوس وابنه أحشويرش: فزعم أن داريوس عاقل لأنه لم يقم بحملة بحرية على بلاد اليونان، بينما ابنه احشويرش أحمق طائش لأنه أرسل حملة بحرية لغزو بلاد اليونان الأصلية ـ والحقيقة التاريخية هي أن داريوس هو أول من قام ـ كما رأينا ـ بحملة برية وبحرية معاً ضد بلاد اليونان الأصلية بقيادة داتس وارطافرن، واستولت هذه الحملة على ايرتريا، في جزيرة يوبيا في مواجهة اقليم اتيكا الذي عاصمته أثينا، أي في قلب بلاد اليونان، ودمّرتها، ونزل الأسطول الفارسي في سهل ماراثون، على بعد بضعة أميال من أثينا، وذلك في سنة ٤٩٠ ق.م. ولولا انتصار اليونانيين في المعركة التي جرت في سهل ماراثون، لواصل جيش وأسطول داريوس تقدمه في أعماق بلاد اليونان.

إن أحشويرش، لما شعر بأنه خسر من القوة البرية والقوة البحرية ما فاق مراراً القوة التي ارسلها أبوه[1]، قام بهذه المغامرة التي انتهت بالإخفاق مثل سابقتها التي أرسلها أبوه.

ولهذا فإن اسخولوس لم يقل الحق حين أنطق شبح داريوس بما نطق به من «نصائح» مزعومة لإبنه أحشويرش.

فهل فعل اسخولوس هذا عن جهل بحقيقة نيّات داريوس؟ أو لأنه أراد المزيد من التشهير بأحشويرش وتوكيد أنه طيّاش متهور، على عكس أبيه داريوس الذي كان ـ في نظر اسخولوس ـ عاقلاً متزناً؟!

---

(١) أعد احشويرش لحملته بعناية فائقة: فشق قناة خلال ـ خليج شبه جزيرة جبل أتوس؛ وأقام جسرين على مضيق الهلسپونت (الدردنيل)؛ وأعدّ مخازن كبيرة في الطريق خلال تراقيا. وعقد محالفة مع قرطاجنة مما حرم اليونانيين من مساعدة سرقوسة.

وثم مأخذ آخر على اسخولوس من الناحية التاريخية ـ وهو أنه سرد أسماء خرافية لقوّاد الجيش والإسطول الفارسيين. إنها أسماء وهمية، ولا يخفف من ذنبه ها هنا ما زعمه بعض المدافعين عنه من أن هذه الأسماء ترنّ رنين الأسماء الفارسية. فهذا غير صحيح مطلقاً، وإنما ترنّ كلها إما رنين الأسماء اليونانية، وإما لا رنين لها مطلقاً ينتسب الى أي شعب.

وعذره في هذا أن اليونانيين في أيام تأليفه لمسرحيته هذه لم يكونوا على علم دقيق بأسماء هؤلاء القوّاد الفرس. وكان عليهم أن ينتظروا أن يؤلف هيرودوت «تاريخه» (ولد هيرودوت في هاليكوناس حوالى سنة ٤٨٠ ق.م، وتوفي في مدينة ثوريدي حوالى سنة ٤٢٥ ق.م) فزوّد اليونانيين لأول مرة بالأخبار الصحيحة الوفيرة عن الحروب الميدية ـ وهي الموضوع الرئيسي لتاريخه هذا ـ بعد أن قام بأسفار طويلة في العالم المعروف آنذاك، ومنه بلاد الفُرس.

ـ (٢) ـ

مسرحية «الفرس»

ومسرحية «الفُرْس» قد مثلت في ربيع سنة ٤٧٢ ق.م في عهد أرخونية (حكم) مينون Menon الذي عهد بالانفاق عليها إلى پركليس (٤٩٩ ـ ٤٢٩ ق.م) كمتعهد للكورس، وكانت سنُّه آنذاك السابعة والعشرين. وكانت هذه المسرحية واحدة من رُباع من المسرحيات هي: «فينيا»، و«الفرس»، و«جلوكس الذي من فوتنيس»، و«پرومثيوس». وقد حصل اسخولوس على الجائزة في تلك السنة. وقد ضاعت المسرحيات الثلاث الأُخرى، ولم يبق لنا إلاّ مسرحيتنا هذه «الفُرْس». وليس ثم دليل على أنه كان بين هذه المسرحيات الأربع أي ارتباط؛ بل كانت كل واحدة منها قائمة برأسها.

وقد عالج نفس موضوع مسرحيتنا هذه فروينخوس Phrynichos (في سنة ٤٧٦) ومن المحتمل أن ثمستوكل هو الذي تعهد بالإنفاق عليها. وكان الكورس فيها مؤلفاً من فينيقيات. وقد حيّا اسخولوس هذه المسرحية ونقل عنها في مطلع مسرحيته، البيت الأول من مسرحية فروينخوس.

والممثل الرئيسي في مسرحيتنا هذه هو الكورس، وهو مؤلف من شيوخ مخلصين للشاهنشاه احشويرش، وهم يؤلفون ما يمكن أن يسمّى بمجلس حكماء يديرون شؤون الامبراطورية الفارسية أثناء غيبة احشويرش، الذي قاد حملة ضخمة برية وبحرية لغزو بلاد اليونان. وهؤلاء الشيوخ في حالة انعقاد دائم في انتظار الأنباء عن تلك الحملة. وعلى الرغم من أنهم يعلمون ضخامة الجيش والأسطول الفارسيين المشاركين في هذه الحملة، فإنهم في قلق شديد على مصيرها.

وأخيراً وصل رسول، أعلن وقوع الكارثة: وهي أن الأسطول الفارسي قد دُمّر في سلامين، وأن صفوة القوات الشاهنشاهية قد أُبيدت في پسوتاليا Psyttalie؛ وأن أحشويرش، إزاء هذه الكارثة، قد أمر بالانسحاب، ولكن لم يتبق من الجيش والأسطول غير الشاهنشاه: أحشويرش، وحفنة من الرجال.

هنالك استدعى الكورس والملكة روح داريوس ليسدي إليهم نصائحه في هذا الموقف. ولبّت روح داريوس هذا النداء، فصعدت من العالم السفلي. فأخبروه أن ابنه اضاع الدولة الفارسية وهو يريد فتح بلاد اليونان. وهنا تنبأت لهم روح داريوس بأنه سينضاف إلى هذه الكارثة كارثة أخرى وهي أن اليونانيين سيبيدون الجيش الفارسي البرّي في پلاتايا. وراح داريوس ينصح أبناء وطنه بأن يقتصروا على الحرب البريّة في آسيا الصغرى، وأن يتجنبوا خوض حرب جديدة.

ثم اختفت روح داريوس ونزلت إلى مقامها في عالم الأموات. وهنالك أخذ الكورس في النواح على كارثته، وفي الشكوى من حماقة احشويرش، وفي تمجيد حكمة أبيه داريوس الذي لم يتهور - في زعمهم - ولم يغامر مغامرة ابنه.

وأخيراً وصل أحشويرش وهو ينوح. ويلوم نفسه على أنه جلب الكارثة على جنسه وعلى وطنه. ودعا الكورس إلى النواح والبكاء معه، فراح الكل ينوحون ويرثون لحالهم.

والفضل في انتصار اليونانيين على الفرس إنما يرجع - كما صرّح بذلك ثمستوكل (راجع تاريخ هيرودوت ٨: ١٠٩ س ٣) - إلى الآلهة والأبطال. أما الأبطال فإنهم الحماة الطبيعيون للأرض التي دُفنوا فيها، وقد حاربوا، وهم أموات، إلى جانب الأحياء لطرد الغزاة الفُرْس. أما الآلهة فقد عاقبوا المعتدي الأجنبي لأنه أحرق معابدهم وقلّب صورهم («الفرس»، البيت رقم ٨٠٩ وما يليه). لكنهم

عاقبوا هذا الغازي الأجنبي خصوصاً لأنه ـ بهذا الغزو ـ قد تجاوز حقه وانتهك قوانين المصير. إن المصير ترك له آسيا الصغرى، وسمح له بأن يدمّر المدن الثائرة فيها («الفرس»، البيت رقم ١٠٢ وما بعده). ذلك أن الآلهة لم تحفل بما يجري في آسيا، لأن مصير آسيا بحسب ما قدرته الآلهة، هو أن تتصارع فيها الشعوب ويهزم بعضها بعضاً. لكن ليس من حقهم أن يشقوا طرقاً جديدة نحو البحر: إذ البحر محرّم عليهم. أما عبور البحر إلى العروش الأوروبية فمعناه السقوط في أحبولة أتيه Até، إلاهة الخطأ الذي يُعمي الناس، وهو المضيّ في طريق الدمار. وهذه الفكرة يعبّر عنها بإصرار وعناد (راجع: «الفرس»، الأبيات ١٠٩، ٥٤٨، ٩٠٦، ٩٥٠، ١٠٧٥).

وسفن احشويرش هي التي أفضت به إلى الكارثة ـ هذا ما راح يردده هؤلاء الشيوخ المخلصون، وانخرطوا في نواح وبكاء على الامبراطورية الفارسية التي أضاعها احشويرش في معركة بحرية، هي معركة سلامين. وخلال هذا البكاء على هذه الأمبراطورية العظيمة نستشف افتخارهم بعظمتها: اذ راحوا يسردون أسماء كل الأماكن في تراقيا، وكل الجزر في بحر ايجه والتي كان قد استولى عليها داريوس، وأضاعها الآن ابنه احشويرش.

وقد أبدع أسخولوس في جعله المشاهد تحدث في السوس ـ في فارس ـ وليس في أثينا أو بلاد اليونان، لأن صنيعه هذا مكّنه من أن يحوّل المسرحية إلى مأساة باكية نائحة؛ ولو كان قد جعل المشاهد في بلاد اليونان لكانت المسرحية قد تحوّلت الى نشيد انتصار وتمجيد من جانب اليونانيين فخراً بانتصارهم. وإذا كان هذا الصنيع قد جعلها خالية من الأحداث والعُقَد، فبها ونعمت.

ـ (٣) ـ

موضوع «الفرس» في الموسيقى

وقد عالج نفس الموضوع في الموسيقى في العصر اليوناني القديم: طيموتاوس الملطي (ولد في ملطية Milet حوالى سنة ٤٥٠ ق.م، وتوفي حوالى سنة ٣٦٠ ق.م) وهو مؤلف موسيقي ومغنٍّ بمصاحبة القيثارة. وكان يمثل الموسيقى الجديدة التي سادت في العقود الأخيرة من القرن الخامس قبل الميلاد

والعصر التالي في بلاد اليونان. وهو يزعم أنه هو الذي كان أول من أدخل استعمال الإحدى عشرة نغمة (أو: وتر: كورديه) على القيثارة («الفرس» ٢: ٢٤١ ـ ٢٤٣) وقد هوجمت تجديداته هجوماً شديداً في أثينا واسبرطة.

ومن بين مؤلفاته الموسيقية العديدة يهمنا هنا أن نذكر ملحمة موسيقية بعنوان: «الفُرْس» Persai، قصد بها الإنشاد بمصاحبة قيثارة. وقد عثر على هذه الملحمة في سنة ١٩٠١ في أقدم مجموعة من أوراق البردى المصرية عُرفت حتى اليوم، إذ كتبت حوالى سنة ٣٥٠ ق.م وقد أمكن قراءة ٢٥٠ بيتاً منها، فيها يتغنى طيموثاوس بمعركة سلامين بأسلوب حافل رصين يتسم بالصنعة وبالمجازات الغريبة. ولم يحفل الشاعر بالمعنى والأهمية التاريخية لمعركة سلامين، إنما اهتم بإبراز الضجيج والواقع المثير. لكن بسبب كون ما وصل إلينا منها ضئيلاً، فمن الصعب أو المستحيل الحكم على هذا العمل الفني بدقة وانصاف. ذلك أن النصف الأول منها ضاع. وإنما بقي لنا أولاً ختام وصف معركة سلامين (١ ـ ٢١٤). وباستثناء الأبيات الخمسة والعشرين الأخيرة، التي تحتوي على أمر الملك أحشويرش بالانسحاب، وعلى احتفال اليونانيين بالانتصار، فلا نجد إلا ملامح من وصف المعركة وهزيمة الفُرْس.

وظلت هذه الملحمة الموسيقية لوقت طويل شائعة العزف شعبية في العصر القديم.

وفي العصر الحديث: ألّف الموسيقار الفرنسي موريس امانويل (ولد سنة ١٨٦٢، وتوفي سنة ١٩٣٨) مأساة غنائية بعنوان: «سلامين» استناداً إلى قصيدة من تأليف تيودور رانياك. وقد عُرِضت في باريس في سنة ١٩٢٩. والموضوع الرئيسي فيها هو كيف استقبل الشعب اليوناني نبأ انتصار اليونانيين على الفرس في تلك المعركة. وفي الفصل الثاني نرى الملكة أتوسّا ترفض تقديم القرابين لروح داريوس، وبعد ذلك نشاهد ظهور شبح داريوس، الذي ينعى على أحشويرش طيشه وغروره. وفي الفصل الثالث نجد الشعب الفارسي كله هو البطل. فأحشويرش تُصَبّ عليه اللعنات، والشيوخ والأرامل ينهالون عليه بالتوبيخ، والأُمّهات يعبّرن عن كراهيتهن له.

د. عبد الرحمن بدوي

باريس في ٢٣ فبراير ١٩٩٥



«الفرس»
شخصيّاتُ المسرحيّة

كورس مؤلف من مستشاري الشاهنشاه.

أتوسّا: زوجة داريوس، وأُم أحشويرش، ويعبر عنها بـ «الملكة».

داريوس: شاه فارس المتوفى: شَبَح.

احشويرش: ابن داريوس، مَلِك الفُرْس.


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(ما يشبه الرواق يكون زينة العُمْق وهناك يجتمع مستشارو الشاهنشاه الأُمناء. يدخلون بخطوات بطيئة في الأوركسترا).

رئيس الكورس: هؤلاء هم الذين من بين الفُرْس - وقد رحلوا اليوم لبلاد اليونان - يوصفون بأنهم الأُمناء وهم حُرّاس هذا القصر الفخم المطهّم بالذهب. وقد اختارهم، بحسب مراتبهم، مولانا أحشويرش، الملك، ابن داريوس، اختارهم للسهر على سلامة بلاده.

لكن قلبي، حينما أُفكر في عودة الملك، وعودة الجيش المحمَّل بالذهب - قلبي المبشر متسرّعاً بالمصائب، يضطرب في جوفي - فالقوة التي ولدت في آسيا قد ذهبت كلها! - أقول: إن قلبي يُرْعِد من كل قادم جديد[1]؛ لكن لم يصل أي رسول، ولا أيّ بريد راكب إلى مدينة الفُرْس!

لقد غادروا سوسة واكباتان (همذان) والاستحكات القديمة الكسپانية[2]: بعضهم راكبين الخيول، وآخرون على سُفن، والمشاة على أقدامهم يكوّنون العدد الأكبر من المحاربين. وهكذا ذهب للقتال: أمسترس[3]، وأرطفرنيس، ومجتابس،

---

(١) يشبه القلب بالكلب الذي ينبح في وجه كل قادم جديد لا يعرفه وهو تشبيه سبق ان استخدمه هوميروس في «الأوديسا» (النشيد رقم ٢، الأبيات ١٣ - ١٥).

(٢) كسپا منطقة جبلية في اقليم السوس، الممتد بين سوسة وهمذان.(اكباتان) ولكن يلوح من كلام اسخولوس هنا وفيما بعد أنه يعتبر كسپا: مدينة محصّنة.

(٣) كثر الجدال بين الباحثين منذ العصر القديم حتى اليوم حول حقيقة هذه الأسماء التي سردها اسخولوس: هل هي اسماء تاريخية، أو هي مجرد أسماء اخترعها اسخولوس ولم توجد في الواقع

واسطاسبس، قوّاد الفُرس، وهم ملوك تابعون للشاهنشاه، ورؤساء جيش عرمرم! ومعهم قوّاستهم الظافرون وفرسانهم الذين يثير مرآهم الرعب، وهم جبّارون في القتال، لأن قلوبهم قويّة العزم. وأرطمبارس على فرسه، وماسسترس وأمايوس الشجاع وهو قوّاس ظافر، وفرنداكس، وسوسثانس الذي يحثُّ جياده!

ونهر[1] النيل المغذّي لأبنائه قد أرسل ايضاً رجاله: سوسسكانس وبجاستاجون ابن ايجبتوس؛ وسيّد مدينة منف المقدسة: أرسامس الكبير، وسيّد مدينة طيبة العتيقة: أريو ماردوس؛ والبحارة الذين تجر زوارقهم في الملاّحات وهم كثرة لا حصر لها، ومخيفة.

وخلفهم جمهرة من أهل لوديا الرقاق، وهم يسيطرون على كل شعوب قارتهم[2]. والصناديد متروجاتس، وأركتيوس، وهم ولاة، ومدينة الذهب: سرديس قد أرسلوهم للقتال على آلاف العربات التي تجر الواحدة منها أربعة أو ستة خيول مصفوفة على شكل أسراب ـ وهذا منظر رهيب.

وجيران طمولوس Tmolos يفخرون هم أيضاً بأنهم ألقوا على عاتق اليونان نير العبودية؛ ماردون، ثروبيس: سندانات[3] الرمح، مع قومهم الذين من موسيا:

التاريخي وثم حاشية قديمة على المسرحية تقول: إن معظم هذه الأسماء هي من اختراع اسخولوس لكن ثم رأي يزعم أنها ليست من اختراع اسخولوس ويشير أصحاب هذا الرأي بأن بعض هذه الأسماء قد ورد في وثائق تاريخية، وبعضها قد أصابه التحريف الخفيف؛ وبعضها الثالث مجهولة لكن يمكن تبريرها بالمماثلة أما النسبة إلى بلادهم فهي وهمية، وأحياناً، متناقضة: فمثلاً أريوماروس هنا مصري، وفي موضع آخر من لوديا (في آسيا الصغرى)؛ وأركتيوس مصري تارة، وتارة أخرى زعيم اللودياويين.

(١) الأسماء السابقة كانت أسماء قوّاد فارسيين. والأسماء التالية أسماء حلفاء وأتباع للفرس: من مصر، وآسيا الصغرى، الخ. وعلى رأسهم المصريون لأنهم كانوا العنصر الأهم في الأسطول البحري الذي غزا به الفُرس بلاد اليونان.

(٢) في عهد الحروب الميدية (أي بين فارس واليونان) كانت لوديا قد صارت جزءاً من الامبراطورية الفارسية، ولكن كان من عادة ملوك الفرس أن يعيّنوا ولاة من أهل البلاد التي يفتحونها. ولهذا فإن نبلاء لوديا بقوا ولاة على ولاية لوديا الخاضعة للامبراطورية الشاهنشاهية، وسرديس بقيت عاصمة لكل آسيا الصغرى الغربية. وهذا هو معنى قوله إن «أهل لوديا لا يسيطرون على كل شعوب قارتهم»، والمقصود بالقارة آسيا الصغرى.

(٣) في مسرحيتنا هذه نجد أن فكرة «الرمح» مرتبطة دائماً بالجيش اليوناني. والتعارض بين «الرمح» =

الذين يطلقون السهام. ومن بابل - وهي مدينة ذهب هي الأُخرى، يصل كالسيل جمهور مختلط: نجده على سفن، جنود مملؤون بالإيمان بالقوس التي بيد قوية. ومن خلفهم جاء من آسيا كلها شعب يحمل سيوفاً قصيرة، وهو مطيع لأوامر الملك الرهيبة.

وهكذا ذهبت زهرة المحاربين القادمين من فارس، وعليهم تنوح بأسفٍ مآثر أرض آسيا بأسرها وكانت هي التي تغذيهم، بينما الأقارب والزوجات تحسب الأيام وترتعد من الزمان الذي يستطيل.

الكورس: لا شك في أن الجيش الشاهنشاهي المدمّر قد وصل فعلاً إلى الساحل المواجه للقارة المجاورة، وبواسطة عبّارته ذات الحبال التي من التيل، عبر مضيق هِلّه[١] الاثماسي رامياً طريقه ذا الألف كعب[٢] مثل نيرٍ في عنق البحر.

إن عاهل آسيا الجبار، آسيا العديدة بسكانها قد دفع لغزو العالم قطيعه البشري الرهيب - عن طريقين في وقت واحد: ولقيادة جيشه وأسطوله وضع ثقته في زعماء صناديد قُساة. وهو ابن المطر الهاطل بالذهب[٣]، إنه انسان ولكنه يساوي الآلهة.

وفي عينيه تلمع النظرة الزرقاء الكابية التي للتنين الدامي. إنه يحرك ألف ذراع وألف سفينة، ويدفع بعربته السورية[٤]، ويقود الهجوم، هجوم الأبطال، الذي برز فيه رمح آرس Ares على «القوس» الظافرة.

و«القوس» هو من موضوعات هذه المسرحية. فتحت ضربات «الرمح» اليوناني هذان البطلان اللذان من موسيا ثابتين مثل «السندان» تحت المطرقة.

(١) مضيق البوسفور Hellespont اتخذ اسمه من Hellé - بنت أثماس Athamas الذي هرب مع أخيه فركسوس من امرأة أبيهما اينو Ino، فغرقا وهما يعبران المضيق على ظهر كبش.

(٢) فيما يتعلق بوصف جسر السفن الذي أقامه أحشويرش على مضيق البوسفور - انظر هيرودوت (٧: ٣٦). وقد حدث أن عاصفة أطاحت بأول جسر، لهذا أمر ملك الفرس بضرب مضيق البوسفور ٣٠٠ جلدة!

(٣) اسم الجد الأعلى للفرس هو: فارسيوس، وهو ابن دانائيه Danaé وزيوس، وقد نزل على الأُمة الفارسية على شكل مطر من الذهب،

(٤) اسخولوس يقصد: الأشورية، ولكنه خلط بين: سوريا وبين آشور.

من ذا الذي سيستطيع إذن أن يصمد أمام هذا التيّار الإنساني الجارف؟ إن مثل هذا مثل من يريد أن يكبح بالسدود القوية أمواج البحر التي لا تُقهر! إن جيش فارس لا يُقهر وشعبها ذو قلب شجاع.

أجل! لكن مَنْ مِنْ بني الإنسان الفانين يستطيع أن يفلت من الأحبولة التي نصبتها الخطة الغادرة التي دبّرها إله؟ ومن ذا الذي يستطيع حينئذ، بقدمه الخفيفة، أن يقفز قفزة سعيدة[1]؟

إن أتيه Até ناعمة ملاطفة، وهي تخدع الإنسان بألواحها ولا يستطيع أي انسان بعد ذلك أن يفلت منها بوثبة ويفرّ.

والمصير الذي قرره الآلهة في كل الأزمان للفارسيين يفرض عليهم أن يواصلوا الحرب حيث تتداعى الحصون، والمعارك التي فيها تتصادم الفرسان وتتهاوى المدن.

لكن ها هم قد تعلموا، على الطرق الواسعة في البحار، التي تبيضها الريح العاصفة - أن يتأملوا الاتساع المقدّس للمياه، وهم واثقون بالأبنية الصعبة المكوّنة من الحبال[2]، في عمائر تنقل الناس.

وهذا هو السبب في أن نفسي التي في حالة حِداد يمزّقها القلق.. «أوّاه على الجيش الفارسي!» - هل هذا هو الخبر الذي ستعرفه مدينتي، مدينة سوس العظيمة، وقد خلت من كل أبنائها الذكور؟

وهل سأسمع قلعة الكسياويين تجيب؟ «أواه!»: هل هذا ما سيصيح به ذات يوم، جمهور مختلط من النساء، بينما على ثيابهن التيلية تنقضّ أيديهن لتمزقها إرباً إرباً؟

---

(١) الصورة هنا مستعارة من صورة القنيصة التي طاردها القناصون وأوقعوها في وسط ألواح عالية لا تستطيع القنيصة أن تتجاوزها بوثبة وأن تهرب: والفخ الذي وقع فيه الفرس هو البحر. إن آتيه، إلاهة الخطأ، قد جرّت احشويرش إلى البحر، فصارت الامبراطورية الفارسية كلها معرّضة للهلاك فيه. - ومعنى هذا الموضع هو: صحيح أن أحشويرش، شاهنشاه الفرس، قد وضع قدمه في أوروبا. لكن المصير كان قد قدّر لجيش فارس الانتصار في البر فقط، أما في البحر فلا. لكن ها هي إلاهة «الخطأ» قد خدعته وجرّته إلى البحر، فكان ذلك سبباً في هلاكه.

(٢) المقصود هو الأسطول، وليس جسر السفن.

وا أسفاه! إن شعباً من الفرسان، والمشاة قد سار مثل خلية النحل وراء قائد الجيش. وقد اجتاز الرؤوس البحرية المرتبطة اليوم والتي صارت مشتركة بين كلتا القارتين[١].

إن حزن الناس يملأ الأسِرّة بالدموع. وكل امرأة فارسية، في حدادها المتهالك، قد شيّعت زوجها المتعطش للحرب بأسف غرامي، وبقيت وحدها من بين زوجي الأمس.

رئيس الكورس: هيّا، أيها الفُرْس، ولنجلس تحت هذا السقف العتيق، ولنشرع في الفحص الفَطِن العميق ـ لأن الضرورة تحثنا على هذا ـ عما عسى أن يصبح عليه مصير أحشويرش[٢]، ابن داريوس الملك الذي من دَمِنا، والذي زودنا باسم أجدادنا[٣]. هل القوس والسهم هو الذي سينتصر؟ أم الرمح المتوّج بالحديد هو الذي انتصر؟

لكن ها هي ذي قادمة، مثل النور الذي يشعّ من عين الآلهة، أُمّ الشاهنشاه، ملكتي[٤]: إني أسقط جاثياً على ركبتيّ. وعلى كل الموجودين هنا أن يظهروا آيات الولاء التي تستحقها.

(الكورس يسجد. تدخل الملكة، راكبة عربتها، تتبعها حاشية عديدة).

يا سيّدة نساء فارس الجليلة، ذوات النطاقات العميقة، يا أُم أحشويرش العجوز، يا زوجة داريوس ـ السلام عليك! إنك شاركتِ في الفراش إله الفُرْس، وأنت مرشّحة لأن تكوني أمّاً لإله ـ إذا كان الحظ القديم لم يفارق جيشنا.

الملكة: وهذا هو السبب في أنني غادرت القصر المطهّم بالذهب، والغرفة التي نمتُ فيها طويلاً مع داريوس: فأنا أيضاً أشعر بالهمّ يمزق قلبي، وأُريد أن أُصارحكم بكل شيء يا أصحابي، في هذه الساعة التي لا أخلو فيها من الخوف

---

(١) نتيجة ملء مضيق الدردنيل ـ الممتد بين آسيا وأوروبا ـ بالسفن.

(٢) الكورس يعلن جدول أعمال جلسة المجلس، وهو «مصير أحشويرش» أي الاجراءات التي ينبغي اتخاذها وفقاً لمصير احشويرش وجيشه. وهؤلاء الأمناء ـ أعضاء هذا المجلس ـ مسؤولون عن النظام، كما ستذكرهم الملكة بذلك.

(٣) ذكرنا فيما مضى أن اسم: فارس، مأخوذ من برسيوس، الجد الأعلى لأحشويرش.

(٤) أي: أتوسا Atossa.

على نفسي. ذلك أني أخشى على ثروتنا ـ وقد صارت كبيرة جداً ـ أن تدمّر وتحوّل إلى تراب بناء السعادة الذي أعان أحدُ الآلهة داريوس على تشييده[1]. ولهذا فإن قلقاً لا يبلغ مداه التعبير يوقف فكري على خطر مزدوج: إن قدراً عظيماً جداً من الكنوز، إذا لم يدافع عنه إنسان، فإنه لن يحصل على احترام مساوٍ لقيمته، مثلما أن إنساناً بلا كنوز لا يمكن أن ينال الجلالة التي تستحقها قوّته. وإذا لم يكن لدينا ما نشكو منه فيما يتعلق بالثراء، فإنني أخشى على عيوننا: لأن عين البيت هي في رأيي حضور رب البيت. . فاقتنعوا بهذا جيداً أولاً، ثم أشيروا عليّ فيما يتعلق بالوقائع التالية، أيها الفُرْس، يا أعواننا الأمناء القدماء، فمنكم أنتظر اسداء كل النصائح المفيدة.

رئيس الكورس: اعلمي، يا ملكة هذه البلاد، أنه ليس عليك أن تشيري مرّتين بكلمة أو بفعل، بينما أنا مختص بإرشادك. أنت إنما تتوجهين إلى مستشارين مليئين بالإرادة الطيبة.

الملكة: في كل ليلة أنا أعيش وسط الأحلام، منذ أن رحل ابني، بعد أن جهّز جيشاً، لتخريب أرض ايونيا. لكنني لم أر من قبل حلماً مثل حلم الليلة الماضية، فاستمعوا: لاح لي أن امرأتين، حسنتي الهندام، قد تجليتا أمام عينيّ: إحداهما ترتدي ثوباً فارسياً، والأخرى ترتدي ثوباً دورياً، وكلتاهما تتفوق على نساء اليوم سواء بقامتها وبجمالها الصافي. وعلى الرغم من كونهما أختين من نفس الدم، فإنهما تسكنان في وطنين مختلفين أحدهما هو بلاد اليونان التي قدر لها القدر الاقامة بها، والآخر هو الأرض غير اليونانية. ويلوح لي أنهما كانتا في نزاع، وأن ابني لما أدرك ذلك، سعى إلى عقد الصلح بينهما ـ وفي نفس الوقت ربطهما بعربته ووضع العُدّة على عنقهما وهنالك افتخرت إحداهما بهذا الهندام، وقدّمت فمها طواعية إلى اللجام، بينما الأخرى تذمّرت، وفجأة مزّقت العُدّة التي ربطتها بالعربة وجرّتها بقوةٍ على الرغم من الشكيمة، وأخيراً كسرت النير الى قطعتين. فسقط ابني؛ وظهر أبوه داريوس إلى جواره لمواساته؛ لكن لما شاهده احشويرش فإنه مزّق الملابس التي تغطي جسمه!

---

(١) اسخولوس يضع الثراء (بلوتوس) في مقابل السعادة (أولبوس). إن الثراء يمكن أن يكون عنصراً في السعادة، لكن الثراء المفرط يمكن أن يؤدي الى تدمير السعادة.

تلك هي رؤياي في الليلة الماضية. لكني أفقت من نومي، وغسلت يديّ بماء صافٍ، وحملتهما بالقرابين، واقتربت من المذبح، من أجل تكريس الكعكة الشعائرية للآلهة الحافظين الذين أردت تقديم العبادة لهم. وهنالك أبصرت نسراً يهرب نحو المذبح السفلي لفويبوس Phoibos! أسكتني الخوف، فتوقفت، يا أصدقائي. لكن حدث بعد ذلك أن رخماً انقضّ من السماء وهو يضرب بجناحيه بسرعة، وأخذ يمزق بمخالبه رأس النسر الذي لم يستطع إلاّ الإنكماش بدون دفاع!

كان هذا كله مثيراً للرعب في نفسي، ولا بد أنكم ارتعتم لسماعه. ذلك لأنكم تعلمون أنه إذا نجح ابني، فإنه سيكون بطلاً منقطع النظير؛ وإذا أخفق، فليس عليه أن يقدّم حساباً عن هذا الإخفاق إلى هذا البلد، وسيظل إذاً سيد هذه البلاد، بشرط أن يعود.

رئيس الكورس: نحن لا نريد، يا أُمّاه، أن نزعجك كثيراً ولا أن نطمئنك كثيراً. فتوجهي أوّلاً إلى الآلهة مستجيرة بهم، وإذا كانت رؤياك مزعجة فاسألي الآلهة أن تُبعد عنك تحقيقها، وأن تحقق ما يخدمك أنت وأولادك ووطنك وأهلك. وعليك بعد ذلك أن تصُبّي رشّات على الأرض وعلى الأموات؛ ثم، من أعماق نفسك، تضرّعي إلى داريوس، زوجك الذي تقولين إنك رأيته في الحلم هذه الليلة، ألا يرسل إليك من الأرض إلا السعادة لك ولابنك، وأن يحتفظ بما عدا ذلك مُلغَى إلى الأبد في الظلام السُفْلي. هذا هو ما أنصحك به من أعماق قلبي، وأنا المتنبىء الذي يلهمه قلبه؛ ونحن نقدّر أن مثل هذه النبوءات ستتحقق في كل أجزائها على خير ما يرام.

الملكة: لا شك عندي في أن تعاطفك مع ابني وبيتي هو الذي جعلك أول من يفسّر هذه الإرهاصات ويصدر مثل هذا الرأي. ألا ليت النتيجة أن تكون سعيدة. وسأرتب كل شيء بحسب ما تريد، فيما يتصل بالآلهة وبأمواتنا، متى ما

(١) رؤيا الملكة هذه تعني أولاً أنه يوجد بين أوروبا وآسيا نفور شديد ولهذا لن يستطيع احشويرش أن يوحّد بينهما تحت سلطانه؛ وأوروبا ستكسر عربة أحشويرش، أي قوة فارس. ومن ثم ظهر داريوس ـ مؤسس هذه القوة.. وسيشاهد الرخم اليوناني يهاجم بشجاعة النسر الفارسي ويذلّه.. أما النّسر الذي خاف وتلوى وانكمش عاجزاً عن الدفاع عن نفسه ـ فإنه يشير مقدماً إلى منظر أحشويرش وقد صار أعزل مهجوراً، كما سيظهر في المنظر الأخير من هذه المسرحية.

عُدت إلى القصر. لكن ثمّ أشياء أود أن أعرفها اوّلاً، يا أصدقائي: في أي مكان من الأرض تقع أثينا؟

رئيس الكورس: إنها بعيدة جداً وتقع في مغرب الشمس نفسه، حيث تغرب ربتي الشمس.

الملكة: وابني يريد أن يفتح هذه المدينة؟

رئيس الكورس: لو حدث هذا لدانت له كل بلاد اليونان بالطاعة.

الملكة: وهل عندهم جيش من الرجال حسن التدريب؟

رئيس الكورس: قولي أكثر من هذا: إن لديهم جيشاً أصاب الميديين بأضرار بالغة.

الملكة: وماذا ايضاً؟ هل عندهم في بيوتهم ثروة كافية؟

رئيس الكورس: منجم للفضة، وهو كنز تحرسه[1] الأرض لهم.

الملكة: هل تشاهد في أيديهم السهام التي تطلقها الأقواس؟

رئيس الكورس: كلا، وإنما معهم سيوف يستخدمونها عند الالتحام، وتروس تحمي أذرعهم.

الملكة: ومَنْ هو قائد ورأس هذا الجيش؟

رئيس الكورس: إنهم ليسوا عبيداً ولا رعايا لأحد.

الملكة: كيف يقدرون إذن على الصمود أمام غزو العدوّ؟

رئيس الكورس: ما يكفي للقضاء على جيش داريوس العرمرم الفخم.

الملكة: آه! ماذا تقول؟ هذا يثير انزعاجاً شديداً في قلوب أُمهات أولئك الذاهبين الى القتال!

رئيس الكورس: أعتقد أنك ستعرفين الحقيقة كاملة عما قليل: إني أُشاهد

---

(١) مناجم مرونيه Maronée التي اكتشفت في القرن الخامس ق.م (راجع: أرسطو: دستور أثينا، ٢٢: ٧).

هناك رجلاً يلوح إنه فارسي. إنه يأتينا بالخبر اليقين، حسناً كان أو سيئاً.

(رسول يدخل)

الرسول: يا مُدُن آسيا كلها، يا أرض فارس! مرفأ الثروة اللامتناهية بضربة واحدة قد دمّرت سعادة كبيرة وقضي على زهرة فارس.

- وا أسفاه! إنها لمصيبة في حد ذاتها أن أكون أول مَنْ يعلن عن مصيبة. ومع ذلك ينبغي أن أعرض أمامكم مصيبتنا كلها، يا أيّها الفُرْس إن الجيش الأجنبي قد هلك كله!

الكورس: آلام رهيبة هائلة ومدمّرة! ابكوا إذن، أيها الفُرْس، لدى إعلان هذه المأساة.

الرسول: أجل، فقد قُضِيَ على كل أولئك الذين ذهبوا إلى هناك وأنا نفسي لم يكن عندي أي أمل في مشاهدة شمس العودة.

الكورس: آه! إن الوجود الذي يجعل الشيوخ منا يسمعون هذه الضربة غير المنتظرة هو وجود استمر أطول مما ينبغي.

الرسول: وكشاهد، لا كراهية لأقوال الغير، سأخبركم، أيُها الفُرْس، بما أَعِدّ لكم هناك من مصائب.

الكورس: أواه! أواه! إذن! كان عبثاً أن آلافاً من الأسلحة المختلفة الأنوا قد نقلت من أرض آسيا إلى أرض العدوّ، إلى أرض يونان.

الرسول: وكمية ضخمة من جُثث أمواتنا المساكين تغطي في هذه الساء شاطىء سلامين وكل نواحيه.

الكورس: أواه! أواه! إنك تجعلني أرى جثث رجالنا مطوية ومُغْرقة في أمواج البحر، أجساد بلا حياة محمولة شاردة في معاطفها الواسعة.

الرسول: كانت القوى عاجزة، وانهار جيشنا كله مسحوقاً تحت السُفُن.

الكورس: ردّد على مصيبتنا شكاة حزينة مروّعة. إن الآلهة قد فعلوا كل شيء من أجل أن تنقض كل الشرور على الفُرْس. واحسرتاه! واحسرتاه! على جيشنا الذي أبيد!

الرسول: سلامين! يا له من اسم قاس سماعه أشد ما تكون القسوة! آه! كم يكلّفني ذِكْرُ أثينا من زفرات!

الكورس: نعم! «أثينا» اسم بغيض لما أصابني من شقاء. من الآن فصاعداً ستكون لديَّ مادة لتذكرها: من آلاف النساء الفارسيات قد صُنِعت ـ وبدون جدوى ـ أُمهات أرامل أو بدون أولاد.

الملكة: لقد بقيتُ وقتاً طويلاً، بائسة يسحقها الشقاء، فالكارثة أفظع من أن تسمح بالنطق بكلمة واحدة وبالسؤال عن بلايانا. لكن لا بد، مع ذلك، من أن يتحمل الناس المصائب التي تبعث بها الآلهة إليهم. فاعرِضْ إذن أمام عيوننا كل بلايانا، وأطلق في وقارٍ ببعض المناحات التي تنتزعها منك مصائبنا، ومَنْ من بين الرؤساء لم يهلكوا، ومَنْ منهم يجب علينا أن نبكي عليه ممن كانوا في الصف الذي يحمل فيه الصولجان وتركوا بموتهم المكان خالياً.

الرسول: أما أحشويرش فإنه حيٌّ يرى النور.

الملكة: لكم تغمر كلماته بالنور بيتي! إنه النهار المشرق بعد الليل البهيم!

الرسول: لكن أرتمبارس Artembares ـ الذي كان فيما مضى رئيساً على ألف فارس ـ فإنه الآن يصطدم بكل صخرة على ساحل سيلنيس[1] Silenies وداداكس Dadakes، رئيس الألف من المشاة، فإنه تحت صدمة مقلاع لم يَقم إلاَّ بوثبة من أعلى السفينة! وتيناجون Tenagon، البطل البختياري النبيل السلالة، يحوم شبحه الآن على جزيرة أياس[2] التي تضربها الأمواج! وليلايوس وأرسامس وأرجستس Liliaos, Arsames, Arghestes، كانوا يحوّمون حول جزيرة الحمام[3]، يواجهون بجباههم المهزومة الساحل الغليظ! وأبناء النيل المصري: أركتيوس Arcteus وأدويوس Adeues وفرنوكس Pharnookes ذو الترس الجيد كلهم قد سقطوا من نفس السفينة. ومطالّوس Matallos ـ الذي من خروسهChroyse ـ وكان

(١) من المحتمل أن تكون سيلينس هي اللسان الجبلي الطويل لسلامين ويقع عند مدخل المضيق. وهناك عرض اليونانيون غنائمهم بعد المعركة.

(٢) هي سلامين. وهذا الوصف ربما يدل على أن اسخولوس كان يعتقد أن أياس قد اشترك في الدفاع عن جزيرته.

(٣) لا يدل هذا الوصف على أن المقصود به سلامين؛ لكننا لا نعلم على أي مكان يدل.

يقود ألف رجل، شاهد - وهو يموت - لحيته الطويلة الكثّة الصهباء تتخذ صبغة جديدة في حمام من الفورفير! وأرابوس Arabos المجوسي، وأرطامس Artames البختياري الذي كان يقود ثلاثين ألف فارس أسود قد ثبتوا في الأرض التي هلكوا عليها! وأمستريس Amestris وأمفستريوس Amphistreus - الذي كان يشهر دائماً مقلاعه الذي لا يهدأ - وأريوماردس Ariumardis الشجاع الذي يُلْبِس اليوم سراتيق ثوب الحداد! وسيسامس Seisames الذي من موسيا، وثروبس Thrybis قائد الأسطول المؤلف من مئتين وخمسين سفينة، هذا المحارب الرائع المولود في لورنا[1] Lyrna قد سقط تحت ضربة من القدر أليمة. أما سؤنيمس Syennesis، قائد جماعة قليقلية وهو أول الشجعان، فإنه بعد أن أصاب العدوّ بألف خسارة، فإنه قُتِل مكلّلاً بالمجد. لكن مصائبنا لا حصر لها، ولهذا فإني لم أروِ لكم منها غير القليل.

الملكة: واحسرتاه! إنك تخبرني بمصائب لا تُحْصَى، تسربل فارس بالعار، وتثير زفرات حادّة. لكن عُدْ إلى الوراء، وخبّرني كم كان عدد سُفُن اليونانيين بحيث حملهم على أن يخوضوا القتال ضد جيش الفُرْس، ويحدثوا التصادم بين السفن.

الرسول: لو كان الأمر أمر العدد فقط، لكان الفُرْس قد انتصروا، لأن عدد سفن اليونانيين كان حوالي ثلاثمائة، إلى جانب عشر سفن احتياطية. أما أحشويرش فأنا أعلم أنه كان يقود أسطولاً من ألف سفينة، بخلاف الزوارق السريعة وعددها مائتان وسبعة. تلك كانت النسبة بين الأسطولين؛ فهل ترين أنها كانت في غير صالحنا؟ كلا، ولكن إلاهاً هو الذي دمّر جيشنا، بأن جعل الحظ في كلتا كفتي الميزان غير متكافىء أبداً! ذلك أن الآلهة يَحْمون مدينة أثينا.

الملكة: إذن أثينا لا تزال سليمة؟

الرسول: إن المدينة التي تحرس رجالها عندها أكبر حِصن.

الملكة: لكن ماذا كانت إشارة الهجوم، بالنسبة إلى الأساطيل! خبّرني مَنْ الذي بدأ القتال: هل هم اليونانيون؟ أو ابني وقد وثق بعدد سُفُنه.

---

(١) مدينة مجهولة الهوية، اعتقد القدماء أنها هي لورنشا في اقليم طروادة.

الرسول: إن من بدأ ـ يا مولاتي ـ كل مصائبنا، كان جنّياً منتقماً[١]، إلاهاً شريراً، طلع من حيث لا أدري. إن يونانياً[٢] جاء من الجيش الأثيني ليقول لإبنك احشويرش[٣] حينما يسدل الليل المظلم ستاره، فإن اليونانيين لن ينتظروا بل سيندفعون على مقاعد سفنهم ويبحثون عن النجاة، كل واحد من ناحية، في هروب سرّي. ولم يكد أحشويرش يسمع هذا الكلام، ودون أن يخطر بباله أن هذه حيلة من اليوناني أو حَسَدٌ من الآلهة، فإنه أعلن لكل رؤساء الأسطول ما يلي: حين تتوقف الشمس عن تدفئة الأرض بأشعتها، فعليكم أن تَصُفُّوا معظم السفن في ثلاثة صفوف، من أجل حراسة المخارج والممرات المزمجرة، بينما الصفوف الأخرى تحيط بها، وتسدُّ جزيرة أياس؛ وذلك لأن اليونانيين إذا أفلتوا من الرصيف ووجدوا على البحر طريقاً للهرب السرّي، فستقطع رؤوسهم جميعاً. بهذا أمر الملك أحشويرش. إن قلباً مفرط الثقة هو الذي أملى عليه هذه الكلمات، وكان يجهل المستقبل الذي دبّرته له الآلهة! أما هم، فبدون اضطراب، ونفوسهم مطواعة، فقد أعدُّوا طعامهم؛ وكل بحّار ربط مجذافه بعروته التي تمسكه؛ وفي الساعة التي انطفأ فيها ضوء النهار وبدأ الليل في الإظلام صَعِد كل رؤساء المجداف[٤] إلى سفنهم، وكذلك كل الرجال المسلّحين[٥]. ومن مقعد إلى آخر في كل سفينة طويلة كانوا يشجعون بعضهم بعضاً. والتزم كل واحد بالصف الموكول اليه، وراح رؤساء الأسطول يجولون كل الأسطول. لكن انقضت الليلة دون ان يحاول الأسطول اليوناني النجاة خفية والخروج سرّاً. لكن لما نشر النهار ذو الأفراس البيضاء ضوءه على الأرض، إذا بصياح رنان يرتفع من ناحية اليونانيين، صياح منغّم كأنه أُنشودة، بينما صدى الصخور في الجزيرة يردد انطلاقه. هنالك استولى الفزع على كل الفُرس، وقد شعروا بأنهم خُدِعوا وغُرِّرَ بهم إذ لم يحدث ما كانوا ينتظرونه. ذلك أنه لم يكن من أجل الهرب دق اليونانيون هذا النشيد الجاد، وإنما للسير الى المعركة وهم مملؤون بالثقة والشجاعة. ونداءات النفير أشعلت كل خطوطهم.

---

(١) هذا مَثَل شائع. لكن اسخولوس إنما يعبّر هنا عن الفكرة التي أرشدت ثموستكل حين نصح أهل أثينا ضد أثينا بترك مدينتهم.

(٢) كان يدعى سيكنوس، وكان مربّياً لأولاد ثموستوكل.

(٣) كان أسطول أحشويرش راسياً في البحر.

(٤) أي: المجدفون. وقد انتقد أرسطو هذه المبالغة في التعبير.

(٥) أي المقاتلون الحقيقيون الذين سيقاتلون بالفعل.

وسرعان ما أخذت المجاديف الصخّابة، وهي تسقط معاً تقرع الماء العميق في ايقاع، وبعد قليل ظهر الجميع أمام الأنظار. والجناح الأيمن المصفوف هو الذي سار أولاً بنظام جيد[١]. وبعد ذلك برز الأسطول كلّه وتقدّم، وأمكن حينئذ أن يسمع، عن قريب جداً، نداء هائل يقول: «هيّا، يا أبناء اليونان، خلّصوا وطنكم، خلّصوا أبناءكم ونساءكم وقبور أجدادكم، ومعابد آلهة أجدادكم: إنه الجهاد الأكبر» ومن ناحيتنا أجاب عليهم ضجيج باللغة الفارسية. لا مجال لأيّ تأخير. فاصطدمت السفن بالسفن واحتكت جوانبها البرونزية وأعطت سفينة يونانية اشارة الالتحام ودمرت مقدّم سفينة فينيقية. وباقي السفن توجهت كل واحدة منها صوب سفينة للعدو. وفي البداية صمدت السفن الفارسية: لكن كثرتها جعلتها تتكدّس في الممرّ الضيق[٢]، فلم تستطع أن يساعد بعضها بعضاً، بل احتك بعضها ببعض واصطدمت مقدمتها البرونزية، وتكسّرت أجهزة المجاديف، وهنا أحاطت بها - ببراعة - السفن اليونانية وضربتها فانقلبت القيعان؛ واختفى البحر كله تحت كومة من الجثث الدامية؛ والشواطىء امتلأت بالموتى، وما بقي من سفن الفرس أخذ في الهرب مستعملاً المجاديف، بينما كان اليونانيون يضربون ويَضْرِعون ببقايا المجاديف وشذرات الآلات، كما لو كان الأمر يتعلق بأسماك التوتة وهي تخرج من الشبكة! ساد على البحر كله نواح وزفرات، إلى أن جاء الليل بوجهه الأسود فأوقف كل شيء. اما فيما يتعلق بمجموع خسائرنا فإني لا أستطيع أن أُحصيه حتى لو أمضيت عشرة أيام في إحصائه! ولم يحدث ابداً أن هلك في يوم واحد مثل هذا العدد من الرجال.

الملكة: واحسرتاه! أيّ محيط من الشرور قد انصبَّ على الفُرْس وعلى كل الجنس الأجنبي (غير اليوناني).

الرسول: واعلمي جيداً أن هذا لا يمثل نصف ما عانيناه من بلاء! ثم كارثة أليمة قد انقضّت عليهم هي أفظع مرتين من كل المصائب التي عرفتها.

---

(١) تقضي خطة أحشويرش بأن تقوم غالبية الأسطول بحراسة الممرات، بينما الباقي يحاصر الجزيرة.

(٢) أورد هيرودوت نفس هذه الوقائع (المقالة الثامنة، البند ٧٦ و٩٥). وبناء على روايته فإن الفضل في انتصار اليونانيين إنما يرجع إلى مبادرة شخصية من أرستيد Aristide. وربما كان هذا هو السبب في أن اسخولوس قد أفاض في وصف هذه الأحداث بارتياح وتفاخر. أما الجزيرة المشار اليها بعد قليل فهي جزيرة پسوتاليا Psyttalié التي تقع عند مدخل المضيق، بين سلامين والساحل الأتيكي.

الملكة: وأية فاجعة أخرى يمكن أن تكون بعدُ أقسى؟ أية كارثة جديدة - خبّرني - قد أصابت جيشنا لتزيد من ثقل مصائبنا؟

الرسول: ومن بين الفرس: أولئك الذين امتلأوا بالقوة، وكانوا يقاتلون في الصف الأول لشجاعتهم، وكانوا الأرفع في النسب - هؤلاء قد هلكوا هلاكاً شائناً، وماتوا ميتة هي الأشنع في العار.

الملكة: واحسرتاه! يا لبؤسي! أي مصير قاس هو مصيري، يا أصحابي! ولكن ما هو هذا الموت الذي أصابهم هكذا؟

الرسول: في النواحي المتقدمة من سلامين توجد جزيرة ضيّقة لا مرفأ لها، وپان Pan وحده إله الكورسات يفد على ساحلها البحري. إلى هناك بعث بهم أحشويرش، وذلك من أجل أنه لو اتجه غرقى يونانيون نحو الجزيرة للنجاة، فإن عليهم أن يذبحوا اليونانيين الذين من السهل التغلب عليهم هنا، وإنقاذ رجالهم هم من تيارات البحر لقد كان ذلك من سوء تقدير المستقبل. وذلك أنه منذ أن وهبت السماء النصر للأسطول اليوناني فإن اليونانيين، في نفس اليوم، وكانوا قد لبسوا على صدورهم دروعاً من البرونز، وثبوا خارج السفن وحاصروا الجزيرة كلها، بحيث لم يعد الفُرْس يعرفون في أيّ اتجاه يتجهون. ثم إن آلاف الأحجار قد انطلقت من أيدي اليونانيين فأرهقت الفُرْس، كما قذف اليونانيون السهام بقسيهم على الفُرْس فأحدثت الموت في صفوفهم. وأخيراً وثبوا وثبة واحدة، وراحوا يضربون، ويشطرون أجساد هؤلاء المساكين حتى قضوا على حياتهم جميعاً. - وراح أحشويرش يشكو مرّ الشكوى أمام هذه الهاوية من الآلام، إنه كان قد أخذ مكاناً في نقطة منها كان يشاهد كل الجيش، وهي رابية[1] مرتفعة قريبة من السهل البحري: وراح يمزّق ثيابه، وينوح نواحاً عميقا، وفجأة أصدر أمراً إلى جيشه البرّي واندفع في هروب شارد. وتلك هي الكارثة التي انضافت إلى سائر الكوارث لتقدم إليك مادة للنواح والبكاء.

الملكة: آه! أيُّها المصير المُعادي، كم خدعت الفُرْس في آمالهم! إن العقاب الذي ذهب ابني لإنزاله بمدينة أثينا الشهيرة - قد كلّفه غالياً، وكان حَسْبه آلاف الفرس الذين هلكوا في ماراثون. لقد اعتقد أنه سينتقم، لكن شبكته لم تمسك إلاّ

---

(١) من المحتمل أن تكون عند حضيض جبل أيجاليوس Aigallos الذي يسيطر على المضيق الضيق في أضيق موضع منه.

بما لا نهاية له من المصائب - لكن، خبّرني - أين تركت السفن التي أفلتت من الكارثة؟ هل تستطيع أن تحدّد ذلك بدقة؟

الرسول: كلا! لأن رؤوس السفن الناجية قد استغلوا ريحاً ملائمة فأسرعوا في الهروب بشكل مضطرب. أما باقي الجيش البرّي، على أرض بيوتيا Beotie فقد أخذ في الانهيار. فبعضهم، حول ضياء الينابيع، عالج سكرات الموت من العطش[1]؛ والبعض الآخر سقط في الطرقات من الإعياء. أما نحن فقد مررنا بأرض فوقيديا في الدوريد Doride، ووصلنا إلى خليج المالياوي Maliaque، حيث نهر اسپرخيوس Sperchios يسقي السهل بمائه العذب المفيد. واقليم أخايا Achaie ومدن تساليا شاهدتنا نَصِل إليها وقد أعوزتنا المؤونة. فمات هناك أكثر من واحد إما من العطش وإما من الجوع. وكلا البلاءين قد أصابنا الآن! ثم وصلنا إلى بلاد المغنيط Magnetes إلى اقليم مقدونيا، وإلى نهر أكسيوس ثم إلى أحراش اليراع التي تحدد بولبا Bolbé، وأخيراً إلى جبل پانجيه Pangée وأرض الأيدونيين[2] Edoniens وفي تلك الليلة صنع الإله شتاءً مبكراً، فتجمد نهر الاسترومون Strymon المقدس في كل مجراه. هنالك أكثر من واحد ممن لا يؤمنون بوجود الآلهة أخذوا في الدعاء والتمنيات، عابداً الأرض والسماء؛ ولما كفّ الجيش عن اطلاق الدعاء، بدأ الفرار على النهر المتجمد. لكن فقط أولئك من بيننا الذين اجتازوه قبل أن تنتشر أشعة الإله (الشمس) على الأرض هم الذين اليوم أحياء. لأن قرص الشمس المضيء، بأشعته المتلألئة التي نفذت في قلب النهر، أدفأه بشعلته، وإذا بالفُرْس يتساقطون الواحد بعد الآخر: والسعيد هو من يفقد النَّفَس والحياة قبل غيره! والآخرون الذين أفلتوا من الموت - بعد اجتياز بطيء مُنهِك لسهل تراقيا، وصلوا إلى أرض مساكنهم، وهم حفْنة من الباقين في قيد الحياة، وقد دعوا فارس إلى النواح والبكاء على الشبيبة المحبوبة التي نبتت في أرضهم.

(١) اسخولوس يشير هنا إلى الاسطورة التي رواها هيرودوت، والتي تقول إن الجيش الفارسي جَفّف جداول الماء.

(٢) جبل پانجيه، وأرض الأدونيين يقعان في الجانب الآخر من نهر استرمون. والفرس كانوا يرونهما، لكنهم لم يستطيعوا الوصول إليهما إلا بعبور هذا النهر.

تلك هي الحقيقة؛ ومع ذلك فإن روايتي أغفلت ذكر الكثير من البلايا من بين تلك التي أصابت السماء بها الفُرْس.

(يخرج)

رئيس الكورس: آه! أيتها الألوهية القاسية، بأيّ ثِقل أَنَخْت إذن على كل الجنس الفارسي!

الملكة: واحسرتاه! وابؤساه! لقد هلك جيشنا! يا أيتها الرؤيا الواضحة جداً، في أحلامي الليلية، لقد كنتِ صادقة لما أن أريتني هذه المصائب! أما أنتم فقد استخففتم بها. ومع ذلك فإنه لما كان رأيكم بهذا المعنى، فإني أُريد أولاً أن أُصلّي للآلهة، بعد ذلك أُقدم للأرض وللأموات قرباناً مختاراً من قصري. صحيح أنني أعلم أن الأمر يتعلق بالماضي: لكن المستقبل ربما يعِدُ لنا مصيراً أحسن. وفيما يتصل بكم، يخلق بكم أن تجمعوا عن الأحداث الآراء المخلصة الواجبة لأمراء مخلصين وإذا وصل ابني إلى هنا قبل أن أعود، فواسوه، واصحبوه إلى القصر ـ خشية أن يضيف إلى مصائبنا مصيبة أُخرى[1].

(تخرج الملكة مصحوبة بحاشيتها)

رئيس الكورس: أي زيوس الملك، لقد جاءت الساعة التي أوقعت فيها سوسة واكباتان في حداد مظلم، بعد أن دَمَّرت جيش الفُرْس، الفُرْس الشمُّ الأنوف وعددهم لا يُحصى!

إن آلاف النساء يمزقن، بأذرعتهن الضعيفة، أحجبتهن ويغرقن صدورهن في دموع متدفقة، وقد استولى عليهن الألم.

والزوجات الفارسيات، النائحات برقة، وهن يأسفن على الرجال وأحضانهم الشابة، موّدعات أفرشة ناعمة وشباباً مزدهراً ـ ينفّسون عن مصابهن بزفرات لا تنتهي، بينما أنا أحتفل هنا بموت من هلكوا، وهو مصدر دائم لآلام لا تُحصى.

الكورس: نعم، جاءت الساعة التي فيها آسيا كلها تنوح لأنها تشعر بأنها أُفرِغت من أهلها.

---

(١) اعتاد الملوك في الشرق أن ينتحروا إذا هزموا هزيمة، منكرة لا يمكن الانتقام لها. ولهذا فمن الطبيعي أن تخطر هذه الفكرة بخاطر الملكة.

إن أحشويرش قد اقتادهم، وأهلكهم، فوا أسفاه! وا أسفاه!

إن أحشويرش قد قاد كل شيء بطريقة جنونية، فوا أسفاه! أحشويرش وسفنه البحرية!

آه! لماذا كان داريوس ملكاً رحيماً لأهله، داريوس القوّاس، الرئيس المحبوب لبلاد السّوس![1]

مُشاة وبحّارة. أشبه ما يكونون بأسراب من الطيور اللابسة ثوب السماء الكابية، والسفن التي حملتهم، وا أسفاه! السُّفن أهلكتهم، واحسرتاه!

السفن الجالبة للكارثة، سُفن اليونانيين وأذرعتهم! بصعوبة بالغة استطاع مَلِكي أن يهرب وحده، بحسب ما فهمت، خلال سهول تراقيا والدروب القاسية.

أمّا الآخرون، الذين كانوا ـ ويا حسرتاه، فرائس لمصير كانوا هم أول ضحاياه، حول الرؤوس التي يحميها كوخريوس[2] فإنهم هناك يدورون.

آه! نوحي، مزّقي قلبك، واصرخي إذن بملء صوتك! معبّرة عن آلامك حتى تبلغ السموات! وارفعي صوتك بنداء الألم المعادي، صوتك البائس!

لقد عصفت بهم الأمواج بقسوة، وا أسفاه، كما مزّقهم الأبناء الصامتون، أبناء الطاهر![3]

وبينما البيت لبس الحداد على مَنْ فَقَد، والآباء الشيوخ الذين صاروا بلا أبناء ينوحون تحت وطأة آلام لا نهاية لها ويعانون الألم الشامل.

وطوال زمان مديد، لن يطيع أحد، في بلاد آسيا، سلطان الفُرْس؛ ولن تدفع

---

(١) يقصد أن يقول: لماذا كان حكم داريوس نعمة للفرس، بينما كان حكم احشويرش نقمة عليهم؟ ـ وكان داريوس يستخدم القسي في القتال، أما أحشويرش فقد أراد أن يكون الملك البحّار، وهكذا أضاع دولة الفرس، حين أراد لها ان تنتصر بما لا تحسنه: أي الحرب في البحر.

(٢) Kykhreus: يروي باوسنياس (٣٦: ١) أن كوخريوس كان بطلاً من أبطال معركة سلامين، وقد ظهر للأثينيين في وسط المعركة على شكل حيّة، ودافع عن الأرض التي كان فيها قبره. وقد كثرت الأساطير التي تدور حول تدخل الأبطال أثناء الحروب بين الغرب واليونانيين.

(٣) الطاهر: كناية عن البحر. وفي كتاب «الابتساق» (الكتاب المقدس في ديانة المجوس) يعبر عن البحر بهذه الصفة: «الطاهر».

لهم الجزية تحت القهر والعنف؛ ولن يركع أمامهم لسماع الأوامر: إن قوة الشاهنشاه قد وَلّت. والألسنة لن تشعر بعد بما يلجمها، لقد تحرر الشعب وصار يتكلم بحرّية منذ أن فُكَّ عنه نير القوة القاهرة.

في أرضها الدامية صارت جزيرة أياس Ajas، التي تضربها الأمواج، تحتفظ بمقبرة قوّة الفُرْس!

(تدخل الملكة ماشية على قدميها، وهي تلبس ملابس بسيطة جداً. ويتبعها عبيد يحملون القرابين)

الملكة: يا أصدقائي! مَنْ عَرَف البؤس لَيعلم أن الناس، منذ اليوم الذي يمرّ عليهم فيه سيلٌ من المصائب - يزدادون خوفاً من كل شيء، أما في وسط المصير النهائي فإنهم يعتقدون أن المضيق الذي وافاهم بالسعادة سيكفلها لهم أبداً. وفيما يتعلق بي اليوم، فإن كل شيء مملوء بالرُّعب: أمام عيوني تتجلّى عداوة الآلهة؛ وفي مسامعي تتصاعد ضوضاء لا تفيد في علاج آلامي. لأن الخوف الذي يزعج قلبي فظيع هائل. ولهذا رجعت من القصر إلى هنا بدون عربة، وبدون فخفختي السابقة، كي أقدم إلى والد ابني الرّشّات المهدّئة للموتى، والتي يقدّمها اليه حُبّي: لَبَنٌ أبيض عذب محلوب من بقرة لم يدنّسها ناف، وعَسَلٌ رائق قَطّرته ناهبة الأزهار (= النحلة)، إلى جانب ماءٍ جارٍ من ينبوع بِكْر؛ ثم هذا السائل الصافي البهيج، الصادر عن أُمٍّ بَرّية، عن كَرمة عتيقة؛ وثمرات عطرة من شجرة زيتونة شقراء، أوراقها الحيّة تتفتح في كل الفصول؛ وأزهار على شكل تيجان، هي نبات لأرض خصبة. هيّا، يا أصدقائي، أنْشِدوا أناشيدكم على هذه الرّشّات المقدّمة الى موتانا: وارفعوا ذِكر داريوس الإلهي، بينما أوجّه نحو آلهة العالم السفلى هذه القرابين التي ستشربها الأرض.

رئيس الكورس: أيتها الملكة، يا مَنْ يوقّرك الفُرْس، وَجّهي رشاتك الشعائرية إلى المساكن التي تحت الأرض: وأناشيدنا نحن ستطلب أن يكون الذين يرشدون الموتى رحماء لنا تحت الأرض

هيّا، يا آلهة العالم السفلي المقدسين؛ الأرض، وهرمس، وأنت يا سلطان الموتى، أصعِدوا إلى النور هذه الروح! إن كان يعلم خيراً منا ما هو العلاج لمصائبنا، فإنه يستطيع هو وحده، من بين سائر الناس، أن يخبرنا متى ستنتهي.

(الكورس يبدأ الاستدعاء، مازجاً إياه بصيحات وبوادر عنيفة؛ وهو ينوح ويضرب صدره، أو يشدد في استدعاء الميت بأن يصفق بيديه).

الكورس: هل يسمعني الملك المتوفي، المساوي للآلهة؟ هل يسمعني وأنا أنطق بلغة أعجمية، واضحة لأذنه، هذه النداءات النائحة، الحزينة، التي تمتزج فيها كل نبرات الشكوى؟

إني أصرخ معبّرة عن آلامي التي لا نهاية لها. فهل يسمعني وهو في أعماق الظلمات؟

هيّا، أيتها الأرض، وأنتم يا أُمراء العالم السفلي، إنكم تحضرون كائناً إلاهيّاً سامياً؛ دعوه إذن يخرج من مساكنكم، هذا الإله، ابن اقليم السُّوس، الذي يعبده الفُرْس. أرشدوا إلى النور ذلك الذي لم تعرف أرض الفرس له نظيراً من بعده!

عزيز لدينا هذا البطل، وعزيز علينا هذا القبر، لأن الروح التي يضمّها عزيزة علينا. يا أويدونيوس[1] أصعِد إلى النور الملك المنقطع النظير: داريوس، هيّا، هيّا!

ليس هو الذي أضاع جنوده في هزائم مُهْلكة!

لقد سمّاه الفُرْس بمتلقي وحي الآلهة، وهو فعلاً وجّه سفينة شعبه بوحي من الآلهة! هيّا، هيّا!

أيها العاهل، عاهلنا القديم، تعال، وأظهر فوق الذروة التي تتوّج قبرك! ارفع الى هناك الحذاء المصبوغ بالزعفران والذي يغطي قدمك؛ واجعل زرّ التاج[2] الملكي يلمع أمام عيوننا؛ تعال، أيها الوالد المُحْسن، أي داريوس! تعال، واعلَمْ الأنباء، أنباء الآلام الرهيبة. يا مولى مولاي[3]، اظهر.

---

(١) لا ينجح هذا الابتهال إلاّ اذا كان بلغة يفهمها من يتوجه إليه هذا الإبتهال. ولغة أعضاء الكورس هي الفارسية، وهي لغة داريوس ايضاً. وقد حاول اسخولوس أن يضفي على هذا الابتهال طابعاً أعجمياً.

(٢) كان غطاء الرأس في فارس طرطوراً مخروطياً، في العادة من الفراء، وينتهي في أعلاه بسنّ مدببة تميل إلى الوراء. أما طرطور الملوك فكان ينتهي بزر.

(٣) يقصد: يا مَنْ أنت أقوى من احشويرش.

إن علينا يتجلى ضباب الموت: كل شبابنا هلكوا. تعال، أيها الوالد المُحْسن، أي داريوس! آه! آه!

وا أسفاه! وا أسفاه، أيها الميت الذي تبكي عليك آلاف[1] الأصحاب. . . . .

لقد هلكت سفننا ذوات الثلاثة صفوف من المجاديف، سفننا التي لن تبحر عوضُ.

(شبح داريوس يظهر فوق القبر)

داريوس: يا أخلص المُخْلصين، يا رفاق شبابي، أيها الشيوخ الفُرْس! أية آلام تعانيها مدينتي؟ إنها تنوح، وتلطم صدرها، وفي الحال «تنشق» الأرض إني أشاهد زوجتي بالقرب من قبري، إني أفزع، وبكل قلبي أتقبل رشّاتها وأنتم تنوحون حول هذا القبر، وصرخاتكم حادّة تبعث الموتى من قبورهم، وهي تدعوني دعاءً يثير الشفقة. ليس من السهل ترك العالم السفلي: وخصوصاً لأن آلهة العالم السفلي تُحْسِن الأخذ أكثر مما تحسن التَّرك: لكنني استغللت ثقتهم بي: وهأنذا جئت إليكم. خبّروني بسرعة، حتى لا يستطيع أحد أن يلومني على أي تأخير: أية مصيبة جديدة انقضت إذن على الفُرْس؟

الكورس: لا أجرؤ على التطلع فيك؛ ولا أجرؤ على الكلام في مواجهتك: إن ما كنت أشعر به من هيبةٍ في الماضي يتملكني الآن وأنا أمامك.

داريوس: استجابة لشكواك صعدت إلى النور؛ فتخلَّ عن لهجة من شأنها أن تؤخرنا، بكلمات موجزة قُلْ كل شيء، وتنحّ عن الاحترام الذي كنت تكنّه لي.

الكورس: إني أخاف من إرضائك؛ وأخاف من الكلام في مواجهتك، ومن النطق بكلمات قاسية على أولئك الذين أحبّهم.

داريوس: إذن! إذا كانت الرهبة القديمة لا تزال تستولي على نفسك وتحتجزك هكذا، فعليك أنت، يا رفيقة فِراشي، أنت يا زوجتي النبيلة، أن توقفي

(١) تتلو هذا ثلاثة أبيات محرّفة تحريفاً لا سبيل الى تصحيحه، بل ولا الى معرفة المعنى العام المقصود منها، ولم تفلح في تصحيحه كل محاولات الباحثين.

الدموع، والزفرات وأن تخبريني بالحقيقة أن المصائب الانسانية يمكن دائماً أن تصيب الناس. إن آلاف المصائب تخرج من البحر، وآلاف المصائب تخرج من الأرض، لتصيب أولئك الذين تستطيل حياتهم في الزمان.

الملكة: إيه أنت يا من تجاوز حظُّه السعيد سعادة كل الناس ـ لأنك طالما كنت تنعم بضوء الشمس، فإنك عِشْتَ ـ محسوداً من الفُرْس ـ عيشة سعيدة مماثلة لعيشة إله، وأنا لا أزال اليوم أحسدك على أنك مُتَّ قبل أن تشهد انشقاق هاوية آلامنا ـ ستعرف كل شيء، وبقليل من الكلمات، يا داريوس: أستطيع أن أقول لك إن قوة الفُرْس قد قُضِي عليها.

داريوس: وكيف؟ أهو الطاعون، أهي الحرب الأهلية هي التي انقضّت على الدولة؟

الملكة: كلا، ولكن بالقرب من مدينة أثينا هلك جيشنا كله.

داريوس: مَنْ مِنْ أبنائي نقل الحرب الى هناك؟

الملكة: أحشويرش المندفع، مُفَرِّغاً سهول قارّتنا.

داريوس: أبالأرض، أم بالبحر حاول هذا البائس تلك المحاولة الجنونية؟

الملكة: بهذين الطريقين معاً: إن جيشيه: البرّي والبحري صنعا جبهة مزدوجة.

داريوس: وكيف استطاع مثل هذا الجيش البرّي أن يَعْبُر البحر؟

الملكة: لقد ألقى بمراكبه كقنطرة على مضيق هِلّيه[1] Hellé من أجل العبور.

داريوس: وهل وصل إلى هذا الحد: إغلاق البوسفور الكبير؟

الملكة: لا شك في أن إلاهاً قد مسَّ عقله.

داريوس: يا له من إله رهيب، ذاك الذي أعماه إلى هذه الدرجة!

الملكة: إن الخاتمة كانت في هذا: أيّ خرابٍ أحدث!

داريوس: لكن ماذا حدث لجيوشنا، حتى تنوحي على هذا النحو.

الملكة: إن هزيمة الجيش البحري أضاعت الجيش البرّي.

---

(١) أي ما يسمى الآن: مضيق الدردنيل.

داريوس: هل كانت الكارثة شاملة إلى حدّ أن شعباً بأكمله قد هلك في القتال؟

الملكة: شاملة إلى درجة أن اقليم السوس كله يبكي، وقد صار منذ الآن خالياً من الرجال...

داريوس: واحسرتاه على جيشنا، على سندنا القويّ، على ما يشدّ أزرنا!

الملكة:... والشعب البختياري هلك، ولن يوجد فيه ولا رجل عجوز[1]...

داريوس: يا له من شقي! أخذ شبيبة حلفائنا.

الملكة:... ولم يسلم إلاّ أحشويرش وحده وبعض رفاقه...

داريوس: وكيف وأين تم مصيره؟ هل عنده فرصة للنجاة؟

الملكة:... لقد كان من حسن حظه أن وصل إلى الجسر الذي يوصل بين القارتين...

داريوس: وهل صحيح أنه عبر إلى آسيا وهو حيّ؟

الملكة: نعم، هناك أخبار أكيدة عن هذا، ولا خوف عليه.

داريوس: آه! لقد تحققت بسرعةٍ تنبؤاتُ الوحي، وعلى ابني أسقط زيوس تحقيق التنبؤات. لقد كان يواسيني أنني كنت أظن أن الآلهة ستأخذ وقتاً طويلاً قبل تنفيذها. لكن حين يسعى الانسان الى هلاكه، فإن الآلهة تأتي لمساعدته في ذلك. واليوم إنه لمصدر لمصائب لكل أهلي ينكشف، وابني - دون ان يفهم - فعل هذا كله في طيش شبابه! لقد راوده الأمل في أن يتوقف مجرى البوسفور المقدس بواسطة سلاسل من العبيد، البوسفور الذي فيه يجري الاه! لقد ادّعى القدرة على تحويل مضيق وفتح طريق شاسع واسع لجيشه العرمرم، بأن يضع في هذا المضيق سلاسل مصنوعة بالمطرقة! هذا الإنسان الفاني ظن في جنونه أنه يستطيع أن يتغلب على كل الآلهة، على خورسيدون! هل في وسع أحد أن ينكر أن طائفاً جنونياً قد طاف بعقل ابني؟

(١) الشيوخ يكونون نخبة لا تستطيع المدينة أن تستغني عنها. والمقصود بالشعب البختياري شعب بكتريان: اقليم بخارى وما حولها.

أخشى أن تصبح الثروة الهائلة التي حصلت عليها بمجهوداتي - غنيمة فرصة لنهب أسرع المبادرين إلى خطفها.

الملكة: تلك كانت الدروس التي تلقاها احشويرش المندفع من اتصالاته مع الأشرار. لقد كرروا له أنك بالحرب استوليت لأبنائك على ثروة هائلة، بينما هو بجبنه راح يحارب في غرفته دون أن يسعى لزيادة الثروة التي تركها أبوه. ومن طول سماعه لتهكمات هؤلاء الأشرار، تكونت لديه فكرة هذه الحملة ضد بلاد اليونان.

داريوس: هم إذن صانعو هذه الكارثة الهائلة التي لا يمكن نسيانها، والتي أخلت مدينة السوس على نحو يفوق كل ما وقع عليها من قبل من بلايا، منذ اليوم الذي فيه أعطى زيوس لرجل واحد امتياز السيطرة على كل آسيا التي تربّي الأغنام، ووهبه الصولجان الذي يوجّه ويدير.. كان ميدوس Medos أول زعيم للشعب المسلّح. ومن بعده أتمّ ابنه العمل: لقد كان عقله يتحكم في وجداناته وأهوائه.. والثالث كان قيرس Keros ذلك البطل ذو الطالع السعيد، فإنه لما تولى الحكم أرسى قواعد السلام بين الشعوب الشقيقة، وبعد ذلك فتح لوديا، وافروجيا، واستولى بالقوة على ايونيا كلها. وابن قيرس كان القائد الرابع للجيش، واستولى ماردیس على المُلْك وكان الخامس، ولكنه كان عاراً على وطنه وعلى هذا العرش العريق - حتى اليوم الذي فيه قتله أرطفريتس الشجاع، قتله بالحيلة في قصره، بمساعدة اصدقاء اتحدوا للقيام بهذه المهمة وأنا أيضاً، حينما أعطاني الحظ ما تمنيته، قُمت بحملات مع جيوش عديدة: لكنني لم أجلب على وطني مصيبة كهذه. لكن ابني أحشويرش، وهو شاب، يفكّر بعقلية الشباب وينسى نصائحي. فاعلموا إذن، يا أصحابي، فحتى لو أخذنا جميعاً معاً، فإننا لا يمكن أن نظهر ونحن الذين ملكنا هذه الامبراطورية، بمظهر من فعلوا كل هذه البلايا.

رئيس الكورس: لكن يا مولاي داريوس، إلى أية نتيجة تريد أن تصل بأقوالك هذه؟ كيف نستطيع، نحن الفُرْس، أن نعمل على خير وجه؛

داريوس: ألا تحاربوا أبداً في بلاد اليونان، حتى لو كان جيش الميديين أقوى. ذلك لأن أرض بلادهم حليفة لهم.

قائد الكورس: ماذا تقصد؟ كيف هي حليفة لهم؟

داريوس: بأن تُهلك بالجوع الجموع الكبيرة جداً.

رئيس الكورس: لكننا نجند جيشاً منتخباً، مسلّحاً بأسلحة خفيفة.

داريوس: لكن حتى الجيش الذي بقي الآن في بلاد اليونان لن يحصل على النجاة والعودة!

رئيس الكورس: ماذا تقول؟ هل لم يجتز كل الجيش الفارسي مضيق هِلّيه ويغادر أوروبا؟

داريوس: كلا، بعض الرجال من بين الآلاف ـ إذا كان علينا أن نصدّق وحي الآلهة، بملاحظة كل ما تمّ: لا يشاهد تحقيق بعض هذا الوحي دون تحقيق البعض الآخر؛ وإذا كانت الوقائع هي كذلك، فإن احشويرش، بتركه فرقة مختارة، فإنه يطيع آمالاً كاذبة. إنها باقية في الأماكن التي فيها نهر أسوپوس Asopos يروي الساحل بمياهه الجارية، إنه المغذي المحبوب لأرض بيوتنا، وهناك تنتظرهم آلام في غاية الشدة، جزاءً وفاقاً لتجاوزهم الحدّ وغطرستهم الفاجرة: إنهم جاءوا إلى بلاد اليونان، ولم يترددوا في نهب تماثيل الآلهة وإحراق المعابد؛ وهم الذين دمّروا المذابح وصور الآلهة وقلبوها رأساً على عقب، وحطموا قواعدها. إنهم آثمون مجرمون، فاستحقوا العقاب بقدر جرائمهم وتنتظرهم مصائب أخرى: إن نبأ مصائبهم لم يصل بعد إلى أساسه بل سيزداد الأمر سوءاً ذلك لأن الرمح الدّوري (= اليوناني) سيسيل على أرض پلاتيا Plateé فيضاً من الدماء[1] ويصرع أكواماً من الموتى، بلغة خرساء، حتى الجيل الثالث. وكل هذا يؤكد لنظرات الناس أنه ينبغي على كل فانٍ ألا يتعلل بأفكار هي فوق أحواله الفانية. إن تجاوز الحدّ حين ينضج ينتج سُنْبلة الخطأ، والمحصول الذي يُحصل عليه لا يتكون إلا من دموع. اعتبروا دائماً بهذا العقاب واجعلوه نصب أعينكم؛ وتذكروا مدينة أثينا وبلاد اليونان[2]، وليس لأحدٍ منكم أن يذهب، مزدرياً مصيره وقدره، ليطمع في غيره، فتنهار بذلك سعادة كبيرة. إن زيوس هو المنتقم من الأفكار المتعجرفة ويكلّف أصحابها بدفع حساب رهيب عنها. ولما كان احشويرش فقيراً في العقل والفطنة، فلتلقّنه نصائحك العاقلة درساً، كي يكفّ عن إهانة الآلهة بجسارته الوقحة.

---

(١) انتصار اليونانيين على الفرس في معركة پلاتيا يرجع الفضل فيه الى الجيش المغولي.

(٢) كان داريوس قد أعطى أمراً بهذا، عند تناوله لأية وجبة طعام: فكان على أحد الجند أن يقول له ثلاث مرات: «مولاي! تذكّر الأثينيين» (هيرودوت ن: ن ١).

وأنتِ، يا أُم أحشويرش العجوزة العزيزة، ادخلي في قصرك. وتزيَّني بأفخر زينة. واذهبي لملاقاة ابنك: إن ملابسه، في الألم الذي يعانيه، ملابسه ذوات الألوان العديدة قد تمزقت على جسمه إرباً إرباً.. هدِّئي نفسه بكلمات طيبة، فأنت وحدك التي يمكن أن يتحمّل كلامها. أما أنا، فإني عائد إلى ظلمات العالم السفلي؛ وأنتم، أيها الشيوخ، وداعاً! وحتى في وسط المصائب، هبوا أنفسكم السرور الذي يوفّره لكم كلُّ يوم: أما عند الموتى، فالثروة لا تفيد شيئاً.

(الشبح يختفي. صمت طويل)

رئيس الكورس: آه! كم أتألم حين أسمع أن الكثير من الآلام، في الحاضر وفي المستقبل، تنتظر الفُرْس!

الملكة: أيها المصير! كم من الآلام تنفذ في نفسي حين أفكر في مثل هذه البلايا! لكن المصيبة التي تشق عليَّ خصوصاً هي عار الملابس التي تغطي الآن جسم ابني. إني ذاهبة إلى القصر للبحث عن ملابس جديدة؛ وبعد ذلك سأحاول لقاء ابني: في البلاء لن أخون أعز الناس عندي.

(تخرج).

الكورس: آه! الحياة العظيمة، الجميلة التي كانت لمدننا الطيّبة، حينما كان يحكم على هذه الأرض الملك العجوز، القدير، المُحْسِن، الذي لا يُقْهر: داريوس المساوي للآلهة!

ونحن خصوصاً أظهرنا للعالم جيوشاً ذات مجد لا غبار عليه؛ جيوشاً لم توجِّه ضد العدو إلاّ الفن المعتاد للحصار[1]، ثم عادت دون مشقة ولا خسائر الى بيوتها سعيدة.

كم من مدنٍ فتحها دون أن يجتاز نهر هالوس[2] Halys، بل ودون أن يغادر مسكنه!

(١) النص اليوناني هنا صعب الفهم. لكن الفكرة العامة فيه هي أنه كان من تقاليد الفرس ألا يخوضوا الحروب إلاّ على البرّ، وأن يقيموا الحصار حول المدن، وأن ينجوا بخيولهم. ولم يكن على الشاهنشاه إلاّ أن يترك الجيوش تحارب: فالنصر كان حليفها في كل مكان، وكانت تعود دائماً منتصرة. غلط أحشويرش أنه تخلّى عن هذه التقاليد الحربية الفارسية، واقتاد جيوشه عبر البحار والمخاطرة بخوض معارك بحرية.

(٢) نهر هالوس هو الحد الطبيعي بين الامبراطورية الميدية واقليم لوديا.

كل المدن النهرية على بحيرة استرومون[١] والتي تتاخم مدن تراقيا وخارج هذه البحيرة، على الأرض الراسخة، تلك التي تملك نطاقاً من الاستحكامات ـ قد خضعت لهذا الملك. والمدن التي تجلس بكبرياء على شواطىء مضيق هِلّيه الواسع، والانحناء العميق لإقليم البنطش ومصبّات البنطش.

والجزر التي تحيط بها الأمواج، وقد تجمعت حول رأس بحري، ترتبط بأرضنا في آسيا، مثل: لسبوس، وشامس التي تحظى بأشجار الزيتون، وخيوس، وكذلك پاروس، وناكسوس، موقونس؛ وأخيراً أندروس، الجارة المرتبطة بتانوس Tanos.

وهو قد سيطر ايضاً على المدن القائمة في وسط البحر، بين القارتين (آسيا وأوروبا): لمنوس Lemnos وبلاد ايكاروس Icaros، ورودس، وكنيد Cnide، ومدن قبرص وهي: پافوس، وسولي Soli، وسلامين، وعاصمتها اليوم تسبّب نواحنا!

والمدن الغنية في المجال الأيوني، التي يكثر فيها السكان اليونانيون: وهذا ـ بفكره هو وحده ـ مستنداً إلى قوة جنوده التي لا تكِلّ، والجموع الهائلة لأعوانه!

لكننا نعاني اليوم من انقلاب للموقف يبدو بوضوح أنه قد أراده، الآلهة، ونحن ننحني تحت ضربات هائلة قد أصابتنا بها الحرب في البحر.

(عربة بأربع عجلات، تحمل نوعاً من الخيمة، تدخل في الأوركسترا، ينزل منها أحشويرش ببطء وهو يترنّح، ثم يخطو بضع خطوات نحو الكورس).

احشويرش: واحسرتاه! يا لشقائي! أي مصير مفزع غير متوقّع لاقيت إذن! وبأيّ قلبٍ قاسٍ انقض «المصير» على الجيش الفارسي! أنا البائس، ماذا سأصير؟ إني أشعر بانقطاع قوّة أعضائي، حينما أتأمل هنا شيوخ مدينتي. آه! ألا ليتني، يا زيوس، قد تقاسمت مع جنودي الموتى مصيرهم، ودُفِنْتُ في الموت!

---

(١) الكلام هنا هو عن المدن التي انتزعها كيمون من الفرس في حملته على تراقيا. وبعد هذا الانتصار حاول الأثينيون انشاء مستعمرة في هذا الاقليم.

(٢) كان يوجد في قبرص مدينة تسمى: سلامين، أسسها ـ بحسب الأخبار المنقولة، فويكروس، أخو أياس، وابن طلامون، وقد طرده أبوه من سلامين الأخرى (القريبة من اثينا) لأنه لم يستطع الدفاع عن أياس أو الانتقام له.

قائد الكورس: واحسرتاه، أيها الملك، على جيشنا الرائع، وعلى جلال القوة الفارسية ـ وعلى هندام المحاربين الذين أطاح بهم «المصير»!

الكورس: إن هذه الأرض تنوح على الشبيبة التي نبتت منها، والتي ذبحها أحشويرش، المورّد للعالم السفلي الذي بسبيل الامتلاء من الفُرْس. سيقوا مثل القطعان، رجال بالآلاف، زهرة هذه البلاد، قوّاسون ظافرون، جمهور لا عداد له ومتماسك ـ كل هؤلاء هلكوا إلى غير رجعة! ابكوا، ابكوا على المدافعين عنا الصناديد! ـ إن آسيا، يا ملك هذه الأرض قد ركعت وذَلّت.

أحشويرش: إنه أنا إذن، أنا البائس المسكين، الذي كنت بلاءً على جنسي وعلى وطني.

الكورس: من أجل تحيّة عودتك، أوجه إليك الصرخة التي تتحدث عن البلاء، والشكاة المخصصة لمصيبة الباكي المارياندوني[1]، والمرثية الغارقة في الدموع.

أحشويرش: آه! أفيضوا إذن في النبرات الأليمة، النائحة، الكئيبة، إن «المصير» قد انقلب ضدي من الآن فصاعداً.

الكورس: أجل، سأفيض في النبرات النائحة، من أجل توكيد الضربات الفظيعة التي أصابتك في البحر؛ وسأكون الباكي على الوطن، وعلى الجنس، وسأصيح من الآن فصاعداً صيحة الشكوى الباكية.

أحشويرش: آرس ايونيا قد سلبنا كلَّ شيء، آرس البحري الخاص بأيونيا قرر مصيرنا بإطاحته بالسهل الحزين والشاطىء الأليم!

الكورس: واحسرتاه! أصرُخْ وتَعَلَّمْ. أين إذن ما بقي من جموعك؟ أين القائمقامون: فرناداكس، سوساس، وپيلاجون، ودوتامس، وأجداباتس، وپساميس، وسوسسكانس الذي غادر اكباتان؟

احشويرش: هلكوا! لقد تركتهم هناك، بينما اصطدموا بالصخر الوعر وقد سقطوا من السفينة، بالقرب من شواطىء سلامين.

---

(١) الماريانذون قبيلة من پثونيا. والشعراء الأثينيون كثيراً ما يشبهون الترنيمات المأساوية بالمراثي الشعائرية المستخدمة في بعض العبادات الشرقية.

الكورس: وا أسفاه وأين صاحبك فرنوكس؟ وأين أريوماردس الصنديد؟ وأين المولى سناكس؟ وليلايوس المنحدر من أجداد نبلاء، وممفيس، وثروبس؟ وماسستراس، وأرتمبارس، وهوشيشماس؟ أجِبْ عن أسئلتي.

أحشويرش: الويل لي، الويل لي لقد تأملوا مدينة أثينا القديمة البغيضة؛ وبعد ذلك سقطوا صرعى على الرمال، سقطوا جميعاً بضربة واحدة! يا للبائسين!

الكورس: وذلك الذي أحصى الفُرْس بالآلاف[١]، عَيْنك[٢]، المخلص دائماً: أبستوس[٣]، ابن بتنوكاس، ابن سيسامس؟ وبارثوس، وأويبارس الكبير؟ لقد تركتهم إذن، تركتهم؟ آه! آه! يا للشقاء! آلام شديدة الإيلام أصابت الفُرْس الأشاوس!

أحشويرش: أجل! أنت توقظ في نفسي الحنين إلى رفاقي الشجعان، بكلماتك المروّعة، القاسية، المفرطة في الإيلام. إن قلبي يصرخ في أعماق أعضائي.

الكورس: وثم كثيرون آخرون نحن نبكيهم: اكسانتس، الذي قاد عشرة آلاف فارس ماردي[٤]؛ وأنخارس الشجاع، ودياكسيس، وأرسامس، وكانوا على رأس فرسانهم! وداداكس، ولوثمنس، وطولموس، القاذف بالمقلاع الذي لا يكاد - إني مندهش لعدم رؤيتي لهم وراء العربة ذات الهودج[٥]!

أحشويرش: لقد هلكوا، كل أولئك الذين قادوا جيشي!

الكورس: لقد هلكوا، وا أسفاه بشكل مليء بالعار!

أحشويرش: وا أسفاه! وا أسفاه!

---

(١) اشارة الى الاحصاء الذي قام به احشويرش لجيشه في تراقيا، وقد اسفر عن مليون وسبعمائة ألف جندي (هيرودوت ٧: ٦٠).

(٢) كان هذا لقب كل مندوبي وعمّال الشاهنشاه.

(٣) في النص اليوناني هنا نقص بمقدار بضع كلمات.

(٤) الماردبون Mardes. قبيلة فارسية رحّالة (هيرودوت ١: ١٢٥).

(٥) كان الفرس يستخدمون في أسفارهم عربة يسميها اليونانيون: هرما كاسا، كان مقدمها يشبه عربات القتال. وفي خلفها ما يشبه الخيمة اني يستطيع المسافر أن يتخفى فيها. وكان الشاهنشاه يستخدمها لنفسه ولحريمه.

الكورس: واحسرتاه! إن الآلهة قد أحدثوا كارثة غير منتظرة: بأي سطوع تجلّت أتيه Até!

أحشويرش: نحن أُصِبنا بكارثة أبدية.

الكورس: نحن أُصِبنا ـ هذا أمرٌ في غاية الوضوح.

أحشويرش: أُصِبنا بنكسةٍ لم يُسْمَع بمثلها من قبل.

الكورس: لأننا اصطدمنا ـ وهذه ضربة من القَدر أليمة ـ ببحّارة ايونيا! إن شعب فارس كان في الحرب شقياً.

أحشويرش: هذا صحيح. لقد أُصِبْتُ أولاً في جيشي العرمرم.

الكورس: ماذا بقي منه؟ لقد كانت عظيمة قوة الفُرْس.

أحشويرش: أنت ترى كلَّ ما بقي من قُوّات الفُرْس التي حشدتها.

الكورس: إني أرى، إني أرى!

أحشويرش: وهذه الكنانة.

الكورس: ماذا تقول؟ ماذا انقذت أيضاً؟

أحشويرش: احتياطيّ من الأسهم.

الكورس: هذا قليل من بين آلاف.

أحشويرش: ها نحن اولاء بدون مدافعين!

الكورس: إن شعب إيونيا لا يفرّ من القتال.

أحشويرش: إنه شجاع جداً! وقد شاهدت عيناي ايضاً كارثة غير متوقَّعة.

الكورس: هل تقصد هزيمة أسطولك الحربي؟

أحشويرش: وهذه الضربة القاضية جعلتني أُمزّق ملابسي.

الكورس: وا أسفاه! وا أسفاه!

أحشويرش: كلا، بل قُلْ: «وا أكثر من أسفاه!»

الكورس: نعم، مصائب مزدوجة، ومثلثة!

أحشويرش: ألَم لنا، وسرور لأعدائنا.

الكورس: وقوّتنا نفسها قد حُطِّمت.

أحشويرش: وهأنذا مجرد من الحراسة!

الكورس: بسبب هزيمتنا في البحر!

أحشويرش: ابكوا، ابكوا من الكارثة، واسلكوا الطريق الى القصر.

الكورس: وا أسفاه! وا أسفاه! أية نكسة! أية نكسة!

أحشويرش: اصرخ لتردَّ على صرخاتي.

الكورس: توفيق بائس لبائسين!

أحشويرش: نُحْ مازجاً أناشيدك بأناشيدي. وا أسفاه! ثلاث مرات وا أسفاه.

الكورس: وا أسفاه! ثلاث مرات وا أسفاه! صحيح ان الضربة كانت قاسية؛ لكن ثمّ ما يضيف أيضاً إلى آلامي!

أحشويرش: اضرِبْ، اضرب بايقاع! ونُحْ، إن رُمت إرضائي.

الكورس: لقد غرقت في الدموع، وا حُزناه.

أحشويرش: اصرُخْ لتردّ على صرخاتي.

الكورس: عندي ما يذكّرني بهذا، يا مولاي.

احشويرش: أطلِقْ زفراتك، وا أسفاه، ثلاث مرات وا أسفاه!

احشويرش: واضرب صدرك ايضاً، وأطلق النداء الموساوي.

الكورس: يا أيتها الآلام، يا أيتها الآلام!

أحشويرش: وانكش أيضاً شعر لحيتك الأبيض.

الكورس: بكل يديّ، بكل يديّ، وعلى نحو فاجع.

أحشويرش: وأطلق صرخة حادّة.

الكورس: وفي هذا أيضاً أنا أطيعك.

أحشويرش: وبيديك مَزّق القماش الذي يغطي صدري.

الكورس: يا للآلام، يا للآلام!

أحشويرش: وانتزع شعرك وأنت تنوح على الجيش.

الكورس: بكل يديّ، بكل يديّ، وعلى نحو فاجع.

احشويرش: بلِّل عينيك بالدموع.

الكورس: لقد غرقت (في الدموع).

أحشويرش: اصرُخْ لتردَّ على صرخاتي.

الكورس: وا أسفاه! وا أسفاه!

أحشويرش: اسلك الطريق إلى القصر وأنت تنوح.

الكورس: وا أسفاه! وا أسفاه!

أحشويرش: وا أسفاه! من خلال المدينة.

الكورس: وا أسفاه نعم، نعم، وا أسفاه!

أحشويرش: عليك بالنواح، أيها الموكب الحزين.

الكورس: وا أسفاه! أرض فارس، الأليمة على خطواتنا.

أحشويرش: وا أسفاه! وا أسفاه! على أولئك الذين هلكوا ـ وا أسفاه! وا أسفاه! ـ هلكوا بسفننا ذوات الثلاثة صفوف من المجاديف.

الكورس: أجَل، سأشيعك بزفراتي الحزينة.

(الكورس يخرج خلف المَلِك).

انتهت مسرحية

«الفرس»



مَسرحيَّة «برومِيثيوس مَغلولاً»



مُقَدّمة «بروميثيوس مغلولاً»

بقلم: الدكتور عبد الرحمن بدوي

- (١) -

بروميثيوس

هو المحسن لبني الإنسان، بأن «سرق» النار من الآلهة وأعطاها للإنسان، فعاقبه زيوس، كبير الآلهة، على هذا الفعل بأن قيّده بالأغلال العاتية إلى صخرة عاتية في قمة جبل، وبهذا صار رمزاً فريداً لصراع الانسان ضد ظُلم الأقدار، أي رمزاً، لحال الانسان بعامة إبان وجوده في قيد الحياة.

وهو من الطيطان. والطيطان جنس من الآلهة، ولدوا من القران بين «أورانوس» (السماء) و«جايا» (الأرض). وقد تصوّرهم اليونانيون كائنات ذوات قامات عملاقة، وقد حكموا العالم في بداية الزمان. وأشهرهم هم: خرونوس، ريا، أوقيانوس، أثوس، يافت، هوپريون، كوثيوس، كريوس، فوبيه، ثميس، مناهرسونة، ثايا. وبعض أبنائهم عُدّوا من الطيطان أيضاً وهم: هيلوس (الشمس)، بروميثيوس، ابيمثيوس، اطلس. ووقع الصراع بينهم وبين الآلهة، كما وقع أيضاً بين بعضهم وبعض. فخرونوس خلع أباه أورانوس عن العرش، وزيوس طرد

خرونوس من عرش الكون بعد معركة رهيبة جرت بين الآلهة من ناحية، والطيطان من ناحية أخرى. وانضم بعض الطيطان إلى زيوس وصاروا أنصاره ضد بني جنسهم الطيطان: إذ انضم پرومثيوس، والعمالقة ذوو المائة ذراع، والقوقلوفات إلى زيوس وتحالفوا معه؛ وظل عدد من الطيطان على الحياد في القتال بين زيوس والآلهة بوجه عام وبين الطيطان، نذكر منهم: أوقيانوس، وهليوس.

ونعود إلى پرومثيوس ـ وهو الذي يهمّنا ها هنا ـ فنقول إن أباه هو يافت؛ أما أُمّه فهي ثميس، أو كلومينا بنت أوقيانوس، التي أنجبت أيضاً اپيمثيوس، وأطلس، ومينوئيتيوس.

وتختلف الأسطورة التقليدية الخاصة بپرومثيوس عن الصورة التي نجدها عنه عند الشعراء اليونانيين. فتلك الأسطورة تقتصر على أن تصوّره، بأنه محتال ذكي أفلح في خداع زيوس كبير الآلهة. أما هزيود في «نشأة الآلهة»، واسخولوس في مسرحية «پرومثيوس مغلولاً» فيصورانه على أنه خالق بني الانسان والمحسن إليهم بإعطائهم النار التي سرقها من الآلهة، ولما كانت النار هي العنصر الرئيسي في قيام الفنون والصناعات فإن پرومثيوس هو إذن مبدع الحضارة.

ولما قامت الحرب بين زيوس وبين الطيطان، نصح پرومثيوس أبناء جنسه الطيطان باستخدام الحيلة لأنهم لن يستطيعوا التغلب على زيوس بواسطة القوة. بيد أنهم سخروا منه وازدروه، ولهذا تخلّى عنهم وانضم إلى زيوس. وفعلاً انتصر زيوس بقوته الهائلة على الطيطان، وألقى بهم، في طرطارس، أي العالم السفلي. لكن ما لبث پرومثيوس أن وقع في خلاف مع زيوس بشأن بني الإنسان: كيف ومتى حدث هذا الخلاف؟

أما بحسب هزيود، فإن پرومثيوس هو الذي خَلَق الإنسان من طين مأخوذ من أرض پانوپيه Panopée في مقاطعة بيوتيا Beotie في بلاد اليونان. وكان پرومثيوس صانعاً بارعاً يصنع أشكالاً من الطين قامت الإلاهة أثينا Athena بنفخ الحياة فيها. وبحسب بعض المصادر فإنه كان يعرض كل شكل يصنعه على زيوس ليوافق عليه، لكنه نسي أن يعرض أحد الأشكال على زيوس، وهو شكل شاب جميل جداً، اسمه: فاينون Phaenon (= الوضّاء). فلما اكتشفه زيوس، رفعه إلى السماء وحوّله إلى كوكب، هو كوكب المشتري.

لكن لما رأى زيوس أن الانسان الذي خلقه پرومثيوس كائن شرير، فإنه قرر ابادته ابتغاء خلق جنس جديد أفضل.

وفي سبيل إبادة الجنس الإنساني بدأ زيوس بأن حرمهم من النار. وحاول بعد ذلك أن يميتهم من الجوع بأن طلب منهم أن يقدموا إليه كقربان أحسن الأطعمة الإنسانية. لكن پرومثيوس أفلح في درء هذا الخطر بالحيلة التالية: عُقِد لقاء بين الآلهة وبين الإنسان في ماكونيه Maconé (التي صارت فيما بعد: سكيون Sicyon) من أجل تحديد ما هي الأجزاء من لحم الأضاحي التي يجب تخصيصها للآلهة. واختاروا حكماً في هذا الأمر پرومثيوس، فجاء بثور وذبحه وقطّعه إرباً إربا، وقسّمه إلى قسمين: قسم يحتوي على الأحشاء وقد كساها بالشحم؛ أما القسم الآخر فكان الأفضل ويشمل بطن الثور. ثم طلب من زيوس أن يختار القسم الذي يريده. فاختار زيوس القسم المغطى بالشحم، ظنّاً منه أنه اكتشف الحيلة؛ وهكذا وقع في الفخ. وهذا هو السبب في أنه منذ ذلك الحين، فإن الناس يقدّمون في القرابين الشحم والأحشاء. فلما أحسَّ زيوس بأنه انخدع، فإنه عاقب بني الإنسان بأن حرمهم من النار.

ازاء هذا، سرق پرومثيوس النار في غصن من الشَّمر Fenont، على جبل الأولمب أو في محل حدادة هيفايستوس. وقدّم هذه الشعلة إلى بني الانسان. ثم علّمهم الكثير من الصناعات، ومنها صناعة الحديد.

لكن پرومثيوس منع بني الإنسان من معرفة المستقبل، وهو كان يعرف المستقبل - ومن هنا جاء اسمه: پرومثيوس، أي: العارف بالمستقبل، والسبب في هذا المنع هو أنه خاف على بني الانسان أن يصابوا باليأس والجنون لو أنهم عرفوا مستقبلهم.

وذات ليلة شاهد زيوس الأرض مغطاة بمقدار كبير من الأضواء المحمارّة، فغضب غضبة شعواء، وكلّف أثنين من خدمه هما كراتوس وبيا Bia، وكذلك هيفايستوس بأن يقبضوا على پرومثيوس وأن يقيدوه بالأغلال على جبل (ربما كان جبل القوقاز)، عند حدود الأوقيانوس، بعيداً عن بني الإنسان. ثم ارسل نسْرَه في كل يوم ليلتهم كبد پرومثيوس، وكان هذا الكبد يتولد من جديد اثناء الليل. وذلك لأن پرومثيوس كان خالداً لا يموت، لأنه من جنس الطيطان كما ذكرنا.

ولما رأى زيوس أن پروميثيوس يسخر منه لأنه رفض أن يكشف له السرّ في خلوده؛ فإنه أهاب بالصاعقة الصخرة التي قيّد بها پروميثيوس، فسقطت هذه الصخرة في طرطاروس (العالم السفلي).

وأخيراً، وبعد مرور ما لا نهاية له من السنين، أذِن زيوس بفك أغلال پروميثيوس، في مقابل خبر أخبره به وكان خبراً ذا أهمية بالغة بالنسبة إلى زيوس، وهذا الخبر مفاده أن الأبن المولود من ثاتيس Thétis سيكون أقوى من أبيه، حينئذ جاء هرقلس، ابن زيوس، وقتل النَّسر بسهم، وخَلّص پروميثيوس من أغلاله. وجزاءً لهذا الفعل، بيّن پروميثيوس لهرقل الوسيلة للحصول على تفاحات هسپريدس التي كان يسعى للحصول عليها. ولولا المعلومات التي كشفها پروميثيوس لزيوس، لكان زيوس قد تزوّج ثاتيس Thétis، ولكان قد عُزِل عن عرشه بواسطة ابن أقوى منه، كما فعل هو حينما خلع أباه خرونوس عن العرش.

ـ (٢) ـ

إيو

والشخصية الثانية في هذه المسرحية هي إيو Io.

إنها بنت إيناخوس Inachos الإله النهر، وأول مَلِك على مدينة أرجوس. وأُمّها هي مليا Melia.

وكانت كاهنة للإلاهة هيرا، زوجة زيوس. وقد عشقها زيوس، مما أثار غيرة هيرا: وفي أحلامها شاهدت إيو مرات عديدة وهو يهمس في سمعها ويرجوها أن تلحق به في مروج لونا. فلما روت إيو لأبيها إيناخوس هذه الرؤى، استشار إيناخوس وحي مدينة دلف ووحي دودونه، فأخبراه، بعد تردد وإجابات غامضة، أن عليه أن ينفي ابنته إيو من البلاد الى الأبد إذا شاء ألا يصيب زيوس بلاده بالصاعقة. ولم تكد إيو تغادر بيت أبيها حتى تحوّلت إلى بقرة بيضاء جميلة ـ إما بواسطة هيرا وإما بواسطة زيوس. كذلك تسلطت عليها نُعْرة (بعوضة) تعذّبها باستمرار، وقد ارسلت هيرا هذه البعوضة إليها؛ وكان لسع هذه النعرة لها يمنع من توقفها وقتاً كافياً كي يغشاها زيوس ويفضّ بكارتها. كذلك كلفت هيرا راعياً عملاقاً له مائة عين ـ اثنتان فقط منها تغلقان في وقت واحد ـ واسم هذا الراعي هو: أرجوس ـ بأن يراقب هذه البقرة.

بيد أن زيوس لم يفقد الأمل في غشيان إيو. فكلّف هرمس بإبعاد أرجوس عن هذه البقرة الجميلة، ومن أجل ذلك اضطر هرمس إلى التخفي في شكل راعٍ، ليبعد الشكوك عن أرجوس ذي المائة عين وأفلح هرمس في جعله يغط في النوم بأن كان يروي له الحكايات ويهدهده بالعزف على ناي. فلما أغلق النوم كل عيون أرجوس، استل هرمس سيفه وهوى به على هذا الراعي العملاق. لكن قتل أرجوس لم يكن كافياً لمساعدة زيوس، لأن النعرة ظلت تعذّب إيو، كما أن شبح أرجوس ظل يطاردها. فراحت تذرع الأرض: فمرّت بوحي رودون الذي حيّاها بوصفها زوجة زيوس المقبلة؛ ثم ساحلت البحر الأدرياتي، وباسمها سُمّي الخليج الايوني. ثم توجهت نحو الشمال حتى وصلت إلى الإقليم القريب من المحيط حيث كان بروميثيوس مغلولاً إلى الجبل. وهنا أخبرها بروميثيوس بمصيرها. وبعد ذلك اجتازت بلاد الاسقوثيين وبلاد القوقاز. وساحلت البحر الأسود وعبرت البوسفور. ومن هناك توجهت نحو بلاد الجورجون، وانتهى بها المطاف إلى مصر. وفي مدينة رشيد Canope ـ عند مصب النيل ـ لحق بها زيوس، وأعادها إلى شكلها الأصلي بأن لمس بيده جسمها، وباشرها فأنجبت ابناً هو إبافوس Epaphos (ومعناه اللغوي: لمس زيوس). وحكم إبافوس على مصر وافريقية. وانجب الكثير من الأسر، ومن بينها الأسرة المالكة في مدينة أرجوس (ببلاد اليونان).

تلك هي الرواية الواردة في مسرحيتنا هذه عن إيو. وثم رواية أخرى تختلف عن هذه كثيراً، أوردها أوفيد في كتابه «التحوّلات» ولا محل ها هنا لإيرادها.

ـ (٣) ـ

خلاصة المسرحية

وخلاصة المسرحية التي ألفها اسخولوس (٥٢٥ ـ ٤٥٥ ق.م) هي على النحو التالي.

المسرح يمثّل جبلاً يقع في أقصى شمال أوروبا. والقدرة والقوة وهما المكلفتان بتنفيذ إرادة زيوس، وهيفايستوس، ابن زيوس قد اقتادوا الطيطان بروميثيوس، المتهم بأنه سرق النار من الآلهة وأهداها إلى بني الإنسان. وزيوس أمرهم بأن يقيدوا بروميثيوس الى قمة هذا الجبل. لكن هيفايستوس يتردد، لأنه

يعطف على پرومثيوس. وإذا بالقدرة التي لا ترحم تنتهر هيفايستوس وتحثه على تنفيذ أمر أبيه، فيضطر إلى تنفيذ عملية تقييد پرومثيوس بالأغلال. ولما أتم هذه العملية هو ومساعداه انسحبوا من المسرح.

وطوال العملية لم يصدر عن برومثيوس أية شكوى أو صراخ. لكنه لما صار وحده، انطلق يشكو ظلم زيوس. وفجأة يشاهد عربة مجنّحة تهبط بالقرب منه. وكانت تحمل ثلّة من الأوقيانوسيات، وهن بنات الطيطان أوقيانوس، وهو من أقرباء برومثيوس. وقد جئن لمواساة برومثيوس. فرحن يرثين لحاله عنده ويبدين غضبهن لما اصابه. لكن پرومثيوس ظل رابط الخاش، لأنه واثق من أنه سيطلق سراحه ذات يوم، ذلك أن لديه سرّاً سيخلع زيوس عن العرش، إن لم يعرف هذا السر مقدماً. وراح يروي للأوقيانوسيات ما سبق أن أسداه من خدمات لزيوس، وكيف أنه ساعده في صراعه مع الآلهة الذين سعوا إلى خلعه عن عرش الآلهة. ثم ذكر ما أسداه لبني الانسان من نِعَم. ثم جاء أوقيانوس هو نفسه راكباً جريفون، عارضاً على پرومثيوس أن يتوسط في الصلح بينه وبين زيوس. بيد أن پرومثيوس نصحه بعدم التدخل في الأمور حتى لا يصيبه شرّ من زيوس نتيجة هذه الوساطة: فلم يلحّ اوقيانوس، ومضى راضياً لأنه قام بواجبه نحو قريبه پرومثيوس؛ وركب جريفوته وعاد من حيث أتى.

واستأنف برومثيوس، أمام الأوقيانوسيات، روايته، مذكراً بما صنعه من جلائل الأعمال لصالح بني الإنسان: فهو لم يقتصر على أن أعطاهم النار التي بها يستطيعون أداء الكثير من الصناعات؛ بل علّم بني الإنسان أيضاً: الفلك، والطب، والتنبؤ بالغيب، وعلم العدد، والكتابة، واستخدام المعدن.

واثناء ما كان يخوض في حديثه هذا مع الأوقيانوسيات، إذا بفتاة تحمل في جبينها قرون بقرة تأتي مندفعة على المسرح. إنها إيو التي أتينا على ذكر سيرتها منذ قليل. وقد تعرّف پرومثيوس مَنْ هي وذكر لها اسمها، مما أثار في نفسها الدهشة الشديدة. وطلبت منه أن يكشف لها عن المستقبل، ومتى تنتهي محنتها.

لكن الأوقيانوسيات تشوّقن إلى معرفة ما جرى لها من تجارب وبلايا. فراحت إيو تروي لهم ـ بعبارات تتسم بالحياء ـ ما شاهدت في أحلامها من رؤى، وما أنبأها ألوان الوحي من ضرورة الاستسلام لحبّ زيوس الذي اشتهاها لما أن كانت كاهنة؛ وذكرت كيف تحوّلت إلى بقرة بيضاء، تطاردها نُعرة تلسعها

باستمرار، وكيف أن هيرا هي التي فعلت ذلك غيرة منها لأن زوجها زيوس قد عشق إيو.

وفي إثر ذلك تنبأ لها بروميثيوس بما سيكون مصيرها؛ ولكي يثبت لها صحّة تنبؤاته راح يذكر لها ما وقع لها قبل ذلك من أحداث وتجارب وما مرت به من وباء وبلاء. أما فيما يتعلق بمستقبلها فإنه تنبأ لها بأنه سينتهي بها التجوال في بلاد العالم إلى الوصول إلى مصر، وكيف أن زيوس سيعيدها إلى سيرتها الأولى، وغشيها زيوس وهي في مدينة رشيد - في مصر عند مصب نهر النيل - ومن هذا الغشيان أنجبت من زيوس ابناً هو ابافوس Epaphos، وسينجب ابافوس ابناً هو الذي سيفك أغلال پروميثيوس. ولم يكد پروميثيوس يتم تنبؤاته حتى عادت إليها نوبة الهذيان التي تسببها لها لسعة النعرة؛ فهربت مسرعة.

وعلم زيوس أن پروميثيوس هدده بالخلع عن عرشه. لهذا أرسل ساعي بريده هرمس ليأمره بالإفصاح عن السرّ الذي يحمله. فرفض پروميثيوس أن يفصح عن هذا السرّ لهرمس. هنالك أرسل زيوس صاعقه على الصخرة التي قيد إليها پروميثيوس، فسقطت الصخرة ومَنْ عليها في أعماق الأرض.

وهكذا تنتهي هذه المسرحية.

- (٤) -

تحليل المسرحية

ونبدأ بتحديد تاريخ تأليفها ومكانتها بين مثيلاتها.

لا نعرف على وجه الدقة متى ألّف اسخولوس مسرحيته هذه: «پروميثيوس مغلولاً». وكل ما نعرفه في هذا الشأن هو أن اسخولوس قد مثلت له مسرحية بعنوان «پروميثيوس» في سنة ٤٧٢ ق.م؛ في نفس الوقت الذي مثلت فيه مسرحيته التي عنوانها: «الفُرْس». لكن يغلب على الظن أن «پروميثيوس» هذه إنما هي الدراما الهجائية التي عنوانها «پروميثيوس حامل النار»، وهي الثالثة من المسرحيات التي خصصها اسخولوس لموضوع پروميثيوس.

ذلك ان مسرحية «پروميثيوس مغلولاً» هي واحدة من ثلاثية تدور حول

أسطورة پرومثيوس: ففي فهرست المسرحيات التي ألفها أسخولوس ووصلنا من العصر يذكر لاسخولوس ثلاث مسرحيات في هذا الموضوع، هي:

١ ـ «پرومثيوس مغلولاً»؛

٢ ـ «برومثيوس محرراً»؛

٣ ـ «پرومثيوس حامل النار»؛

وبحسب هذا الترتيب كان تاريخ تأليفها.

ويقول أحد الباحثين الأوائل إن كل الشخصيات في المسرحيات الثلاث التي تدور حول پرومثيوس «هم إلاهيون». ومعنى هذا أن الصراع فيها كلها كان بين آلهة. وكان «الصراع بين الآلهة» موضوعاً مألوفاً في الملاحم اليونانية، وأيضاً في الملاحم التي تتناول تاريخ الكون، كما هي الحال في كتاب «نشأة الآلهة» لهسيود. ذلك أن الآلهة في الأولمب كانت تتصارع فيما بينها على تولي العرش والسيادة على سائرها. وكان الصراع عنيفاً تستخدم فيه القوة العنيفة: فبالقوة والعنف خلع خرونوس عن العرش أورانوس؛ ونفس الأمر فعله زيوس مع خرونوس. لكن يظهر أنه بعد تولي زيوس على عرش الأولمب لم ينافسه أحدٌ، فظلَّ متربعاً على عرش الأولمب دون منازع.

لكن هذا لم يمنع من قيام منازعات ثانوية بين زيوس وبين أشباه الآلهة، لا من أجل الاستيلاء على عرش الآلهة، وإنما لأمور ثانوية. ومن هنا نفسّر إمكان قيام تمرد طيطان مثل پرومثيوس ضد زيوس. فإن هذا التمرّد لم يكن بسبب التنافس على السلطة في الأولمب، بل لأن پرومثيوس عطف على بني الإنسان، فمنحهم النار التي يستعينون بها في قضاء حوائجهم وصنع آلاتهم، كما أنه علّمهم مختلف العلوم والصناعات.

وبحسب ما بقي لنا من هذه الثلاثية، أي بحسب مسرحية «برومثيوس مغلولاً» يتجلى لنا پرومثيوس أنه النموذج الأعلى للمتمرد على الحاكم المستبد؛ خصوصاً وأنه إنما عاقبه زيوس ـ الطاغية، المستبد القاسي المستكبر المتعجرف ـ لأنه أحسن إلى بني الإنسان. فهل معنى هذا أن الآلهة أعداء بني الإنسان ولا يريدون للإنسان نعمة ولا تقدماً ولا راحة في الحياة؟!

لا يريد البعض أن يستنتج هذه النتيجة، ويبرر رأيه هذا بأن ما بقي لنا هو

واحدة من الثلاثية، هي «پروميثيوس مغلولاً»، بينما ضاعت المسرحيات الأخريات: «پروميثيوس محرراً»، و«پروميثيوس حامل النار»؛ ولو بقيا لكانتا غيّرتا صورة زيوس.

لكن هذا القول إحالة إلى مجهول. إذ لم يبق لنا شيء من هاتين المسرحيتين؛ والتلميحات الضئيلة التي وصلتنا عن «پروميثيوس محرراً» لا توحي بشيء يؤدي إلى تحسين صورة زيوس في مواجهة فريسته المظلوم: پروميثيوس. وكل ما نعرفه من هذه الإشارات الضئيلة هو أن مسرح الأحداث قد نُقِل إلى قمة جبل القوقاز، وأن زيوس أرسل إلى پروميثيوس نسراً متوحشاً يلتهم كبد پروميثيوس في كل يوم، وفي أثناء الليل يتكون الكبد من جديد ليلتهمه النسر في نهار اليوم التالي وهكذا أبداً. ولم يخلّصه زيوس من هذا العذاب الهائل إلاَّ بعد أن أفشى پروميثيوس إليه بالسرّ الذي من شأنه أن ينجّي زيوس من الهزيمة ومن السقوط عن عرشه. فلم يكن فكّ پروميثيوس من قيوده بواسطة هرقلس إحساناً وتفضلاً من زيوس، بل ثمناً دفعه زيوس مقابل كشف پروميثيوس لهذا السرّ.

لهذا لا نملك إلاَّ الاقتصار على الصورة التي تقدمها لنا المسرحية الباقية لنا: «پروميثيوس مغلولاً»، والتوقف عن افتراض الفروض المجانية.

وتصوّر پروميثيوس على أنه نموذج المتمرد الثائر على المقادير والأوضاع التي فرضتها المقادير ـ هو السبب في الشهرة الهائلة التي نالتها مسرحية اسخولوس هذ في القرن الماضي لدى أصحاب النزعات الثورية المتمردة خصوصاً على السلطاد الدينية، والسلطات المستقرة التقليدية بوجه عام.

ـ (٥) ـ

موضوع پروميثيوس بعد اسخولوس

حتى العصر الحاضر

موضوع پروميثيوس استلهمه المسرحيون والشعراء منذ الأدب اللاتيني حتى اليوم.

أ) ففي الأدب اللاتيني نجد لوقيوس أكيوس Lucius Accius (ولد في سنة

١٧٠ ق.م) يؤلف مسرحية بعنوان Prometheus وقد استلهمها من مسرحية اسخولوس مباشرة. بيد أنها فُقِدَت.

ب) وفي الأدب البيزنطي نجد لوقيانس السميساطي Lucien de Samusate (١٢٥ ـ ١٨٥ بعد الميلاد) يتناول موضوع پرومثيوس في واحدة من محاوراته الساخرة، وعنوانها «پرومثيوس أو القوقاز». وكما هو واضح من هذا العنوان، فإنه جعل مكان المحاورة في القوقاز. وفيها نرى پرومثيوس، بحضور هرمس وهيفايستوس المكلفين بتنفيذ أمر زيوس، يعرض حججه ضد زيوس، ويتهكم على أوامر هذا الأخير، ويسخر من عدالته سخرية لاذعة، ويدافع عما نُسِبَ إليه من أخطاء: خلق بني الإنسان، وسرقة النار. وفي دفاعه استخدم أبرع طرق الخطابة. ويتجلى زيوس في هذه المحاورة كائناً ظالماً، خالياً من اللطف، عارياً عن الكرامة والنبالة. ويتجلى لنا پرومثيوس بطلاً شهماً، وفي دفاعه عن قضيته يوجّه اتهاماً عنيفاً ضد الآلهة والألوهية بوجه عام.

جـ) وفي عصر النهضة الأوروبية حظي موضوع پرومثيوس بنجاح واسع، لكن ليس في الأعمال الأدبية بقدر ما كان ذلك في فن التصوير.

د) وفي القرن السابع عشر نجد المؤلف المسرحي الأسباني العظيم كالدرون دي لاباركا (١٦٠٠ ـ ١٦٨١) يؤلف مسرحية كوميدية بعنوان «تمثال پرومثيوس». وقد ألّفها في سنة ١٦٦٩، ونشرت في «الجزء الخامس من الكوميديات» لكالدرون (برشلونة ١٦٧٧). وتعد من أفضل كوميدياته التي تناولت موضوعات من الأساطير اليونانية، وهي عديدة نذكر منها: «الصَّدَى ونرجس» وتتناول أسطورة نرجس Narcisse؛ «الحب لا يتحرر من الحب»، ويتناول أسطورة پسوخيس وكيوپيد؛ «الحب السِّحر، الحب»، ويتناول موضوع أوليس وكوكه؛ «الوحش، والشعاع، والحجر»، وتتناول قسوة أناخرته والحب الموافق لها؛ «أجولون وكليمناي»؛ وتابعها بكوميديا عنوانها: «ابن الشمس: فائيتون». وفي كوميدياه عن پرومثيوس والتي تعنينا ها هنا بخاصة نجده يحول الموضوع إلى رمزية فلسفية، تكثر فيها الملامح اللاهوتية.

هـ) وهنا نصل إلى أعظم مسرحية عن پرومثيوس في الأدب الأُوروبي وهي مسرحية «پرومثيوس» Promethus تأليف الشاعر الألماني الأكبر ڤولنجانج جيته

(١٧٤٩ ـ ١٨٣٢). وقد ألّفها في الرابعة والعشرين من عمره (أي في سنة ١٧٧٣) لكنها لم تنشر إلاّ بعد وفاته، وذلك في سنة ١٨٧٨. وكان جيته قد تناول موضوع پروميثيوس في خطبة له ألقاها في الاحتفال بذكرى شكسبير في سنة ١٧٧١، وأبرز فيها شخصية بروميثيوس بوصفه خالق بني الإنسان. كذلك تأثر جيته بكتاب ڤيلند Wieland بعنوان: «حوار في الحُلم مع پروميثيوس».

بيد أن المسرحية التي ألّفها جيته في سنة ١٧٧٣ بقيت شذرة، ولم يكمل تأليفها، وهذا هو السبب في عدم نشره لها إبّان حياته. وتتألف هذه الشذرة من فصلين: في الفصل الأول نشاهد پروميثيوس في حوار مع مركور Mercure، ويقول في هذا الحوار إنه لم يَعُدْ يخشى الآلهة، ويؤكد أن قوة «المصير» فوق قوة الآلهة، وهي فكرة يونانية أيضاً. كذلك يرفض پروميثيوس اقتراح أخيه ايپمثيوس الذي يدعوه إلى أن يأخذ مكانه بين الآلهة الخالدين المقيمين على قمة الأولمب، فيرد عليه پروميثيوس قائلاً: «إنهم يريدون مشاركتي فيما عندي، ولكني أزعم أنني ليس لديّ ما يمكنهم أن يشاركوني فيه. إن ما لديّ أنا هم لا يستطيعون أن يأخذوه منّي. وما يملكونه هم عليهم هم أن يدافعوا عنه». فيلومه أخوه على هذا التعنّت والكبرياء ويقول له: «أنت تُنَحّي نفسك جانباً، ولا ترى ما هي السعادة التي يمكن أن تحظى بها لو أن الآلهة، وأنت، وأهلك وكل السماء شعروا أنهم جميعاً متماسكون في كُلٍّ واحد!». بيد أن پروميثيوس لا يشعر بأي نعيم آخر غير النعيم الذي توحي إليه قوته بوصفه خالق بني الإنسان وما يجلبه ذلك من حبّهم له وامتنانهم.

وفي المنظر التالي يتجلّى پروميثيوس متمرداً يناضل في سبيل الحرية. وإزاء شجاعته وكبريائه هذه كافأته الإلاهة مينرڤا بالكشف له عن سرّ ينبوع الحياة، هذا السرّ الذي لا يعرفه إلاّ الآلهة.

وفي الفصل الثاني من المسرحية أنبأ مركور (رسول الآلهة) بهذا النبأ جوپتر ليحثه على معاقبة پروميثيوس، وقال إن بني الإنسان قد أخذوا في الشغب والتمرد والقدح. فأجابه جوپتر قائلاً: لا بد من وجود بني الإنسان، لأن وجودهم يزيد في عدد من يعبدونني ويخدمونني؛ ولهم الحق في السعادة طالما كانوا يطيعون القوانين، ولكنهم سيصيبهم الشقاء إذا لم يشاءوا الطاعة لقدرتي وسلطاني. فلما

أراد مركور الإسراع في الذهاب كي يعلن هذه الأخبار السارّة لبني الإنسان، قال له جوپتر وهو يبتسم: «لم يحن الوقتُ بعد. إنهم وهم في ريعان شبابهم الآن يحسبون أنهم يعادلون الآلهة، ولهذا لن يصغوا إلى كلامك، إلاّ في اليوم الذي يحتاجون فيه إليك. فدعهم في حياتهم».

ويبدو أن جيته، بهذا التصوير لجوپتر (زيوس عند اليونان)، قد شعر بأنه خاطر بتحسين الفكرة عن زيوس، وهو ما يتناقض مع الصورة التي صورتها الأسطورة له وعرضها اسخولوس. ولهذا أضرب عن الاستمرار في كتابة المسرحية وهذا هو السرّ في عدم إتمامه لها، فبقيت مبتورة ومجرد شذرة لم يشأ أن ينشرها إبان حياته.

ومن بين الشذرات شذرة تظهر لنا مجيء الموت على الأرض، وأولى ضحاياه هي ميرا Mira التي ستلفظ أنفاسها بمرأى من پاندورا Pandora أمّها. لكن بفضل پرومثيوس، فإن الموت سيلوح كأنه التفتح الأسمى للحياة.

ومن بين هذه الشذرات المتعلقة بپرومثيوس قصيدة تصوّر پرومثيوس كما تصوره جيته في شبابه: فهو ليس پرومثيوس الذي تحالف مع زيوس ضد أعدائه من الطيطان، بل زيوس المتمرد على الآلهة، الذي يعلن أن وجود الآلهة باطل وعبث، ويشيد بجرأة الانسان وبطولته وقدرته. يقول پرومثيوس مخاطباً ومتحدياً زيوس: «أي زيوس! غطِّ سماءك بالضباب والغيوم. - ومِثل الطفل الذي يتلهى بقطع رؤوس شجيرات الشوك، جرّب قوتك في أشجار السنديان وقمم الجبال - أمّا أرضي فاتركها لي أنا، وكذلك كوخي الذي لم تقم أنت ببنائه، وكذلك بيتي والشعلة التي تحسدني أنت عليها! إني لا أرى تحت الشمس من هم اكثر بؤساً منكم يا أيّها الآلهة! إنكم تعيشون عيشة البؤس والفقر: لأنكم تعيشون من القرابين المقدمة إلى المذابح، ومن أنفاس الصلوات لتغذّوا جلالتكم؛ وستموتون من الجوع لو لم يكن الأطفال والشحّاذون مجانين منفوخين بالأمل... وتريدني أن أمجّدك؟ بأيّ حق وبأية صفة؟ هل خففت من آلام من يرزحون تحت نير الشقاء؟ وهل جففت دموع الباكين والشاكين؟ مَنْ الذي صنع هذا الانسان الذي هو أنا، إن لم يكن الزمان القدير، والمصير السرمديّ، اللذين هما السيدان عليَّ وعليك أنت أيضاً؟ إني أقيم ها هنا وأصنع بني الإنسان على صورتي، جنساً شبيهاً بي: من أجل أن يتألموا، وأن يبكوا، وأن

يتذوقوا اللذات والمسرّات، ومن أجل أن يزوروك مثلي أنا».

كذلك عالج جيته في سنة ١٧٩٥ موضوعاً بعنوان: «تحرير پروميثيوس» لكن لم يبق لنا منه إلاّ شذرات قصيرة، تتألف في مجموعها من ثلاثة وعشرين بيتاً من الشعر. وقد نشر أهمها في سنة ١٨٨٨.

و) وبنفس هذه الصورة، صورة پروميثيوس المتمرد الثائر الكافر بالآلهة ألّف الشاعر الرومنتيكي الانجليزي برسي بيش شلي Percy Bysshe Shelley (١٧٩٢ ـ ١٨٢٢) مسرحية شعرية تقع في أربعة فصول، ونشرها في سنة ١٨٢٠. وفيها جعل من زيوس رمزاً للشرّ، ومن پروميثيوس المنقذ للإنسانية، الذي استخدم العلم سلاحاً للتغلب على الشرّ، وعلّم بني الإنسان الحكمة والفضيلة. لكن زيوس، عقاباً له على ما أسدى للإنسانية من نِعَم، عاقبه بأن قيّده إلى صخرة ناتئة فوق قمة جبل القوقاز، حيث كانت رخمة تتولى التهام كبده باستمرار. لكن پروميثيوس تحمّل كل هذا العذاب بشجاعة وصبر، لأنه كان ينتظر الساعة التي سيُعْزل فيها زيوس عن عرش السماء، والتي فيها ستنتصر روح الخير. وكان پروميثيوس يملك سراً خطيراً، حاولت الآلهة أن تأخذه منه، لكنه أبى على الرغم من أنهم أغروه بفك قيوده إن هو باح لهم بهذا السرّ. لكنه أبى ولم يحفل بهم، منتظراً الساعة التي ينفذ فيها المصير قراره بإزاحة زيوس عن عرشه.. وجاءت هذه الساعة، وهوى زيوس عن عرشه بفعل ديموجورجون Demogorgon، الذي هو القوة الأصيلة في العالم؛ وقام هرقلس بفك أغلال پروميثيوس. وفي نفس الوقت استردّت آسيا Asia (وهي «إيو» في مسرحية اسخولوس) ـ إحدى الأوقيانوسيات، وفيها تجسدت «الطبيعة» ـ نقول: استردت آسيا شكلها الأصلي، واقترنت بپروميثيوس. وبهذا بدأ ملكوت الحب والخير.

وفي هذه المسرحية عبّر شلي عن فلسفته، التي تتلخص فيما يلي: الشرّ ليس مغروزاً في طبيعة الانسان، بل هو أمرٌ عارض، ولهذا يمكن استئصاله، ولهذا يدعو شلي إلى أن يعمل كل انسان على تهذيب نفسه وتقوية ذاته بالفضائل. هنالك سيشرق عصر الحب على الأنسانية الذي فيه تختفي كل قسوة واضطهاد. يقول شلي: «ويبقى الانسان بغير سلطان يقهره، يبقى حرّاً، غير مقيد بحدود، يبقى مساوياً لغيره، غير مصنف في طبقة، غير مرتبط بقبيلة» وغير منتسب إلى أمة؛ يبقى خالياً من الهم، ومن العبادة، ومن الدرجة، ملكاً على نفسه».

وهكذا حوّل شلي قصّة برومثيوس اليونانية الأصلية الى بيان سياسي ودستور لثورة يقوم بها الانسان الحديث.

باريس في ٢٣ مارس ١٩٩٥

عبد الرحمن بدوي

«بروميثيوس مغلولا»
شخصيات المسرحية

القدرة

القوة

هيفايستوس: ابن زيوس وهيرا، إله النار

پروميثيوس: طيطان، ابن ثميس

كورس من الأوقيانوسيات

أوقيانوس: طيطان

إيو: ابنة ايناخوس

هرمس: ابن زيوس، رسول الآلهة



(عمق الأوركسترا يمثل كتلة صخرية.
تدخل القدرة والقوة وهما تقتادان پروميثيوس،
هيفايستوس يتبعهما وهو يعرج، حاملاً أدواته بوصفه حداداً)

القدرة: ها نحن أولاء على تربة أرض بعيدة، ونحن نسير في بلاد الأشقوثيين[1] خلال بيداء ليس فيها إنسان. أي هيفايستوس! عليك أن تفكّر في الأوامر التي أملاها عليك أبوك، وأن تقيّد هذا اللص في أغلال صلبة من الحديد المتين، فوق هذه الصخور الوعرة. ذلك لأنه من امتيازك: من النار المشتعلة التي منها تتولد كل الفنون ـ قد سَرَق شعلة ليهديها إلى الناس الفانين. ومثل هذه الخطيئة يجب أن يدفع جزاؤها إلى الآلهة. وليتعلّم أن يستسلم لملكوت زيوس، وأن يتوقف عن أداء هذا الدور: دور المُحسِنْ إلى بني الإنسانْ.

هيفايستوس: أيتها القدرة وأيتها القوّة، إن مهمة زيوس بالنسبة إليكما قد أُنجِزت: لم يَعُدْ ثم ما يحتجزكما بعدُ. أما أنا، فإن الشجاعة تُعْوزني من أجل أن أُقيّد إلاهاً، هو أخي، في هذه الصخرة التي تضربها العواصف. ومع ذلك فلا بدَّ لي من أن أجد الشجاعة على ذلك، لأن إهمال أمر أصدره الأب هو غلطة يعاقب عليها أشد العقاب. (مخاطباً پروميثيوس): أيها الابن ذو الأفكار الجريئة لثيميس Themis الحكيم، على الرغم مني، وعلى الرغم منك ايضاً سأربطك بهذه الصخرة الموحشة في عُقد من الحديد لا يمكن فَكّها.. وهناك لن تعرف بعد صوتاً ولا

(١) لاحظ أحد النحويين القدماء أن مسرح الأحداث ليس هو اقليم القوقاز بل أقصى شمال أوروبا.

وجهاً إنسانيين، بل ستحترق في نار الشمس، وتشعر بأن لألاء بَشَرتك سينطفىء؛ ودواماً بسرور ستشاهد الليل يسرق النور تحت معطفه المنسوج من النجوم، وترى الشمس بدورها تذيب أنداء الفجر، دون أن يتوقف عن تعذيبه، الألم الناجم عن داءٍ حاضر أبداً، لأنه لم يولد بعدُ من يحرّرك ويفك أغلالك. وهذا هو ما كسبته من لعبك دور المحسن إلى بني الإنسان. أيها الإلاه الذي لا تخيفه غضبة الآلهة، إنك قد انتهكت القانون، بتسليمك امتيازاتهم إلى بني الإنسان: وجزاء ذلك ستقوم على هذه الصخرة بحراسة أليمة، وأنت واقف باستمرار، دون أن تعرف طعم النوم. ودون أن تثني ركبتيك. وفي وسعك آنذاك أن تطلق صرخات الشكوى دون انقطاع، وزفرات النواح الذي لا فائدة فيه: إن قلب زيوس لا يلين، والسيّد الجديد هو دائماً قاسٍ.

القدرة: هيّا! فيم التأخير، والنواح عبثاً؟ ألا تكره الإله الملعون من الآلهة، والذي تجاسر على أن يُسَلّم إلى بني الإنسان ما هو امتياز خاصٌ بك؟

هيفايستوس: إن روابط الدم ذوات قوة هائلة، حينما تنضاف إليها الصداقة.

القدرة: أنا موافق على هذا! ولكن عصيان أمر أبيك: هل هو أمر ممكن، وأقل فظاعة في نظرك؟

هيفايستوس: إن السخرية عندك مكافئة دائماً لقسوتك!

القدرة: إن النواح عليه لن يشفيه؛ فلا تتعب نفسك في النواح عبثاً.

هيفايستوس: آه! يا لها من مِهنةٍ كريهة ألف مرة!

القدرة: لماذا تلعنها؟ إن فنّك ليس هو السبب في كل هذه الشرور.

هيفايستوس: ليتها كانت من نصيب كائن آخر.

القدرة: كل كائن قد تحدّد نصيبه مقدماً[1] ـ باستثناء مَلِك

الآلهة: فلا موجود حر إلاّ زيوس!

القدرة: أسْرِع إذن في تكبيله بالأغلال، حتى لا يشاهد زيوس أنك تتباطأ في تنفيذ الأمر.

---

(١) تقاسم الآلهة شؤون العالم فيما بينهم، ولا يستطيع أي واحد منهم أن يخرج عن الميدان الذي اختص به منذ الأزل. وفقط زيوس هو الذي لم يتحدد نصيبه، ولهذا فإنه هو وحده الحرّ.

هيفايستوس: إن في وسعه أن يرى أنني أحمل الحلقات في يدي.

القدرة: ضع هذا الغلّ في ذراعه! وبكل ما فيك من قوة اضرب بالمطرقة وسَمِّره في الصخرة.

هيفايستوس: لقد أُنجزَ المطلوب، ودون أية خسارة.

القدرة: اطرق بمزيد من القوّة، وسُدّ، ولا تترك أية ثغرة: فإنه قادر على أن يجد مخرجاً حتى مما لا يمكن فَكّه.

هيفايستوس: ها هي ذي، ذا ذراعه قد سُمِّرت ولن يستطيع تخليصها.

القدرة: وهذه الأخرى، شدّها بقوة، حتى يعرف أن مكره أقل تأثيراً من مكر زيوس.

هيفايستوس: زيوس هو وحده الذي يحق له أن يعيب عملي.

القدرة: والآن، تجرّأ، واغرز في صدره هذه السنّ العنيدة التي لهذا المسمار الصلب.

هيفايستوس: آه! يا پرومثيوس، إني أنوح بصوت خفيض على آلامك.

القدرة: لا تزال تتردد، وتنوح على عدوّ زيوس! أخشى اذن أن تنوح ذات يومٍ على نفسك!

هيفايستوس: أنت ترى ما كان ينبغي ألاّ تراه العيون أبداً!

القدرة: أنا أرى أنه لقي المصير الذي يستحقه. هيّا! ضع حول جنبيه الحزام البرونزي.

هيفايستوس: أنا مُرغم على هذا: إن أوامرك تجاوزت الحد.

القدرة: أما أنا فإني أريد أن أصدر إليك الأوامر، بل وأن أرهقك بها. انزل وقيّد رجليه.

هيفايستوس: ها هوذا قد تم هذا، وبدون مجهودات طويلة.

القدرة: والآن، بكل قوتك اطرق، حتى ينغرس القيد في اللحم. من هو مكلّف بالإشراف على العمل ينبغي أن يكون قاسياً.

هيفايستوس: آه! لهجتك تتفق مع شكل وجهك.

القدرة: كُن ضعيفاً كما تشاء، لكن دون أن توجّه إليَّ أي لوم، إن كان طبعي عنيداً وقاسياً.

هيفايستوس: هيّا لنرحل، فإن أعضاءه قد سوّيت تماماً.

القدرة: والآن توقّح هنا ما شئت التوقّح، واسرِقْ من الآلهة امتيازاتهم لتسليمها إلى الفانين العابرين. ماذا يستطيع بنو الإنسان أن يفعلوه لتخفيف عذابك؟ من الخطأ أن يدعوك الآلهة باسم: «پرومثيوس». ابحث في مكان آخر عمّن يعدك[1] بالتخلص من هذه العُقد المحكمة!

(يخرجان ـ صمت طويل جداً)

پرومثيوس: أيها الأثير الإلهي، أيتها الرياح ذات الجناح السريع، يا مياه الأنهار يا مَنْ أنت بَسْمة لا حصر لها للأمواج البحرية، وأنت أيتها الأرض، يا أمّ الكائنات، وأنت أيتها الشمس يا أيتها العين التي تبصر كلَّ شيء، أنا أهيب بك هنا: انظروا إلى ما يعانيه إله بواسطة الآلهة.

تأملي الإهانات التي تمزّقني، والتي سأتحملها طوال أيام لا حصر لها. هذه إذن هي أغلال العار التي تصوّرها لي الرئيس الشاب للسُّعداء! أواه! أواه! والشرّ الذي يرهقني، والشر الذي ينتظرني ينتزعان منّي الزفرات: بعد كم من المِحَن سيضيء الخلاص في النهاية؟

لكن ماذا أقول؟ ألستُ أعلم المستقبل كلّه مقدّماً؟ لن تصيبني مصيبة لم أتوقعها مقدّماً. لا بد من احتمال المصير بقلب خفيف، المصير المقدَّر لك، ولا بد من إدراك أنه لا محلّ للصراع ضد قوة «المصير». ـ ومع ذلك فإن السكوت عن هذه المصائب مستحيل مثلما هو مستحيل عدم السكوت عنها. أجل، إنه لأجل أنني أعطيت هِبَةً لبني الإنسان الفانين فإنني أنحني تحت هذا النير من العذاب، أنا البائس! ذات يوم، في تجويف شجرة نارثكس[2] حملت غنيمتي: أعني القبس

(١) المعنى اللغوي للإسم: «پرومثيوس» هو: «مَنْ يفهم مقدماً» ـ ويقابله: «ايپمثيوس»، أي: «مَنْ يفهم متأخراً» أي بعد فوات الأوان.

(٢) النارثكس شجرة جذعها يشتمل على نخاع خيطي يشتعل بسهولة ويمكن إذن أن يستهلك داخل الجذع، دون أن يحرق اللحاء.

الذي سرقته والذي صار عند الناس سيّد كل الفنون والصناعات، إنه كنز لا تصاب له قيمة. تلك هي الخطيئة التي أدفع عنها الجزاء للآلهة، بهذه الأغلال التي تقيّدني ها هنا في وجه السماء!

آه! آه! أية ضوضاء، وأيّ عِطْر خفيّ قد طار حتى وصل إليَّ؟ هل هو آتٍ من إله؟ أو مِنْ إنسان؟ أو من كائن يجمع بين كليهما؟ هل سيأتي الناس إلى هذه الصخرة، التي هي حدّ العالم، ليتأملوا مصائبي؟ أو ماذا يُراد بي؟ آه! انظروا إلى إله بائس مغلول!

إنه عدوّ زيوس، إنه هو الذي جلب على نفسه كراهية كل الآلهة الذين يخشون قصر زيوس، والسبب في عذابه هو أنه أحبّ بني الإنسان حبّاً زائداً! ـ آه! آه! أيّ أزيز طيور أسمعه بالقرب مِنّي؟ والأثير يجيب بالصفير على رفرفة أجنحة خفيفة! كل اقتراب مني يملؤني بالخوف!

(عربة مجنحة تهبط على أقرب قمة من القمم التي قيد إليها بروميثيوس، وهي تحمل الأوقيانوسيات)

لا تخش شيئاً إنها جماعة صديقة قد أتت بها أجنحة مسرعة إلى هذه الصخرة. . إن أقوالي قد تغلبت على إرادة أب، والرياح حملتني. ذلك لأن المصادمات الصاخبة للحديد وقد نفذت إلى أعماق كهفي، قد طردت منّي الحياء ذا العين الخفِرة، وبقدمين عاريتين طِرْتُ على هذه العربة المجنّحة.

بروميثيوس: وا أسفاه! وا أسفاه! يا بنات تيثوس[1] Tethys الاسود، يا بنات الأوقيانوس الذي يدور حول الأرض الهائلة دون أن ينام أبداً، تأمّلن الأغلال التي تقيّدني إلى قمة هذه الهاوية الصخرية، حيث فُرِض عليَّ أن أقوم بحراسةٍ لن يحسدني أحدٌ عليها.

الكورس: إني أُشاهد بروميثيوس، وضبابٌ هيّاب يصاعد على عينيّ المليئتين بالدموع حينما أتأمل على هذه الصخرة جسمك وهو يتجفف في عار هذه الأغلال التي من الحديد الصّلب. إن سادة جُدُداً يتربعون على الأولمب؛ وباسم قوانين جديدة يمارس زيوس سلطة لا قواعد لها، ويدمّر اليوم جبابرة الأمس.

(١) Tethys. زوجة اوقيانوس، هي أمّ الأنهار وأم الأوقيانوسات معاً (هسيود: «نشأة الآلهة» الأبيات ٣٣٧ ـ ٣٧٠).

بروميثيوس: آه! ألا ليته ألقى بي تحت الأرض، أسفل من «هادس» المضيافة للأموات، وحتى الطرطار الذي لا يمكن النفوذ فيه، ويا ليته جعلني في تماس مع أغلال لا يمكن فكُّها، حتى لا يجد أي إله ولا أي كائن ما يدعو فيها إلى السرور - بينما أنا الآن ألعوبة في أيدي الرياح، بائس، أتألم ابتغاء جلب السرور لأعدائي!

الكورس: مَنْ هو الإله الذي يكون قلبه قاسياً إلى درجة أن يجد في هذا مصدراً للسرور؟ مَنْ ذا الذي لا يسخط مثلنا من رؤية مصائبك - باستثناء زيوس؟ إن زيوس في غضبه قد تصلّبت روحه، فهو يريغ إلى أن يقرع جنس أورانوس[1]، ولن يتوقف عن هذا قبل ان يُشبع قلبه، أو إلاّ إذا استوى على هذا العرش الصعب المنال إله آخر غيره بضربة مواتية.

بروميثيوس: إذن اسمعن قَسَمي: سيأتي يوم فيه - مهما اصابني من إهانات في هذه الأغلال الوحشية - سيكون في حاجة إليَّ ملكُ «السعداء»[2] هذا، إن شاء أن يعلم ما هي الخطة الجريئة التي لا بد أن تجرّده من صولجانه ومن تشريفاته؛ وحينئذ فإني أُقسِم بأنه لا ألاعيب الفصاحة ذات الكلمات المعسولة بقادرة على أن تسحرني، ولا التخويف من التهديدات الأشدّ وطأة ستجعلني اكشف عن هذا السرّ[3]، إلاّ إذا فكّ هذه الأغلال الوحشية ووافق على أن يدفع العوض عن هذه الإهانة.

الكورس: أنت جَسُور، وبدلاً من الاستسلام للمصائب الأليمة. فإنك تتكلم بحرية. أما أنا فأشعر بخوفٍ نافذٍ يشيع الاضطراب في قلبي. إني أخشى من المصير الذي ينتظرك: أنّى لك أن تعرف المرفأ الذي فيه ستنتهي عذاباتك؟ إن قلب ابن خرونوس لا يمكن الوصول إليه، وروحه صلبة لا تلين.

بروميثيوس: أنا أعلم أنه قاسٍ وأنه يتصرف في «الحق» كما يشاء. ومع ذلك فإنني أتصور أنه سينتهي بأن يلين قلبه في اليوم الذي ستصيبه الضربة التي أتحدث أنا عنها. هنالك سيهدّىء من سَوْرة غضبه، وسيُهْرع جَزَعه أمام جَزَعي ابتغاء أن يعقد معي محالفة وصداقة.

---

(١) أي خرونوس (الزمان) والطيطان. وبروميثيوس هو أحد الطيطان.

(٢) السعداء: وصف خاص بالآلهة، أي: الآلهة.

(٣) راجع تفاصيل هذا السرّ في مقدمة هذه المسرحية.

رئيسة الكورس: اكشِفْ اذن عن كل شيء، لكن أجِبْ أولاً عن هذا السؤال: ما هو السبب في قبض زيوس عليك وفي ايقاع هذه الاهانة المخزية والمريرة بك؟ خبّرنا بهذا، إن كانت رواية هذا الأمر لا تكلفك كثيراً.

پروميثيوس: إن مجرد الكلام عنها يؤلمني؛ لكن السكوت عنها يؤلمني أيضاً: ففي كل ناحية ليس هناك إلاّ المتاعب.

منذ اليوم الذي دخل فيه الغضب قلبَ الآلهة، بينما النزاع[1] قام بينهم: إذ أراد بعضهم طرد خرونوس عن عرشه، من أجل أن يصبح زيوس سيّداً عليهم؛ وأراد البعض الآخر ألا يكون زيوس رئيساً عليهم أبداً - فإنني حاولت عبثاً أن أُسدي النصائح الحكيمة وسعيت إلى إقناع الطيطان - أبناء أورانوس والأرض - ولكنني لم أُفلِح. ذلك لأن الطيطان احتقروا أن يستخدموا وسائل الحيلة والخداع، وحسبوا - في توحشهم المتغطرس - أنهم لن يصعب عليهم التغلب بواسطة القوة. في أكثر من مرّة تنبأت لي أُمي: ثميس أو جايا، وهي واحدة[2]، بالكيفية التي سيتحقق بها المستقبل: لمن سيتحقق النصر، بالحيلة، لا بالقوة والعنف. وشرحت لهم ذلك مستنداً إلى عدة براهين: لكنهم لم يتنازلوا لإلقاء نظرة على شرحي هذا. وفي مثل هذه الظروف بدا لي أن الأفضل أن أكون في جانب أُمّي[3] بأن أضع نفسي في صفّ زيوس الذي رحّب بي. وبفضل خُططي فإن مأوى الطرطار العميق الأسود صار اليوم يخبّىء خرونوس وحلفاءه. تلك هي الخدمات التي حصل عليها منّي مَلِك الآلهة، ثم جازاني عنها بهذا الجزاء القاسي! إنه داء ملازم للسلطة العليا: هذا الظنّ السيّىء بالأصدقاء! - أما فيما يتعلق بموضوع سؤالك: لأيّ سبب

---

(١) يبدو أن الرواية التالية تشير إلى ملحمة موضوعها هو النزاع بين زيوس وبين الطيطان، وهي ملحمة لم تصل الينا. ولهذا فإن الكثير من تفاصيلها تظل غامضة علينا. فنحن نجهل خصوصاً الأصل في هذا «النزاع» الذي قام بين الآلهة، وهسيود في «نشأة الآلهة» يروي الحكاية بشكل مختلف عما هو وارد ها هنا.

(٢) راجع في مقدمتنا لهذه المسرحية الأسباب التي دعت اسخولوس إلى اعتبار هاتين الإلاهتين إلاهة واحدة، بينما سائر الشعراء اليونانيين يميزون بينهما، وهو نفسه يميز بينهما في مسرحية أخرى.

(٣) يقصد پروميثيوس أنه، في عدم يقينه بما سيحدث في المستقبل، فقد لاح له أن الأوكد هو أن يرتب سلوكه بالنسبة إلى تنبؤات أمه. فإنه لما كان الطيطان لا يريدون إلا استخدام القوة فإنه من الواجب أن يُهزموا؛ ولهذا فإن پروميثيوس سينضم إلى صف زيوس فلعله أن يزوّده بالحيلة التي تؤمّن له الانتصار. بيد أننا لا نعرف تفاصيل الوقائع.

يهينني كل هذه الإهانات؟ - فإني سأوضحه لكِ: إن زيوس لما أن ارتقى على عرش الآلهة فإنه بادر بتوزيع مختلف الامتيازات بين مختلف الآلهة، وبدأ بأن حدد المراتب في مملكته[1]. لكنه لم يفكر لحظة واحدة في بني الإنسان المساكين. بل على العكس، أراد أن يُبيد الجنس البشري، من أجل أن يخلق جنساً جديداً آخر. ولم يعترض على هذا المشروع أحدٌ - إلاّ أنا. فأنا وحدي كانت لديّ الجرأة، فَحَرَّرت بني الإنسان وعملت على ألا ينزلوا إلى هادس محطمين مسحوقين وهذا هو السبب في كوني أرزح اليوم تحت هذا العذاب القاسي في معاناته، المثير للشفقة لدى رؤيته. فلأنني أشفقت على بني الإنسان حُرِمتُ أنا من الشفقة، وهأنذا أُعامَل بكل هذه القسوة، ومنظري نَحْسٌ على سُمعة زيوس.

رئيسة الكورس: أي زيوس! مَنْ لا يغضب معك على عذابك هذا لا بد أن يكون قد قُدَّ قلبه من الصخر أو من الحديد. وفيما يتعلق بي أنا، فإني لم أتمنّ أن أشاهد منظراً كهذا، فلما شاهدته جزع قلبي أشدّ الجزع.

بروميثيوس: أجَل، إن منظري أمام أصدقائي يثير الشفقة.

رئيسة الكورس: لا شك في أنك ذهبت إلى أبعد من هذا أيضاً؟

بروميثيوس: نعم لقد خلّصت الناس من وسواس الموت.

رئيسة الكورس: أيّ علاج كشفته لهذا الداء؟

بروميثيوس: وصنعتُ فيهم آمالاً عمياء.

رئيسة الكورس: يا له من عزاء قويّ هذا الذي زوّدت به بني الإنسان!

بروميثيوس: وفعلت أكثر من هذا: أهديتهم بهدية النار.

رئيسة الكورس: ماذا! النار المشتعلة هي اليوم في أيدي الفانين العابرين؟

بروميثيوس: ومنها سيتعلمون فنوناً وصناعات لا حصر لها.

رئيسة الكورس: أهذه هي التُّهم التي من أجلها زيوس...

بروميثيوس: فرض عليَّ هذه الاهانات، ولم يضع حداً لآلامي!

رئيسة الكورس: ولم يتقرر حدٌّ لمحنتك هذه؟

---

(١) راجع التعليق رقم ٢ في هذه المقدمة.

پرومثيوس: لا حدّ إلاّ مزاجه هو.

رئيسة الكورس: وهذا المزاج، من أين سيتولد؟ وكيف يُؤمّل فيه؟ ألا ترى أنك ارتكبت خطأ؟ وأين الخطأ؟ لن يسرّني أن أُخبرك به، وسيكون من الصعب عليك سماعه. فلندع هذا، وابحث كيف يمكنك ان تتخلّص من هذه المحنة.

پرومثيوس: مِن السهل على مَنْ ليس قدمه في حميم الشقاء أن يَنصح وأن ينحى على البائس باللائمة! بيد أنني أعرف هذا كله؛ لقد أردت خطئي هذا، نعم أردته عن قصد - ولا أُجادل في هذا القول. إنني، من أجل أن أُساعد الناس، سعيت بنفسي الى الآلام. لكنني لم أحسب أن مثل هذه الآلام تستحق أن أُجَفَّف بسببها إلى الأبد على القمم الصخرية وأن يكون نصيبي هو هذه القمة الموحشة المتوحّدة. ولهذا، فبدلاً من أن تتوجعن لآلامي الحاضرة، الأولَى بكن أن تضعن أقدامكن على الأرض لتعلموا آلامي القادمة: هنالك تعلمن كل شيء من البداية الى النهاية. استجبن لرجائي، وتعاطفن مع من يتألم الآن في هذه الساعة. إن البؤس لايميّز، وفي مجراه الشارد يتوقف اليوم عند الواحد، ويتوقف غداً عند الآخر.

رئيسة الكورس: إنّك تُرهِق جماعة مستعدة لإطاعتك، يا پرومثيوس. بقدم خفيفة، سأُغادر هذه العربة ذات القفزة السريعة وأُغادر الأثير: الطريق المقدس للطير لأهبط على هذه الأرض الوعرة: إني أُريد أن أعرف آلامك كلها.

(بينما تهبط الأوقيانوسيات على الأرض، تظهر عربة اوقيانوس يجرّها عفريت)

أوقيانوس: للمجيء إليك، يا پرومثيوس، قمت بمشوار طويل على هذا الطائر السريع الأجنحة، وبدون لجام كابح، لا توجهني إلاّ إرادتي. ذلك أنني أشفق على مصائبك، وعليك أن تعلم هذا. وأعتقد أن صلة الدم[1] ترغمني على هذا، وحتى لو لم يكن للدم دخل في هذا، فلا أحد يحتل مكاناً في قلبي أوسع من مكانك. وعما قليل ستُقِرُّ بأن ما أقوله هو الصدق وأنني لا أعرف استخدام الملق الزائف. هيّا، بيّن لي ما هي المساعدة التي ينبغي عليَّ أن أُقدّمها إليك. إنك

(١) هسيودس، في «نشأة الآلهة» يقول إن أبا أوقيانوس هو أورانس، وإن أمه هي جيه (الأرض)؛ وأن أبا پرومثيوس هو يافت، أخو أوقيانوس، وابن أورانوس وجيه. وعند اسخولوس أن أم كلا الإلهين هي جيه، وهما طيطانان. واسخولوس يتجنب ذكر اسم والد پرومثيوس.

لن تستطيع أبداً أن تقول إن لك صديقاً أصدق من أوقيانوس.

پرومثيوس: ماذا؟ وأنت أيضاً جئت لتشاهد عذابي؟ كيف تجاسرت على أن تغادر النهر الذي يدين لك باسمه وكهوفك في سقف الصخرة والتي هيأتها الطبيعة للبلد الذي يلد الحديد؟ لعلك أتيت لتتأمل المصير الذي قُدِّر لي، ابتغاء أن تغضب معي على مصائبي؟ تطلّع إلى هذا المنظر: أنا، صديق زيوس، أنا الذي ساعدته في تثبيت سلطانه ـ انظر تحت أية آلام يضعني اليوم.

أوقيانوس: أنا أرى، يا پرومثيوس، وأُريد أن أُسدي إليك النصيحة الوحيدة اللائقة في هذا المقام، مهما يكن من فطنتك، اعرِف نفسك بنفسك، وكيِّف نفسك مع الوقائع، واتخذ أحوالاً جديدة، لأن سيّداً جديداً هو الآمر عند الآلهة. إنك لو أخذت في اطلاق كلمات قاسية وحادّة على هذا النحو، فإن من الممكن أن يسمعك زيوس، مهما يكن عرشه بعيداً وعالياً، وحينئذ فإن المعضلة التي تشكو منها في هذه الساعة لن تبدو لك ذات يوم، إلاّ مجرد لعبة أطفال. هيّا، أيها البائس، ودع عنك القضية واسْعَ إلى التخلص من عذاباتك. ربما يلوح لك أنني لا أقول هنا إلاّ أقوال العجائز. ومع ذلك فإنك ها هنا، يا پرومثيوس، تتلقى أجر لغة إنسانية جداً. إنك لست متواضعاً بعد، وأنت لا تتنازل للعذاب، وتريد أن تضيف إلى مصائبك الحاضرة مصائب أخرى. إنك إذا قبلت دروسي، فإنك ستكُفّ عن التمرد ضد المهماز. إننا أمام سلطان مشؤوم، سلطته لا تقدم حساباً لأحد. ولهذا فبينما أغدو لمحاولة تخليصك ـ إن استطعت ـ من هذه الآلام، ابقَ أنت هادئاً، ولا تتفوه بعبارات عنيفة. أولا تعرف إذن، وروحك عاقلة فطنة، أن العقاب ينزل بالألسنة الطائشة.

پرومثيوس: إني أحسدك على كونك خارج القضيّة، بعد أن شاركت في كل شيء وتجاسرت مثلي أنا[1]. ولهذا، تخلَّ عن هذا المشروع ولا تفكّر فيه. فمهما فعلت، فإنك لن تُقنعه: إنه أصمّ السمع عن إقناعك. وأحرى بك ألا تضرّ بنفسك

---

(١) لسنا نعلم بالدقة ما هي هذه الوقائع التي يتكلم عنها اسخولوس. وعلى كل حال فلا شك أن اسخولوس يستعير هنا من ملحمة في «معركة الطيطان» مفقودة؛ وينبغي أن نستنتج من هذا الموضع هنا أن نموذجه الذي استعار منه يمثل أوقيانوس وهو يساعد پرومثيوس في المحاولات التي قام بها وعوقب عليها وهذا الدور في هذه الملحمة المفقودة هو الذي يفسر الدور الذي ينسبه اسخولوس لأوقيانوس في مسرحيتنا هذه.

من جراء مثل هذا المسعى[1].

الأوقيانوس: أنت تُحسن إلقاء الدروس على الآخرين خيراً من ان تلقيها على نفسك؛ وحُكمي هذا صادر عن وقائع، لا عن مجرد كلمات! أنا ذاهب لعمل ذلك: ولا تَسْعَ إلى منعي. سأبذل غاية جهدي في الحصول من زيوس على العفو عنك وتخليصك من هذا العذاب.

پرومثيوس: أشكر لك هذا الفضل، ولن أنساه عَوض؛ إن حماستك لا تعرف الكلل. لكن لا تعذّب نفسك: إن تعبك في خدمتي سيكون بلا نتيجة - إذا كان هذا التعب ضمن مشروعاتك. ابْقَ مستريحاً واحرص على البقاء خارج هذه القضية. إني لا أُريد - بسبب أنني في محنة، أن أُشاهد المصائب تصيب غيري بالجملة. كلا، إني أتألم كثيراً لمصير أخي «أطلس» الذي يحمل، وهو واقف في المغرب، على كتفيه العمود الذي يفصل بين السماء والأرض، وهو حمل عسير على الذراعين اللتين تحمله. كذلك شعرت بالشفقة في اليوم الذي فيه شاهدت ابن الأرض[2]، الذي كان فيما مضى يسكن في كهوف قليقية[3]، وهو وحش رهيب له مائة رأس، وأعني به توفيه المندفع وقد قرعته القوة. لقد تمرد على كل الآلهة، وكان يثير الرعب بفكّه الرهيب، ومن عيونه كان ينطلق شعاع مروّع على شكل بروق، يعبّر عن رغبته في أن يدمّر بالقوة سلطان زيوس. لكن أصابه السهم اليقظ الذي أطلقه زيوس، أعني الصاعقة التي انقضّت في لفحة من النار: فأسقطته من علياء ادعاآته المتغطرسة. لقد أُصيب في صميم قلبه، ورأى قوّته وقد تناثرت شَرَّ مذر، قد أبادها الرعد. والآن هو يرقد جسداً هامداً، بالقرب من مضيقٍ بحريّ، محصور بين جذور الاتنا Etna، بينما هيفايستوس وقد قرّ في أعلى قممه، يطرق الحديد المنصهر. ومن هناك ستنبثق - ذات يوم - سيول من النار ستلتهم بأسنانها

(١) پرومثيوس يسخر هنا مرّ السخرية من أوقيانوس.

(٢) ولد توفيه Typhée من الأرض. بعد أن طرد زيوس الطيطان من السماء، (هسيود: «نشأة الآلهة» البيت رقم ٨٢٠).

(٣) كان المسكن الأول لتوفيه في بلاد الأريم Arimes، التي يعتقد انها هي المنطقة البركانية في اقليم قليقية (في جنوب غرب آسيا الصغرى). - وكل البند التالي يذكره بوصف مشابه ورد عند پندار («الفوتية» رقم (١) الأبيات ١٥ - ٢٩). فإن كانت هنا محاكاة فلا شك أن اسخولوس هو الذي حاكى پندار. ومن الممكن ايضاً أن يكون كلاهما قد حاكى نموذجاً يونانياً مشتركاً بينهما.

الوحشية المروج الخصبة في سهول صقلية ـ وستكون قوية الغضبة ذات الغليان التي سيزفرها «توفيه» في الأسهم المشتعلة لعاصفة من النار حامية، وقد تفحّم من جرّاء الصاعقة التي أصابه بها زيوس. لكنك لست مبتدئاً، ولست في حاجة إلى دروسي. . ضع نفسك في أمان ـ حسبما تقدر على ذلك! وفيما يتعلق بي، فإني اريغ إلى أن استنفد المصير الذي هو الآن مصيري، حتى اليوم الذي فيه سيتحرر من غضبه.

أوقيانوس: ألا تدرك يا پروميثيوس أنه توجد كلمات لعلاج مرض الغضب؟

پروميثيوس: بشرط العثور على اللحظة التي فيها يمكن ترقيق القلب ـ بدلاً من ادعاء تهدئة الانفعال الذي يكوّن الدُمّل باستعمال القوة.

اوقيانوس: لكن، هل ترى أن الحماسة الهوجاء يرتبط بها عقاب؟ أفِدْني.

پروميثيوس: عار تعب لا فائدة منه، وعار سذاجة ضالّة.

اوقيانوس: دعني إذن أمرض بهذا الداء: هذا أفضل من الظهور بمظهر المجنون بسبب الإفراط في الطِّيبة.

پروميثيوس: هذه الغلطة ستبدو بالأحرى غلطتي أنا[١].

أوقيانوس: لهجتك تدعوني بوضوحٍ إلى تركك[٢].

پروميثيوس: خوفاً من أنك ببكائك عليَّ تجعل مِنْ نفسك عدوّاً.

اوقيانوس: لمن تولّى العرش القديم منذ قليل؟

پروميثيوس: نعم، منه هو: حذار من أن تثير قلبه.

اوقيانوس: إن محنتك، يا پروميثيوس، دَرْسٌ واعظ.

پروميثيوس: اذهب، ابعُد! احتفظ بهذه الاستعدادات.

---

(١) پروميثيوس يقصد: «كُنْ هادئاً، ربما سيقال ذات يوم أنني كنت مجنوناً بسبب افراطي في الإحسان؛ ولكن لن يقال ذلك عنك أنت».

(٢) لهجة السخرية التي اعتمدها پروميثيوس طوال كل هذا الحوار أفهمت أخيراً، أوقيانوس أنه ليس أمامه إلاّ أن يذهب لسبيله ويترك پروميثيوس في مأساته.

اوقيانوس: سأرحل: إن نصيحتك ترهقني بلا فائدة. إن طائري ذا الأربع أقدام يرفرف بجناحيه في هدوء وهو يشقّ طريقه في الأثير. وكم سيكون مسروراً حين يثني ركبه في الاسطبل المألوف!

(عربة أوقيانوس تبتعد - صمت. ثم تبدأ الأوقيانوسيات في الغناء وقد تجمعت على مسطح ضيق فوق صخرة)

الكورس: إني أنوح على المصير الذي يجعل منك ملعوناً؛ يا پرومثيوس؛ دموعي المنحدرة من عيوني الرحيمة تفيض على خدّي بأمواجها المتدفقة. على هذا النحو إذن زيوس - بقراراته المحزنة - وهو يترجم أهواءه إلى قوانين - يُشعِر آلهة الماضي بسلطانه المتعجرف!

إن هذه البلاد ترفع صيحات النواح: شعوبها تنوح على العظمة والمكانة الرفيعة القديمة اللتين انتزعتا من ألوهية پرومثيوس وإخوته. كل الذين يعيشون على الأرض المجاورة لآسيا المقدسة[1] يتألمون معك أمام الجزع النائح، وهم، هم من بني الإنسان.

ومعهم عذارى كولخيد[2] المحاربات الجسورات؛ وجحافل اسقوثيا الذين يحتلّون حدود العالم حول ميوتيس الراكدة[3] والزهرة الحربية لبلاد العرب[4]، وهم شعوب يسكنون في قلعتهم المشيّدة بالصخور الوعرة، عند مشارف القوقاز، وهم قبائل محاربة تحرّك القشعريرة رماحهم الحادة[5].

أمواج البحر تتلاطم بنواح أصمّ؛ والهاوية تنوح؛ والأحشاء السوداء لهادس

---

(١) الصخرة التي قيد عليها پرومثيوس تقع في أوروبا، لكن آسيا قريبة جداً، وشعوب القارتين يتحدون للنواح على مصير هذا المحسن إلى الإنسانية.

(٢) أي: الأمازونات.

(٣) بحر أزوف.

(٤) اسخولوس يتصور أن بلاد العرب تقع في جبال أرمينيا (!) التي هي بمثابة «قلعة مشيدة بالصخور الوعرة» (وهذا الوصف نجده لدى الرحالة الأوروبيين في العصر الحديث). وهذه التخليطات الجغرافية شائعة في بلاد اليونان خصوصاً، كما يقول اسطرابون «حينما يتعلق الأمر بأسماء غريبة». وبعد اسخولوس بثلاثة قرون ونصف سنجد بوسيدونيوس يؤكد أن الأرمن والأراميين والعرب أصلهم مشترك، بسبب اشتراكهم في المقطع الأول من أسمائهم (اسطرابون: ٧٨٤).

(٥) في المخطوطات هنا أبيات مقحمة يبدو أنها مستلهمة من مواضع أخرى في المسرحية.

السفلية تجيب عليها بالجلجلة؛ وأمواج الأنهار ذوات المجرى المقدّس تنوح نواحها الشاكي.

(صمت طويل)

پروميثيوس: لا تظنوا أن صمتي تكلُّف أو عناد؛ لكن فكرة تلتهم قلبي، حينما أراني مُهاناً على هذا النحو: مَنْ هو الآخر الذي أمّن للآلهة الجديدين كل امتيازاتهم؟ ـ لكنني ألتزم الصمت فيما يتعلق بهذه النقطة فأنتم تعلمون ماذا أستطيع أن أقول. وبدلاً من ذلك اسمعوا بلايا بني الإنسان، وكيف أنني جعلت منهم وهم أطفال كائنات عاقلة مزودين بالفكر. أودّ أن أروي هذا هنا، لا من أجل تحقير بني الإنسان وإنما لأبيّن لكم ما بذلته مواهبي لهم من إحسان. في البداية كانوا يرون دون أن يروا، وكانوا يسمعون دون أن يُصْغوا، ومَثَلُهُم كمَثَل الرؤى في الأحلام كانوا يحيون حياتهم الطويلة في الاضطراب والتشويش. لقد كانوا يجهلون البيوت المشيّدة بالطوب الشمسي، وكانوا يجهلون تجارة الخشب؛ وكانوا يعيشون تحت الأرض مثل النمل السريع المشي، في أعماق كهوف محرومة من ضوء الشمس. ولم تكن لديهم علامات أكيدة على الشتاء، ولا على الربيع المُزْهر ولا على الصيف الخصب؛ وكانوا يفعلون كل شيء دون رجوع الى العقل ـ حتى اللحظة التي علّمتهم فيها عِلْم طلوع وغروب النجوم، هذا العِلْم الشاق[1]. وبعد ذلك كان الدور على علم العَدَد[2]، وهو أول العلوم كلها، إذ اخترعته لهم، وكذلك علم الحروف المجتمعة، وهي مرآة لكل شيء، وعمل يولّد الفنون. وكنت أنا الأول ايضاً في ربط الدواب الخاضعة تحت النير إمّا بالسرج، وإما بالفارس، كيما تقوم مقام بني الإنسان في القيام بالأعمال الكبرى، وربطت بالعربة الأفراس المستسلمة للّجم، وبها يتفاخر الأثرياء. ولا أحد غيري قد اخترع المراكب ذوات الأجنحة من التيل التي تمكّن الملاّح من اجتياز البحار. ـ والبائس، الذي أوجد مثل هذه الاختراعات لبني الإنسان، لا يملك اليوم السرّ الذي يمكن أن يخلّصه هو من بؤسه الحاضر!

(١) هذه الفقرة تروي أن پروميثيوس هو الذي اخترع كل الفنون والصناعات. ومع ذلك فإنه لا ينسب إليه في كتب اليونانيين أنه اخترع اي واحد من هذه الاختراعات لهذا افترض البعض أن اسخولوس ها هنا قد نقل عن مصدر مفقود الآن. وزعم بعضهم أن هذا المصدر هو هرقليطس نظراً إلى كونه قد جعل مبدأ الأشياء هو النار، لكن لا دليل على هذا الفرض.

(٢) الإشادة بعلم العدد وجعله: اول العلوم يدل على تأثير المدرسة الفيثاغورية هنا.

رئيسة الكورس: إنك تعاني بهذا بؤساً مهيناً؛ إن عقلك المهان يهذي، ومثلك مثل الطبيب الذي يمرض بدوره فإنك تيأس ولا تستطيع أن تجد لنفسك الدواء الذي يشفيك.

پرومثيوس: وستزيد دهشتك لو استمعت الى البقية، أعني الوسائل والفنون التي تخيلتها. وخصوصاً الآتي: إن الذين مرضوا لم يجدوا دواءً للأكل، ولا للعمل، ولا للشرب؛ فلما حرموا من الأدوية فإنهم هزلوا، حتى اليوم الذي كشفت لهم فيه ان يمزجوا البلاسم المهدئة التي تطرد كل الأمراض. كذلك صنّفت لهم ألف شكل من أشكال فن التنبؤ بالغيب وكنت أول من ميّز الأحلام التي ستتحقق، وأوضحت لهم الأصوات المشحونة بالإرهاصات[1] الغامضة ومايلقاه المرء في الطريق. وحدّدت بالدقة معنى طيران الطيور الجوارح: ما هو منها ميمون وما هو منها منحوس، وطباع كل واحد، وما بينها بعضها وبعض من كراهية، وتعاطفها وتقاربها على نفس الغصون، وكذلك[2] أحوال الأحشاء، واللون الذي تتخذه كي تكون مرضية عند الآلهة، والأشكال المختلفة لحويصلة المرارة وفصّ الكبد. وقد أحرقت الأعضاء المغطاة بالدهن، والسلسلة المستطيلة، من أجل إرشاد بني الإنسان في فن علامات التنبؤ الغامض، وأوضحت لهم علامات الاشتعال، وكانت حتى ذلك الحين محاطة بالغموض. ذلك هو عملي. وكذلك الكنوز التي تخفيها الأرض عن بني الإنسان: البرونز، الحديد، الذهب، الفضة. وإلاّ فمن هو الذي اكتشفها قبلي أنا؟ لا أحد، أنا أعلم هذا ـ اللهم إلاّ إذا أراد المرء الخوض في ادعاءآت حمقاء. وبالجملة، وفي كلمة واحدة فيها كل شيء: إن كل الفنون التي يعرفها بنو الإنسان قد أتى بها پرومثيوس.

رئيسة الكورس: لا تذهب ـ من أجل المنّ على الناس بأكثر مما يليق ـ إلى حد أن تزدري شفاءك أنت. إن لديّ أملاً وطيداً في أنه ذات يوم حين تتخلص من أغلالك، ستستطيع أن تعامل زيوس معاملة الند للندّ.

---

(١) الكلمات التي لا يفهم معناها مَنْ ينطقون بها، ولكنها بالنسبة الى مَنْ تعنيهم هي إنذارات السماء.

(٢) بعد التنبؤ بحسب طيران الطيور، وهو أقدم أنواع التنبؤ، ينتقل پرومثيوس إلى التنبؤ بواسطة أحشاء الأضاحي، وخصوصاً فحص الكبد، ومنه خصوصاً فص الكبد أو رأسه كما كان يسميه العرّافون. ذلك أن هذا الرأس يمكن أن يبدو بأشكال شاذة عديدة: فيكون مزدوجاً، أو فيه شقوق، أو غير موجود ولكل حالة من هذه الأحوال مدلول خاص.

پرومثيوس: لا، فيما يتعلق بهذا فإن الساعة التي حددتها «الپارك» لانهاء كل شيء لم تحنْ بعدُ؛ فإنني لن أفلت من أغلالي إلا بعد أن أُعاني آلاف الآلام، وآلاف الكوارث. إن المهارة هي أضعف شيء أمام «الضرورة».

رئيسة الكورس: ومَنْ الذي يتحكم في «الضرورة»؟

پرومثيوس: «الپاركات» الثلاث و«الأرنيات» ذوات الذاكرة التي لا ترحم.

رئيسة الكورس: إذن سلطانها يفوق سلطان زيوس؟

پرومثيوس: إن زيوس لا يستطيع أن يُفْلت من مصيره.

رئيسة الكورس: وما هو مصير زيوس، إن لم يكن الحُكْم إلى الأبد؟

پرومثيوس: لا تسأليني عن هذه النقطة، لا تُلِحّي.

رئيسة الكورس: لا بد أن هذا سرّ بالغ ما دمت تُخْفيه هكذا[1].

پرومثيوس: تكلمي عن شيء آخر. هذا السرّ لم يأت بعدُ الوقت للكشف عنه؛ بل يجب اخفاؤه في ظلام تام: وبالمحافظة عليه سأفلت ذات يوم من هذه الأغلال ومن هذا العذاب المهين.

الكورس: كلا، لا يدخلن سيد العالم زيوس سلطة في هذا الصراع ضد إرادتي.

ويا ليتني لا أتأخر في دعوة الآلهة إلى المآدب المقدسة ذات الأضاحي، بالقرب من المجرى الأبوي للأوقيانوس الذي لا يجف أبداً!

ويا ليت لساني لا يخطىء أبداً ويا ليت هذا المبدأ يبقى دائماً في نفسي دون أن ينمحي ابداً.

حُلْوٌ أن يمضي المرء عمراً طويلاً وسط آمال وثيقة والنفس متفتحة في لذات وضاءة. لكني أرتجف، حينما أنظر إليك ها هنا وآلاف المصائب تمزّقك.

إن إرادتك الصُلبة، دون أن تخشى زيوس، تهتم أيما الاهتمام ببني الإنسان، يا پرومثيوس!

---

(١) السرّ الذي اشرنا إليه في تعليق سابق ص ١٧٨ تعليق رقم ٣.

(٢) الآلهة الثانوية ملزمون، مثل بني الإنسان بتقديم القرابين للآلهة الكبار في الأولمب.

هيّا، لننظر، أيها الصديق: أي إحسان يساوي إحسانك! أين العون، أين النجدة التي يقدمها إليك بنو الانسان؟ ألا تشاهد العجز الخوار، الشبيه بعجز الأحلام، والذي يعوق خطوات الجنس البشري[1]، لن تستطيع الارادة الفانية أن تنتهك النظام الذي قرره زيوس.

هذا أمرٌ علمته من تأمّل بؤسك، يا پروميثيوس، ومع هذا النشيد نشيد آخر مختلف تماماً، يعود للطيران الآن نحوي أنا، نشيد الزفاف الذي أنشدته في الماضي حول حوض وسرير زفافك[2]، في اليوم الذي فيه، اقتدت أنت هسيون إلى فراش الزوجية وكانت قد تأثرت بهداياك.

(إيو Io تدخل. وعلى جبينها قرنا بقرة)

إيو: ما هذا البلد؟ وما هذا الجنس؟ ومَنْ هو الماثل أمامي، وقد حطّمه العذاب تحت بردعة من الصخر؟ أية غلطة تكفّر عنها وأنت تموت هنا؟ خبّرني إذن إلى أية نقطة من العالم حملتني أخطائي.

(تقفز فزعاً)

آه! إن نُعَرة تعذّبني من جديد، أنا السيئة البخت[3]! هذا شبح أرجوس، ابن الأرض أواه! أيتها الأرض، أبعِديه! إني أفزع وأنا أُشاهد راعي البقر ذا العيون العديدة. ها هوذا يتقدم، بنظرته الغادرة! وحتى لو كان ميتاً فإن الأرض لا تخفيه؛ إنه يخرج من العالم السفلي ليطارد السيئة الحظ، ويجعلها تتشرّد، جائعة في الرمل المتاخم للبحار!

(تبدأ في الجري في كل اتجاه كما لو كانت تهرب من عدوّ خفّ!)

وعلى وقع خطواتي: الشبّابة الرنانة، ذات القراب الذي من الشمع، تُسمع أغنيتها الجالبة للنوم. وا أسفاه! وا أسفاه! إلى أين تقودني هذه الأخطاء البعيدة؟ ما هي إذن الغلطة التي فاجأتها، حتى تربطني، يا ابن خرونوس، بمثل هذه

---

(١) يريد اسخولوس أن يقول إن عجز بني الإنسان يشبه عجز النائم الذي يود في الحلم أن يجري، لكنه يشعر بأن ساقيه لا تواتيانه.

(٢) يقول مؤرخ أرجوس القديم: اكوسيلاوس إن هسيون كانت زوجة پروميثيوس ومن هذا الزواج ولد دويكاليون. وهسيون كانت بنت أوقيانوس.

(٣) كانت إيو تطاردها نُعرة؛ لكن هذه النعرة هنا هي تأنيب الضمير الذي يطاردها منذ قتل هرمس لأرجوس.

المصائب[1]، وحتى تغرق فتاة مسكينة في فزع يطاردها مثل النُعرة؟ أحرقني بشعلتك، أخفني تحت الأرض، ارميني غذاءً للوحوش البحرية. لا تحرمني، يا سيّدي، مما أسألك إياه! إن أخطاء طويلة قد حطمتني بما فيه الكفاية، ولا أدري كيف أفلت من مصائبي. هل تعير سمعك لنبرات العذراء ذات قرون بقرة؟

پروميثيوس: وكيف لا أُعير سمعي إلى فتاة تدور تحت طيران النُعرة ابنة ايناخوس Inachos، التي دفأت بالحب قلب زيوس، ولكنها اليوم، بواسطة بُغْض هيرا لها، مضطرة إلى المشاوير الطويلة، التي تحطّمها؟

إيو: أين إذن عرفت الاسم الذي تنطق به، اسم أبي؟ أجب البائسة: مَنْ أنت إذن، أيها البائس، كي تجبني، أنا البائسة، بعبارات صادقة، ولاعطاء اسم للداء الناشىء عن الآلهة، الداء الذي يستهلكني ويعذّبني بحُمة جنون شارد! وا أسفاه! في عار الوثبات الجائعة التي يحملني اندفاعها قد أتيت، فريسةً لإرادات هيرا الحاقدة. مَنْ إذن، مَن من البائسين، يعاني مصائب مماثلة، مماثلة ويا للأسف لمصائبي أنا؟ هيّا بيّن لي بوضوح ما هي الآلام التي تنتظرني. وهل هناك مخرج أو علاج لمصيبتي؟ بيّنه لي، إن كنت تعرفه. تكلّم واخبر العذراء الشاردة الحزينة.

پروميثيوس: سأقول لك بوضوح ما ترغبين في معرفته، وبدون ألغاز معقدة، بل بلغة صريحة، كما يليق عند فتح الفم في حضور أصدقاء. أنت تشاهدين أمامك هذا الذي أعطى النار لبني الإنسان، أنا پروميثيوس.

إيو: إيه أيها المُحسِن الذي ظهر لكل الناس، أيّ پروميثيوس البائس، عمّاذا تُكَفِّر ها هنا؟

پروميثيوس: لقد أغلقت إلى الأبد شكواي من مصائبي[2].

إيو: إذن امنحني الفضل الذي أنتظره.

پروميثيوس: خبّريني ماذا تريدين، وستستطيعين أن تعرفي مِنّي كلَّ شيء.

---

(١) كان هرمس قد أنام أرجوس بغناء شبّابته ثم ضربه فقتله أثناء نومه. وتأنيب ضمير إيو لها يجعلها تعيش في كل لحظة منظر هذا القتل.

(٢) إنه يرفض اذن أن يكرر الرواية التي انتهى من ايرادها. وإنما سيراهن فقط ـ فيما بعد ـ على أن يقول لإيو اسم من اصابه بهذه البلايا. وهذا الاسم يجب أن يكفي إيو، لأنها تعرف خيراً من غيرها أن ضحايا زيوس هم أبرياء.

إيو: خبِّرني من قيّدك بهذه الصخرة الوعرة.

پرومثيوس: إرادة زيوس، لكن بواسطة ساعد هيفايستوس.

إيو: وعن أية أخطاء تكفّر هكذا؟

پرومثيوس: قلتُ لك ما يكفي لإفهامك.

إيو: صحيح! اذكر لي أيضاً متى يوضع حدٌّ لأخطائي؛ متى تأتي الساعة التي تنتهي فيها أخطائي أنا التعيسة؟

پرومثيوس: عدم معرفة ذلك أفضل لك من معرفته.

إيو: لا تُخْفِ عني ما ينبغي عليَّ أنا أيضاً أن أُعانيه من آلام.

پرومثيوس: هيّا، إني لا أبخل بهذا العطاء.

إيو: إذن، لماذا تتأخر في إعلامي بكل شيء؟

پرومثيوس: ليس هذا رفضاً صادراً عن الغيرة؛ كل ما هنالك هو أنني أخشى أن أشيع الاضطراب في نفسك.

إيو: لا تهتم بي أكثر من ذلك.. فإن هذا سيسرُّني.

پرومثيوس: ما دمت تريدين، فينبغي عليَّ أن أتكلم: استمعي.

رئيسة الكورس: لا، لم يَحِن الوقت بعد: وامنحني أنا أيضاً نصيباً من الإرضاء. ولنعلم أولاً ما هو خَطْبها؛ ولتخبرنا هي أولاً ما هي مصائبها الشاردة. وبعد ذلك فلنعلم منك ماذا ينتظرها من مِحَن.

پرومثيوس: وعليك أنت يا إيو أن تبذلي لهن طاعة راضية، خصوصاً وأنهن أخوات أبيك. إن بكاء المرء على مصائبه حينما يكون عليه أن يحصل على دموع من يستمع إليه، أمرٌ يستحق الوقت الذي يُمضيه في ذلك.

إيو: لا أدري كيف أستطيع أن أرفض لَكنّ طلبكُنّ: سأروي رواية دقيقة منها ستعرفن كل ما تُرِدن. ومع ذلك، فإنني أتردد، وأنا أشعر بالخجل، في أن أخبركن فقط مِنْ أين جاء العذاب الإلهي الذي قضى على شكلي الأول[1] لما أن انقضّ عليَّ، أنا البائسة! بغير انقطاع كانت الرؤى الليلية تزور مخدعي وأنا عزباء، وبكلمات معسولة

---

(١) هنا بعض الاختلافات فيما بين مسرحيتي «المستجيرات» و«پرومثيوس». ففي مسرحية «المستجيرات» هيرا هي التي حوّلت إيو إلى بقرة حتى لا يشتهيها زيوس؛ أما هنا فالأمر بالعكس: زيوس هو نفسه هو الذي حوّلها ليمنعها من هيرا.

كانت تنصحني قائلة: «أيتها السعيدة، يا فتاة، لماذا تبقين عذراء مدة طويلة هكذا، بينما أنت تستطيعين أن تحصلي على أعظم زوج؟ أنت أصبتِ زيوس بسهم الشهوة؛ إنه يريد منك أن يستمتع بمواهب كوپريس Cypris: فحذار يا بنيّتي، من رفض الزواج بزيوس؛ لكن اذهبي، وتوجّهي نحو لرنا Lerne ومروجها المعشبة، نحو حظائر الضأن والثيران الخاصة بأبيك، حتى تتحرر عين زيوس من شهوتها!» تلك كانت الأحلام التي ترهقني في كل ليلة، أنا المسكينة! حتى اليوم الذي تجاسرت فيه على أن أروي لأبي ما هي الأحلام التي تطوف بي في النوم. فقام حينئذ ببعث الرسل إلى فوثو ودودونه مراراً وهم مكلّفون بالاستفهام من السماء لمعرفة ما يجب عليه أن يقوله أو أن يفعله ابتغاء ارضاء الآلهة. لكنهم عادوا بألوان من الوحي غامضة وبصيغ مبهمة يصعب حل رموزها. وأخيراً وصل جواب واضح الى ايناخوس يقول بلغة جليّة إنّ عليه أن يلقي بي خارج البيت، وخارج البلاد، باعتباري دابّة مكرّسة[1] للآلهة، حرّة في الشرود حتى آخر حدود العالم - إن شاء ألا يرى الصاعقة المشتعلة المرسلة من زيوس تبيد سلالته. وكأن أبي يذعن لمثل هذه الألوان من الوحي الصادرة عن لوكسياس؛ ولهذا نفاني وأغلق بيته دوني إلى الأبد، رغماً عنه ورغماً عني معاً: لكن كابح زيوس أرغمه على أن يفعل ضد إرادته. وفي الحال تغيّر شكلي وعقلي معاً في نفس الوقت: فنبتت لي قرون، كما ترون، وطاردتني بعوضة ذات لسعة حادة، فصرت أقفز بجنون نحو الماء العذب في نبع كرخنه[2]، ونحو نبع لرنا[3]. وكان يصحبني راعي بقر، هو ابن الأرض، وكان خشن الطباع، وصار يصوّب عيونه العديدة نحو كل خطوة من خطواتي. وفجأة حرمه الموت من الحياة، بينما أنا، كنت أجري باستمرار - تلسعني النُعرة - تحت تأثير لاذع إلهي، مطرودة من بلد إلى آخر. وأنت تعلم ما هي مغامراتي: فإن كنت تستطيع أن تخبرني بما بقي عليَّ أن أُعانيه من آلام، فاخبرني به ولا تحاول - على سبيل الشفقة - أن تواسيني بالكلمات الكاذبة: فلا يوجد شرّ أشدُّ هولاً من اللغة الخدّاعة.

---

(١) إيو تستعمل هنا اللفظ الدال على الدواب المكرّسة إلى أحد الآلهة، والتي كانت تترك طليقة في الحمى الخاص بالمعابد.

(٢) ينبوع يقع على الطريق المؤدي من أرجوس إلى تيجيا Tegée.

(٣) إيو - عن قصد - تخلط بين الوقائع. ذلك لأن زيوس دعاها في أحلامها الى الذهاب إلى لرنا، وقد انطلقت إلى لرنا بسرعة، كما أنها تحوّلت إلى بقرة تهذي، تاركة بيت أبيها ايناخوس. فأشبع زيوس إذن شهوته. وحملت منه إيو بإله. لكنها لن تنهض إلاّ في مصر، لما أن وضع زيوس يده على جبينها فأعاد إليها عقلها وشكلها الأصلي، وساعدها في ولادة إيناخوس.

الكورس: أواه! أواه! بعيداً عني! كفى! لم أجرؤ مطلقاً أن أعتقد أن مثل هذه الروايات الغريبة يمكن أن تصل إلى أُذني. مصائب، فظائع، تهاويل، أمور من القسوة أن تُرَى وأن تُعاني. حُمة مزدوجة التلداغ تجمّد منها قلبي. واحسرتاه! إنه المصير، المصير! إني أقشعر من مصير إيو!

پروميثيوس: أنت تُسْرع في النواح وفي الاستسلام للفزع. انتظر حتى تعرف بقية مصائبها.

رئيسة الكورس: تكلم، أَتِم إخبارها. يطيب للمريض أن يعرف مقدماً وبوضوح ما بقي له أن يعانيه بعد.

پروميثيوس: ما طلبتموه منّي أولاً، أنتم حصلتم عليه بغير صعوبة؛ لقد رغبتنّ أولاً في أن تسمعوا أخبار مِحَنه نفسها؛ فاستمعن الآن إلى الباقي، وإلى ما لا بد له أن تعانيه من آلام، بأمرٍ من هيرا، هذه الشابة الفانية: إيو. وأنت، أيتها المتحدرة من دم إيناخوس، ثبِّتي كلماتي في نفسك جيداً، إن كنت تريدين أن تعرفي نهاية طريقك. حين ترحلين من هنا ولّي وجهك أولا شطر الشمس المشرقة وسيري في السهول الخالية من الحرث، حتى اللحظة التي تصلين فيها إلى الاشقوثيين الرُّحَّل الذين يسكنون في مساكن مصنوعة من اليراع المضفور الموضوع على عربات ذوات عجلات جيّدة، ويعلّقون في اكتافهم قِسِيّاً طويلة المدى. تجنّبيهم واقتربي من صخور مائية ينوح عندها البحر، من أجل أن تخترقي كل هذه البلاد. عن يسار يوجد بنو خالوب[١] الذين يشتغلون بصناعة الحديد. وعليك أن تتجنبيهم، فإنهم خلائق متوحشة لا ينبغي للأجنبي أن يغشاهم. وعلى هذا النحو تصلين إلى نهر اسمه لا يكذب، وهو نهر هوبرستس[٢] Hybristes؛ لا تعبريه، فليس من السهل عبوره، بل سيري قُدُماً إلى القوقاز الذي هو أعلى جبل بين الجبال: إنه من جبينه يطلق هذا النهرُ غضبة مياهه. واجتازي منه قِمَمه المجاورة للنجوم من أجل أن تسلكي طريق الجنوب. وهناك ستجدين جيش الأمازونات[٣] المتمردات على بني

---

(١) بنو خالوب Chalybes مساكنهم في آسيا الصغرى. لكن اسخولوس ينقلهم إلى شمال القوقاز. فلربما كانت هناك رواية قديمة تتعلق بمناجم الأورال وتجعل مساكن بني خالوب في القوقاز.

(٢) هذا الاسم مكوّن من اللفظ: هوبريس Hybris أي: تجاوز الحدّ.

(٣) يحاول اسخولوس التوفيق بين روايتين تضعان إحداهما الأمزونات في شمال البحر الأسود، والأخرى، وهي الأشهر، تضعهن في جنوبه.

الإنسان، واللواتي سيشيّدن مدينة ثمسكورة[١] على نهر ثرمودون، عند الشواطىء التي فيها يفتح سلمودس Salmydesse فكّه الغليظ على البحر، وهو تارة قاسٍ على البحّارة، وغدّار على المراكب[٢]. إنها سترشدك وبقلب حنون. وهكذا تَصِلين إلى الأبواب الضيّقة لبحيرته، وهي خليج كمّر: وبقلب جسور عليك ـ من أجل أن تغادريه ـ أن تجتازي مضيق ميوتيس Méotis؛ وبين بني الإنسان ستحيا دائماً الرواية المجيدة لعبورك: وهذا المضيق سيدين لك باسم: البوسفور؛ وبعد ذلك ستضعين قدميك على قارة آسيا[٣]، تاركة أرض أوروبا. لكن، ألا يبدو لك أن سيّد الآلهة يُبدي في كل مكان عُنفاً متساوياً. إنه، وهو إله، قد صبّ، على هذه الإنسانة الفانية التي اشتهى فراشها، هذا المصير الشارد. آه إنك قد لاقيتِ، أيتها الفتاة، عاشقاً قاسياً، لأن ما سمعتِهِ الآن ليس إلا مجرد مقدمة.

إيو: واحسرتاه! وارحمتاه! وارحمتاه!

بروميثيوس: مرّة أخرى أنت تصرخين، وتخورين: فماذا ستفعلين حين تعلمين بقية مصائبك؟

رئيسة الكورس: هل بقيت مصائب أخرى ترويها لها؟

بروميثيوس: بل قولي بعبارة أدق: بحرٌ عاصف بآلام رهيبة.

إيو: أي مكسب لي إذن في أن أحيا؟ ولماذا أتأخر إذن عن الإلقاء بنفسي من فوق هذه الصخرة الوعرة؟ لو سقطت على الأرض لتخلّصت من كل آلامي. إن الموت دفعة واحدة أفضل من معاناة الآلام والبؤس في كل يوم.

بروميثيوس: ستتعذبين إذن كثيراً إذا تحملت محنتي: إن المصير لا يسمح لي بالموت. والموت وحده هو الذي يستطيع أن يخلّصني من مصائبي لكن لا تتجلى لي أية نهاية لنفسي، قبل أن يسقط زيوس من سلطانه المطلق.

إيو: وهل يمكن أن يسقط زيوس من سلطانه ذات يوم؟

بروميثيوس: أعتقد أن سرورك سيكون عظيماً عند رؤية هذا الحدث.

---

(١) ثمسكورة: مدينة تقع في سهل يحمل نفس الاسم، بين سينوب وطرازون على شواطىء نهر ثرمويون (ويسمى اليوم ثرميه Thèrmé).

(٢) سلمودس تقع في اقليم تراقيا، وهي بعيدة جداً عن ثمسكورة.

(٣) عند اليونانيين تبدأ آسيا من البوسفور، أي بعد شبه جزيرة القرم مباشرة.

إيو: مؤكّد، إن كانت معاناتي لهذه البلايا هي من فعل زيوس.

پرومثيوس: إذن اعلمي أن هذا هو الذي سيحدث.

إيو: ومن ذا الذي سينتزع منه هذا الصولجان القدير؟

پرومثيوس: هو نفسه ونزواته العابثة.

إيو: كيف؟ خبّرني، إن أمكن دون متاعب.

پرومثيوس: سيعقد زواجاً سيندم منه ذات يوم.

إيو: زواج إلهي، أو إنسيّ إن جاز التصريح بهذا، فأجبني.

پرومثيوس: ماذا يهم أن يكون إلاهياً أو إنسياً! ليس من المسموح به الافصاح عنه.

إيو: هل زوجته هي التي ستطرده من عرشه؟

پرومثيوس: بأن تنجب له ابناً أقوى من أبيه.

إيو: ألا توجد وسيلة لصرف هذا القدر؟

پرومثيوس: كلا، لا توجد، إلاّ بأن يُفَكّ پرومثيوس من أغلاله.

إيو: ومَنْ ذا الذي يستطيع أن يفكّ عنك الأغلال على الرغم من زيوس؟

پرومثيوس: أحد أحفادك سيكون قادراً على ذلك.

إيو: ماذا تقول؟ ابن صادر عنّي سيحرّرك من مصائبك؟

پرومثيوس: نعم، في الجيل الثالث بعد العشرة أجيال الأُولى.

إيو: هذا الوحي لم يَعُدْ من السهل فهمه.

پرومثيوس: لا تجهدي نفسك أكثر من هذا في معرفة خفايا بلاياك.

إيو: لا تبيّن مكسباً، كيما تسلبني منه بعد ذلك.

پرومثيوس: مِنْ هديتين سأُعطيك الواحدة أو الأُخرى.

إيو: أي هدايا؟ ضعها تحت نظري واعرِض عليّ أن اختار.

پرومثيوس: ها أنذا أعرض عليك، فاختاري: هل ينبغي عليّ أن أخبرك بالدقة عن بقية مصائبك، أو عمَّن سيكون مُنْقذي؟

رئيسة الكورس: من هاتين النعمتين امنحها واحدة، أما الأخرى فامنحني

إياها: ولا تزدرِ أمانينا لإيو اكشف عن بقية تشرداتها؛ وإليَّ أنا اكشف من سيكون مُنقذك، لأن هذا هو ما أشتاق إليه.

بروميثيوس: إذا كانت هذه هي رغبتك الحارّة، فلن أرفض الكشف لك عن كل ما تسأليني عنه. ولك أولاً يا إيو سأذكر شوارد مشوارك المضطرب: سجليها على ألواح ذاكرتك الصادقة. حين تجتازين المجرى الذي يفصل بين القارّتين، سيري نحو الشرق، حيث تشتعل خطوات الشمس[١]... وأنت تخترقين ضوضاء البحر، حتى اللحظة التي تصلين فيها إلى الحقول الجورجونية في كسثينا[٢] Kisthene، حيث تقيم الفوركيد Phorkides، وهن عذارى قديمات، لكل واحدة منهن جسم كجسم البلشون، وليس لها غير عين واحدة، وسِنٌّ واحدة، ولا يحصلن أبداً على نظرة من الشمس المشعة، ولا من الهلال في الليالي. وبالقرب منهن أخوات مُجَنحات ذوات ضفائر من الأفاعي، وهنَّ الجورجونات، مصدر فزع بني الإنسان، ولا يستطيع أحدٌ أن ينظر إليهن دون أن يموت في الحال. هذا هو التحذير الذي أوجهك اليه أولاً. لكن اعلمي خطر منظر آخر: احذري من كلاب زيوس، ذوات المناقير الحادّة، وهي لا تنبح أبداً، إنها الجريفون[٣] واحذري أيضاً من الأريماسب Arimaspes الوحيدة العين، وهي تسكن على شواطىء نهر پلوتون Pluton. وحينئذ ستصلين إلى بلد قَصِيّ، يسكنه شعب أسود، استقرّ بالقرب من مياه الشمس، في بلاد نهر اثيوپس[٤] Aithiops. سيرى على شاطئه حتى الساعة التي فيها تصلين إلى «النزول»، وهي النقطة التي فيها نهر النيل - من أعلى جبال ببلوس[٥] Biblos - يصبُّ مياهه المقدسة والصحّية. وهو الذي سيقودك إلى البلد المثلث الذي فيه احتفظ «المصير» لإيو وذرّيتها بإنشاء مستعمرتها البعيدة. - فإن كان

(١) هنا خرم في المخطوطات اليونانية. وربما كان معنى النقص هو: «حذار من تعريض نفسك للأمواج الغادرة» - أي لا تجازي البحر الأسود.

(٢) يبدو أنها بلاد خرافية تقع عند نهاية العالم.

(٣) الجريفون هم «حراس الذهب» ضد الأريماسب الذين يحاولون دائماً انتزاعه منهم (هيرودوت ٤: ١٣ وما يليه). وكل هذه الأساطير تنسب إلى اسطورة پرسيوس، التي عالجها اسخولوس في ثلاثية خاصة.

(٤) هذا هو اسم نهر النيل في القسم الأول من مجراه حتى الشلالات.

(٥) كان النقاد القدماء يرون ان اسخولوس تخيّل هذا الاسم استناداً إلى البردي (ببلوس) الذي يكثر في هذه المنطقة.

في كلامي هذا نقطة غامضة معقدة، فاذكريها لي، بدقة، فإن لديّ متسعاً من الوقت هنا، أكثر مما أتمنى.

رئيسة الكورس: إن كانت لديك واقعة أخرى جديدة تكشفها لها، أو نسيتها، فيما يتعلق بتشرّداتها، فاذكرها. وإذا كنت فرغت من روايتك، فامنحنا نحن بدورنا الفضل الذي نطلبه منك. ولا شك أنك تذكر هذا.

پرومثيوس: لقد عرفت الآن كل ما يتعلق بختام أسفارها. وهي تعرف الآن أنها لا تسمع مني كلمات زائفة فإني أريد أن أذكر لها ما هي المتاعب التي تتحمّلها قبل أن تصل إلى هنا: وبهذا أقدم لها ضماناً يؤكد صدق كلامي.

(مخاطباً إيو:) سأدع جانباً الكتلة الضخمة من الوقائع، ابتغاء الوصول فوراً إلى تشرداتها الأخيرة: إنك لما وصلتِ إلى سهول مولوسس Molosses وإلى رابية دودونه Dodone ـ حيث وحي ومقرّ زيوس تسپروت[1] Thesprote، ومعجزة السنديانات الناطقات التي ـ بوضوح وبدون ألغاز ـ حَيَّت فيك تلك التي ستكون الزوجة المجيدة لزيوس ـ ألا يسرُّ شيء من هذا ذاكرتك؟ ـ وَثَبْتِ أنت وقد لسعتك النُّعرة، على الطريق الساحلي المؤدي إلى خليج ريا Rhéa[2] الهائل، ومنه أتى بك إلى هنا العذاب المتوكّل بك في مشوارك الشارد. لكن فيما يتعلق بالأزمنة المقبلة اعلمي تماماً ان هذا الخليج البحري سيكون الخليج الأيوني، واسمه سيذكر جميع الناس بمرورك.. أقول هذا لأثبت لك أن عقلي يدرك أكثر مما تراه العين.

(مخاطباً الكورس:) والبقية أنا سأكشفها لَكُنَّ ولها، بالرجوع الآن إلى أثر رواياتي السابقة. إنه توجد مدينة في الطرف الأقصى للبلاد، هي كانوب، تقع عند مصبّ النيل وعلى رواسبه.. هناك سيردّ إليك زيوس عقلك بأن يلمسك بيده المهدِّئة، وبمجرد مسّك. للتذكير بالكيفية التي بها زيوس أتى به إلى العالم فوق مَنْ ستنجبينه سيكون هو «اپافوس» الأسود، الذي يزرع كل الأرض التي يرويها المجرى الواسع لنهر النيل. وبعده بخمسة أجيال ستعود خمسون عذراء، هنَّ من

(١) كان معبد دودوني يقع على مؤخر جبل طوماروس، في بلاد يذكر أحياناً أنها تنتسب إلى الثسبيروت، وفي أحيان أخرى تنسب الى المولوس. وكان زيوس يجيب على من يأتي لاستشارته بواسطة أوراق سنديانة عتيقة، يقوم الكهنة بتأويل حفيفها.

(٢) البحر الأدرياتي.

ذريته، إلى أرجوس على الرغم منهن، من أجل ان ينجين من الزواج بأقاربهم: ابناء عمّهن: وهم بدورهم سيصلون ـ مدفوعين بالشهوة، مثلهم مثل البواشق التي تطارد حمائم، وصيادين انطلقوا لصيد زواج ممنوع[١]. لكن السماء ستحرمهم من اللواتي يرغبون في الزواج بهن، وأرض پيلاج ستدفنهم، بعد أن يهزمهم «القتل» في مواجهة امرأة جسارتُها ساهرة في الليل. ذلك ان كل زوجة ستنتزع الحياة من زوجها وتغمس في دمه سيفاً ذا شفرة مزدوجة. ولتذهب كل هذه الألوان من الغرام إلى أعدائي! لكن واحدة منهن[٢]، وقد أسكرتها الرغبة في أن تكون أُمّاً، امتنعت عن قتل رفيق فراشها وقد تمت إرادتها. وبين شرّين اختارت أن تُوصف بالجُبْن على أن توصف بأنها قاتلة. وهي التي ستنجب، في أرجوس، سلالة ملكيّة.

ولا بدَّ لي من حكاية طويلة لأقول هذا كله بوضوح. لكن اعلمي على الأقل أنه من هذه السلالة سيولد الشجاع[٣] ذو القوس المجيدة، الذي سيخلصني أنا من هذه البلايا. ذلك هو الوحي الذي كشفته لي أُمّي: ثميس Themis، أخت الطيطان. لكن كيف وبأي الطرق سيتحقق؟ عَرْض هذا سيحتاج إلى وقت طويل، وأنتِ لن تكسبي شيئاً من معرفة كل شيء.

(إيو تشعر بالقشعريرة)

إيو: أواه! أوّاه! تشنج مفاجىء، ونوبة من الهذيان يستوليان عليَّ. إن حمة النعرة تلسعني كأنها حديد محمّى. وقلبي الفزع يمزّق أحشائي. وعيناي تدوران في محجريّ بشدة. إن ثورة من الغضب تعصف بنفسي، فلا أستطيع أن أضبط لساني وأفكاري المشوّشة ترتطم في اضطراب الموجة الصاعدة من داءٍ قبيح.

(تهرب شاردة)

الكورس: نعم، لقد كان حكيماً، حكيماً حقاً أولُ كائن وزن عقله وصاغ لسانه[٤] إن «التحالف بحسب المرتبة» هو أول الخيرات؛ وتبعاً لذلك ألا يطلب

---

(١) ممنوع: ليس من أجل أن الزواج سيكون بين أبناء عم، وإنما لأن والد بنات العم هؤلاء، وهن أنفسهن يرفضن هذا الزواج.

(٢) اسمها هوپر مسترا، وزوجها هو لوثقيا.

(٣) هو هرقل الذي ينحدر من إيو في الجيل الثالث.

(٤) المقصود هو بتاكوس ـ راجع «أهاجي» كليماخوس، رقم (١).

المرء، حينما لا يكون إلاّ مجرد صانع، محالفة مع قوم منتفخين بثرائهم أو سُكارى بنسبهم.

آه! ليتكن لا تريني أبداً، أبداً، أيتها الپاركات Parques أنتن يا من بدونكن لا يتم شيء، أتخذ مكاناً في فراش زيوس بوصفي زوجة له!

يا ليتني لا أعرف أبداً عناقات زوج ساكن في السماء. إني أرتعد حينما أشاهد إيو، العذراء المتمردة على الحبّ، تستهلك نفسها ـ بفعل هيرا ـ في تشرّد قاس حافل بالألم.

وفيما يتعلق بي أنا الذي أتطلب زواجاً على قدر حالي، لا يخيفني أن أبقى وحيدة. يا ليت حب أحد الآلهة الكبار لا يلقي عليّ واحدة من تلك النظرات التي لا يتجنبها المرء!

تلك حرب قاسية، لا تترك أملاً إلا في اليأس، وفيها لا أرى ما هي المهارة التي أستطيع استخدامها: إني لا أعرف وسيلة للإفلات من إرادة زيوس!

(صمت طويل)

پروميثيوس: سيأتي يوم ـ فأنا المسؤول عن هذا ـ سيكون فيه زيوس ذليلاً، مهما يكن قلبه عنيداً، لأن الزواج الذي يستعدّ له سيلقي به إلى أسفل سلطانه وعرشه معدوماً. وحينئذ ستتحقق بكل جزئياتها اللعنة التي لعنه بها خرونوس أبوه، في اليوم الذي سقط فيه من عرشه القديم. والوسيلة لدرء هذه البلية لا يستطيع أي إله ـ اللهم إلاّ أنا ـ أن يكشفها له بوضوح. أنا وحدي أعرف المستقبل وكيف يمكن منعه من الحدوث. وبعد ذلك فليتولَّ على العرش دون خوف، واثقاً بالضوضاء التي يحدثها ويملأ بها الهواء، وهو يهزّ في يديه السهم المشتعل: ولن تستطيع أية نجدة أن تمنعه من السقوط سقوطاً لا يحتمل مسربلاً بالعار ـ لأن الخصم الذي يستعدّ الآن لمواجهته قويّ جداً، أقوى من صاعقة، ذات جَلَبة هائلة تغطي على الرعد؛ وبه الجبار البحري الذي يزلزل الأرض، السلاح المثلث الأسنان، سلاح فوسيدون، لا بدّ أن يتطاير شظايا. وفي اليوم الذي يصطدم فيه بهذه المصيبة فإنه سيتعلم ما هي المسافة التي تفصل بين «أن يحكي» و«أن يَخْدم».

رئيسة الكورس: أنت تجعل من أمانيك وحياً لزيوس.

بروميثيوس: إني أخبر بما سيكون، وهو أيضاً ما أتمنى.

رئيسة الكورس: هل ينبغي علينا أن ننتظر أن نشاهد زيوس تحت إمرة سيّد؟

بروميثيوس: ويحمل على أكتافه آلاماً أشدّ هولاً من أهوالي أنا هذه.

رئيسة الكورس: ألا تخاف من إطلاق مثل هذه الكلمات؟

بروميثيوس: ماذا يمكن أن يخاف منه من لا يمكن أن يموت؟

رئيسة الكورس: في وسعه أن يصبّ عليك محنة أشدّ قسوة.

بروميثيوس: ليفعل ما يشاء! إني أتوقع كل شيء.

رئيسة الكورس: إنهم حكماء أولئك الذين يركعون أمام أدراستيه[1].

بروميثيوس: اعبد، توسّل، تملّق سيّد اليوم. أما أنا فلا يهمني زيوس في شيء. فليفعل وليحكُم كما يشاء إبان هذه المهلة القصيرة: فإنه لن يستمر طويلاً سيّداً على الآلهة ـ لكنني أُشاهد أمامي ساعي بريد زيوس، خادم الطاغية الشاب. ثم شيء مؤكد: إنه سيعلن لنا شيئاً جديداً.

(هرمس، محمولاً على أخفاف مجنّحة، جاء طائراً حتى وصل إلى بروميثيوس)

هرمس: أنت، ـ نعم أنت، أيها الماكر، الحقود بين الحاقدين، شاتم الآلهة، يا مَنْ أسلمت إلى الفانين (بني الإنسان) امتيازاتهم، يا سارق النار ـ اسمَعْ! أبي يأمرك بأن تتكلم: ما هو هذا الزواج الذي تخوّف به؟ ومَنْ هو الذي سيلقي به إلى أسفل من سلطانه؟ الآن، لا محل للألغاز! سمِّ كل شيء باسمه. ولا تفرض عليّ سَفْرة ثانية، يا بروميثيوس! أنت تعرف أنه ليس بهذه الطريقة يمكن استرضاء زيوس.

بروميثيوس: هذه كلمات كبيرة ولهجة مليئة بالغطرسة. ـ وهذا يناسب خادم الآلهة! أيها الشباب، أنتم تمارسون سلطة شابة، وتحسبون أنكم تسكنون في قصر لا يصل إليه الألم. لكن، أوَ لم أُشاهد أنا بنفسي حاكمين يطردان منه؟ والثالث، سيّد اليوم، ستشاهده هاتان العينان مطروداً بشكل أشنع وأشدّ دفعاً! وبعد! هل أبدو أمامك خائفاً ومملوءاً بالفزع أمام الآلهة الشباب؟ هيهات، هيهات، بل الأمر على

---

(١) ادراستيه Adrastée إلاهة مناظرة لنيمسيس Nemesis. والركوع أمام أدراستيه هو استجداؤها لإبعاد غضب الآلهة.

العكس تماماً. اذهب إذن، وأسرع، وعُدْ أدراجك في الطريق الذي أدّى بك إلى هنا إنك لا تعرف شيئاً عما جئت من أجله إليَّ ها هنا.

هرمس: ومع ذلك فإن هذه الألوان من العناد في الماضي هي التي أدّت بك إلى هذا المزيج من الآلام التي تعانيها الآن.

بروميثيوس: لن أستبدل بمحنتي هذه عبودية مماثلة لعبوديتك: اعلم هذا جيداً. إني أُفضّل أن أكون مغلولاً إلى هذه الصخرة على أن أعمل ساعي بريد لزيوس: أبي الآلهة! هكذا يليق بالمتكبرين أن يظهروا كبرياءهم!

هرمس: يبدو أنك فخور بالمصير الذي هُيِّىء لك!

بروميثيوس: فخور! ليتني أرى أعدائي فخورين على هذا النحو ـ وأنا أحسبك من بينهم.

هرمس: هل أنت تحسبني أنا أيضاً مسؤولاً عن بلاياك؟

بروميثيوس: أنا صريح: أنا أكره كل الآلهة؛ إنهم مدينون لي، ومع ذلك فإنهم يعاملونني معاملة ظالمة.

هرمس: أنا فاهم: أنت تهذِي. ومرضك خطير.

بروميثيوس: مَرَضي؟ ليكن. إن كان لا بد للمرء أن يكون مريضاً ليكره أعداءه.

بروميثيوس: وا أسفاه!

هرمس: هذه كلمة لا يعرفها زيوس.

بروميثيوس: لا يوجد شيء لا يعلمنا الزمان إياه حين نشيخ.

هرمس: ومع ذلك فإنك لم تستطع حتى الآن أن تُظْهر أقلّ تعقل.

بروميثيوس: هذا صحيح! وإلاّ لما كنت سمحت لنفسي بالتكلم مع خادم.

هرمس: أظن أنك لا تريد أن تقول شيئاً فيما يتعلق بما يطلبه أبي؟

بروميثيوس: آه! لا شك أنني أدين له بالكثير كي أُجازيه بعرفاني بالجميل!

هرمس: أنت هنا تسخر حقاً، مثل طفل.

بروميثيوس: وأنت لست طفلاً، بل وأبسط من طفل، إن كنت تأمل أن تتعلم

منّي أيّ شيء؟ لا توجد أية شجاعة ولا أية حيلة يستطيع بها زيوس أن يحملني على الإقرار بما يريد، قبل أن يبدأ أولاً فيفكّ مني هذه الأغلال الشائنة. وليُلْق عليَّ إذن بشواظ من نار مهلكة! وليقلب زيوس الكون تحت الثلج ذي الجناح الأبيض، وعلى وقع هزيم الرعد السُّفلي[1]! فلا شيء سيرغمني على أن أكشف له عن اسم من سيطرده من سلطانه.

هرمس: انظر هل مثل هذه اللهجة تفيدك في قضيّتك.

پروميثيوس: كل شيء قد شوهد ـ منذ زمن طويل ـ وتقرّر.

هرمس: تنازل إذن، أيها المجنون المسكين، تنازل أخيراً وفكّر تفكيراً أسلم في مواجهة هذه المصائب.

پروميثيوس: أنت تتعبني وتتعب نفسك عبثاً، ومثلك مَثَل من يلقي دروساً على الأمواج. لا تتصوَّر أنه ذات يوم، وأنا فزع من قرار زيوس، سأجعل من نفسي قلباً من النار، وأذهب ـ محاكيا النساء ـ لأتضرع ـ ويداي مقلوبتان[2] ـ إلى مَنْ أكرهه أشد الكراهية كي يفكّني من أغلالي! هذا مستحيل تماماً.

هرمس: أعتقد أن الاقتصار على الكلام سيكون استطالة في الكلام لا جدوى منها. إنك لم تتأثر ولم تَلِنْ من توسلاتي إليك إنك ـ على العكس ـ تعلك لجامك مثل مُهر حديث العهد بالنير: تقاوم وتنفر من اللجام. لكن ثورتك تستند إلى حيلة عاجزة. إن العناد، عند من يسيء التفكير، لا يستطيع وحده أن يفعل شيئاً. وتأمل إذن، إذا لم تستطع حُجَجي إقناعك، أي إعصار وأي موجة مثلثة من المصائب ستحلُّ بك ـ وهذا أمرٌ لا مفرَّ منه[3]. أولاً هذه القمة الوعرة: إن أبي سيجعلها تتطاير شَذَر هذر، وجسمك المدفون لن يكون له فراش غير معانقة الصخر، وذلك بواسطة رَعْدة وشعلة صاعقة. وستمر أيام طويلة، قبل أن تعود إلى النور. لكن هناك سيأتي كلب زيوس ذو الجناح: النسر المتوحش، ويمزق جسدك إرباً إرباً بقسوة ولن يجعل منه إلا كومة من فدرات اللحم ـ إنه ضيف هُرع دون دعوة،

(١) الفرقعة السفلية التي تصحب غالباً الزلازل.

(٢) أي: وراحتا اليدين موجّهتان نحو السماء، كما يفعل كل المستجيرين بالإله.

(٣) الفقرة التالية يقصد بها أن تعلن مقدماً عن ختام هذه المسرحية وعن موضوع المسرحية التالية لها وهي: «پروميثيوس طليقا».

ويتمهل في الطعام طوال النهار ـ وسيستمتع بأسود شبيه بكبدك. ولا تؤملن في أية نهاية لهذا العذاب، اللهم إلا إذا تجلى إله وأبدى استعداده لأن يحلّ محلك في العذاب، ويتطوع للنزول في هادس المغلق على النور، في القلب العميق لطرطاروس الأسود [١]. فشاور نفسك، إذن. إن الأمر هنا ليس مجرد تخويف باطل، بل هي كلمات صادقة رقيقة. إن فم زيوس لا يعرف الكذب: إنه ينفذ كل ما ينطق به. انظر حواليك، فكّر، ولا تحسبنَّ أبداً أن العناد يساوي التفكير العاقل.

رئيسة الكورس: بالنسبة إلينا، هرمس يتكلم بلغة لا تخلو من اللياقة. إنه يدعوك إلى أن تدع جانباً كل عناد، وأن تلجأ إلى التفكير العاقل.. فعليك إذن أن تصدّقه. إن الخطأ عارٌ في نظر الحكيم.

بروميثيوس: كنت أعرف الرسالة التي جاء يرهقني بها. لكن أن يُعامَل المرء كعدو من جانب الأعداء، هذا أمرٌ لا عار فيه. هيّا! ولتُطْلق عليَّ ضفيرة النار ذات الحدين [٢]، وليهتز الأثير بفعل الصاعقة، وغضبة الرياح الوحشية؛ ولتهز الرياح الأرض ولتنتزعها بجذورها من أساسها؛ ولتذهب أمواج البحر بمدّ صارخ عنيف، لتمحو في السماء الطرق التي تتقاطع عندها النجوم. ولينهى الأمر بأن يقترن بي في طرطاروس المظلم [٣] بين الزوابع ذات القهر الذي لا يرحم! لكن هناك شيء أكيد، وهو أنه لا يستطيع أن يفرض الموت عليَّ.

هرمس: هذه هي الأفكار واللغة المألوف سماعها من المجانين. أيَّ عَرَض من أعراض الهذيان ينقص مثل هذه التمنيات؟ هل سيخفف من هذه النوبات؟. لكن احذروا، أنتم يا مَنْ تتعاطفون مع مصائبه، ابتعدن عن هذه الأماكن، وبسرعة، إن شئتن ألاّ تغمركنّ الدهشة فجأة عند أزيز الرعد الرهيب.

رئيسة الكورس: تكلم بلهجة أخرى، وقَدّم نصائح تستطيع إقناعي. في موجة كلامك وردت كلمة لا أستطيع احتمالها. ماذا! أنت تدعوني إذن إلى ممارسة الغدر

---

(١) يعني: إن عذابك سيكون أبدياً.. لكن بالنسبة الى المشاهدين الذين يعرفون الاسطورة فإن في هذا اشارة الى دور خيرون، الذي سيوافق على ان يحل محل بروميثيوس.

(٢) الصواعق التي يرسلها زيوس، وتمثل غالباً منطلقة من يد زيوس، وتشبه «ضفيرة ذات طرفين»، في وسطها قبضة.

(٣) كان ذلك هو مصير خرونوس وسائر الطيطان.

والسفالة؟ كلا، إني أريد أن أشاركه في الآلام. لقد تعلمت أن أكره الخونة: إني لا أبغض رذيلة أكثر من بغضي للخيانة.

هرمس: لكن احذرن، وتذكّرن تنبؤاتي، وحين تصبحن فرائس «للبؤس»، فلا تشتكين من مصيركنّ، ولا تدّعين أن زيوس قد ألقى بكنّ في كارثة غير متوقعة. كلا، لا تتهمنّ إلاَّ أنفسكنّ، هذا تنبيه لَكُنّ: لن يكون، بطريق المفاجأة، أن تجدنّ أنفسكنّ مصيدات في شبكة لا مخرج منها، مصيدة «البؤس»، فرائس لحماقتكن.

(هرمس يخرج. يسمع هزيم تحت الأرض)

پرومثيوس: لكن ها هي ذي وقائع، لا كلمات: إن الأرض تترنّح؛ وفي أعماقها، في نفس الوقت، يتردد صوت الرعد؛ والصاعقة تتفجر في خطوط ملتوية؛ وإعصارٌ يحيل التراب إلى دوّامات؛ وكل هبّات الهواء تنطلق ليهاجم بعضها بعضاً؛ لقد أعلنت الحرب بين الرياح، والأثير يختلط بالبحار. وها هي العواصف تأتي إليّ لتخيفني. باسم زيوس. يا جلالة أمّي، وأنت أيها الأثير، يا من تريد حول العالم النور المقدّم إلى الجميع، ألا تشاهدون المظالم التي أتحملها؟

(تحت ضربة من الرعد جديدة، تنهار الصخور وتدفن پرومثيوس).

ختام مسرحية

«پرومثيوس مغلولاً»

مَسْرحيَّة «أجامِمْنُون»



مُقَدّمَة «أجاممنون»

بقلم: الدكتور عبد الرحمن بدوي

ـ (١) ـ

من هو أجاممنون؟

أجاممنون هو ابن أتريوس، أو بحسب رواية أخرى: ابن پلسثين Plisthene الذي هو ابن أتريوس، وأُمّه تدعى انكسبيا Ankxibié. وأخوه يدعى منلاس. فلما قتل توئيست Thyeste وايجيست Egisthe أتريوس، فإن أجاممنون وأخاه منلاس Menelas استعانا بتوندار Tyndare ملك اسبرطة، وطردوا القاتلين: توئيست وايجيست، واستولى أجاممنون على عرش موقانس Mycenes. بيد أن هناك رواية أخرى تقول إن الأخوين: أجاممنون ومنلاس كانا طفلين لما قُتِل أتريوس، وإن مربيتهما قد أنقذتهما وأخذتهما إلى مدينة سقيون.

وكان لتوندار ـ ملك اسبرطة ابنتان هما: قلوطمنسترا وهيلانه. فتزوج أجاممنون: قلوطمنسترا، وتزوج منلاس: هيلانه. وكانت قلوطمنسترا قبل ذلك زوجة لطنطالس بن توئيست. لكن أجاممنون قتل طنطالس وانتزع ابنه من بطن أُمه قلوطمنسترا للتخلص منه ثم تزوج منها. ومن هذا الزواج وُلِد لهما ثلاث بنات

هن: ايفجنيا (وتسمى أيضاً: افيانسام، وإلكترا (وتدعى ايضاً: لاوديقا)، وخروسوتميس Chrysotemis، كما ولد ذكر هو: أورست.

ويذكر هوميروس في «الإلياذة» أن أجاممنون كان يقرّ له بالرئاسة والولاء سائر الملوك اليونانيين. وهو الذي قاد الحملة على طروادة، وكانت جيشاً عرمرمياً حملته مائة سفينة. وكان يحمل صولجان القيادة الذي صنعه هيفايستوس من أجل زيوس، رب الأرباب اليونانيين. فأعطاه زيوس إلى هرمس، ثم إن هرمس أهداه إلى بيلوپس Pelyps جدّ أجاممنون.

أما هيلانه فقد تزاحم عليها الخُطّاب. لكن أجاممنون استطاع إقناع أبيها توندار بأن يزوجها لمنلاس، أخي أجاممنون. وكان سائر الخُطّاب قد أقسموا على أن يدافعوا عمّن يحظى بالزواج من هيلانه.

لكن باريس، ابن فريام Priam ملك طروادة، جاء إلى اسبرطة وأحسن منلاس ضيافته؛ لكن زوجته هيلانه هامت به حبّاً. وبعد ذلك بتسعة أيام سافر منلاس إلى كريت لحضور جنازة جدّه أتريوس. فانتهز باريس فرصة غياب منلاس وهرب مع هيلانه، حاملاً معه خزائن منلاس التي كانت تحتوي على كنوز فاخرة.

وبعد ذلك بعدة سنوات، لما تبيّن استحالة تسوية هذه المشكلة بالطرق الدبلوماسية، أجمع أجاممنون وسائر ملوك اليونان على إرسال حملة، بقيادة أجاممنون، لإخضاع طروادة واستخلاص هيلانه.

ولما وصل العاشقان إلى طروادة بعد ثلاثة أيام من السفر بالبحر، عُقِد الزواج بينهما رسمياً، على الرغم من معارضة العديد من الرؤساء في طروادة، ومنهم هكتور؛ وعاشا معاً حتى مصرع باريس. بعد ذلك بتسع سنوات، بواسطة سهم أطلقه فيلوكتيت. وحينئذ تزوجت هيلانه بأخيه دايفوب Deiphobe.

ونعود إلى أجاممنون فنقول انه لما حشد الجيش والأسطول في أوليس (بإقليم بوئتيا)، هبّت رياح معاكسة منعت من الإبحار. فلما سُئِلَ العرّاف كلخاس عما ينبغي فعله لتهدئة البحر أعلن أن الإلاهة أرتميس هي التي فعلت ذلك لغضبها على أجاممنون لأنه كان قد أهانها أو لأنه كان قد أهمل القيام بتقديم الأضاحي لها. وهنا تختلف الروايات اختلافاً شديداً حول السبب في غضب الإلاهة أرتميس على أجاممنون: فالبعض يقول إن السبب في هذا الغضب هو أن أجاممنون تفاخر

بأنه أكبر مهارة في الصيد من أرتميس إلاهة الصيد هي نفسها!. ورواية ثانية، تقول إن أجاممنون كان قد أقسم بأن يضحّي لأرتميس بأجمل نتاج السّنة، وكان أجمل نتاج السنة هو ابنته ايفجنيا، ولكنه لم يفِ بوعده هذا. ورواية ثالثة تقول إن أرتميس عاقبته على جريمة ارتكبها أبوه أتريوس وهذه الجريمة هي أنه أهمل في أن يضحّي بأحسن خروف في قطيعه من الضأن. أما اسخولوس فقد رأى أن السبب في غضب أرتميس على أجاممنون يرجع إلى الاشارة التي أرسلها زيوس ليؤكد لأجاممنون نجاح الحملة الموجّهة ضد طروادة: وهذه الاشارة هي: نسْران يرمزان إلى أجاممنون ومنلاس وهما يمزقان أرنبة حبلى، على مرأى من كل الجيش اليوناني. ولما كانت أرتميس تحمي الحيوان البرّي، فقد غضبت غضباً شديداً بسبب التضحية بحيوان برّي، ولهذا منعت الأسطول اليوناني من الإبحار. وطالبت أرتميس بأن يضحّي أجاممنون بابنته ايفجنيا، حتى تسمح للاسطول بالإبحار! وكانت ايفجنيا تعيش في موقانس. فبعث أجاممنون رسولاً إلى قلوطمنسترا يطلب منها أن ترسل إليه ايفجنيا ليزوجها بأخيلوس! وانخدعت قلوطمنسترا وأرسلت ايفجنيا إلى أبيها أجاممنون الذي اقتادها الى المذبح، حيث ذبحها الكهنة أمام أبيها. ولهذا السبب فإن قلوطمنسترا امتلأت حقداً شديداً على زوجها أجاممنون لخداعه إياها وارتكابه هذه الجريمة النكراء. وسنرى في مسرحيتنا هذه أن تضحية أجاممنون بابنته ايفجنيا كانت أقوى سبب عند قلوطمنسترا لقتل زوجها والانتقام منه، لما أن عاد من الحملة ضد طروادة.

وهنا يلاحظ أن هوميروس، في «الإلياذة» لا يعرف شيئاً عن هذه التضحية بإيفجنيا، بل على العكس من ذلك يقول إن أجاممنون عرض بناته الثلاث (ومنهن ايفجنيا إذن) على أخيلوس كي يقنعه بالانضمام إلى الحملة المذكورة. أما يوريفيدس فإنه في مسرحية: «إيفجنيا في بلاد التوريين» فقد اعتمد الرواية التي تقول إن ايفجنيا لم تمت حين قُدِّمت للذبح، لأن أرتميس وضعت بدلاً منها غزالة في آخر لحظة، ونقلت إيفجنيا إلى اقليم توريكا (في شبه جزيرة القِرْم التي تتبع الآن أوكرانيا).

وبعد سقوط طروادة اتخذ أجاممنون من كسندرا خليلة له. وكسندرا (وتسمى أيضاً: الكسندرا) هي ابنة فريام ملك طروادة، وأمّها هي هيكوبا Hecube. وهوميروس يقول إنها كانت أجمل بناتهما. وقد تحالف أوثرونية Othryonée الذي

من كبسوس Cabesos مع فريام حين قامت حرب طروادة لما أن وعده فريام بأن يزوّجه كسندرا عند نهاية القتال. كذلك جاء إلى طروادة كورويُس Coroebos على أمل الزواج منها. لكن هذين الرجلين قُتِلا في المعركة.

وتروي الروايات أن كسندرا كانت ذات قدرة عظيمة على التنبؤ بالمستقبل. ولما كانت شابّة وقع الإله أپولون في غرامها، وراح يغازلها، وعلَّمها فن التنبؤ بالغيب ابتغاء نيل وصالها. لكن كسندرا رفضت محاولاته لكسب رضاها. وهنالك فرض عليها أپولون أن تتنبأ دون أن يصدّق أحدٌ تنبؤاتها؛ رغم أنها تنبؤات صادقة ستتحقق فعلاً.

وكانت كسندرا حين تتنبأ تبدأ فتدخل في حالة هذيان؛ ولهذا كانت أسرتها تظن أنها مجنونة. ومن تنبؤاتها أنه حين جاء پاريس إلى طروادة لأول مرّة، فإنها تنبأت بأنه وهو طفل كان قد ترك معروضاً على جبل إيدا Ida، ولم يعرفه أهله. وتنبأت بكل البلاء الذي سينتج من سفرته إلى اسپرطة. كذلك تنبأت بالخطر الذي سينجم عن إدخال فرس من الخشب في داخل طروادة، مملوء بالرجال الذين استطاعوا أن يخرجوا منه ويفتحوا أبواب طروادة من الداخل مما سيمكن اليونانيين المحاصرين لها من اقتحامها ثم الاستيلاء عليها. ـ لكن أهل طروادة أصمّوا عن تصديق تحذيرات كسندرا.

وفي لحظة الاستيلاء على طروادة وإحراقها، أمسك بها أياس، ابن اويليه، وكانت قد التجأت إلى معبد الإلاهة أثينا وتمسّكت بالتمثال المقدّس لهذه الإلاهة فجرّها، وقلب التمثال، وفسق بكسندرا في نفس المكان، بينما أشاح التمثال بوجهه عن هذه الفعلة الفاحشة. ولأن اليونانيين لم يعاقبوا أياس، فإن أثينا عاقبت اليونانيين بأن جعلت الكثيرين منهم يهلكون إبان عودتهم. وفرضت جزية على شعب أياس Ayas وهم اللوكريون، فاضطروا إلى دفع هذه الجزية طوال ألف سنة.

وفي توزيع الغنائم من الأسرى، كانت كسندرا من نصيب أجاممنون، الذي اتخذها خليلة له. فأنجبت له ولدين هما: تلداموس وپيلوپس. ثم جاء بها إلى موقانس. فقتلتها قلوطمنسترا كما قتلت أجاممنون. وقبل قتلها كانت قد تنبأت بمصيرها ومصير أولادها، وبالمصير المأساوي لأسرة أجاممنون. وسترى تفصيل ذلك في كلامها في نهاية هذه المسرحية.

أما عن مقتل أجاممنون فإن هوميروس يقول إن ايجيست دعا أجاممنون إلى مأدبة، ثم هاجمه هو ومجموعة من الرجال المسلّحين؛ وقتله. وهذه الرواية تختلف اختلافاً تاماً عن الرواية التي اعتمدها اسخولوس في مسرحيتنا هذه.

ـ (٢) ـ

خلاصة المسرحية

وأما مسرحيتنا هذه ـ وتدور حول أجاممنون ـ فتتلخص فيما يلي:

الحارس الساهر يلمّح إلى أن القصر ينطوي على سرّ رهيب. أما هو فينتظر وصول إشارة ضوئية من المشاعل التي تنقل الأنباء ابتداءً من طروادة (في آسيا الصغرى) حتى مكان للمراقبة وهو على سطح القصر الملكي في مدينة أرجوس التي يتربع على عرشها أجاممنون.

وهو يوجّه الكلام إلى كورس مؤلف من شيوخ مدينة أرجوس. وهم لا يزالون يجهلون نتيجة حصار اليونانيين لمدينة طروادة. وكان أسطول ضخم يقوده أجاممنون قد ذهب إلى طروادة لاستخلاص هيلانه ـ زوجة منلاس، أخي أجاممنون ـ لما ان هربت مع باريس، أمير طروادة؛ لكنهم، أعني هؤلاء الشيوخ، قد أحسّوا بأن ثمة استعدادات لاحتفال، لا بدَّ أنه من أجل اعلان انتصار اليونانيين. ثم تذكروا نبوءة كانت قد أعلنت لهم أن الانتصار ستعقبه مصائب رهيبة. وقد تمثلت هذه النبوءة على شكل نسور تلتهم أرنبة برّية عشراء. وقد فسّر العرّاف كولخاس هذه الرؤيا بأنها تحذير من الإلاهة أرتميس ـ وأرتميس تحمي الضعفاء والحيوان، لكن أجاممنون يريد أن يدمّر طروادة ويهلك كل أهلها. وهم أبرياء من الجريمة التي ارتكبها باريس بخطفه لهيلانه.

وبدأت أرتميس انتقامها بأن منعت من قيام الأسطول اليوناني الحامل للجيش اليوناني الذاهب إلى طروادة، بأن سلطت على الميناء ريحاً عاتية. ولم ترضَ بتهدئة الريح إلاّ لقاء أن يضحّي أجاممنون بأعزّ ما لديه من إنتاج في هذا العام، وهو ابنته ايفجنيا. فاضطر أجاممنون صاغراً إلى دفع هذا الثمن، وقدم ابنته ليذبحها كهنة أرتميس. فكانت هذه هي أولى مصائب هذه الحملة.

لكن ما ذنب هذه البنت الحديثة الولادة؟ هذه جريمة أخرى على أجاممنون أن يكفّر عنها. وهذا ما عبّر عنه العرّاف كولخاس فقال: «إن هذا البيت تحرسه قهرمانة غدّارة هي «الغضب» الذي لا ينسى، ويريد أن ينتقم لذبح هذه الطفلة».

وهذه الطفلة هي ابنة قلوطمنسترا، التي حزنت حزناً شديداً على مصرع ابنتها. . وأداها هذا إلى التدبير للانتقام من أجاممنون، زوجها ووالد إيفجنيا.

وجاء رسول أخبرها بأن اليونانيين انتصروا على أهل طروادة واستنقذوا هيلانه، وأن زوجها أجاممنون بسبيل العودة إلى وطنه. وذكر الرسول في تقريره أمامها وأمام جمع الشيوخ من أهل أرجوس أن اليونانيين قد دمروا كل معابد الآلهة في طروادة، وأهلكوا شعب طروادة. إن پاريس قد قُتِلَ في القتال. ولقي بهذا جزاءه عن فعلته: أي الهرب بهيلانه. ففيم إذن كل هذه الفظائع: من تدمير معابد الآلهة في طروادة، والتضحية بالآلاف من اليونانيين من أجل استنقاذ «فاجرة» هربت مع عشيقها پاريس؟!

إن «العدالة» لا بدَّ أن تنتقم من أجاممنون. وتصوّرت زوجته قلوطمنسترا أنها هي يد هذه العدالة.

وعاد أجاممنون إلى بلدة أرجوس وقصره فيها. وراح يتبجح بهذا الانتصار، ويبالغ في ذلك بوقاحة منقطعة النظير، أثارت حفيظة هؤلاء الشيوخ العقلاء الذين توقعوا من هذه الوقاحة (الهوبريس) أن تنقلب عليه، لأن الآلهة تبغض تجاوز الحدّ ـ وقد عاد أجاممنون مصحوباً بأسيرة طروادية هي كسندرا.

وكانت كسندرا رمزاً حيّاً متجسّداً لطروادة المدمّرة، ولكل الأبرياء الذين قُتِلوا انتقاماً لأمر تافه لا يستحق كل هذه الفظائع. وهي أيضاً مُنبئة صادقة التنبؤ، لكن أحداً لا يصدقها لا من أهلها ولا من هؤلاء الشيوخ الغرباء، الذين من أرجوس. فهي تتنبأ بمصرع أجاممنون، لأن آلهات الانتقام تتربص به وبكل سلالة آل أتريوس ـ ومنهم انحدر أجاممنون ـ بسبب ما ارتكبه جدهم أتريوس من جرائم. فهي تتنبأ باغتيال أجاممنون على يد زوجته قلوطمنسترا، كما تتوقع اغتيالها هي نفسها على يد قلوطمنسترا وخليلها ايجيست؛ وتتوقع ايضاً اغتيال قلوطمنسترا وخليلها هذا. لكنها تتعزى عن مصرعها المقبل بمصرع أجاممنون مدمّر وطنها، وبمصرع قلوطمنسترا قاتلتها المقبلة.

وبعد أن اغتالت قلوطمنسترا زوجها بأن لفّته في شبكة وهو في الحمام لم يستطع أن يفك نفسه منها، ظهرت أمام شيوخ أرجوس، وراحت بكل حقد ووقاحة تتباهى بجريمتها، مدّعية أنها كانت مجرد أداة في يد «العدالة» الإلهية للانتقام من جرائم أجاممنون؛ وأولها في نظرها تقديم ابنتهما ايفجنيا للذبح استجلاباً لرضا أرتميس. ولما هددها هؤلاء الشيوخ، بادلتهم بالتهديد بما سيفعله خليلها ايجيست بهم الآن وقد خلا له الميدان بعد مصرع أجاممنون. لكن مَنْ ايجيست هذا حتى يجرؤ على تهديدهم؟ إنهم يعتبرونه أنه بقي في أرجوس جباناً حقيراً فاسقاً غداراً: جبان لأنه لم يشترك في الحملة، وغدّار لأنه خان الأمانة بأن زنا وفسق بقلوطمنسترا زوجة الملك. وهو حقير لأنه اشترك في قتل أجاممنون، واستولى على خزائنه بعد قتله.

ـ (٣) ـ

خصائص شخصيات المسرحية

والآن وقد ذكرنا خصائص ايجيست، فلنذكر خصائص باقي شخصيات المسرحية:

أما أجاممنون فيبدو ملكاً يستحق التعاطف. صحيح أنه تبجح بتدمير طروادة وقتل باريس الذي كان السبب الأول في قيام هذه الحرب، لكنه مع ذلك نسب الفضل في هذا النصر الى الآلهة، لا إلى نفسه ورفاقه. ورفض ان تعامله زوجته كإله، لما أن فرشت الأرض أمامه بالأبسطة الثمينة.. وهو يبدو رقيق المشاعر لو قورن بزوجته التي تبدو متوحشة حقوداً مملوءة شذوذاً وغيظاً. إنها نموذج الحقد والغيرة والمطامع الشهوانية والفجور الوقح. ولا نعرف في المسرح شخصية امرأة تثير النفور والكراهية والازدراء مثل قلوطمنسترا. إن حقدها على زوجها قد دفعها أولاً إلى خيانته والزنا مع ايجيست هذا العُتُلّ الزنيم. ودفعها ثانياً إلى التدبير ثم التنفيذ لقتل زوجها أجاممنون. وهي تنتحل أعذاراً واهية لتبرير جرائمها الوحشية. وتتباهى بمسؤوليتها عن الجريمة وهي ممسكة بالسيف ـ أو بالبلطة ـ في يدها، مما يدل على أقصى درجات الفجور. وهي تلقي بالمسؤولية على روح ـ أوجِنّي ـ السلالة، سلالة آل أتريوس.

هاتان هما الشخصيتان الرئيسيتان في المسرحية.

ويتلوهما في الأهمية شيوخ مدينة أرجوس الذين يؤلفون الكورس. وهم يمثلون الصفوة من شعب هذا البلد. وهم يتحلّون بالنزاهة في الحكم، والشجاعة في التنديد بأعمال الحُكّام إن كانت تتسم بالظلم والاستبداد: فهم يأخذون على أجاممنون ذبحه لإبنته ايفجنيا في سبيل استرضاء أرتميس كي تؤاتي الأسطول بريح مؤاتية للإبحار، ويأخذون عليه أنه حشد كل هؤلاء الجنود وأبحر بالأسطول من أجل إرجاع عاهرة فاجرة - هي هيلانه - إلى حضن زوجها الذي هربت منه طوعاً للحاق بحبيبها الذي أغرمت به: پاريس - وهو إرجاع كلّف اليونانيين الآلاف من الضحايا وأدى إلى اهلاك سكان مدينة طروادة وتدمير معبد الآلهة فيها وتخريب بيوتها. لكنهم، أي هؤلاء الشيوخ - لا يملكون إلا اللسان، ولا يستطيعون أن يغيروا شيئاً بأيديهم، ولهذا قنعوا بالكلام واستسلموا للقوة، فلم يتمردوا بل بقوا على احترامهم لأجاممنون ملكهم. وفقط حين تعلق الأمر بايجيست فإنهم امتشقوا سيوفهم واستعدوا لقتاله إن هاجمهم. ثم إنهم لما سمعوا صراخ أجاممنون لما أن انهالت عليه قلوطمنسترا بالسيف - أو بالبلطة - فإنهم لم يحركوا ساكناً ولم يهرعوا لإنقاذ هذا المستصرخ، بل راحوا يتشاورون ويتجادلون، وانقسموا في الرأي، تاركين الجريمة تتم فصولها دون أن يحركوا ساكناً - وكان موقفهم هذا شائناً حقاً، لأنهم لا يستطيعون تبرير سلوكهم بأنهم شيوخ عاجزون، بدليل أنهم حينما واجهوا ايجيست امتشقوا - او امتشق رئيسهم - سيفه لمواجهة عدوان هذا الرجل. . وتتجلى وضاعة سلوكهم في قول هذا الرئيس: «ما أُريده هو السعادة التي لا تثير الحسد. ليتني لا أكون مخرّباً لمدنٍ، ولا أميراً يصبح مستعبداً لنزوات منتصر!» - وهم متحفظون شكاكون، وهذا أمرٌ يليق بأعمارهم، ولهذا شكوا في النبأ الوارد بانتصار اليونانيين، خصوصاً وأن الذي أبلغهم هو امرأة وقالوا: «إن من شيمة المرأة التي تحكم وتأمر أن تهنىء نفسها بالسعادة قبل ان تحصل، إن المرأة ساذجة الاعتقاد في تمنياتها إلى درجة أنها تسارع في تصديق الأوهام؛ لكن الأنباء التي تعلنها سرعان ما تذهب أدراج الرياح».

- (٤) -

تاريخها ومكانتها

ومسرحية «أجاممنون» هي المسرحية الأُولى في ثلاثية تدعى «الأورستيات» تتألف من: «أجاممنون» و«حاملات القرابين» و«المحسنات». وقد مثلت في سنة ٤٥٨ ق.م في عهد أرخونية فيلوكلس Philocles وقد حصلت حينئذ على الجائزة الأُولى.

والمسرحيات الثلاث المذكورة يواصل بعضها بعضاً: والأولى موضوعها هو اغتيال أجاممنون بواسطة زوجته قلوطمنسترا المتواطئة مع خليلها ايجيست، والمسرحية الثانية: «حاملات القرابين» موضوعها هو انتقام أورست من هذين القاتلين لأبيه؛ والمسرحية الثالثة: «المحسنات» موضوعها هو محاكمة أورست، الذي طاردته آلهة الانتقام، لكن برّأته المحكمة (الأريوفاغ).

باريس في ١٧ ابريل ١٩٩٥

عبد الرحمن بدوي



«أجاممنون»
شخصيات المسرحية

الديدبان الساهر

كورس من شيوخ مدينة أرجوس

قلوطمنسترا: ابنة توندار وليدا، وزوجة أجاممنون

أجاممنون: ابن أتريوس، وملك أرجوس وموقانس

منادي

كسندرا: ابنة فريام وهيكوبا؛ وأسيرة عند أجاممنون

ايجيست: ابن توئيست، وابن عم أجاممون، وعاشق لقلوطمنسترا



(في أعماق الأوركسترا يقوم قصر آل اتريوس. على السطح يتمدد الديدبان الساهر).

الساهر: إني أتوسل إلى الآلهة أن تُنهي متاعبي. فمنذ سنوات طويلة أنا أسهر على هذا السرير، في قصر آل أتريوس، دون انقطاع، كأنني كلب.. فتعلمت معرفة جماعة النجوم الليلية، وخصوصاً تلك الكواكب التي تأتي لبني الإنسان بالشتاء والصيف، وهي أمراء مضيئون بنيران الأثير، وأعلم عنها شروقها وغروبها. وهأنذا لا أزال أترصّد إشارة الشعلة، ذلك الضوء المشتعل الذي يأتينا من طروادة بالنبأ، نبأ النصر فبهذا أمر القلب الجزع لامرأة ذات مقاصد رجولية. لكن حينما أكون هاهنا، على هذا المرقد المُبَلّل بالندى، والذي يحتجزني إبان الليل بعيداً عن بيتي، مرقدي الذي لا يعرف زيارة الأحلام ـ لأنه، بدلاً من النوم لا يقترب منه إلاّ الخوف الذي يمنعني من إغلاق جفوني للحصول على نوم هادىء ـ أقول: إنني حين أُريد أن أغنّي أو أن أزمزم، وأن أستخدم الأغاني علاجاً ضد الغفلة، فإنني انخرط في الزفرات، ناعياً حظّ هذا البيت الذي لم يَعُد يسود فيه النظام الجميل الذي ساده في الماضي! ألا ليت النهاية السعيدة لمتاعبي تشرق اليوم، بأن تضيء النار ـ رسولة السرور ـ ما يحيط بي من ظُلمات.

(نور يظهر على البحر. الساهر ينهض نصف نهوض، وبانفعالٍ يقول:)

السلام عليك، أيّتها الشعلة، التي تولّد الضياء في وسط الليل، فتتكوّن جوقات عديدة في مدينة أرجوس ابتغاء الاحتفال بالفوز!

(ينهض باندفاع ويصرخ بكامل صوته صرخة متواصلة).

يو! يو! إني أنبّه بصيحات عالية، زوجة أجاممنون، كي تنهض بسرعة من مرقدها. وأن تأمر بأن يرتفع من هذا القصر صيحة طويلة من الفرح، جواباً عن هذه الشعلة: صيحة تخبر أن إليون قد تم الاستيلاء عليها، وها هي ذي إشارة النار تعلن ذلك. وأنا أول من يفتح الاحتفال، بأن أرقص. الضربات الجيدة التي قام بها سادتي سأضيفها أنا إلى حسابي[1]: بهذا الفانوس أنا أحسب ستة ثلاث مرات. وعلى كل حال فإنه في اليوم الذي سيعود فيه مولاي سأستطيع أن أرفع بيدي يده العزيزة. ولا أقول أكثر من هذا: إن ثوراً هائلاً يقف على لساني[2]. وهذا القصر، لو أوتي ملكة النطق لقال الحقيقة كلها. وأنا، إن كنت أخاطب أولئك الذين يعلمون، فإني أتعمد أن أتناسى كل شيء.

(يختفي في القصر وعن يمين يدخل اثنا عشر عجوزاً ببطء في الأوركسترا).

رئيس الكورس: منذ عشرة أعوام شاهد فريام Priam عدوّاً رهيباً لهم: منلاس Menelas وأجاممنون، ابنا أتريوس، وهما قويّان، وقد شرّفهما زيوس بعرش مزدوج، وسُلطان مزدوج؛ وقد جنّدا من هذا البلد أسطولاً أرجوسيّاً مؤلفاً من ألف سفينة، كي يسندا قضيتهما بقوة السلاح.

ومن أعماق قلبيهما الغاضبين أعلنا الحرب، مَثَلُهما مَثَل الرخم التي أذهلها ما أصاب صغارها فراحت تدور في الهواء فوق المنطقة، ضاربة المكان برفرفة أجنحتها، وقد ضاع تعبها في صيانة صغارها في الوكر.

ومن فوقها إله ـ هل هو أپولون، أو پان Pan، أو زيوس؟ ـ يسمع بلغة الطير، الشكوى الحادة لضيوف السماء[3] هؤلاء، وعاجلاً أو آجلاً سيرسل إلى الجُناة إلاهة الانتقام.

---

(١) تتم اللعبة بوضع القشاطات بحسب عدد النقط التي جاء بها النهر. وستة ثلاث مرات هي أحسن ضربة ممكنة. وأجاممنون هو الذي ضرب هذه الضربة؛ لكن الديدبان الساهر يريد أن يكسب منها: بمعنى أن هذا الخبر سيكفل له مكافأة.

(٢) هذا مثل، ومعناه: لساني ليس حرّاً.

(٣) حرفياً: لهؤلاء المستأمنين (أو: الغرباء، فهو يشبه الطيور بالغرباء المقيمين في الأثير الذي هو مجال الآلهة ويجب إذن أن يكون لها آلهة لحمايتها وتكون هذه الطيور في ذمتها.

وهكذا يرسل زيوس المضياف[1] إلى الاسكندر ابني أتريوس؛ وبعد ذلك، ومن أجل امرأة كانت لأكثر من رَجُل، ستخوض السواعد في قتال لا يهدأ، وتمسّ الرُكب التراب، وتتكسّر الرماح منذ بداية القتال، وفقاً للنصيب الذي قرره زيوس للطرواديين والدانائيين معاً.

وأيّاً كان الطريق الذي يسير فيه المستقبل في تلك الساعة، فإن هدفه قد حدّده المصير[2]. غذّ نارك بالخشب من أسفل وبالزيت من أعلى[3]. فلا شيء سيهدّىء الغضبة الصارمة للقرابين التي لا تريدها الشعلة.

وفيما يتصل بنا نحن الذين لا تستطيع أجسامنا أن تدفع ما عليها من دين، والذين تركهم الجيش الراحل للدفاع عن حقوقنا، نحن باقون ها هنا، مستندين إلى عِصِيٍّ بها نستمد قوة شبيهة بقوة الأطفال. أما العصارة التي تتصاعد في صدور فتية فإنها تماثل تماماً تلك التي عند الشيوخ: لكن آرس Ares ليس هنا في مكانه! ثم من هو الرجل العجوز جداً، حينما تصوّح أوراقه؟ إنه يمشي على ثلاث أرجل، وقوّته لا تزيد عن قوة الطفل، وهكذا يسير مثل حلم يظهر في رائعة النهار.

عليك أن تتكلمي يا بنت تندار، يا أيتها الملكة قلوطمنسترا[4]: ماذا هناك؟ ماذا عرفتِ؟ استناداً إلى أية رسالة تدعو أوامرك إلى تقديم قرابين؟

كل آلهة المدينة، إلهة السماء والعالم السفلي، آلهة البيت[5] والميدان العام - تشاهد مذابحها محمّلة بهداياك.

ومن كل النواحي تتصاعد حتى السماء، بفضل زيتٍ مقدّس طبيعته ليست

---

(١) أي: زيوس حامي الضيوف.

(٢) الكورس يتكلم عن الطرواديين، لكنه يفكر ايضاً في اليونانيين عبثاً سيصلي الطرواديون، لأنهم لن يفلتوا من المصير المقدّر لهم، لأن الآلهة قد أدانتهم. لكن اليونانيين سيلقون أيضاً بلايا كبيرة وسيفقدون العديد من المحاربين.

(٣) حينما لا تشتعل القرابين فإن معنى هذا أن الآلهة غير راضية عنها، فتغضب لذلك غضبة لا سبيل لتهدئتها. أما الشعلة التي تتصاعد عالياً من المذبح فهي على عكس ذلك علامة فأل حسن.

(٤) هؤلاء الشيوخ لا يشاهدون الملكة؛ لكنهم قابلوا خدمها وهم يحملون القرابين إلى كل المعابد. والبخور يدخن أمام القصر.

(٥) حرفياً: آلهة الأبواب. وقد جرت العادة بأنه في الاحتفالات العامة، وخصوصاً عند إعلان نبأ سعيد، أن يحرق كل مواطن بخوراً أمام بيته.

خدّاعة[1] ـ شعلة القرابين الملكية المأخوذة من أعماق القصر.

عن كل هذا خبّريني بما يمكن وما يجوز العلم به، واشفي نفسي القلقة التي تتعذب أحياناً، لكنها في أحيان أخرى ـ أمام الأضاحي التي تستنبطين منها الأضواء ـ تشاهد الأمل يطرد عن نفسه الهمّ الذي لا يشبع من آلامي.

الكورس: أستطيع أن أقول على الأقل ما هو الفأل القدير الذي حيّا رحيل رجالنا وهم في تمام القوة ـ إن الآلهة لا تزال تُبْقِي على القوة في عُمرنا، وهي الايمان الذي توحي به أناشيده ـ

وكيف أن الملكين القويين للأخاويين، واللذين تتآمر إرادتهما المتحدة على الشباب اليوناني، والرمح والذراع مستعدان للانتقام ـ قد رحلا إلى بلاد الطروادين، مصحوبين بفأل حربي: مَلِكان من ملوك الطيور ظهرا لملوك السفن، أحدهما أسود فاحم، والآخر ظهره أبيض. لقد ظهرا بالقرب من القصر، من جانب الذراع التي تلوّح بالرمح، وقد حلّقا بوضوح وهما بسبيل التهام أرنبة عشراء لم تظفر بحظ الشوط[2] الأخير.

أنشِد النشيد الحزين، الحزين؛ لكن لينتظِرنَّ الحظّ السعيد!.

ولدى هذا المنظر تعرّف عرّاف الجيش الحكيم في هذين الملتهمين الحربيين للأرنبة ابني أتريوس الأثنين المتماثلين في الإرادة، ورئيسي الحملة. وقال مفسّراً هذه الأعجوبة.

«نعم، بمرور الزّمن سيستولي على طروادة أولئك الراحلون في هذه الساعة؛ والكنوز التي جمعها الشعب وراء هذه التحصينات سيعرضها «المصير» القاسي للنهب. لكن احذروا من أن يأتي غضب إلاهي ويسبق ويضرب ويغطّي بظلّه اللجام الذي يجب أن يستلم طروادة ـ الجيش الجاهز هنا. ذلك لأن أرتميس الطاهرة، وقد شعرت بالشفقة سخطت على الكلاب المجنّحة التي لأبيها، والتي ذبحت الأرنبة البائسة مع حَمْلها قبل أن تلد: إن أرتميس تكره مأدبة النسور.

أنشِد النشيد الحزين، الحزين؛ لكن لينتظرنَّ الحظ السعيد!

---

(١) كانت مهمة الزيت إهاجة النار؛ وهو بطبيعته يوقظ النار، ولا يخمدها.

(٢) هذه التعبيرات مأخوذة من رطانة القنّاصين الذين يميّزون بين عدّة مراحل في مطاردة القنيص.

وهأنذا أتوقف: فهذا هو كل ما دعتني إلى تفسيره «الجميلة[١] - جداً» من العلامات التي أتتنا بها هذه الطيور، إن هذه «الجميلة جداً» تولي عطفها للثمار الضعيفة التي تنتجها الأسود، وللمواليد الرقيقة التي تنتجها دواب الحقول. وتلك العلامات هي علامات أمل وخوف معاً!

آه! أستغيث بپيان Paen، الإله الذي يتوسَّل إليه بالصيحات الحادة، من أجل ألا ترسل أرتميس إلى سفن الدانائيين رياحاً معاكسة توقفها في الميناء زماناً طويلاً، مطالبة بدورها بتضحية هائلة تبقي أضاحيها لها كاملة، وتولّد النزاع في وسط الأسر ولا تحترم أيّ زوج. ذلك لأن وصيفة غدّارة تحرس البيت، وهي مستعدة للتمرد ذات يوم رهيب، وهذه الوصيفة هي الغضب الذي لا ينسى، ويريد الانتقام لابنة صغيرة. تلك كانت المصائر المنحوسة، مضافة إلى خيرات لا ثمن لها، التي أعلنها كلخاس Calchas، في مواجهة علائم الرحيل، فيما يختص ببيت امرأتنا.

وبالاتفاق مع هذه العلائم، أنْشِد النشيد الحزين، الحزين؛ لكن لينتظرنَّ الحظّ السعيد!

زيوس مهما يكن اسمه الحقيقي، إن كان هذا الاسم يرضيه، فإني أدعوه بهذا الاسم. لقد وزنت كل شيء: إني لا أقرّ إلاَّ بزيوس قادرٍ على أن يخلّصني حقاً من ثِقل جزعي العقيم.

كان في الماضي إله[٢] عظيم» ذو جسارة متأهبة لكل المعارك: وذات يوم لم يعد أحد يذكر انه وجد، مجرد وجود. ثم جاء بعده آخر[٣] وَجَد مَنْ يتغلب عليه وينهي وجوده. لكن الإنسان الذي يمجد - بكل روحه - الاسم الظافر لزيوس سيحظى بالحكمة العليا.

لقد فتح لبني الإنسان سُبُل الفطنة، بأن سنَّ لهم هذا القانون: «معاناة الألم من أجل الفهم». في النوم العميق، وتحت نظر القلب، حينما ينزّ تأنيب[٤] الضمير

---

(١) أي أرتميس. وإليها ترجع الأرانب، ولهذه الصفة لا يتعرض لها الصيادون. ولهذا فإن النسور بالتهامها صغار الأرانب قد أهانت أرتميس.

(٢) المقصود هو: أورانوس.

(٣) المقصود هو: خرونوس. وقد تغلب عليه زيوس.

(٤) يشبه تأنيب الضمير بجرح ينفتح من جديد وتسيل منه المِدة، بينما كان يظن أنه التأم وشفي.

المؤلم، فإن الحكمة تنفذ فيهم ـ على الرغم منهم ـ وأعتقد أن في هذا عنفاً[١] مُحْسناً تسديه الآلهة الجالسون عند الدِّفة السماوية!

وهكذا، في تلك الأيام، أكبر رؤساء الأسطول الأخاوي تواطأ مع المصير ذي الأهواء، أولى من أن ينتقد العرّاف. والأشرع مطوية، والبطون خاوية انفعل الأخاويّون، وتوقفوا على مرأى من خلقيس Chalcis، وسط أمواج أوليس.

هبّت الريح من تلقاء استرومون، حاملة معها تأخّرات منحوسة، هي: المجاعة، الإنزال المحفوف بالأخطار على الشواطىء، تشتُّت البحّارة، العطب في المراكب وفي الحِبال، وبالابطاءات المتجددة باستمرار تمزقت قلوب الأرجوسيين. وحينما جاء العرّاف ـ محتمياً باسم أرتميس ـ وأعلن عن دواءٍ[٢] أشد مرارة على قلوب الزعماء من العاصفة المرّة، فإن آل أتريوس ضربوا الأرض بعصيّهم ولم يستطيعوا أن يحبسوا دموعهم.

وتكلم أكبر الملوك سِنّاً فقال: «مصيري قاسٍ، إذا أنا عصيتُ وتمردّت؛ وهو قاس أيضاً أن يُفْرَض عليَّ أن أُضحّي بابنتي، التي هي جوهرة بيتي، وأن أُنجِّس يديَّ الأبويتين بالدم المنبجس من عذراء مذبوحة. أفلا يوجد حلٌّ لا يكون مصيبة؟ وهل أستطيع أن أفرّ من أسطولي، وأتخلّى عن حلفائي؟ إذا كانت هذه التضحية، وهذا الدم العذراوي، يحبس الرياح فمن الممكن أن أقوم بهذه التضحية بحمية وحماسة، دون أن أكون قد ارتكبت جريمة.. وليكن في ذلك خلاصنا!»

ولما غدا جيشه تحت نير المصير، حدث في نفسه انقلاب نجس فاسق كافر: لقد أصبح مستعدّاً للمخاطرة بكل شيء، واتخذ قراره النهائي: ذلك لأنه عند ينبوع كل الشرور يوجد الجنون القاتل ذو الخُطط الشائنة، والذي ينفخ الجرأة في بني الإنسان. لقد تجاسر على أن يضحّي بابنته، من أجل أن يساعد جيشاً على

(١) تأنيب الضمير هو عنف ينتج لما هو خير، لأنه يفتح عيون بني الإنسان.

(٢) هذا الدواء هو التضحية بإنسان، وكان كلخاس قد أعلن ذلك بلغة مستترة وألفاظ غامضة، حينما فسّر علائم النسور، وهي تضحية رهيبة فيها بقايا الأضاحي لن تقسم من أجل المأدبة ولا بد أن تؤدي إلى انتقام الأم. وهذه التضحية ليست مفروضة على أجاممنون، وإنما جعلت منها الإلاهة شرطاً لوقف عصف الرياح، فإن كان يريد تدمير طروادة، فإن عليه أن يدفع الثمن الباهظ لهذا. والحكمة تقتضي ألا يقوم بهذا العمل؛ لكن الحكمة لا تعلم إلاّ بالتألم، بيد أن أجاممنون سيتذرع بحجج واهية لتبرير تضحيته بابنته افيجنيا.

استنقاذ امرأة، ويفتح البحر أمام السُّفن[١]!.

توسلاتها وتضرُّعاتها إلى أبيها - وحتى سِنّها، سنّ العذارى، كان لا شيء في نظر الزعماء المتعطشين للحرب!. والأب، بعد أن دعا الآلهة، أعطى الإشارة إلى الخدم، كي يرفعوها فوق المذبح - وكأنها معزة - وكانت مغطاة بالأقنعة ومتمسكة بالأرض في يأس بالغ، فأمسكوا بها، ورفعوها، بينما أُغلِق فمها بخرقة، منعتها من الصراخ باللعنة على أهلها -.

وكل هذا تمّ بالقوة القاهرة والوحشية التي لا ضابط لها! وكان ثوبها المصبوغ بالزعفران ينجرّ على الأرض، وسهم نظراتها ينطلق ليجرح بالشفقة كل واحدٍ من جلاّديها. وقد بدت كأنها صورة، عاجزة عن النطق، وهي التي كانت، في مرات عديدة، في قائمة المآدب التي كان يقيمها أبوها، تغنّي، وبصوتها الصافي، صوت العذراء المحبوبة - تنشد لدى الرشة الثالثة، الأنشودة السعيدة لأبيها المحبوب[٢].

وما تلا ذلك أنا لم أُشاهده، ولا أستطيع أن أخبر به. لكن فنّ كلخاس ليس عبثاً، والعدالة لا تمنح الفهم إلاّ لمن عانى الآلام. أما المستقبل فسيُعْرَف حين يحدث: وحتى ذلك الحين، فَلْيمضِ في طريقه! وإلاّ لكان معنى ذلك أن يريد المرء أن ينوح مقدماً! إنه سيتجلى بوضوح في الشمس التي سترى ميلادي. والآن، على الأقل، يا ليت يشرق النجاح الذي تتمناه تلك[٣] التي تقيم أقرب ما تكون إلى السيّد وتظل هنا التحصين الوحيد الذي يحمي أرض أبيس[٤].

(تظهر قلوطمنسترا عند أحد أبواب القصر).

رئيس الكورس: جئت لأقدم فروض الولاء لعظمتك، يا قلوطمنسترا: فمن العدل توقير الزوجة الملكية، حينما يكون العرش خالياً من الزوج لكن، هل لديك نبأ سعيد؟ أو «الأمل» هو الرسول الحلو الذي يدعوك إلى تقديم الأضاحي؟ سأُصغي إليك بسرور، لكن إن اعتصمت بالصمت، فإني لن أغضب منك.

---

(١) من المحتمل أن يكون المقصود هنا هو أن أجاممنون هو نفسه أمسك بالسكّين ليذبح ابنته افيجنيا.

(٢) أعني اللحظة التي فيها ينتهي تناول الطعام ويبدأ الحديث. حينئذ كانت تجري ثلاث رشات طقوسية، والثالثة منها توجه إلى زيوس المنجّي ويتلوها أحياناً نشيد.

(٣) أي: قلوطمنسترا.

(٤) أي: بلاد البلوپونيز في جنوب بلاد اليونان.

قلوطمنسترا: ليت الفجر، بنبئه السعيد، يشابه ـ كما يقول المَثَل، الليل الذي هو ابنٌ له! سرورك سيفوق أمَلَك حينما تسمع النبأ: ذلك أن الأرجوسيين قد فتحوا مدينة فريام.

الكورس: ماذا تقولين؟ أنا لا أفهم، لأنه يعسُر عليَّ تصديقه.

قلوطمنسترا: طروادة سقطت في أيدي اليونانيين: هل كلامي واضح؟

رئيس الكورس: إن السرور يملأ أرجاء نفسي ويستدر الدموع من عيوني.

قلوطمنسترا: نعم، إن عيونك تفصح تماماً عن مشاعرك المخلصة.

رئيس الكورس: لكن هل لديك دليل أكيد على ما تقولين؟

قلوطمنسترا: نعم عندي، اللهم إلاَّ إذا كان أحد الآلهة قد أراد العبث بي.

رئيس الكورس: ألا تؤثر فيك ثقتك الساذجة بالأحلام؟

قلوطمنسترا: أنا لا أثق كثيراً برؤى النفس التافهة.

رئيس الكورس: هل شائعة مفاجئة تملؤك بالأوهام؟

قلوطمنسترا: هل تحسبني طفلة حتى تسخر مني هكذا!

رئيس الكورس: منذ متى فُتحت إذن إليون (= طروادة)؟

قلوطمنسترا: منذ الليلة التي وهبتنا هذا النهار.

رئيس الكورس: أي رسول سريع اجتاز المكان؟

قلوطمنسترا: هيفايستوس من الايدا Ida أطلق هذه الشعلة الواضحة! وبعد هذا، أخذ كل فانوس يرسل إلينا فانوساً، كأنها سعاة بريد من النار. فالايدا أرسل إلى صخرة هرمس في لمنوس، والاشارة الساطعة الواردة من جزيرة لمنوس استقبلت في جبل آتوس حيث يحكم زيوس، وهذه هي المحطة الثالثة. وبوثبة قوية تجتاز ظهر البحر انطلقت الشعلة القوية المسافرة وقد ملأها الفرح[1] . . . .
وأسرعت الشعلة في نقل لألائها الذهبي، كشمس الليل، إلى مرصد ماكستوس[2].
ولم يتأخر الجبل: إنه لم يكن رسولاً ذاهلاً وقع في النُّعاس وغفل عن دوره، فارتحل ضوء فانوسه بعيداً نحو يوريپ Euripe حاملاً النبأ إلى حُرّاس

(١) ها هنا خرم في المخطوطات. ومن المحتمل أن يكون قد ذكرت فيه محطة أخرى.

(٢) جبل في يوبيا ـ بحسب ما يقوله واضع الحاشية.

مِسّابيوس[١]. وفي الحال أشعل هؤلاء جوابهم، وأرسلوا الرسالة إلى مكان أبعد، مشعلين النار في كومة من الخلنج الجاف. والشعلة استمرت دون توقف، وبوثبة واحدة اجتازت سهل اسوپوس[٢]، مَثَلها مَثَل القمر المضيء وعلى صخرة قيثرون أيقظت ساعي النار المكلّف بالمواصلة. وهرع الحارس لتقديم نورٍ كفيل بمسافة طويلة، مشتعلاً أكثر مما أمر بإشعاله، فاندفعت الشعلة فوق بحيرة جورجوپس[٣] حتى بلغت اجيپلانكت[٤]، داعية النار المفروضة إلى عدم تضييع الوقت. واشعلت نار شديدة اللهب، وأرسِل قَبَس من النار قويّ حتى يذهب اللمعان بعيداً ويجتاز الرأس الذي يراقب مضيق سارونيك[٥]. وها هي الشعلة تندفع حتى تصل إلى جبل أرخنيه Arachné، وهو مرصد قريب من أرجوس، وأخيراً سقطت على سقف بيت آل أتريوس كنورٍ منبثق في خط مستقيم من شعلة الايدا[٦]، تلك كانت القوانين المفروضة على حَمَلة المشاعل. ولتنفيذها تناقلوا الشعلة كلٌّ بدوره، والنصر هو للأول منهم كما هو للأخير[٧].. وهذا هو «الدليل» - صَدِّقني - والاشارة التي ارسلها إليَّ زوجي من طروادة.

رئيس الكورس: يا أيتها السيِّدة، سأقوم عما قليل بتقديم آيات الشكر إلى الآلهة. لكن ماذا تقولين؟ أود أن أسمع هذا النبأ من جديد وأن أتمتع بالرضا والاعجاب على هواي.

قلوطمنسترا: في هذه الساعة اليونانيون استولوا على طروادة. ويخيّل إليَّ أنني أسمع المدينة تتردد فيها صيحتان لا تتحدان معاً. صُبّي الخل والزيت في نفس

---

(١) في بؤيتا، بالقرب من أثيدون.

(٢) نهر في بؤيتا.

(٣) في منطقة كوزثوس - بحسب ما يقوله هسوخيوس.

(٤) لا يعرف عنها شيء في المصادر الأخرى.

(٥) لا بد أن أسخولوس يعني الجون الضيق الذي يكوّن الطرف الشمالي الغربي لخليج سارونيك.

(٦) الايدا: جبل عالٍ في جزيرة كريت.

(٧) انتهى البيان. فنفس النار انتقلت من الواحد إلى الآخر، بدءاً من طروادة. فالنبأ نقلته الفوانيس المتتابعة الواحد بعد الآخر، وهي في هذا تشبه حملة المشاعل الذين يتناقلون الشعلة الواحد بعد الآخر. وكما كان يحدث لحملة المشاعل في أتيكا، فإن النصر ينسب إلى كل العدائين الذين ينتسبون الى نفس الفريق - وإلى نفس القبيلة التي ينتسبون إليها - وهنا أيضاً النصر يعود إلى كل الفوانيس من الأول حتى الأخير.

الإناء - فسينفصل كل واحد منهما عن الآخر، كما لو كانا عدوّين. وبالمثل: المهزومون والمنتصرون لا تختلط أصواتهما ولا مصائرهما. فالبعض سقطوا على الأرض معانقين جثث إخوة أو أبناء لشيوخ كانوا في الماضي آباء سُعداء؛ ومن أعماق شعب صار عبداً ينوحون على مصير كل مَنْ أحبوهم. والبعض الآخر قد جمعهم التشرد المرهق الناجم عن المعارك الليلية وهم جوعى حول ما تستطيع المدينة ان تقدمه لطعامهم في الصباح. لكن ليس ثمة إشارة لتجميعهم: بل بحسب القرعة التي سحبها كل واحد بيده من إجانة النحت يقيم كل واحد منهم في المنازل التي استولوا عليها من أهل طروادة، وقد تخلصوا أخيراً من الثلوج والبرد. وينامون نوماً هنيئاً طوال الليل دونما حاجة إلى حراسة؛ وما عليهم إلاّ أن يحترموا الآلهة المحلّيين ومعابدهم، فهنالك ليس لهم ان يخشوا الهزيمة بعد الانتصار. لكن ينبغي ألا تنقض الشهوة الإجرامية على جنودنا؛ ولا ينبغي أن ينصرفوا إلى السلب والنهب مدفوعين بحب المكاسب! إن عليهم أن يعودوا سالمين إلى بيوتهم، وأن يسلكوا نفس الطريق في اتجاه عكسي. وعلى الجيش أن يرحل دون إهانة الآلهة، وإلاّ فقد يستيقظ الشر[1] الذي ارتكب نحو الموتى، وإن لم يكن قد تجلّى بضربات مباشرة تلك هي آراء امرأة بسيطة. لكن، ليت السعادة تنقلب دون منازع! إن نجاحنا عظيم: وأنا لا أطلب إلاّ الحق في الاستمتاع به.

رئيس الكورس: كلامك معقول، يا امرأة كما لو كان صادراً عن رجل حكيم. وأنا أُصدق أدلتك الأكيدة وأتهيّأ لتمجيد الآلهة.. لقد أُتيح لنا أيضاً سرور جدير بمتاعبنا.

(قلوطمنسترا تدخل في القصر).

أي زيوس الملك، أيها الليل الصديق الذي أتاح لنا هذه العظمة! لقد القيتما على أسوار طروادة شبكة صائدة، ولم يستطع طفل ولا رجل أن يهرب من شبكة العبودية التي أسرهم فيها الشقاء.

نعم، إنه زيوس المضياف، الإله الموهوب، هو الذي أعبده: إنه وحده فعل كل شيء، ولم يحتفظ بالقوس مشدودة وقتاً طويلاً ضد الاسكندر إلاّ من أجل أن

(١) الكورس يقصد الموتى من اليونانيين الذين سقطوا أمام طروادة. لكن قلوطمنسترا لا تفكر إلاّ في ايفجينيا. ومن هنا العبارة التالية؛ ومعنى هذا ان بقاء أجاممنون بدون عقاب مدة طويلة لا يدل على أن جريمته قد نسيت.

يوفّر على سهمه انطلاقة لا فائدة منها خلال الفضاء بسقوطها أقرب من الهدف أو بانطلاقها وراء الكواكب.

الكورس: في وسعهم أن يقولوا إن الضربة جاءت من زيوس؛ ومن السهل الصعود إلى الأصل: إن مصيرهم هو ذلك الذي أراده زيوس. إن السماء لا تتفضل بالاهتمام ببني الإنسان الذين يدوسون على توقير الأمور المقدسة. فتلك لهجة فاسقة.

إن «الخراب» هو ابن الجرأة المحرّمة، الموجودة عند أولئك الذين يستروحون العجرفة الآثمة، منذ اليوم الذي فيه يزخر بيتهم بالثراء الفاحش.

إن الاعتدال هو الخير الأسمى[1]: فلنتمنَّ الحظ العاري عن الخطر الذي يكفي النفس العاقلة.

ما من حصن ينقذ من أسكره الثراء، فقلب «مذبح» العدالة العظيم، إنه سيهلك.

إنه سيعاني العنف الصادر عن «إقناع» منحوس[2]، هو الابن البغيض للضلال الذي يسرقه؛ ومن ثم فإن كل علاج لا فائدة فيه. والضرر لن يظل مستوراً: بل سيظهر لكل العيون بوضوح محزن. إن مثله مَثَل العُملة الرديئة التي سوّدتها كثرة الاستعمال والمصادمات. . إنه يعاني الألم الذي يستحقه من أصاب مدينته بمحنة رهيبة، وشأنه في هذا شأن الطفل الذي يتعقّب طائراً يطير[3]. فلا إله يصغي إلى أدعيته؛ والجاني إذا استمرأ مثل هذه الجرائم فإنه يُقضَى عليه.

وهكذا الشأن في پاريس Paris: لقد دخل تحت سقف آل أتريوس، ونَجَّس مائدة مضيفه باقتطافٍ زانٍ.

لقد تركت لوطنها تسليح السفن، واشتباك التروس والرماح في المعارك،

---

(١) النص هنا غامض.

(٢) إن الفعل الذي يحدثه في نفس الإنسان إفراط الثراء فعل عنيف وحشي لا يقهر: إنه «إقناع» من نوع جديد: يستخدم العنف بدلاً من الاغراء. ذلك لأن أمّه هي آتيه Até: الجنون ذو النيّات المخزية، وقد أرسلته السماء إلى من تريد القضاء عليهم. ومنذ اليوم الذي فيه يصير هذا الجنون متحكماً في القلب، فلا علاج له: ذلك لأن الإفراط يولّد الجريمة، والجريمة تؤدي إلى العقاب.

(٣) إشارة إلى المثل الذي يقول: يجري وراء ما يطير.

مقدّمة إلى إليون (طروادة) الموت كبائنة، وبخفة اجتازت الأبواب، متجاسرة على ما لم يتجاسر عليه أبداً. إن العرّافين في القصر ينوحون بعمق قائلين: «الويل! الويل! للقصور والأمراء! الويل! الويل! إن الزوجة رحلت في إثر عاشقها.

ها نحن نشاهد الصمت المهان، المزدري للشتائم، صمت إنسانٍ جالس بلا حراك منتحياً بعيداً[١].

الحبّ يريد ذلك: وحده شبح تلك التي صارت وراء البحار سيبدو من الآن فصاعداً الآمر في هذا البيت.

إن لطافة التماثيل الجميلة صارت بغيضة لدى الزوج: لم تَعُد لها نظرات، وكل سحرها الحبيب قد ولّى.

وفي أحلامه لا تأتيه الرؤى الأليمة إلاّ بمسرّات باطلة؛ إذ من الباطل أن ينزلق بسرعة بين ذراعيك المشهد الذي يعتقد المرء أنه يشاهده، هارباً على إثر النوم».

تلك كانت الأحزان التي يحتوي عليها هذا المنزل؛ وأفظع منها أيضاً.

في كل البيوت التي رحل منها المحاربون بعيداً عن بلاد اليونان يسود هدوء صابر. ومع ذلك فإنَّ هَمّاً ملحاً يقلق القلوب.

نحن نتذكر كيف كانت حال وجوه أولئك الذين شاهدناهم يرحلون؛ إنهم لم يكونوا أُناساً، بل إجانات ورماداً قد عادت إلى كل بيت.

وآرس Ares، صرّاف الموت[٢]، في المعركة الحربية قد أقام الموازين، ومِنْ إليون (طروادة) أرجع إلى الأقارب ـ عند مخرج الشعلة ـ تراباً مثقلاً بالدموع القاسية: وبدلاً من الرجال أعاد رماداً كدّسه في الأواني.

والناس ينوحون وهم يمجدون محارباً بارعاً في القتال، أو محارباً سقط

(١) النص هنا غامض غير مفهوم جيداً.

(٢) هنا يشبه إله الحرب ـ آرس ـ بصرّاف: صرّاف من نوع غريب: فهو لا يجلس في السوق أمام الموازين التي يزن بها العملات، بل نصب منضدته في ساحة المعركة؛ وهو يأخذ رجالاً وفي مقابلها يعطي رماداً مكدّساً في أوان، هو رماد القتلى الذين سقطوا في المعارك وأحرقت جثثهم وصارت رماداً.

مجيداً في الصراع الدامي - من أجل امرأة لا شأن له بها؛ لكن هذا يتم بصوت خفيض، والألم يسير أصمّ، ممزوجاً بالكراهية لأبناء أتريوس: أبطال الانتقام!

وآخرون، حول نفس الأسوار التي شاهدتهم يتقاتلون، يرقدون أجساماً سليمة في أرض طروادة[1]: إن الأرض المعادية قد خبأت المنتصرين عليها.

ما أثقل الشهرة التي تبديها لك غضبة شعب بأكمله؛ إنه لا بد له أن يدفع الدّين إلى لعنة الشعب عليه.

إن قلقي يستشعر حدوث ضربة رهيبة: إن مَنْ أسال أمواجاً من الدم يجتذب إليه نظر الآلهة؛ وستنتهي آلهات الانتقام - مع مرور السنوات المتغيّرة - بالقضاء على الإنسان الذي أهانت سعادته العدالة، ولا تبقى أية قوة فيمن تدمّره. إن المجد المفرط في العظمة مصدر خطر: ذلك لأن صاعقة زيوس تصيب العيون.

أريد أن سعادتي لا تثير الحَسَد: ليتني لا أكون مدمّراً للمدن، ولا عبداً خاضعاً لنزوات الآخرين!

إن خبر النبأ السعيد الذي أتت به الشعلة ينتشر بسرعة خلال المدينة؛ لكن مَنْ يدري هل هو نبأ صحيح أو ليس إلاّ كذباً من جانب الآلهة؟

هل يوجد رجل له عقلية طفل أو يميل إلى المبالغة بحيث ينفعل لأنباء منقولة بواسطة الشعلة ثم يسقط بعد ذلك في اليأس حينما تتغير الأنباء؟ إنه لشأن جدير بامرأة تأمر بالسرور بسعادتنا قبل أن تتحقق فعلاً. إن المرأة ساذجة الاعتقاد في تمنياتها، ولهذا فإنها تبادر إلى الاستمتاع بالأوهام لكن الأنباء التي تعلنها تفنى بسرعة.

(رئيس الكورس يتطلّع ناحية اليمين).

رئيس الكورس: عما قليل سنعرف هل الاشارات الضوئية المنقولة بواسطة الفوانيس وهذا التوالي للسعادات قد أخبرت بالحقيقة، أو إنما جاء هذا الضوء الجميل كرؤيا في الحلم تخدع النفوس. إني أُشاهد قادماً من الشاطىء منادياً يتظلل

(١) المحاربون الذين دفنوا يتعارضون مع أولئك الذين أحرقوا في المحارق. فالأولون قد بقيت أجسادهم سليمة، لكنهم أخفوا في باطن أرض طروادة. وأقاربهم لن يشاهدوا وجوههم إلاّ اذا عادوا هم ايضاً بعد ان يصبحوا رماداً في داخل إجّانات.

بأغصان الزيتون. والضمان عندي على هذا هو التراب، أخو الطين، وقد تغيّر وقد تطاير؛ إنه لن يعلن الرسالة التي يحملها بواسطة لغة صامتة، هي الدخان المشتعل لشعلة نار تتجلى على قمة؛ بل صوته، بلهجة واضحة هو الذي سيدعونا إمّا إلى المزيد من الفرح، أو على العكس ـ آه! إن هذه الفكرة تفزعني! . . كم من النجاح سيضاف إلى النجاح الذي يضيء لنا! إذا كان أحد يتمنى أماني أخرى للمدينة، فليقتطف ثمرة جريمة قلبه!

(يدخل المنادي)

المنادي: إيه يا أرض آبائي، يا بلاد أرجوس، بعد عشر سنوات أشرقت الساعة التي أراك فيها. من بين العديد من الآمال التي تحطمت تحقق أمل واحد. لم يكن يداعبني بعد الأمل اللذيذ في الحصول، عند موتي، على قبرٍ في أرض أرجوس. فالسلام عليك إذن يا وطني؛ والسلام عليك يا نور الشمس، وعليك يا زيوس، يا من تسهر من أعلى على هذه الأرض، وعليك أنت يا سيّد فوثو Pytho أيها النبّال الذي أرجو ألا توجّه نباله بعد إلينا؛ طوال زمان طويل أصبتنا بالبلاء، بالقرب من اسكامندر Scamandre؛ أما اليوم فكُنْ لنا سلاماً وشفاءً، أيها المولى أپولون! وأدعوكم أنتم جميعاً يا آلهة المدينة، وأنت يا أيها الرئيس الإلهي هرمس أيها المنادي، وفخر المنادين؛ وأنتم يا أنصاف الآلهة، يا من حَمَيتم رحيل الجيش، تقبلوا الآن بحماسةٍ من أبقت عليهم الحرب منهم. آه! يا قصر ملوكنا، ابقَ عزيزاً، والكراسي الجليلة والصُّور المُشمسة لآلهتنا! احتفظي ـ أكثر مما كانت عليه الحال في الماضي ـ بهذا الوجه الوضيء للترحيب، كما ينبغي، بالملك الغائب منذ زمان طويل. إنه آتٍ كي يضيء النهار في منتصف الليل، من أجلكم، من أجل كل هؤلاء: الملك أجاممنون. . احتفظوا به أنتم كلكم: فهو يستحق هذا بكل جدارة، هذا الذي دَمّر طروادة، وقد أعاده زيوس بسماته العادلة لقلب الأرض، وتدمير المذابح، ومعابد الآلهة، وإبادة أهل البلاد. وهكذا وضع النير في رقبة اليون (طروادة) الملك العائد إلينا، الابن الأكبر لأتريوس، والبطل الذي واتاه الحظ، وأحق الأحياء بالعبادة. پاريس ومدينته التي دُمّرت معه لن يستطيعا أن يقولا إن التعب قد بقي أقلّ من الجريمة. لقد ارتكب پاريس جريمتي الخطف والسرقة، وشاهد كيف أفلتت منه غنيمته، وكيف جرّ تحت البلطة المدثرة بيت أبيه ووطنه كله: إن آل فريام Priam قد دفعوا ثمن أخطائهم مضاعفة.

رئيس الكورس: كُنْ سعيداً، أيها المنادي العزيز في جيش الأخاويين.

المنادي: أنا سعيد؛ وأُسلِّم حياتي للآلهة.

رئيس الكورس: هل الاشتياق إلى وطنك قد أثَّر في نفسك؟

المنادي: تشهد على هذا دموع الفرح التي تملأ عينيّ.

رئيس الكورس: أنت تعلم إذن البلاء المعذب لقلوبنا.

المنادي: ماذا تقول؟ خبّرني، حتى أفهم جيداً.

رئيس الكورس: كنت تتحرق شوقاً إلى من يشتاق إليك.

المنادي: هل هذه الأرض كانت تبكي على أبنائها الذين بكوا عليها؟

رئيس الكورس: ومن قلبي الحزين كانت تنبثق الزفرات.

المنادي: ما هي الآلام المرّة التي كانت تشغل قلوبكم حينئذ؟

رئيس الكورس: طوال زمان طويل بقي الصمت هو دوائي الوحيد.

المنادي: هل كنت تخاف من أحد، لما كان ملوكك غائبين؟

رئيس الكورس: كان الموت نفسه نعمة بالنسبة إليَّ، كما كان بالنسبة إليك.

المنادي: ذلك لأن أمانيَّ قد تحققت الآن.. لكن في الوسع أن تقول إن ما يستمر طويلاً يحتمل بعض النكبات إلى جانب الحظوظ السعيدة: والآلهة وحدهم هم الذين يشاهدون حياتهم الأبدية تمضي دون آلام. لو أخبرتكم بما عانينا من متاعب، وبالأحوال الأليمة التي كُدِّسنا فيها، وبالممرّات الضيقة التي رقدنا فيها على الأخشاب الصلبة! وما هي الساعة التي لم ترنا ننوح ونشكو؟ وعلى البرّ كانت الحال أسوأ: لقد عسكرنا تحت أسوار العدوّ، ومن السماء ومن الأرض وندى المروج أمطرنا بالضارّ المستمرة وملأ بالحشرات جِلْدَ معاطفنا. ثم الشتاء، وما أدراك ما الشتاء: قاتل الطيور، والشتاء غير المحتمل الذي كانت تفعله لنا ثلوج الإيدا Ida! ثم الصيف وما أدراك بهمود الصيف، حينما لا تهب أية نسمة لتحريك أمواج البحر في ساعة الظهيرة، فيرقد في مرقده وينام! لكن فيم المزيد من الأحزان؟ لقد انقضى البؤس، انقضى تماماً! والموتى لا يفكرون بعد في الانبعاث من القبور؛ وفيم تعداد الهالكين، لتعذيب الأحياء بذكر المصير الأليم؟ إن رأيي، في هذه الحالة، هو أن أقول للماضي: وداعاً وإلى غير رجعة! بالنسبة إلينا، نحن الباقين أحياءً من بين جنود جيش أرجوس، المكسب أكبر من الخسارة ويعوّض

عنها. ولهذا فإن في وسعنا أن نفتخر، بحضرة هذه الشمس التي تشرق على الأرض والبحار، قائلين: «إن جيش أرجوس قد فتح طروادة، وسَمَّر في معابدها هذه الغنائم المخصصة لآلهة اليونان كأنفال قديمة رائعة». ولدى سماع هذه الشائعة ينبغي أن نحتفل بأرجوس وقوّادها؛ وفي نفس الوقت نشكر نعمة زيوس الذي به كان النصر كاملاً. هذا هو كل ما أردت أن أقوله.

رئيس الكورس: أُسَلِّم بما قُلت، أعترف بهذا: مهما امتد العُمر بالإنسان فخليق به أن يذهب إلى مدرسة الحقيقة. لكن هذه الأنباء تهمّ خصوصاً هذا البيت، وتهم قلوطمنسترا: وليس لي حق إلاّ في جزء من الكنز الذي هو نصيبها هي.

(قلوطمنسترا تظهر على عتبة القصر).

قلوطمنسترا: مضى زمن طويل منذ أن أطلقت صيحة فرح طويلة، لما جاء في الليل رسول النار يعلن لأول مرة فتح طروادة وتدميرها. حينئذ قال لي الناس لائمين: «أمن أجل إشارات ضوئية صرتِ متأكدة أن طروادة قد دُمِّرت الآن؟ إن هذا من شِيَم النساء أن تستطير فرحاً هكذا»! ومثل هذه الأقوال قد جعلتني أظهر أمام الناس بمظهر المجنونة. لكن على الرغم من كل شيء، فإنني أمرت بإهداء الأضاحي إلى الآلهة، والصيحة الطقوسية الخاصة بالنساء صواحبي المنتشرات خلال المدينة انطلقت بنبرات مسرورة، في أعماق المعابد الإلهية، حيث راحت تهدّيء حميّة الشعلات المعطّرة. فأية حاجة في أن تقول المزيد عن هذا الأمر الآن؟ سأعرف كل شيء من فم الملك نفسه. ولا أُريد بعد أن أفكّر إلاّ في أن استقبل على خير نحوٍ ممكنٍ زوجي المحترم العائد إلى بيته. أيُّ شمس تشرق على امرأة أجمل من السرور بفتح الأبواب على مصاريعها للزوج الذي أنجته الآلهة من الحرب! أخبِرْ زوجي بما يلي: «فليسرع بالاستجابة لرغبات مدينته! وليأتِ ليجد في بيته زوجته المخلصة كما ترسمها، حارسة مخلصة له ولم تُمزّق - أثناء غيبته الطويلة - أيّ خاتم ختمت به الودائع التي أودعها إياها. إن اللّذة بل والشائعة الكاذبة، هي أُمور أجهلها بقدر ما أجهل فن صياغة البرونز»[1]. وإذا كان هذا المدح يتسم بالغطرسة فإنه مملوء بالحقيقة إلى درجة أنه لا يصدم شفاه امرأة نبيلة.

---

(١) كان فن صياغة البرونز يعدّ من سِرّ المهنة.

(تدخل في القصر).

رئيس الكورس: لقد سمعتها، فافهمها جيّداً: بالنسبة إلى مترجم حصيف، هذه لغة ثمينة! ـ لكن خبّرني أيها المنادي: ومنلاس Menelas؟ هل أستطيع أن أعرف هل هو نجا وسيعود معكم وهو الملك العزيز عند هذا البلد.

المنادي: أنا لا أستطيع ان أخترع أكاذيب جذّابة، تدوم منفعتها لكم يا أصحابي.

رئيس الكورس: آه! ليت فرحتنا تكون هي أيضاً حقيقة! إن الفرحة التي لا تكون حقيقية هي خداع.

المنادي: إن الملك منلاس وسفينته قد اختفيا من جيش أرجوس: هذه هي الحقيقة.

رئيس الكورس: هل رحل عن إليون (طروادة) قبلكم؟ أو فصلت بينكم وبينه عاصفة؟

المنادي: لقد أصبت المرمى مثل رامٍ ماهر، ولخّصت في كلمة كارثة هائمة.

رئيس الكورس: بين رفاقكم في أسطول اليونانيين، هل كان يُعتقد أنه حيٌّ أو أنه هَلَك؟

المنادي: ليس عند أحدٌ أنباء أكيدة عنه، اللهم إلاّ الشمس التي تغذّي الأرض.

رئيس الكورس: خبّرني إذن عن العاصفة التي أطلقها غضب الآلهة على الأسطول، وماذا كانت نتيجتها.

المنادي: لا يليق أبداً تنجيس يوم سرور بكلام محزن: إن كل إله يريد أن يمجَّد في ساعته. . حينما يأتي الرسول، والحزن مرتسِم على جبينه، ليخبر مدينته بالخبر الأليم بأن جيشها قد أُبيد؛ وحين يذكر لها أن جرحاً بليغاً اشترك فيه الجميع قد فتح في جوانب البلد، وأن بيوتاً عديدة لمحاربين لا حصر لهم قد أصابها الموت ـ وكل هذا بطعنة أثيرة عند آرس Ares هذا الكارثة الإلاهية ذات

الحدّين[١] ـ فحينئذ يخلق بالرسول المكلّف بتبليغ مثل هذه المصائب أن ينشد ـ كما تطلب أنت ـ نشيد آلهة الانتقام. لكني أنا، وقد دخلت مدينة مملوءة بالابتهاج بالنصر، هل يحق لي أن أمزج السعادة بالحزن بأن أروي لكم خبر عاصفة لن تكشف لكم إلاّ عن غضب الآلهة عليكم. لقد شاهدنا حتى الآن عدوّين لا يمكن المصالحة بينهما وهما: البحر والنار وهما يتآمران ويتحالفان من أجل تدمير جيش أهل أرجوس المسكين. إنه إبّان الليل قد باغتتنا المصيبة بأمواج قاسية. ذلك أن ريح تراقيا قد جعلت سفننا يصدم بعضها بعضاً. لقد اصطدمت بعنف وجهاً لوجه تحت انطلاق العاصفة، وتحت سوط البرد الذي صبّه الإعصار، راعي الشقاء[٢]، فدارت السفن ثم اختفت وقد دُمِّرت تدميراً تاماً. ولما شعَّ نور الصباح، كان بحر ايجه يعجّ بجثث اليونانيين وبقايا السفن المحطّمة. وفيما يتعلق بنا نحن، فإن سفينتنا احتفظت بهيكلها سليماً. مَنْ ذا الذي أنقذها من الموت؟ مَنْ الذي حصل لها على النجاة؟ لا بد أنه إله هو الذي أمسك بسُكّانها: لقد طاب للحظّ المحرر أن يجلس على مقعد الرُّبّان، وبفضله لم نحسّ، ونحن نرسي، بالهجوم الغاضب للأمواج، ولا ـ إبان الإبحار ـ بالاصطدام بكتلة من الصخر. لقد أفلتنا من الموت على الماء، لكننا بقينا مترددين في الاستمتاع بسعادتنا لما بزغ النهار، لأن قلوبنا صارت تعاني ألماً شديداً: ذلك أن جيشنا أُصيب إصابة بالغة! وفي هذه الساعة عينها، إن بقي على البرّ أحد الأحياء الناجين، فإنه بلا شك يتحدث عنّا كأننا في عداد الموتى، بينما نحن ها هنا نحسب أنه هو الذي لقي هذا المصير ـ أعني الموت أصلح القدر أُمورنا! أما منلاس Menelas، أولاً وخصوصاً، فتوقّع أن تراه يظهر ها هنا أو على الأقل، إذا كان شعاع من أشعة الشمس يعرف أنه حيٌّ في مكان ما وعيونه منفتحتان للنور، بفعلٍ من زيوس، الذي يأبى أن يهلك سلالة أتريوس، فقد بقي لدينا الأمل في أن يعود إلى قصره ذات يوم: إن ما سمعته منّي الآن هو الحقيقة كلها.

---

(١) آرس ـ إله الحرب ـ يطعن طعنة مزدوجة تصيب البلد وكل بيت فيه.

(٢) يشبه الإعصار براعي قطيع من الدواب ذوات القرون والتي جُنَّ جنونها تحت ضربات سوط هذا الراعي.

(يدخل في القصر).

الكورس: مَن إذن الذي أطلق هذا الإسم ـ الصادق جداً ـ على الزوجة التي أحيطت بالنزاع والحرب، على هيلانه، إن لم يكن أحد الكائنات الخفية الذي يُنطق على شفاهنا، بعلمه السابق، لغة «المصير»؟ لقد وُلِدَت هيلانه[1] من أجل تضييع السفن والرجال والمدن ورفعت ستائر سريرها الفاخرة وهربت على البحر والنسيم يهبُّ بقوة، بينما انطلق ما لا يحصى من المطاردين الغريبين المسلّحين بالدروع في إثر سفينتها الممحوّ، ليرسوا على السواحل المخضرّة لسيموئيس Simois، كأدوات للنزاع الدامي؟

إن غضبة ذات نيّات معصومة تسوق نحو إليون (طروادة) تلك التي كانت المصاهرة معها مصاهرة مع الموت[2]. إن إزدراء مائدة زيوس المضيافة، وزيوس هو الذي يحميها، سيكلّف ـ عاجلاً أو آجلاً ـ غالياً أولئك الذين ترنموا بصوت عال بترنيمة الزواج، التي ترنم بها في ذلك اليوم أصهارها بعد ترنيمة الفرح ستعرف ترنيمة الحداد مدينة فريام العتيقة، ستعرفها وهي تعاني الآلام، وتلعن «پاريس صاحب الغراميات المنحوسة». إنها ستبكي على حياتها المكرّسة للآلام ولأناشيد الحِداد منذ أن قدر لها أن تشاهد مواطنيها يهلكون في مذبحة قاسية.

وهكذا ربّى إنسانٌ في بيته شِبلاً حُرِم وهو فتى من التغذي بلبن أُمه، وشاهده في مطلع حياته مليئاً بالعذوبة، يلاطف الأطفال، ويُسلّي الشيوخ. وفي كثير من المرات بقي بين ذراعيه، كأنه وليد وُلِد حديثاً، مسروراً وشاكراً اليد التي حملها الجوع على إطاعته.

لكن مع مرور الزمن، كشف عن النفس التي يدين بها لميلاده. فلندفع ثمن العناية التي أسداها إليه أولئك الذين رَبّوه، دعا نفسه بنفسه إلى مأدبة من النعاج المذبوحة. والمسكن كان مضرّجاً بالدم، وبالنسبة إلى من يسكنونه كانت ثم كارثة ومذبحة مدمّرة. إن من غذى المنزل كان أحد كهنة أتيه Ate، وقد أرسلته السماء.

إن أول ما دخل إليون (طروادة) كان ـ إن جاز القول ـ سلام صحو لم تعكره

---

(١) يتلاعب اسخولوس باسم «هيلانه» فيجعله مأخوذاً من الفعل Helein ومعناه: يأخذ، ويدمّر.

(٢) اللفظ اليوناني Kedos يعني: المصاهرة، ويعني: الحداد.

أية ريح، جوهرة جميلة تزيّن كنزاً. لمحة رقيقة منبثقة من العيون، وزهرة شهوة تُسكِر القلوب. لكن، بغتةً، تغير كل شيء؛ كانت خاتمة الزفاف مُرّة: لقد أضاعت مَنْ تلقاها، وأضاعت من اقترب منها، وجاءت لتضيع آل فريام؛ إن زيوس المضياف هو الذي اختار إلاهة الانتقام هذه المزودة بالدمع!

منذ وقت طويل والناس يكررون هذا المَثَل القديم: السعادة الإنسانية إذا ارتفعت عالياً لم تَمُت عقيمة: فمن النعيم يَنْبعث شقاء لا يشبع.

بعيداً عن الآخرين أنا أبقى وحدي وأُفكّر: كلا، بل العمل الفاسق هو الذي يولّد أعمالاً فاسقة أخرى، ومثَلها مَثَل الأب الذي أنجبها؛ لأنه في مساكن العدالة النعيم لا يلد إلاّ أولاداً ذوي جمال دائماً.

وفي مقابل ذلك كان الإسراف القديم، عند الأشرار، يلد إسرافاً جديداً، عاجلاً أو آجلاً، حينما يأتي اليوم المحدد لميلادٍ جديد، ومعه إله لا يُقهر، فاسق، هو آتيه Até، قاسٍ على البيوت، فيه كل ملامح أُمه.

أما العدالة فتتلألأ تحت السقوف ذوات الدخان، وتشرّف الحيوات الطاهرة. لكنها تشيح بنظراتها عن القصور المطلية بالذهب والتي تسيطر عليها يد دنِسة، وتنصرف عنها لتتعلق بالبراءة دون احتفال بسلطة الذهب وبالمجد المزيّف؛ إنها هي التي تقود كل شيء إلى غايته.

(أجاممنون يدخل من الناحية اليمنى. وهو واقف على عربته. - وعلى عربة أخرى تقف كاسندرا بلا حراك وعيناها ثابتتان).

رئيس الكورس: آه! أيها الملك، يا ابنِ أتريوس، يا مدمِّر طروادة، كيف أُحيِّيك؟ كيف أُعبّر لك عن احترامي دون أن أُبالغ أو أن أقصر فيما تستحقه من الثناء؟ إن كثيراً من الناس يتجاوزون الحدّ العادل، مهتمين خصوصاً بالمظاهر.

إن الإنسان البائس يجد كل واحد مستعداً للنواح عليه، دون أن ينفذ أيّ حزن في القلوب ويعضّ عليها؛ ومن أجل الظهور بمظهر من يشعر بتلك المسرّات، أكثر من إنسان يضطر إلى الابتسام وجهاً لا يريد أن يبتسم.

بيد أن الرجل الحصيف الذي يعرف قطيعه لا ينخدع بالنظرات التي يلوح أنها تكشف عن قلب شديد الإخلاص، لطفه يكشف عن صداقة ليست صافية.

في الماضي، لما أن جيّشت جيشاً من أجل هيلانه، لا أخفي عليك أنني حسبتك مُسرفاً وعاجزاً عن التحكم في بيتك: وإلاّ فهل يضحّي الانسان بمقاتلين من أجل استرداد فاجرة رحلت من تلقاء نفسها؟!

أما اليوم فمن أعماق قلبي، وكصديق صدوق، فإنّي أُقدّم إخلاصي إلى أولئك الذين قاموا بمهمتهم خير قيام. وستعرف فيما بعد، إن اردت الاستعلام، مَنْ سلك سلوكاً مخلصاً أميناً، ومن سلك سلوكاً شائناً، من بين المواطنين الذين بقوا ها هنا.

أجاممنون: ينبغي عليَّ أن أُحيِّي أولاً مدينة أرجوس وآلهتها: فقد ساعدوا في عودتي، كما ساعدوا في إنزال العقاب بمدينة فريام. إن الآلهة لم يحتاجوا إلى إقناع بعدالة قضيتنا، بل ألقوا في الإجانة الرامية بأصواتهم المؤيدة لتدمير طروادة وإهلاك جنودها. واليد التي اقتربت من الإجانة الأخرى - إجانة الرحمة - لم تحمل إلاّ الأمل وتركت الإجانة فارغة[1]. . والدخان يحدّد الآن موقع المدينة المهزومة. ولم يبق إلا إعصار آتيه Até وحده، بينما إليون (طروادة) انطفأت في الرماد الميّت الذي تتصاعد منه أبخرة حافلة بثرواتها. . فللآلهة إذن نحن ندين بعرفان الجميل إذا كنا قد استخلصنا من عملية الاختطاف انتقاماً لا حدّ له، وإذا كانت مدينة قد دُمِّرت - من أجل امرأة - وسقطت في أيدي الوحش الأرجوسي الذي انقض في الأيام التي تغيب فيها الثريا[2]، وتسلّق الأسوار المحصّنة مثل ليث قاس غضوب، والشرب، ملأ فمه، من الدم الملكي. ولهذا فإنني أطيل هنا في تحياتي الموجّهة إلى الآلهة.

أما المشاعر التي عبّرت عنها فإني أتقبلها وأشاركك فيها وأعلن، معك، ما يلي: قليل من الناس يميلون إلى الإشادة بنجاح صديق، دون أن تبدر منهم علائم الحسد. وحينما يصيب القلب سمُّ الكراهية فإن هذا يؤدي إلى آلام مضاعفة في نفس من له هذا القلب: فهو يستشعر آلامه الخاصة ويغتاظ من سعادة الآخرين. وأنا أعرف جيداً ما أقوله: إنما أعرف مرآة الصداقة: لقد تكشفت عن شبح ظلّ محبة أولئك الذين اعتقدت أنهم أصدقاء حقيقيون! وأودسيوس هو وحده الذي بقي إلى جانبي بشجاعة طوال الحملة، على الرغم من أنه في البداية قد رحل على

---

(١) يفهم من هذا أنه كانت توجد اجانتان: احداهما للموافقين، والأخرى للمعترضين.

(٢) أي: في بداية الخريف.

الرغم منه ـ وسواء أكان لا يزال حياً، أم مات، فإني أشهد له بالجميل. أما فيما يخصّ المدينة والآلهة، فإننا سنفتتح الندوة بمناقشات عامة وسنتشاور في الأمور التي تهمنا!. وسنبحث في كيفية جعل الخير دائماً ومستمراً. وحيث تدعو الحاجة إلى أدوية ناجعة لخير الجميع فإننا سنحاول إبعاد كارثة العدوى. أما الآن فإنني سأدخل في القصر، وعند مذبح بيتي سأحيّي الآلهة الذين أعادوني إلى هنا بعد أن صاحبوني إلى هناك بعيداً، ولما كان «النصر» قد صاحب خطواتي في النهاية، فيا ليته يبقى مخلصاً لي دائماً.

(قلوطمنسترا تخرج من القصر، تتبعها إماء يحملن أقمشة ومنسوجات ثمينة).

قلوطمنسترا: أيها المواطنون المحترمون بين الأرجوسيين! سأعبّر أمامكم، دون خجل، عن سبحاتي الغرامية. إن الزمن يخنق الحياء في القلوب. ولا أتلو درساً محفوظاً؛ بل سأروي لكم حياتي أنا، وآلامي الشديدة طوال المدّة التي كان فيها هذا الرجل تحت أسوار إليون (طروادة). بالنسبة إلى الزوجة البقاء في البيت بدون الزوج، مهجورة ـ هذا في حدّ ذاته بلاء مثير للجنون. وحينما يأتي ـ في تلك الأثناء ـ رسول بعد رسول، حاملاً دائماً أسوأ الأنباء، وكلها تعلن المصائب للبيت!... ولو كان هذا الرجل قد أُصيب بهذا القدر من الجروح التي حملتها الشائعات إلى هذا البيت، فإن جسمه كان سيكون به من الثقوب بقدر ما في شبكة الصيد! وإذا كان قد مات بمقدار ما روته الروايات، لكان من حقه أن يتباهى ـ وكأنه جريون[1] جديد ـ بأن له ثلاثة أجسام، وأنه دفن في القبر ثلاث مرات ولُبس الأكفان ثلاث مرات! تلك كانت الشائعات التي جعلتني في مرات عديدة أُعلق رقبتي في احبولة حبل لم ينتزعوني منها إلا باستعمال العنف. وهذا هو السبب أيضاً في أن ابنك غير موجود ها هنا كما كان ينبغي، ابنك أورست الضامن لما بيننا من ثقة. لا تدهش من هذا ذلك أن ضيفاً صديقاً يقوم بتربيته هو استرفيوس

(١) ابن خروساور Chrysaar وكليرهوئه Callirhoé التي هي إحدى الأوقيانوسيات؛ وكان يسكن في جزيرة اروتيا (قادس). وكان جسمه مكوناً من ثلاثة أجسام انسانية متجمعة على زوج واحد من السيقان. وكان يملك قطيعاً من الثيران الشقراء، يقوم برعيها الراعي يورتيون ويحرسها كلب ذو رأسين اسمه أورنوس. فلما تحدى يورروشيه هرقليس أن يحضر له ثيران جريون Jeryon، فإنه ضرب اورثوس بعصاه فأرداه قتيلاً، وقتل الراعي، ولما هرع جريون لنجدتها أصابه هرقلس بسهم وقتله هو الآخر.

Straphis الذي من اقليم فوقيا. وقد تذرع لهذا بالأخطار المقلقة، وبالموت تحت أسوار إليون، وبالتمرد الشعبي هنا الذي قد يقلب المجلس، لأن صرع الإنسان على الأرض حاجة فطرية في بني الإنسان! والحيلة الماكرة لا محل لها في هذه الأسباب والمبررات. أما عن نفسي فقد شاهدت الأمواج المتدفقة من دموعي: تجفّ؛ ولم تبق عندي أية دَمعة وقد احترقت جفوني من السهر الطويل حيث كنت أبكي عليك إبان الصمت العنيد للإشارات الضوئية. وفي أحلامي كان الطيران الخفيف اللجوح للذباب يوقظني وعيوني لا تزال مملوءة بالمصائب التي شاهدتها تنصبّ عليك وكانت أكثر من الدقائق التي استغرقها حُلمي. وبعد كل هذه الآلام، وقد تحررت اخيراً من القلق، فإني أستطيع أن أسمِّي هذا الرجل كلب الاسطبل. والحبل المنقذ للسفينة، والعمود الساند للسقف العالي، والابن الوحيد لأبيه، والأرض غير المؤمل فيها للبّحار[1]، والضوء العذب بعد العاصفة، والينبوع الحيّ الذي يروي المسافر. إن من يتغلب على المصير يتذوق سروراً، صافياً لا يكدّره شيء: فهذه الأوصاف هي اللائقة. وليخرس الحسد ها هنا: فقد تحملنا، للحصول على هذا السرور، الكفاية من الآلام.

والآن يا رأسي العزيز، أنْزل من هذه العربة، إلى الأرض، يا مولاي، هذه القدم التي دمَّرت طروادة. لماذا تتمهّلني؟ أيتها الأسيرات اللواتي كلّفتهن بفرش البلاط على الأرض التي سيطأوها. وليتولد على أثر خطواته طريق من الفورفير، عليه تقوده «العدالة» الى مقام يفوق كل[2] ما يتوقعه!. والباقي ستدبّره كما يجب فكرةٌ لن يقرعها النوم، بمساندة الآلهة، بحسب الاتجاه الذي تريده الآلهة.

أجاممنون: يا بنت ليدا Leda، يا حارسة بيتي، كلامك قد قيس على حسب غيبتي: وأنت قد أطلت فيها كثيراً. إن كنا نستحق المديح، فلا تنسي أن الثناء ينبغي أن يأتينا من الآخرين. ثم لا تحيطيني على طريقة النساء، بالاحتفال الداعي إلى التراخي، ولا تستقبليني، كما يفعل الأجانب والركب محنية، والفم صائح؛ ولا تفرشي الأرض بالأقمشة لتهيئي لي طريقاً يثير شائعة الحسد. بل الآلهة هم

---

(١) السلسلة الأولى من التشبيهات تشير إلى كل ما كان يمثله أجاممنون في نظر أهله؛ والسلسلة الثانية تشير إلى كل ما تمثله عودته من أمور غير مؤمل فيها بالنسبة إليهم.

(٢) عبارة مزدوجة المعنى: القصر والعالم السفلي.

الذين ينبغي تكريمهم على هذا النحو(١). إنني إنسان فانٍ، فلا أستطيع دون خوفٍ أن أمشي على هذه العجائب المطرّزة. أريد أن أُكرَّم بوصفي إنساناً، لا بوصفي إلاهاً. إن «الأقمشة المطرّزة» و«ماسحات الأقدام» هي أشياء ممتازة جداً ـ وأسماؤها وحدها تكفي للدلالة على ذلك ـ والفطنة هي أعظم مواهب السماء.. من تنتهي حياته في النعيم العذب هو وحده الذي ينبغي أن يُعَدّ سعيداً. وأكرر القول وأقول إن ما تريدينه انت لا استطيع أنا أن أفعله دون تخوّف.

قلوطمنسترا: أجب عليّ إذن هنا بكل صراحة.

أجاممنون: ستحصلين منّي على الصراحة دائماً.

قلوطمنسترا: هل نذرت بهذا النذر للآلهة في ساعة الخطر؟

أجاممنون: لو كان أمرني بذلك صوتٌ مخوّل له ذلك.

قلوطمنسترا: لو أن فريام هو الذي انتصر، فماذا تظن أنه كان سيفعل؟

أجاممنون: أعتقد أنه كان سيمشي على أقمشة مطرّزة.

قلوطمنسترا: ممَّ تخاف إذن؟ من توبيخ الفانين (من بني الإنسان)؟

أجاممنون: مِنْ صوتِ شعبي: فإن قوّته كبيرة.

قلوطمنسترا: مَنْ لا يُحسد فليس جديراً بأن يُحسد.

أجاممنون: ينبغي للمرأة ألا ترغب في القتال.

قلوطمنسترا: حتى السُّعداء يليق بهم أحياناً أن يعانوا الهزيمة.

أجاممنون: هل تصرّين أنت ايضاً على ان تنتصري في هذه المناقشة؟

قلوطمنسترا: صَدِّقني ودعني أنتصر عن طيب خاطر.

أجاممنون: إذن ما دمت تريدين هذا، فلتُحلّ نعالي بسرعة. وهي خادمة قدمي التي تلبسها، ولا تقع نظرة حاسدة من بعيد عليّ في اللحظة التي فيها قدمي على الأقمشة الفورفورية! إنه لعارٌ كبير أن يخرّب المرء بيته بإتلاف هذا المقدار من

---

(١) كان من الأفكار الشائعة عند اليونان أن أقدام الآلهة يجب أن لا تمسّ الأرض. ولهذا كانوا يفرشون بالأقمشة الفاخرة الطريق الذي يمرّ به تمثال الإله. ولما كان أجاممنون إنساناً وليس إلاهاً فينبغي ألا يفرش طريقه بالأقمشة الفاخرة كما حلا لقلوطمنسترا أن تفعل عند عودة زوجها أجاممنون.

الأقمشة المشتراة بالذهب، تحت قدمه. لكن كفى الكلام في هذا الموضوع. أترين هذه الأجنبيّة؟ استقبليها بإحسان. إن مَنْ يأمر برقّة تنظر إليه الآلهة من بعيد بنظرات راضية. لا يسهل على المرء أن يحمل نير العبودية، وهذه جوهرة مختارة من بين كنوز عديدة ـ وهي هدية من جيشي ـ وقد تعلقت بي ـ هيا! ما دمت قد تركت كلماتك تنتصر عليّ، فإنني سأدخل إذن في أعماق قصري ماشياً على الفورفير.

(يدخل في القصر ببطء، بينما قلوطمنسترا تجاوب بلهجة مفخّمة).

قلوطمنسترا: هناك البحر، فمن ذا الذي سيستنفده؟ ـ البحر الذي يغذّي ويجدّد دائماً العصارة الثمينة لفورفير لا نهاية له من أجل صباغة أقمشتنا. بفضل الآلهة، يا مولاي، البيت قادرٌ على أن يحصل على كل هذا؛ وبيتنا لا يعرف الفقر. وفي نذري كنت سأقدّم أقمشة أخرى للمشي عليها، لو اقتُرِح عليَّ هذا في المعابد هذا الاقتراح حينما كنت أبذل وُسعي في البحث عن كيفية فداء حياة عزيزة جداً كهذه. طالما وجدت الجذور فستعود الأوراق دائماً إلى البيت لتمد الظل الحامي من القيظ؛ وبالمثل، فإن عودتك هي بالنسبة إلينا كعودة الصيف في الشتاء؛ وفي الأيام التي فيها زيوس يصنع لنا الخمر من العنب الحامض، فإنه إذا كان الانتعاش يسود بغتة في البيت، فذلك لأن ربّ البيت، الرجل الكامل، موجود بين جدرانه. إن زيوس، زيوس الذي به يتم كل شيء، ينجز كل تمنياتي ويفكر جيداً في العمل الذي يجب عليك أن تنجزه.

(تدخل في القصر. الباب يبقى مفتوحاً).

الكورس: لماذا هذا الفزع الذي يتجلّى هكذا أمام قلبي المتنبىء ويطير بعناد حواليه؟ لماذا نشيدي يلعب دور العرّاف، بغير أمرٍ ولا أجر؟

ولماذا ـ أخيراً ـ لا أستطيع أن أبصق، كما يفعل الناس عند رؤيا حلم غامض، والشعور بتوكيد مُقْنِع يستقر في قلبي؟

مضى زمن بعيد منذ أن تطاير الرمل، تحت إعادة المراسي إلى ظهر السفن، بينما انطلق بحّارتنا وهم مسلحون.

وقد علمت من عينيّ أنهم عادوا، وأنا بنفسي شاهد على ذلك؛ ومع ذلك فإن قلبي في أعماقه ينشد نشيد الرثاء على الموتى، الذي لم يعلّمه أحدٌ إياه، نشيد الرثاء الخاص بإلاهة الانتقام!

إنه لم يَعُد يشعر بثقة الأمل المليئة الحلوة. وأعماق وجودنا لا يخدعنا أبداً، والقلب الذي يرقص رقصة دائرية، مجنونة على الحجاب الحاجز الذي يؤمن بالعدالة يعلن دائماً الحقيقة. لكن ليت هذا كله لا يكون إلاّ كذباً سيضيع خارج العالم الحقيقي، بعيداً عن فكري القلق!

أجل، إن الصحة المفرطة تثير القلق، لأن المرض - وهو جارها - يتهيأ للقضاء عليها.

والنعيم المنتصر يصطدم بغتة بعقبة مستورة. ولو عرف الخوف العاقل، وهو يعالج الكرّاكة بحذر ولباقة، كيف يخفف من حِمل الثروات المكتسبة، فإن البيت لا يغرق كله، رغم ما حُمّل من وفرة في الثراء: إن البحر يعفُّ عن الزورق؛ وزيوس والحقول المزروعة في كل عام تستطيع أن تبعد المجاعة بفضل الهبات العديدة الواسعة.

لكن الدم الأسود لكائن إنساني متى ما سفك على الأرض فلن يستطيع أي ساحر أن يردّه إلى العروق التي خرج منها. وحتى ذلك الذي تعلّم كيف يستردّ الموتى من مملكة الظلمات[1] - ألم يوقفه زيوس - من أجل مصلحتنا وخيرنا؟

آه! لو كان الآلهة لم يضيقوا على نصيب كل واحد[2]، لكان قلبي قد حذر لساني وانطلق، بدلاً من أن ينوح في الظلام والآلام، دون أن يستطيع أن يؤمّل في أن رأياً نافعاً يخرج من صدري كالنار.

(تعود قلوطمنسترا للظهور على عتبة القصر).

قلوطمنسترا: ادخلي أنت ايضاً يا كساندرا - ألا تسمعين؟ ما دام زيوس الرحيم قد أراد أن يكون لك نصيب معنا في الماء الطقوسي، وأنت واقفة وسط

---

(١) هو اسقلابيوس - راجع بندار: الفوثية الثالثة، ٣: ٥٤ وما يليه: «إن الذهب الذي يلمع في اليد أغراه هو أيضاً، لقاء أجر فخم، كي ينتشل من الموت رجلاً قد جعلت منه فريسة لها. لكن زيوس بيده أطلق عليهما سهمه وانتزع منهما نفس الصدر؛ والصاعقة المتعدة نزلت لتقدم اليهما مصيرهما».

(٢) النص غامض. ويبدو أن المعنى المقصود هو أن «المصير» لم يصنع من الكورس عرّافاً؛ ولهذا لا يستطيع الكورس أن يتحرر من مخاوفه بأن يحوّلها إلى وحي نافع: إن لسانه يرفض أن يسدي هذه الخدمة إلى قلبه.

العبيد العديدين، بالقرب من المذبح الذي يحمي أموالنا، فهيّا انزلي من هذه العربة ولا تتظاهري بالكبرياء. إن ابن ألقمين Alcmene هو نفسه قد بيع[1] - حسبما قيل - واضطر الى الاذعان الى ان يعيش من خبز العبيد. ومَنْ أُرغم على مثل هذا المصير فسيكون حظاً عظيماً له ان يكون سادته أثرياء منذ عهد بعيد وأولئك الذين حصدوا حصاداً جميلاً دون أن يتوقعوا ذلك هم قساة على عبيدهم دائماً ومتعسّفون، أما مِنّا نحن ففي وسعك أن تتوقعي الرعاية المعتادة.

رئيس الكورس (مخاطباً كساندرا): إنها كانت تخاطبك أنت وبعبارة واضحة. لقد وقعتِ في شبكة المصير: أطيعي، إن كان عليك ان تطيعي - أو هل تريدين عدم الإطاعة؟

قلوطمنسترا: إن لم تكن لها لغة مجهولة، لغة أجانب مثل السنونو[2] فسأُحاول أن أدخل في قلبها ما ينصح به العقل.

رئيس الكورس (مخاطباً كساندرا): اتبعيها، فالنصيحة التي تسديها إليك هي الأفضل وأنت في هذه الحال.

(صمت من جديد).

قلوطمنسترا: ليس عندي وقت لأضيّعه هنا عند الباب في داخل البيت، أمام المذبح - الأضاحي جاهزة، وتنتظر السكين. فإن شئت أن تصغي إليّ، فلا تضيعي الوقت. أما إن كنت مغلقة دون لغتنا ولا تدركين الأسباب التي أسوقها، فبدلاً من الصوت تكلمي باشارات اجنبية.

رئيس الكورس: إن هذه الأجنبية في حاجة إلى ترجمان لوذعي. إن لها هيئة دابة قد أُمسك بها.

قلوطمنسترا: من المؤكد أنها مجنونة، وأنها مستسلمة إلى نوبة هذيان، إن

---

(١) إلى أومفاله، ملكة لوديا.

(٢) بالنسبة إلى اليونانيين كانت كل لغة اجنبية هي زقزقة طيور! وارستوفان في هزلية «الضفادع» (البيت رقم ٦٨٢) يقول عن سياسي ديماجوجي اتهمه بأنه أجنبي إنه «ليس إلاّ سنونو من تراقيا واقف على شفتيه».

كانت لا تعرف حمل اللجام، بعد أن انتزعت بالأمس من المدينة المهزومة، دون أن تنفّس عن سورتها برغوة دامية. لن أتحمل بعد اهانة تبديد المزيد من الكلمات.

(تدخل في القصر. الباب يبقى مفتوحا).

رئيس الكورس: عندي من الشفقة ما يحملني على الغضب! أيتها البائسة، اتركي عربتك، واستسلمي للقدر، وادخلي في تجربة النّير.

(كساندرا بقيت لا تتحرك، وعيناها تحدّقان في صورة أپولون، إله الطرق، الموضوع عند باب القصر. وفجأة، وبدون اشارة، بقيت كساندرا، بلا حراك فوق عربتها).

كساندرا: واحسرتاه! آه! الأرض والسماء! أپولون! أپولون!

رئيس الكورس: لماذا تنوحين هكذا باسم لوكسياس؟ إن عبادته لا تريد مراثي جنائزية.

كساندرا: واحسرتاه! آه! الأرض والسماء! أپولون! أپولون!

رئيس الكورس: إن صراخها الحزين يدعو الإله الذي ليس مكانه في أناشيد الآلام.

كساندرا: أپولون! أپولون! يا إله الطُّرُق! أپولون أنت يا مَنْ تضيّعني[1]! أنت تضيّعني - وبدون ألم! - لثاني مرة.

رئيس الكورس: أهي تريد أن تتنبأ بمصيرها؟ إن نَفَس الإله يحيا في نفسها، نفس العبدة.

كساندرا: أپولون! أپولون، يا إله الطُّرُق! أپولون أنت يا مَنْ تضيّعني! إلى أين أوصلني طريقك. آه! إلى أيّ بيت؟

رئيس الكورس: إلى بيت أتريوس، أقول لك هذا إن كنتِ تجهلين؛ وفي وسعك أن تكرري هذا دون أن تخشي من الكذب.

كساندرا: آه! أحرى بك أن تقول: البيت المكروه من الآلهة، المشارك في

---

(١) انها تربط اسم ابولون بالفعل Apollonai: يُهلك، كما أنها ستربط كنيته Agviates بالفعل agein: إله الطرق.

جرائم لا تُحصى، واغتيالات سفكت دم أخ، ورؤوس مقطوعة. . . إنه سلخانة إنسانية على أرض رطبة بالدماء!

رئيس الكورس: أعتقد أن هذه الأجنبية لها أنف كَلْبة: إنها تستاف الأثر وتعثر على الدم.

كساندرا: آه! إني أُصدّق بهذه الشهادات: هؤلاء الأولاد الذين أُشاهدهم يبكون تحت السكّين، وهذه الأعضاء المشويّة التي يلتهمها الأب!

رئيس الكورس: هيّا، نحن نعرف جميعاً شهرتك بالتنبؤ؛ لكننا هنا لسنا في حاجة إلى تنبؤ.

كساندرا: أيتها الآلهة! ماذا يُهَيّأ هنا؟ أيّ ألم رهيب يعدونه في هذا القصر؟ نعم، رهيب وقاس، ولا يحتمله الأقارب، ولا علاج له ـ والنجدة بعيدة!

رئيس الكورس: ما تتنبأ به أنا لا أستطيع أن أُدركه؛ والباقي أنا أعرفه: فكل البلد يصيح به.

كساندرا: آه! أيها البائس، أتتجاسر على كل هذا، أنت تحمّمين الزوج الذي يشارك في نفس الفراش ـ كيف أذكر الخاتمة؟. . . إن الساعة قريبة، من سيراها ـ ذراعان الواحد بعد الآخر يُمَدّان بحميّة ليضربا!

رئيس الكورس: ازداد الغموض: فبعد الألغاز جاءت ألوان الوحي، الغامضة، وأنا في حيرة تامة.

كساندرا: آه! يا للفظاعة! يا للفظاعة! ماذا أرى؟ أليست هذه شبكة جحيم[1]؟ كلا، إن الشبكة الحقيقية هي رفيقة الفِراش وقد صارت شريكته في القتل، هيّا! على الجماعة المرتبطة بالجنس[2] أن تحيِّي إذن بصرخة شعائرية[3]. . تضحية العار!

رئيس الكورس: لماذا استثارة صرخة إلاهة الانتقام على هذا القصر؟ إن صوتك في هذه المرّة يفزعني.

---

(١) الخمار الذي خنقت قلوطمنسترا به زوجها أجاممنون.

(٢) جنس آلهة الانتقام Erinyes.

(٣) هي الصرخة التي تطلقها النساء عند سقوط الأضاحي في عملية تقديم الأضاحي.

الكورس: نحو قلبي تندفع موجة ذات صبغة مصفارّة، شبيهة بتلك التي - لدى المحاربين المصريين - تصحب اللمعات الأخيرة للحياة، في الساعة التي يأتي فيها الموت بخطوات سريعة.

كساندرا: انتبه! انتبه! احذر من البقرة! في أحبولة خمار أوقعت الثور ذا القرون السوداء؛ إنها تضربه، وهو يسقط في حوض الحمّام الممتلىء. اعلم قصة الحوض الغدار الدامي.

رئيس الكورس: من المؤكد أنني لست خبيراً كبيراً بألوان الوحي؛ لكني، من كلمات كهذه، أتنبأ بوقوع مصيبة.

الكورس: بالنسبة إلى بني الإنسان هل تأتي بنبأ سعيد من وحي؟ إن الفن الكلامي للمتنبئين يُسمع - بالمصائب - المعنى الحقيقي للخوف الذي يوحي به.

كساندرا: واحسرتاه! واحسرتاه! يا لي من تعيسة الحظ! ما هو مصيري البائس؟ إن نصيبي أنا من الآلام هو الذي أصبّه، بدوره، على فوّهة أناشيدي. إلى أين اقتدتني إذن حين جئت[1] بي إلى هنا أنا التعيسة الحظ؟ إلى أين - إن لم يكن إلى الموت - أنا أيضاً؟.

الكورس: أنت تهذين؛ أنت ألعوبة إله، بحيث تنشدين على نفسك أنشودة مثل هذه خالية من اللطف! إن مَثَلك مَثَل البلبل الوحشي الذي لا يتعب أبداً من الصياح هكذا: «اتوس[2]! اتوس» تنوح في قلبها المتألم، على حياة حافلة جداً بالآلام.

كساندرا: واحسرتاه! واحسرتاه! لا تذكُر نصيب البلبل الصدّاح! إن الآلهة زوّدته بجسم مُجنّح؛ ولولا نواحه لكانت حياته حلوة ناعمة: أما أنا فمقيّضة للحديد الذي يشقُّ الجباه[3].

الكورس: مَنْ يكشف لك إذن عن الكوارث العمياء التي كدّستها الآلهة

---

(١) هذه الكلمات موجهة إلى الإله أبولون.

(٢) أتوس Atys هو ابن بروكنية Procné؛ وقد قتلته أمه، فتحوّلت إلى بلبل ينوح عليه باستمرار.

(٣) في رأي اسخولوس أن السلاح الذي به قتلت قلوطمنسترا زوجها أجاممنون ليس البلطة، بل هو السيف.

هكذا، ويجعلك تصدرين التنبؤات المروعة في نداءات حزينة وفي أناشيد حادّة جدّاً؟ مَنْ يكشف لك الكلمات المنحوسة التي يمتلىء بها طريق تنبؤاتك؟

كساندرا: زواج، زواج پاريس Pariss الذي ضَيّع كل أهله! يا اسكاماندر، الذي شرب منك كل وطني! لقد كَبُرت على شواطئك، ونموت بفضل عنايتك. لكن عمّا قليل كوكوت Cocyte، شواطىء الأشيدون ستسمعني هي وحدها أتنبأ.

الكورس: ما هذا الوحي الواضح جداً؟ هذه المرة حتى الطفل يفهم المقصود! إني أستشعر ـ كعضّة دامية ـ فكرة مصيرك الأليم حينما أسمع هذه الآلام الشاكية التي تمزق قلبي.

كساندرا: يا ويل مدينتي التي زالت إلى الأبد! والمذابح التي ذبح فيها أبي آلاف الثيران الراعية في مراعينا، من أجل إنقاذ حصوننا! ولم يفلح أي علاج! لقد عانت مدينة فريام مصيرها؛ وسألقي بنفسي على الأرض وروحي مشتعلة بالنار!

الكورس: هذا الوحي الجديد يرتبط بألوان الوحي السابقة. لا بد أن إلاهاً كارهاً قد انقضّ بكل ثقله على رأسك، وجعلك تُنْشدين هذه المناحات والآلام القاتمة. وعسيرٌ عليَّ أن أتنبأ بالنهاية.

(كساندرا تنزل من عربتها)

كساندرا: إن الوحي الآن لن يتجلّى بعد خلال نقاب[1]، كأنه عروسة. بل سيقفز ـ بوثبة رائعة ـ أمام الشمس التي تصعد وسيطلق نحو نورها موجة الشقاء الأشد هولاً. سأخبرك بدون ألغاز. وإلى أن يحدث هذا فعليك أن تشهد بأنني تتبّعت دون انحرافٍ أثر الجرائم الماضية وأنفي مسلّط على الأثر. ذلك أن هذا البيت لن يهجره المسمّى كورس، وأصواته لن تكون أعذب في السمع، لأنها لن تزفّ مدائح! آه! لقد شربت من دم إنسان هذه العصْبة المرحة التي تتلبّث في هذا القصر، وليس من السهل إخراجها منه[2] عصبة الانتقام من هذه السلالة! إنها

(١) إنها تتوقع نوبة هذيان تنبئوي ثانية ستتكلم فيها بعبارات أوضح، وجرى هذا ثلاث مرات. وقد شبه اسخولوس هذه السلسلة من التنبؤات بسلسلة من ثلاث موجات متتالية، كل واحدة منها أقوى من السابقة عليها لكنها لم تواصلها كلها، بل توقفت عند الموجة الثانية التي تحمل موت أجاممنون.

(٢) فرقة الاحتفال تنشد مدائح، وتشرب الخمر، وتنتقل بين البيوت؛ أما هذه الفرقة فهي على عكس ذلك: تسبّ من تتغنى بهم، وتشرب الدم، وتتلبث في البيت الذي اختارته.

مرتبطة بهذا البيت، وتغني النشيد الذي يتكلم عن الجريمة الأُولى[١]، ثم تسبّ الفراش الأخوي بقسوة على من دنّسه[٢]. هل أصبت الهدف بسهمي؟ أو أخطأته؟ وهل أنا ثرثارة تقرع البيوت الواحد بعد الآخر بتنبؤات كاذبة؟ قبل أن تدّعي هذا، ابدأ بأن تُقسِم بأنك لم تسمع أبداً عن أخطاء قديمة لهذا القصر.

رئيس الكورس: آه! هل توكيد القَسَم الشديد التوكيد سيكون علاجاً؟ لكن أعجب بالكيفية التي بها أنت تلاقين الحقيقة في كل مكان، وقد نُشّئتِ على شواطىء بعيدة، كما لو كانت عيونك قد شاهدتها.

كساندرا: إن أپولون المنبىء قد كلّفني بهذه المهمة.

رئيس الكورس: هل جرحه الحب، رغم أنّ الحب إله.

كساندرا: كنت سأخجل في الماضي لو أنني تكلمت عن هذه الأُمور.

رئيس الكورس: في أيام السعادة يكون المرء حيياً.

كساندرا: لقد ناضل من أجل أن يظفر بحبّي، وكان مولّها بي.

رئيس الكورس: ومثل سائر الناس جرى بينكما جماع!

كساندرا: لقد وعدت لوكسياس Loxias، وخنتُ قَسَمي.

رئيس الكورس: هل كنت آنذاك تملكين الفنّ الذي يلهمك هنا؟

كساندرا: تنبأت بما سيقع لوطني من كوارث.

رئيس الكورس: ماذا؟ هل غضبة الإله لم تعاقبك إذن؟

كساندرا: منذ أن خُنْته، لم يصدّقني أحد.

رئيس الكورس: أما تنبّؤاتك بالنسبة إلينا فإنها مصدّقة جداً!

كساندرا: واحسرتاه! واحسرتاه! آه! آه! الويلات! من جديدٍ العمل التنبؤي، وهو رهيب، يجعلني أنقلب على نفسي ويُجنّني بترديدته الرهيبة. انظر إلى هؤلاء الشباب الجالسين بالقرب من القصر، كأنهم أشكال أحلام: كما لو كانوا أولاداً

---

(١) قتل أبناء تونست.

(٢) الغراميات الفاسقة بين تونست وأيروپيه، وقد انتقم منها أتريو انتقاماً قاسياً.

قتلهم آباؤهم؛ أيديهم مملوءة باللحم - وأجسامهم مقدمة للذبح - هم يحملون حملاً محزناً من الأحشاء قربها والدّ من فمه! وإني أعلن لكم ان هذا هو ما يفكر شخص في الانتقام منه؛ وأسد - لكنه أسد جبان باقٍ في البيت وجالس على السرير ينتظر فيه عودة السيّد، سيّدي، ما دام يجب عليَّ أن أحمل نير عبدة. ورئيس الأسطول، مُدمّر طروادة، لا يعلم ماذا تهيؤه له هذه الكلبة البغيضة، التي صوتها يقول ويعيد مراراً السرور، والقوة الخبيثة للموت، ما تهيؤه له من مصيبة! لكن هذه هي وقاحتها! امرأة قاتلة لرجل، إني أرى فيها. . . من أين أستعيد اسم وحش كريه: تِنّين ذي رأسين، اسقولاً رابضة في الصخور، هي كارثة على البحّارة - اسماً أطلقه على هذه الأم المخبولة، الخارجة من العالم السفلي، ولا تتنفّس إلاّ الحرب التي لا هوادة فيها ضد كل أهلها. آه! إن صيحة الانتصار التي أطلقتها هذه الوغدة: صيحة المحارب أمام هزيمة العدو! ويتخيل الناس أنها بهذا تعبّر عن سرورها بعودة سعيدة! لكن - سواء صدقتموني أو لم تصدّقوني، وهذا لا يهمني - ما يجب أن يكون سيكون، وأنت يا مَنْ ستشهد هذا عمّا قليل - ستمتلىء بالشفقة وستقول إنني كنت متنبئة صادقة جداً في تنبؤاتي.

رئيس الكورس: أنت تكلمتِ عن المأدبة المُعَدّة لتوئست Thyeste من لحوم أبنائه: وأنا فهمتُ، وارتعدت، والخوف يستولي عليَّ، لدى سماع الحقيقة العارية والتي لا تزويق فيها لكن عقلي الشارد قد خرج عن طوره فيما يتعلق بباقي أقوالك.

كساندرا: أقول لك إنك ستشهد موت أجاممنون.

رئيس الكورس: آه! اسكتي أيتها الشقيّة! أنيمي صوتك!

كساندرا: لا يستطيع أحد أن يعالج المصائب التي أتنبأ بها.

رئيس الكورس: لو قدر لها أن تحدث؛ لكن الآلهة ستحفظنا منها!

كساندرا: لك ان تعبّر عن تمنياتك: لكنهم هم يحضّرون لعملية الاغتيال.

رئيس الكورس: مَن هو إذن الذي يحضّر لهذه الجريمة النكراء؟

كساندرا: إنك تضلُّ بعيداً عن معنى تنبؤاتي.

رئيس الكورس: إني لا أرى كيف يهيّىء القاتل لهذه الجريمة.

كساندرا: ومع ذلك فإني أعرف التكلم بلغة بلاد اليونان.

رئيس الكورس: ولوكسياس هو الآخر، ومع ذلك فإن تنبؤاته غامضة.

كساندرا: آه! ما هذه النار؟ آه! وهو يمشي نحوي، أي أپولون لوكايوس Lykeios، اشفق عليَّ! إنها هي: النبوءة ذات القدمين، التي كانت تنام مع الذئب في غياب الأسد النبيل، إنها هي التي ستقتلني! في الكأس التي تُعدّ فيها السُمّ، هي تريد ايضاً أن تمزج انتقامها بأجرتي[1]! إنها تزعم، وهي تُزهف الخنجر ضد زوجها، إنها تعاقبه بالموت لأنه أتى بي إلى هنا! لماذا إذن هذه المسخرة، هذه العصا، هذه الأربطة الرهيبة التي تحيط برقبتي؟ آه! سأقضي عليك قبل أن أهلَك أنا! (تحطّم العصا؛ ثم تنتزع من رأسها الأربطة وترميها على الأرض). عليك اللعنة: هذا هو انتقامي أن أراك هكذا مرميّة على الأرض. اذهبي إذن وزودّي بالشقاء شخصاً آخر غيري! انظروا: إن أپولون هو نفسه الذي ينتزع مِنّي معطف المتنبئين، لكن بعد أن طاب له ان يشاهدني وقد استهزىء بي كثيراً وأنا لابسة هذه الزينة سواء من جانب أصدقائي ومن جانب أعدائي جميعاً، ومن أجل لا شيء! لقد كان عليَّ أن أُدعى: «المتشردة!» كما لو كنت عرّافة بالبخت وشحّاذة جائعة! واليوم ها هوذا النبيّ الذي جعلني نبيّة قد اقتادني إلى الموت: فبدلاً من المذبح في قصر والد، فإن وضماً ينتظرني مضرّجاً بالدم الحار المتدفق من ذبحي! ـ لكن الآلهة ـ على الأقل ـ لن يتركوا قتلي يذهب دون عقاب، بل سيأتي شخص آخر، يأخذ بثأري، هو ابن وُلِد من أجل قتل أمّه والانتقام لقتل أبيه. منفياً، متشرداً، مطروداً من هذه البلاد، سيعود ليضع هذا التاج على مبنى المصائب المشيّد لأهله. فلماذا إذن أنوح على نفسي؟ ما دمت، بعد أن شاهدت مدينة اليون (طروادة) وقد عوملت هذه المعاملة ـ أرى المنتصرين عليها ينتهون على هذا النحو بقرار من السماء! كلا بل سأكون قويّة، وسأُعاني الموت ـ اقسم بقسم الآلهة على هذا قسماً مُغَلّظاً؟ إني أحيِّي في الأبواب أبواب العالم السفلي، ولا أتمنى إلا ضربة قاضية تغلق عينيّ، في أمواج من الدم الذي يقتل برقة ودون تشنُّجات.

رئيس الكورس: إيه أيتها المرأة الشديدة الشقاء والوفيرة العلم معاً، لقد أخبرتنا بما فيه الكفاية! لكن إن كنت تعلمين حقاً أين ينتظرك الموت، فلماذا

---

(١) الزوجة التي خانها زوجها تريد أن تنتقم في نفس الوقت الذي هي فيه الأمّ.

تسيرين هكذا بجرأة إلى المذبح، مثل بقرة تسوقها الآلهة؟

كساندرا: لا شيء يستطيع أن ينقذني؛ فلماذا أكسب ساعة؟

رئيس الكورس: لكن الساعة الأخيرة ذات ثمن لا نهاية له.

كساندرا: كلا، لقد جاء اليوم: فماذا أكسب من الهرب؟

رئيس الكورس: اعلمي أن مثل هذه الشجاعة تكشف عن نفس كريمة.

كساندرا: هذا قول لا يقال لسعداء هذا العالم.

رئيس الكورس: الموت المجيد نعمة من الآلهة.

كساندرا: آه! الرحمة عليك أيها الوالد، وعلى أبنائك النبلاء!

(تغطي رأسها، وتتوجه نحو القصر، وفجأة تتراجع).

رئيس الكورس: ماذا حدث؟ أيّ خوف أرجعك؟

كساندرا (بفزع): آه! آه!

رئيس الكورس: لماذا هذه الصرخة؟ أيّ وحش تخيلته نفسك؟

كساندرا: إن هذا القصر يفوح منه القتل والدم المسفوح.

رئيس الكورس: بل قولي إنه يفوح منه القرابين الْمُحرقة على المذبح.

كساندرا: بل الأبخرة الصادرة عن قبر.

رئيس الكورس: أنت تنسبين إليه عطراً ليس من البخور في شيء!

كساندرا: هيّا! سأذهب اذن لأنوح حتى عند الأشباح، لأفرج عن نفسي وعلى أجاممنون. كفى هذا القدر من الحياة! (تتوجه من جديد نحو القصر، لكنها تتوقف من جديد وترجع إلى الكورس،) آه! أجانب. لا تَرَوا فيَّ عصفوراً يزقزق فزعاً أمام خميلة. إني أريد فقط أنه بعد موتي تشهدون على هذا كله من أجلي، في اليوم الذي فيه، ككفّارة عن دمي فإن دم امرأة، ستسفك امرأة دمها هي أيضاً، وحيث سيسقط رجل ثمناً لرجلٍ أطاحت به زوجته. تلك هي الهدية التي أنشدها من ضيوفي في ساعة الموت.

رئيس الكورس: أيتها البائسة، إني أشفق على المصير الذي تتنبأين به.

كساندرا: إني لا أريد أن أُنشِد رثاء نفسي. إني أوجّه دعائي إلى الشمس، في مواجهة نورها السامي. ليت الآخذين بثأري ومن يقتلونني يدفعون معاً دين[1] العبدة التي ماتت هنا، والتي كانت فريسة سهلة:

(تدخل في القصر، والباب يغلق وراءها).

رئيس الكورس: آه! ما أبأس حظ بني الإنسان! إن سعادتهم تشبه رسماً خفيفاً؛ ثم يأتي البؤس: ثلاث ضربات بأسفنجة رطبة، وتقضي على الرسم! وهذا[2] هو ما يملؤني بالشفقة أكثر من ذاك. إن بني الإنسان لا يشبعون أبداً. ولا واحد منهم يتخلّى عن الحياة، والاصبع المرفوع لإبعاده عن مسكنه لا يقول له: «لا تدخل!».

وهكذا قُدّر لهذا الرجل أن تهبه الآلهة السُعداء غزو مدينة فريام؛ وها هوذا يعود إلى وطنه مملوءاً بِنِعَم السماء. لكن إذا كان عليه الآن أن يدفع ثمن الدم الذي سفكه آباؤه، وأن يستدعي صوت آخرين، وهو يموت، عقاباً عن موته هو - فمَنْ إذن من بين الناس سيستطيع، حين يعلم هذا، أن يتباهى بأنه وُلِد لكي ينال حظّاً خالياً من الشرور؟

(يسمع بغتة وراء الباب نداء أجاممنون).

أجاممنون: واحسرتاه! إن ضربة قاتلة مَزَّقت لحمي!

رئيس الكورس: اسمعوا! من يصرخ هناك وقد أصابته ضربة قاتلة؟

أجاممنون: واحسرتاه! واحسرتاه مرتين! ضربة أخرى!

رئيس الكورس: الجريمة تَمَّتْ: إنها صرخات الملك! هيّا، يا أصدقائي، لنجمع هنا مجالس موثوق بها.

عضو ثان في الكورس: رأيي هو أن نادي المواطنين فنقول: النجدة، تعالوا هنا جميعاً، إلى القصر!»

عضو ثالث في الكورس: ورأيي أنا هو أن نهرع نحن بأسرع ما يمكن وأن

---

(١) النص هنا غير واضح.

(٢) هذا: أي الهشاشة العامة للسعادة الانسانية. ذاك: أي مصير كساندرا بخاصته.

نفاجىء الجريمة والسيف لا يزال يقطر منه الدماء.

عضو رابع: نعم، أنا أوافق على كل رأي من هذا القبيل: فلنفعل أولاً، فليس الوقت وقت تردُّد.

عضو خامس: يمكن أن ننتظر ونرى: فليست هذه إلاَّ البداية، والإيذان بالطغيان الذي يحضّرون له في المدينة.

عضو سادس: لأننا نتردد ونوازن! أمّا هم فيطأون بأقدامهم مجد التردد، ولا ينيمون سواعدهم.

عضو سابع: أنا لا أعرف أيَّ رأي أُبديه؛ فحتى من يريد العمل ينبغي عليه أن يشاور أولاً.

عضو ثامن: وهذا هو رأيي أنا أيضاً: لأنني لا أعتقد أن الكلمات يمكن أن تبعث الميّت حيّاً.

عضو تاسع: ماذا إذن! هل نركع أمام سادةٍ يدنّسون هذا القصر، فقط من أجل أن نطيل في عُمْرنا؟!

عضو عاشر: هذا عار لا يحتمل. الموت أفضل من هذا؛ إن الموت خير من الطغيان.

عضو حادي عشر: أجل! لكن لماذا نريد أن نفترض موت ملكنا، وليس لدينا دليل إلاَّ صرخة!

عضو ثاني عشر: لا ينبغي الغضب إلاَّ حين نعلم علم اليقين. أما الإفتراض فليس علماً.

رئيس الكورس: صوتي يؤيد هذا الرأي: وهو أن نعرف بالدّقة ماذا جرى للأتريوسي (= أجاممنون).

(الباب الرئيسي يُفتح. يُشاهَد أجاممنون عارياً وقد مُدِّد في نقاب واسع مضرّج بالدم. كساندرا راقدة إلى جانبه. وبالقرب من الجثتين تقف قلوطمنسترا وفي يدها سيف).

قلوطمنسترا: إن الضرورة أملت عليَّ كلمات: ولن أخجل من تكذيبها. حينما يتأهب المرء ليشفي كراهيته لأولئك الذين يكرههم وهو يتظاهر بأنه يحبهم -

فهل هناك وسيلة أخرى لرفع أعلام «الشقاء» كيما تتحدّى كل وثبة تريد أن تتجاوزها؟ هذا اللقاء أنا فكرتُ فيه طويلاً: وجاء اللقاء، جاء الانتقام أخيراً: ـ وأنا باقية حيث ضَرَبتُ ضربتي: هذه المرة قد قُضي الأمر! ـ لقد فعلتُ أنا كل شيء، ولا أنكر هذا، حتى لا يستطيع أن يهرب ولا أن يُفلِت من الموت. إنها شبكة لا مخرج منها، شبكة لصيد السمك حقيقية لففتها حوله، ثوب غدّار. وضربته مرّتين؛ وبدون بادرة منه، بنوحتين أسلم أعضاءه؛ وحينما صُرِع أهويت عليه بضربة ثالثة كانت قرباناً[1] نذرته لزيوس منجّي الموتى الذي يحكم تحت الأرض. فرقد، وبصق رُوحه، والدم الذي انطلق منه بعنف تحت تأثير السيف الذي نفذ[2] فيه غمرني بقطراته السوداء، التي كانت رقيقة على قلبي مثل ندى[3] زيوس على البرعم. ـ تلك هي الوقائع، أيها المواطنون المحترمون في مدينة أرجوس. وسواء رضيتم أو لم ترضوا، فإنني أفتخر بها وأراها مدعاة للمجد! ولو كان من المسموح به صبُّ رَشّات على جثة، لكان ذلك مما تقتضيه العدالة، وأكثر من العدالة: فإن هذا الرجل قد لذّ له، في هذا القصر، أن يملأ باللعنات الفوّهة التي كان عليه هو بدوره أن يفرغها دفعة واحدة!

رئيس الكورس: تعجبني لهجة فمك الوقح: أن تفخري هكذا على حساب زوجك!

قلوطمنسترا: أنت تحيّرني، وتعتقد أنني إمرأة حمقاء! وأنا أقول لك، بقلب لا يهتز، وأنت تعرف هذا جيدا: وسواء لُمتني أو مدحتني فالأمر عندي سواء. هذا هو أجاممنون زوجي؛ ويدي قد أحالته إلى جثة هامدة، وعملي هو عمل عاملة ماهرة طيّبة. هذا هو الأمر.

الكورس: أية أعشاب مسمومة تغذت من عصارات أرضية، وأيّ شراب تدفق من بين الأمواج البحرية ـ شربتِ، بحيث اعتقدت أنك تستطيعين ـ بواسطة مثل هذا

---

(١) هي الرشّة الثالثة المخصّصة لزيوس المنجّي. وهي هذه المرة لزيوس الموتى: هادس.

(٢) في رأي اسخولوس أن الآلة التي ضربت قلوطمنسترا بها زوجها أجاممنون ليست البلطة، بل السيف.

(٣) راجع «الألياذة» النشيد رقم ٢٣، الأبيات ٥٩٧ وما يليها: «إن منلاس يريد أن يشرح قلبه، مثل القمح تحت الندى، في الأيام التي فيها ينمو المحصول، وتنتفض الحقول بالسنابل».

القتل - أن تقضي على لعنات شعب بأكمله؟ كلا! من الآن فصاعداً أنت ليس لك وطن، والكراهية الشديدة من جانب مدينتك قد حَلّت عليك.

قلوطمنسترا: أنت إذن تحكم عليَّ اليوم بالنفي، وبكراهية مدينة أرجوس، وبلعنات الشعب - بينما أنت لم تثر أبداً ضدّه هو، لما ان ضحّى بابنته، الإبنة العزيزة التي حملتها في أحشائي، كما لو كانت نعجة من بين نعاج قطعان ذوات صوف، وذبح ابنتي هذه من أجل أن يسحر رياح تراقيا! ألم يكن هو الأولى بأن يلقى به خارج هذه المدينة، كيما يكفّر عن نجاساتها؟ أما فيما يتعلق بي، فقد كفاك سماع ما فعلته أنا كي تجعل من نفسك حَكَماً لا يرحم. لكن وما هو التهديد الوحيد الذي أسمح لك به - لأنني مستعدة أن أردّه عليك أنت - وهو أن أحتكم إلى القوّة: فإن انتصرت أنت، فأنت سيّدي؛ لكن إذا قررت السماء عكس ذلك فإن دروساً متأخرة ستعلّم الحكمة.

الكورس: إن نفسك متغطرسة، ولهجتك حمقاء. ولهذا فإن قلبك - بعد القتل الذي دَنَّسه - يعتقد في هذيانه أن فِعلته الدامية هي زينة على جبينه! لقد صِرتِ هدفاً للاحتقار، ومحرومة من الأصدقاء، وعليك أن تدفعي الضربة بضربة مثلها.

قلوطمنسترا: وأنت، هل تريد أن تسمع قرار أقسامي أنا؟ كلا، بحق العدالة التي انتقمت لابنتي، وبحق أتيه Até، وبحق إلاهة الانتقام، التي ذبحت لها هذا الرجل، كلاًّ، إن القلق المجرد لن يدخل هذا القصر، طالما سيكون ايجيست Egisthe موجوداً لإشعال نار منزلي، ويؤمن لي نِعمَة[1]. إنه التُّرس الواسع الذي أضع فيه ثقتي. - إنه مطروحٌ أرضاً هذا الرجل الذي أهانني، وملذات الخسيس تحت إليون! وكذلك ايضاً هذه الأسيرة، العرّافة، الفاجرة التي وضعها على سريره، ها هي ذي إذن، المخلصة التي تشاركه الآن في مرقده، كما شاركته مقعده في البحر! كلاهما لقي المصير الذي استحقه. أما هو فقد سقط صريعاً دون أن ينطق بكلمة؛ أما هي فهي على العكس، كانت أشبه ببلشون راحت تنشد نشيد الموت قبل أن تتمدّد، في حالة عاشقة، إلى جانبه؛ وزوجي هو نفسه هو الذي أتى بها لتزيد من نشوة انتصاري!

---

(١) معنى هذا أنها تعترف صراحة بأن ايجيست هو زوجها وسيّد القصر.

الكورس: أواه! أيّ موت سيأتي سريعاً، ودون آلام حادة، ودون سرير لسكرات الموت، ويقدم لقلوبنا النوم الذي لا يقطعه شيء ولا يُنْهيه شيء، ما دام قد سقط صريعاً ذلك الذي كان إحسانه يسهر علينا، والذي تألم كثيراً من اجل امرأة[1]، والآن فقد الحياة بواسطة امرأة[2].

رئيس الكورس: آه! هيلانه، هيلانه المجنونة، التي أهلكت وحدها تحت أسوار طروادة المئات بل الآلاف من الأحياء.

الكورس: لقد أعطيت لعملك تتويجاً عالياً لا يُنسى، بإراقتك دماً يستحيل غسله. نعم، كان نزاع[3] هو الذي يسكن في البيت في ذلك الزمان، نزاع عمل على هلاك زوج.

قلوطمنسترا: لا تنادِ الموت، لأن هذه الضربة ترهقك. لا تصَرف غضبك إلى هيلانه، متصوّراً أنها هي وحدها القاتلة والمهلكة لآلاف اليونانيين، وأنها هي التي فتحت في جنوبنا جرحاً لا يندمل.

الكورس: أيُّها الجنّي الذي ينقض على البيت وعلى رأسيّ حفيدتي طنطالوس، إنك تستخدم النساء ذوات الأنفس المتشابهة من أجل الانتصار ممزّقاً قلوبنا. انظر إليها وقد وقفت عند الجثة، مثل غراب الشقاء، متفاخرة بالإنشاد نشيد النصر!

رئيس الكورس: آه! هيلانه، هيلانه المجنونة التي أهلكت، وحدها، تحت أسوار طروادة المئات بل الآلاف من الأحياء.

الكورس: لقد أعطيت لعملك تتويجاً عالياً لا يُنسى، بإراقتك دماً يستحيل غسله. نعم، كان نزاع هو الذي يسكن في البيت في ذلك الزمان، نزاع أدّى إلى هلاك زوج.

قلوطمنسترا: فمك ـ في هذه المرة ـ يصحّح خطأك، بذكر الجِنّي الذي يسمن على حساب هذه السلالة. إنه هو الذي يُغذّي في أحشائنا هذا التعطش

---

(١) هي هيلانه.

(٢) هي قلوطمنسترا.

(٣) النص هنا غامض.

للدماء. وحتى قبل أن ينتهي الداء القديم، فإن دُمَّلاً جديداً قد ظهر.

الكورس: نعم، إنه رهيب، رهيب لهذا البيت وقاسٍ في أحقاده هذا الجِنّي الذي ذكرته.. آه! يا له من ذكر أليم لمصير لا يشبع من الفظائع! واحسرتاه! وكل هذا بواسطة زيوس الذي يريد كل شيء وينجز كل شيء هو وحده! وهل يحدث لبني الإنسان شيء بدون زيوس؟ وهل يوجد شيء ها هنا ليس من فِعل الآلهة؟

رئيس الكورس: آه! يا ملكي، يا مَلِكي! كيف أبكي عليك؟ وبأية كلمات صادرة عن أعماق قلبي أتوجه إليك؟ ها هوذا جسمك، مطروحاً على الأرض في خيوط العنكبوت هذه، وروحك تخرج تحت ضربة كافرة!

الكورس: واحسرتاه! ها أنت ذا مطروح على فراش لا يليق بك، وقد قضى عليك موت غدّار، بسلاح ذي حدّين امتشقته زوجتك!

قلوطمنسترا: أنت تدّعي أن هذا من عملي: لا تصدّق هذا. ولا تصدّق أنني زوجة أجاممنون وإنما على شكل زوجة هذا الميّت قام الجِنّي المنتقم من آل أتريوس ومن أمفتريون القاسي فدفع[1] ثمن هذه الضحيّة، بأن ذبح محارباً من أجل الانتقام لأولاد.

الكورس: أأنت إذن بريئة من هذا القتل؟ مَنْ تجدين ليشهد على ذلك؟ وكيف؟ كيف؟ لكنَّ الجِنّي المنتقم لهذه السلالة لا يمكن أن يكون شريكاً لك في هذا القتل. وإذا كان آرس Arès المتوحش الأسود قد سفك أمواجاً من دم الأُسرة، فذلك لأن الساعة قد جاءت عنده ليحقق للأولاد المقتولين العدالة التي يطالب بها دمهم المتجمد على الأرض.

رئيس الكورس: آه! يا ملكي! يا ملكي! كيف أبكي عليك، وبأية كلمات صادرة من أعماق قلبي أتوجه إليك؟

ها هوذا جسمك، مطروحاً على الأرض في خيوط العنكبوت هذه، وروحك تخرج تحت ضربة كافرة!

الكورس: واحسرتاه! ها أنت ذا مطروح على فراش لا يليق بك، وقد قضى عليك موت غدّار، بسلاح ذي حدّين امتشقته زوجتك!

---

(١) الجنّي هو السلالة. وقد ارتكب هذه الجريمة، وهو يدفع ثمنها على حساب هذه السلالة.

قلوطمنسترا: «لا يليق بك» ـ لا! وموته ايضاً لم يكن غير لائق به. إن الموت الغدّار هو ذلك الذي أدخله هو في بيته. إن المصير الذي جلبه هو على الثمرة الجميلة التي حصلتُ عليها منه: أعني أيفيجنيا التي طالما بكينا عليها، يستحق المصير الذي عاناه هو الآن. فلا يظهرنّ إذن غطرسة زائدة في العالم السفلي: إن موته بالحديد الحادّ لم يدفع إلاّ عن الجرائم التي كان هو البادىء بارتكابها.

الكورس: لست أدري أين أنا؛ وكل رأي سديد يفلت من جزعي: أين أتوجّه، بينما البيت ينهار؟ إني أرتعد من أزيز المطر الدامي الذي ينهار القصر تحت هطوله. وها هوذا قد صار طوفاناً! إنّ «المصير» يَجِدُّ سيف عدالة من أجل عقاب جديد، يحدّه على حجارة جديدة.

رئيس الكورس: أيتها الأرض، أيتها الأرض، لماذا لم تستقبليني أنا في حضنك، قبل أن أُشاهد هذا الجسم الممدَّد في أعماق حوض استحمام من الفضة؟

من ذا الذي سيدفنه؟ ومن ذا الذي سينشد عليه نشيد الموتى؟ هل تتجاسرين أنت على هذا بعد أن قتلتِ زوجك، وأن تشيّعيه بنواحك، وأن تقدمي إلى روحه ـ فداءً عن جريمة نكراء ـ تكريماً لن يكون إلاّ إهانة بالغة؟

الكورس: والرّياء، مَنْ ذا الذي سيقوم به ذارفاً الدموع على قبر هذا البطل، بقلب لا يكذب؟

قلوطمنسترا: ليس هذا من شأنك أنت: لقد سقط صريعاً بواسطتي أنا ومات، وسأتولى أنا دفنه ـ بدون النواح عليه من أهله. وحدها ايفيجنيا المليئة بالرقة، ايفيجنيا ابنته، ستذهب كما ينبغي للقاء أبيها على شاطىء النهر المندفع بالآلام[1]، وتلف عنقه بذراعيها، وتستقبله بقُبلتها!

الكورس: الإهانة تجاوب الإهانة. والنطق بها مهمة عسيرة. من يدّعي الأخذ يُؤخَذ؛ ومَنْ قَتل يدفع الثمن. لا بد من سيادة القانون ما دام زيوس يحكم: القانون الذي يقول: «الجاني يعاقب» هذا أمرٌ إلهي. آه! من ذا الذي يستطيع أن يستأصل من هذا القصر جرثومة اللعنة؟ إن السلالة موكولة بالشقاء.

---

(١) هي تتلاعب باسم Acheron فتشتقه من اللفظ اليوناني achos أي: الألم.

رئيس الكورس: أيتها الأرض، أيتها الأرض! لماذا لم تستقبليني أنا في حِضنك، قبل أن أشاهد هذا الجسم الممدّد في أعماق حوض استحمام من الفضة؟

من ذا الذي سيدفنه؟ ومَنْ ذا الذي سينشد عليه نشيد الموتى؟ هل تتجاسرين أنتِ على هذا بعد ان قتلت زوجك، وأن تشيّعيه بنواحك، وأن تقدمي إلى روحه ـ فداءً عن جريمة نكراء ـ تكريماً لن يكون إلاّ إهانة بالغة؟

الكورس: والرثاء، مَن ذا الذي سيقوم به، ذارفاً الدموع على قبر هذا البطل، بقلبٍ لا يكذب؟

قلوطمنسترا: أنت الآن أعلنت الحقيقة. على الأقل أنا أُريد أن أتبادل الأقسام مع جِنّي البلستنيد[1] Plisthénides وأن أستسلم الآن، مهما يكن ذلك قاسياً، بشرط أنه من الآن فصاعداً سيخرج من هذا البيت ليستهلك سلالة أخرى بواسطة هذه الاغتيالات العائلية. إن أقل نصيب من أموال هذا البيت سيكفيني، إذا استطعت أن أطرد من هذا القصر هذا الجنون بالاغتيالات المتبادلة.

(ترمي بالسيف بعيداً عنها. ـ يدخل ايجيست في الأوركسترا تتبعه فرقة مسلّحة. يتوقف في مواجهة جثة أجاممنون)

ايجيست: آه! ضوء الشمس الطيّب القاضي العادل! من الآن فصاعداً في وسعي أن أقول إنه يوجد ـ للانتقام لبني الإنسان ـ آلهات يتبصرن ـ مِنْ أعلى ـ الجرائم التي ترتكب على سطح الأرض، لأنني شاهدت اليوم، في نُقبٍ نسجتها آلهات الانتقام، هذا الرجل الممدّد وقد دفع أخيراً العنف الغدار الذي ارتكبه والد، وهذا سرّني سروراً عميقاً. ذلك أن أتريوس، مَلِك هذا القصر ووالد هذا الرجل، لما شاهد توئست ـ والدي أنا، وأخوه هو ـ ينازعه العرش، فإنه طرده من مدينته ومن بيته. ولما عاد مستجيراً بأُسرة أخيه، وجد الأمان بمعنى أنه لم يقتل في الحال ولم يسفح الدم على أرض آبائه؛ لكن الأب الفاسق لهذا الرجل، أتريوس، متحمساً اكثر منه متعطفاً، تظاهر بأنه يحتفل بعيد بواسطة تضحية فَرِحة، وقدّم إلى

---

(١) أدخل بلسثين متأخراً في نسب آل پيلوپس، لكن مكانته ظلت دائماً قلقه.. و«أثبات» هسيود تقول إنه ابن أتريوس ووالد أجاممنون. لكن اسخولوس ـ الذي يرى أن أجاممنون هو ابن أتريوس ـ وليس حفيده ـ يعتقد أنه ابن پيلوپس.

أبيه، كهدية ضيافة، طعاماً مكوّناً من لحم أبنائه. وجلس وحده على رأس المائدة، وأخذ يكسّر الأقدام وأطراف أصابع الأيدي[1]... وانخدع ثوئست وأسرع في تناول هذا الطعام الذي لا يتميز عن سائر الطعام. والتهم هذا الطعام المنحوس لكل سلالة. ثم لما تبين له هذا الفعل الكريه راح ينوح وسقط على وجهه وهو يستفرغ هذا اللحم المذبوح. وهنالك دعا على پيلوپس أن يصيبهم مصير رهيب، ومع هذا الذي قاله، قَلَب المائدة بضربة من قدمه وقال: «وليهلِك هكذا كل سلالة پلسثين!» وهذا هو السبب في أنك تشاهد هذا الرجل مطروحاً على الأرض وقد قُيّض لي أن أدبّر أنا هذا الاغتيال. لقد كنت الابن الثالث عشر لوالدي السيىء الحظ، فنفاني أتريوس معه وأنا صغير جداً لا أزال في المهد. لكني كبرت، واقتادتني العدالة إلى وطني، ودون أن أجتاز الباب عرفت كيف أنتظر الرجل وأن أعقد كل عُقد المؤامرة التي أودت به. ولهذا فإن الموت يبدو لي أمراً حلواً، الآن وقد شاهدت هذا الرجل محصوراً في شبكة العدالة.

رئيس الكورس: يا ايجيست، إن الوقاحة في الجريمة أمرٌ يستفزني: أنت تقول إنك ـ عن عمد وتصميم ـ قد قتلت هذا الرجل وأنك وحدك الذي دبّرت هذا الاغتيال البشع. أنا أقول لك إن رأسك لن ينجو من انتقام الشعب انتقاماً عادلاً مزوداً بالحجارة واللعنات.

ايجيست: أأنت الذي تجرؤ على أن ترفع صوتك وأنت تجلس على آخر مقعد بين الجادفين بالمجاديف. من يأمر على السفينة إن لم يكن أولئك الموجودون عند مقدّمها؟ وعلى الرغم من سنّك العالية فسترى كم هو عسير على شيخ عجوز أن يتولّى التأديب، بينما هو مأمور بأن يكون عاقلاً. لتأديب الشيخوخة يلاحظ أن الحديد والعذاب بالتجويع هما ساحران لا يضارعهما أحد. هل عيناك لا تنفتحان كي تبصر ما ترى؟ لا تقاوم المنخاس: فإنك لو قاومت فسيكلفك هذا كثيراً.

رئيس الكورس: أهو أنت ـ وأنت امرأة! لأنك بقيت في البيت بينما كان الرجال يعودون من القتال ـ إنك أنت الذي تُدَنِّس فراش بطل وتدبر موت رئيس جيش!

---

(١) هنا خرم في المخطوطات اليونانية.

ايجيست: وهذه أيضاً كلمات ستولّد الدموع. إن صوتك هو الضدّ من صوت أورفيوس: إن أورفيوس بنغماته قد اجتذب الطبيعة المسحورة بصوته؛ أما أنت ـ بكلماتك التي تتحدانا بصراخها ـ فإنك ستصفّد في الأغلال، وستتولى القوة تهذيبك.

رئيس الكورس: ماذا؟ هل سأراك ملكاً على أرجوس، وأنت الذي دبّرت مقتل هذا الرجل، دون أن تجرؤ على أن تضربه بضربة من ذراعك!

ايجيست: إن الحيلة كانت من شأن المرأة. أما أنا، عدوّه القديم، فقد كنت سأكون مشكوكاً فيه. لكني أُريد أن أتآمر الآن على المواطنين بواسطة أموال هذا الرجل.. والعاصي سأربطه تحت نير ثقيل؛ ولا يحسبنّ أنه سيعلف بالشعير مثل المهر الأصيل. بل الجوع القاسي المقرون بالظلمات سيجعله ألين عريكة.

رئيس الكورس: ولماذا، في جبنك، لم تضرب أنت بنفسك هذا البطل؟ لماذا كان القاتل له هو امرأة هي نجاسة البلد والآلهة؟ ـ لكن أليس أورست Oreste حيّاً دائماً، كيما يعود مقوداً بحظ سعيد ليقتلكما كليكما بذراعه الظافرة؟

ايجيست: أهكذا تدعي العمل والكلام؟ إذن سترى... هيّا، أيها الحرّاس، اعملوا.

رئيس الكورس: هيا! امتشقوا سيوفكم أنتم جميعاً!

ايجيست: ليكن! أنا مستعد للموت وأنا ممتشق سيفي.

رئيس الكورس: أنت تتكلم عن الموت؛ أما أنا فأُريد أن أجرّب حظي!

قلوطمنسترا: توقف، يا أعزّ الناس، ولا تضيفن المزيد من المصائب الحالية. لقد ربطنا الكفاية من ربطات الآلام. وحسبنا هذه البلايا، لا تفعل بعد شيئاً: إننا لا نزال ندمي. ولتعودوا إلى بيوتكم أنت وهؤلاء الشيوخ، ليعدْ كل واحد إلى المسكن الذي وهبه المصير إياه، دون أن يصاب أحد أو يصيب غيره بسوء. إن الأمور هي كما ينبغي أن تكون.. فإن كانت هذه المصائب كافية، فلن نشكو منها: إن الجنّي ذا المخالب الثقيلة قد حطمنا بما فيه الكفاية. وبقسوة. هذا هو رأي امرأة، إن اعتقد أحدٌ أن عليه أن يصدّقها.

ايجيست: ماذا! أهؤلاء الناس يظهرون مثل هذه الوقاحة ضدّي أنا! إنهم

يتحدون المصير باطلاق هذه العبارات! لقد فقدوا الصواب إلى حدّ أنهم أهانوا سادتهم!

رئيس الكورس: لا، لا، أرجوس لن تتملق جباناً أبداً!

ايجيست: اذهب، سأعرف كيف انتظرك في الأيام القادمة!

رئيس الكورس: اللهم إلاَّ إذا أرشد الإله أورست فيجيء إلينا!

ايجيست: من المعلوم أن هذا المنفيّ يتغذى بالآمال.

رئيس الكورس: هيّا! فالوقت ملائم؛ هيّا أشبع نفسك من الجرائم!

ايجيست: آه! ستدفع ثمناً غالياً عن حماقتك التي أبديتها اليوم.

رئيس الكورس: تجاسر إذن! وتباهَ بنفسك مثل الديك أمام دجاجتك!

قلوطمنسترا: احتقر هذا النباح. أنت وأنا سادة هذا القصر، وسنعرف كيف نعيد النظام.

(تدخل القصر مع ايجيست. والكورس ينسحب ببطء).

انتهت مسرحية

«أجاممنون»

مَسرحيّة «حَاملاتُ القرابيِن»



مُقَدّمَة «حَامِلاتُ القرابِين»

بقلم: الدكتور عبد الرحمن بدوي

- (١) -

أورست

بطل هذه المسرحية هو أورست.

وأورست هو ابن أجاممنون، وأُمّه هي قلوطمنسترا. وقد صار ملكاً على موقانس، وأرجوس، واسبرطة.

وكان لا يزال طفلاً حينما قتلت أُمُّه وخليلها ايجيست، أباه أجاممنون. ولصونه عن الخطر أخذته أُختة إلكترا - أو مربيته، بحسب رواية أخرى - إلى إقليم فوقيس الذي كان يتولى الملك فيه الملك اسطروفيوس الذي كان صديقاً لأجاممنون. فتولى اسطروفيوس تربيته مع ابنه پولاد Pylade. وصار هذان صديقين حميمين.

فلما بلغ أورست اشدّه ذهب إلى معبد دلف ليسأل أپولون ماذا ينبغي عليه أن يفعل للانتقام لمقتل أبيه: فأمره الوحي بأن يقتل أُمّه وخليلها ايجيست.

فذهب أورست وبصحبته پولاد إلى موقانس حيث كانت أخته الكترا تقيم،

وعرّفها بنفسه وشاورها في الأمر، فوافقت الكترا على خطته للانتقام لأبيها.

فقام أورست ومعه پولاد بتنفيذ هذه الخطة على النحو الذي سنذكره بعد قليل في تلخيص المسرحية. فقتل امّه وخليلها ايجيست.

لكن أرواح الإنتقام ـ الارينيس Erinys ـ كانت له بالمرصاد لأنه قتل أمّه، وهي تنتقم دائماً ممن يقتل أباه أو أمّه أو إخوته أو حتى أقاربه. فبدأت أولاً بأن أصابت أورست بالجنون؛ ثم طاردته خلال كل بلاد اليونان.

وبحسب بعض الروايات، فإن أورست حوكم أولاً أمام محكمة في موقانس، وقد رفع الدعوى عليه توندار، أبو قلوطمنسترا. وطلب أواكس Oeax، وقد كان يكره أجاممنون لأنه سمح برجم أخيه پلامين، بأن يحكم على أورست بالنفي. وبحسب يوريفيدس فإن أورست والكترا حُكِم عليهما بالإعدام. لكن منلاس، وكان قد رفض مساعدتهما، تلقى أمراً من الإله أپولون بأن يطلب من أهل موقانس بالاكتفاء بنفي أورست والكترا لمدة سنة واحدة، وربما يكون أورست قد ضغط على منلاس بأن خطف زوجته هيلانه وابنتهما هرميون. بيد أن زيوس أنقذ هيلانه وأخذها معه إلى السماء، أما هرميون فقد احتفظ بها لبعض الوقت كرهينة.

أما اسخولوس فيقول: إن أورست ذهب إلى دلف طلباً للمساعدة من أپولون، لأن أپولون هو الذي حرّضه على قتل أمّه، فأمره وحي أپولون بالذهاب إلى مدينة أثينا تحت حماية هرمس ليُحاكَم أمام «الأريوفاغ»: محكمة أثينا التي نصبتها الآلهة لما أن قام آرس Ares بقتل هلرهوتيوس Halirrhotios.

وحضرت الإلاهة أثنا وأپولون والارنيات محاكمة أورست أمام «الأريوفاغ»: وتولى أپولون الدفاع عن أورست، وتولى الاتهام الارنيات. لكن أصوات القضاة جاءت متساوية. وكانت الإلاهة أثنا ترأس هيئة المحلفين، فحكمت لصالح أورست بحجة أن للأب أفضلية على الأم.

بيد أن الارنيات لم تتوقف عن مطاردة أورست: فأوحى إليه أپولون أن يتخلص منها بالسفر إلى توريكا (شبه جزيرة القرم في جنوب روسيا) والاتيان من هناك بتمثال أرتميس. وهذا الحادث هو موضوع مسرحية يوريفيدس التي عنوانها «ايفجنيا في توريكا». فلما وصل أورست، ومعه پولاد، إلى توريكا، قُبِض عليهما للتضحية بهما لأرتميس ـ وهذا هو المصير المقرر للأجانب الوافدين إلى هناك.

لكنهما، في اللحظة الأخيرة قبل الذبح، تعرّفا في كاهنة أرتميس أنها ايفجنيا، أخت أورست، المفقودة منذ زمان طويل. فركبت سفينة أورست، وعاد الثلاثة إلى بلاد اليونان.

فلما عادوا إلى بلاد اليونان تزوج پولاد من الكترا؛ أما ايفجنيا فقد صارت كاهنة لأرتميس وأما أورست فاعتلى عرش موقانس وعرش أرجوس. ولما مات توندار صار أيضاً ملكاً على اسبرطة. وزاد في رقعة ملكه بأن غزا قسماً كبيراً من مقاطعة آركاديا. وتزوج من هرميون، وكانت خطيبة له أثناء حرب طروادة، لكن نيوبطوليم، في جنونه، كان قد خطفها منه.. وثم رواية تقول إن أورست قتل نيوبطوليم في محاولته لخطف خطيبته هرميون، إذ قتله أمام مذبح أپولون في دلف، أو دفع سكان دلف إلى قتله بدعوى أن نيوبطوليم كان ينوي نهب المعبد. وقد أنجبت هرميون لأورست ولداً هو تسمينوس Tisamenos الذي صار وريثاً له.

وقد مات أورست لما أن لدغته أفعى، ودفن في تيجيا Tégée بمقاطعة أركاديا (في اقليم الپلوپونيز، جنوب غربي بلاد اليونان).

- (٢) -

تلخيص المسرحية

إن مسرحية «أجاممنون» تنتهي بهذا التهديد، وهو: «اللهم إلا إذا قاد أحد الآلهة إلينا أورست!».

ومسرحيتنا هذه تبدأ بدخول أورست ومعه پولاد. ثم يصعد أورست على الرابية التي تضم قبر أبيه أجاممنون، حيث يدعو هرمس العالم السفلي وأباه الميّت، ناشداً إياهما أن يساعداه على الانتقام من القاتلين.

وهنا يدخل الكورس، وهو مؤلف من أسيرات فيجبن بما يبعث الأمل في نفس أورست. إذ يذكرن ما تقضي به العدالة من أن الدم لا يمحوه إلاّ الدم، وقطرة دم القتيل لا تمحى أبداً، ولا بد أن تنال العقاب مهما تأخر موعده.

ثم تدخل الكترا، وقد بعثتها أُمها قلوطمنسترا حاملة قرابين لقبر أجاممنون. ذلك لأن قلوطمنسترا بدأت تحسّ بفظاعة جريمتها حين قتلت زوجها أجاممنون -

بالتواطؤ مع خليلها ايجيست ـ وأدركت أن أرواح الانتقام تطاردها، فأرادت الاستعاذة منها بهذه الرشات (أو الصّبات) على قبر مَنْ قتلته غدراً وظلماً. وقد أطاعت إلكترا أمرها، لكنها لما وصلت إلى القبر تردّدت وراح ضميرها يعذّبها: كيف تقوم بهذه المهمة لصالح أمّها القاتلة لأبيها؟

هنالك نصحها الكورس ـ وهو يشاركها مشاعرها ـ بالاحتيال في هذا الأمر: بأن تصبّ الصّبات التي أمرت بها الملكة ـ أمّها قلوطمنسترا ـ بشرط أن تتلوها بدعاء، وبلعنات: أما الدعاء فلصالح أصدقاء أبيها، أما اللعنات فتوجهها ضد قاتلي أبيها؛ ثم تنشد أناشيد الحداد التي تمحو ما نشدته امّها من تخفيف عنها.

وشاهدت الكترا على القبر دليلاً على قرب مجيء من سيتولى الانتقام من أمها وخليلها: إذ شاهدت خصلة من الشعر سرعان ما فطنت إلى أنها مقصوصة من شعر رأس أخيها أورست الذي يشبه شعرها، وهذه الخصلة الموضوعة على القبر تشبه شعرها، فلا بد أن يكون أورست أخوها هو الذي وضع بنفسه أو أرسل من يضع هذه الخصلة على قبر أبيه، تكريماً للميّت. إذن لا بد أن يكون أورست في أرجوس أو قريباً منها: وتأيّد هذا الدليل بدليل آخر وهو آثار أقدام عند القبر تشبه آثار أقدام الكترا، فلا بد أن تكون آثار أقدام أخيها أورست لأنها تشبه آثار أقدامها هي. ثم ظهر شخص لا بد أنه أورست بشخصه لسببين: الأول أن في رأسه موضعاً شاغراً كان لا بد هو موضع هذه الخصلة؛ والثاني أنه يلبس معطفاً عليه تطريز كانت الكترا قد طرّزته على هذا المعطف. فتصيح قائلة: «هل حقاً أورست هو الذي يتكلم بصوتك؟» فيجيبها بالإيجاب، فتقول: أنت الهم الأثير عند مسكن أبيك، وأنت الأمل المنشود للانقاذ، فاعتمد على شجاعتك واستردّ قصر أبيك. وبالقوة وبالحق سيعينك أيضاً زيوس العظيم.

لكن أورست يتردد: لا فيما يتعلق بقتل ايجيست، فإنه فاجر حقير، ارتكب جريمة بشعة، وإنما فيما يتعلق بقتل أمّه. لكن الكورس يشجعه على أن يخطو هذه الخطوة الرهيبة، مؤكداً له أن قانون «النفس بالنفس» صارم لا يرحم: إن الدم لا يدفع ثمنه إلاّ بالدم. ثم إن الميّت سيساعد الآخذين بالثأر. ولا بد من تهيئة هذه العملية مقدّماً بتقديم التشريفات الجنائزية إلى الميت، وذلك بانشاد أناشيد التأبين والحداد، التي حرمها منه القاتلان. وبدأت الأسيرات اللواتي يكوّنّ الكورس في تقديم النموذج المشجّع لأورست ولأخته، بأن رحن يمزقن خدودهن، ويلطمن،

وينحن نواح الباكيات على الموتى. فتشجّع أورست وأخته الكترا وأجابا على الكورس، متبادلين معهن البكاء على مصير أجاممنون، ومستغيثين بالآلهة؛ واتحد الجميع في النواح على مصير هذا البيت: سلالة آل أتريوس.

وهكذا رضيت آلهة العالم السفلي، واستراحت روح أجاممنون في قبره.

لكن بقي على أورست أن يحمي غضبته لينقض على أمه. فصعد هو وأخته على رابية القبر، وراحا يضربان الأرض بأيديهم، ويُذَكّران بفظاعة الجريمة التي ارتكبت ضد أجاممنون.

وليملأ نفسه ثقة بضرورة أداء واجبه تذكّر حلم قلوطمنسترا حين رأت ـ فيما يرى النائم ـ أن أفعى تعلقت بصدرها وراحت تمتص دمها، وهذه الحيّة هي ابنها أورست. فعليه هو الآن أن يحقق هذا الحلم في الواقع. والكورس يهيج من عزمه، وينعت جريمة أمّه بأنها من نوع «جرائم لمنوس»، وهي أبشع أنواع الجرائم لأنها كانت عبارة عن قتل الزوجات لأزواجهن الرجال فوراً.

وتقنّع أورست بزيّ مسافر، وقرع باب القصر، وقال إنه كُلِّف بإبلاغ نبأ موت أورست إلى أهله. وتلقت قلوطمنسترا هذا النبأ بحزن زائف، ورحّبت بهذا المسافر وأدخلته القصر، بينما الكورس ـ وهو متواطىء مع أورست ـ يقنع المربّية بأن تدعو ايجيست للمجيء وحده بدون حُرّاس ثم تدعو كل الآلهة المهتمين بالانتقام: زيوس، وأپولون، وهرمس، وأولئك الذين يسهرون على كنوز القصر.

وهرع ايجيست إلى القصر. وسقط صريعاً لضربات سيف أورست.

وبعد ذلك بلحظات جاء خادم وأعلن مصرع ايجيست، فهرعت قلوطمنسترا وخرجت من الحريم، وإذا بها تجد نفسها وجهاً لوجه أمام ابنها. فأرادت أولاً المقاومة، وطالبت بأن يأتوها بسلاح. لكنها لما شاهدت جثة ايجيست استولى عليها الفزع، وبدلاً من المقاومة راحت تتوسل إلى ابنها وتتضرع إليه بأحرّ العبارات كي يبقى عليها بوصفها أمّه التي أرضعته على صدرها وهو نائم؛ وتهدّده في الوقت نفسه بانتقام أرواح الانتقام الموكلة بأمّه، فيقول لها: «وأرواح الانتقام الموكلة بأبي ـ أين أفرّ منها، إذا أنا تردّدت؟» ويؤكد لها أن «المصير الذي أُصيب به أبي يقضي بإعدامك». فتقول له: «إذن أنا انجبت وغذيت ثعبانا!» فيقول إن الفزع الذي أحدثه الحلم كان بمثابة عرّاف صادق أنتِ قتلت زوجك، فموتي إذن بسيف ابنك». ثم

قتل أمّه، وراح الكورس ينشد نشيد خلاص القصر.

ويبرّر أورست قتله لأمّه، ويدعو أهل أرجوس إلى الشهادة لصالحه. لكن يستولي عليه الهذيان، ويخيل إليه أنه يشاهد «كلبات الانتقام» الخاصة بأمّه وقد اهتاجت للانتقام منه، فيهرب وهو في ذهول تام.

ومن هذا التلخيص ندرك أن موضوع هذه المسرحية هو الانتقام، بل أشد أنواع الانتقام ترويعاً، وهو: انتقام الإبن من أُمّه بسبب قتلها لأبيه. وحجته هنا أقوى بكثير من حجة أمّه لما أن قتلت زوجها لأن هذه الأم إنما تذرّعت لمقتله بأنه ضحّى بابنتهما ايفجنيا في سبيل قضية عامة هي أن تسمح الإلاهة أرتميس للأسطول اليوناني بالإبحار لمحاربة طروادة التي اختطف أميرها پاريس زوجة عديله منلاس. فهل كانت هذه التضحية بالإبنة مبرراً كافياً لقتل الوالد؟! ثم إن سلوك قلوطمنسترا أثناء غيبة زوجها في تلك الحرب التي أُريد منها انقاذ شرف بلاد اليونان كان سلوكاً شائناً إلى أقصى درجة: لقد خانت زوجها الغائب في مهمة وطنية واتخذت خليلاً لها زنا بها وزنت به: إنساناً عديم الشرف والمروءة، جباناً قعد عن القيام بواجبه والمشاركة في الحملة الذاهبة إلى طروادة، وهو ايجيست. فكانت حجة أورست للإنتقام من أمّه أقوى بكثير جداً من حجة أُمّه لقتل أجاممنون الذي خانته هي خيانة تسربلها بالعار الذي لا يمحى. لهذا فإن أخته الكترا قد شاركته في هذا الانتقام، بل وشددت عليه حينما أحسّت بأنه تردّد. فقالت له وهي تحرّضه: «إن قلبي ذئبٌ متوحش جعلته أمراً صلباً لا يثنى». ولها الحق في هذا الشعور نحو أمّها: فقد عانت مُرَّ الهوان كل يوم في منزل أبيها الغائب لما أن سيطرت عليه أمها وخليلها الزاني الفاجر. فانضاف هذا العامل إلى العامل القويّ الأساس وهو أن أُمّها ـ بمساعدة خليلها ـ قد قتلت أباها.

ـ (٣) ـ

سائر شخصيات المسرحية

وقد قلنا ما فيه الكفاية فيما يتعلق ببطل المسرحية الرئيسي وهو أورست. كما ألمحنا إلى موقف أخته المسكينة الكترا: لقد كانت تأمل في مجيء أخيها للانتقام من مصرع أبيها. ولما استدلّت على مجيئه بالخصلة من شعره التي وضعها على قبر

أبيهما، وبآثار أقدامه المشابهة لآثار أقدامها؛ ثم لما صار أمامها تعرّفته من تطريز المعطف الذي كان يلبسه، لأنها هي التي قامت بهذا التطريز - فقد امتلأت فرحاً بأن ساعة الانتقام من قاتلي أبيها قد حانت. وها هي ذي تحرّض أخاها على قتل أمّها لما ان أخذ يتردّد بتأثير استعطاف أمّه وتضرعها إليه كي يصفح عنها. وقد زاد في كراهيتها لأمّها أن هذه أساءت معاملتها، وكان تصرفها مع خليلها مدعاة اهانة متواصلة تحزّ في نفس هذه الفتاة البريئة الضعيفة.

ويتلو هاتين الشخصيتين في الأهمية في مسرحيتنا هذه: الكورس. إنه مؤلف من أسيرات من طروادة جاء بهن إلى أرجوس أجاممنون لما أن عاد ظافراً من حملته على طروادة. ماذا كان يتوقع منهن أمام هذا النزاع؟ إنهن لا شك فرحن بمصرع أجاممنون، لأنه هو الذي خرّب بلدهن طروادة وفرض عليهن الأسر والذل والمهانة. فمن الطبيعي إذن أن يفرحن بمصرعه.

لكن الفرح بمصرعه لا يتناقض مع الفرح بمصرع مَنْ قتلوه: ايجيست وقلوطمنسترا. صحيح أن قلوطمنسترا عاملتهن - فيما يبدو - بالرفق، لكنها هي الأخرى عدوتهن لأنها يونانية، واليونان أذلوا أهل طروادة ودمّروا هذه المدينة التي هي وطنهن. ولهذا فلا بد لهن أن يفرحن أيضاً بمصرع قلوطمنسترا وأعيان اليونان جميعاً. لهذا نجدهن يحرضن أورست ويبررن إقدامه على قتل أمّه. فهذا الانتقام هو الآخر لا بدَّ أن يملأهن بالفرح، كما ملأهن بالفرح مصرع مدمّر بلادهن أجاممنون. ولهذا فلسنا مع مَنْ يأخذ عليهن حماستهن في تحريض أورست على قتل أُمّه؛ إن لسان حالهن يقول: ليذهب كل زعماء أعدائنا اليونانيين إلى الجحيم!

- (٤) -

بناء المسرحية

ويمكن تقسيم هذه المسرحية إلى ثلاثة أقسام متميزة:

الأول: يتم عند القبر؛

الثاني: يتم أمام القصر؛

الثالث: يتم عند الخاتمة.

وكل واحد من هذه الأقسام يُسْتَهَل ويختتم في كل مرة بنشيد ينشده الكورس، وكل واحد يقوم بذاته وينغلق على ذاته. في القسم الأول تتجلى قوة أجاممنون الميّت على نحوين: فهي أولاً تجتذب أورست إلى قبر أجاممنون، وبعد ذلك ـ وبفضل الحلم الذي رأته قلوطمنسترا، تستدعي القوة اللقاء بين أورست من ناحية، وبين الكترا والكورس من ناحية أخرى وقد كلفتهما قلوطمنسترا بوضع قرابين تكفيرية على قبر أجاممنون. وقلوطمنسترا تأمل في تهدئة روح الميّت الطالبة بالانتقام، لكنها لا تجرؤ على الذهاب بنفسها لأداء هذه الشعائر على قبر زوجها الذي قتلته، وتكلّف بهذه المهمة الدقيقة عدوّتها، أعني ابنتها المتعطشة للانتقام من أمها. وهكذا صار القبر هو مركز الجذب الموجّه لأحداث المسرحية.

وتتجلى قوة الميّت ثانياً في الرؤيا التي حلمت بها قلوطمنسترا: لقد رأت فيما يرى النائم أنها حلمت بثعبان وولدته وأرضعته، لكن هذا الثعبان لما كبر راح يلدغ ثدييها. وعرضت هذه الرؤيا على معبّري الرؤيا فلم يفلحوا في تأويلها إلاّ على أنها من آثار غضب القتيل. ولكننا سنرى في القسم الثالث من المسرحية أن أورست هو الذي سيستطيع ليس فقط تفسير هذه الرؤيا، بل وتحقيقها في الواقع. فالثعبان هو أورست نفسه الذي أنجبته أمّه قلوطمنسترا وأرضعته بثدييها، وها هو الذي سيلدغها لدغة قاتلة، أي سيقتلها انتقاماً لأبيه. وإذن فالقتيل هو الذي أوحى ـ بل أمر ـ أورست بالانتقام له من زوجته التي قتلته، ومن شأن هذا أن يزيح المسؤولية عن أورست، ويعفيه من جريمة قتل الوالدين.

ولم يكن اسخولوس أول من استخدم الرؤيا على هذا النحو، بل كانت شائعة في الأدب اليوناني قبله. إذ استعملها استاسيخور في قصيدة ملحمية، بعنوان: «الاورستيا»، بقيت لنا منها شذرات، وفي إحدى هذه الشذرات يرد ما يلي: لقد حلمت بأن ثعباناً هاجمها برأسه الدامي. وهنالك ظهر لها الملك المنحدر من سلالة فلسثينس Plisthenes ـ أي أجاممنون.

كذلك نجد عند هوميروس استخدام الأحلام. ففي ملحمة «الأوديسا» (النشيد رقم ١٩، الأبيات ٥٤٥ وما يليها» نجد رؤيا يظهر فيها نسر متردّد بصوت إنساني، يخاطب فنلوفا بهذه العبارة: «أنا زوجك، العائد إليك».

والانتقال من القسم الأول ـ وهو قسم اللقاء بين أورست وأخته الكترا ـ إلى القسم الثاني ـ وهو عملية الانتقام ـ يتم بحادثة صغيرة عَرَضية ومفاجأة هي انفتاح

باب الحريم في القصر؛ بطريقة عَرَضية غير مقصودة. ولهذه الحيلة عند اسخولوس سابقة ايضاً عند هوميروس في النشيد الثاني والعشرين من «الأوديسا»: إذ نجد انتقام أودسيوس يُفسر بغتة بواسطة باب مستور في الميجارون Megaron كان كليماخوس (تلماك) قد أهمل في إغلاقه.

وموضوع مسرحيتنا هذه قد تناوله بعد اسخولوس: سوفقليس في مسرحية «الكترا»، ويوريفيدس في مسرحية: «الفينيقيات». وقد حاول كلاهما التقليل من دور القضاء والقدر، وخفف من حِدّة الكترا وأورست.

باريس في أول مايو ١٩٩٥

عبد الرحمن بدوي


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

«حَاملاتُ القرابيِن»

شخصيّاتُ المسرحيّة

أورست: ابن أجاممنون وقلوطمنسترا

كورس من الأسيرات

الكترا: أخت أورست

عَبْد

قلوطمنسترا: أرملة أجاممنون، وخليلة إيجيست

المربية

ايجيست: ابن تؤئست، وابن عم أجاممنون وخليل قلوطمنسترا

خادم

پولاد: ابن اسطروفيوس، ملك بلاد فوقيس، وأمّه هي أنكسبيا: أخت أجاممنون.



حاملات القرابين[1]

(في أعماق الأوركسترا يوجد قصر آل أتريوس وله ثلاثة أبواب: الباب الجانبي يفتح على الحريم. ـ في الأوركسترا: رابية تحتوي على قبر أجاممنون.

ـ أورست وپولاد يدخلان معاً من الناحية اليسرى)

أورست: يا هرمس العالم السفلي، سلّط نظرتك على أبي الصريع، وكُنْ المُنْقِذ والحليف الذي أتوجه إليه بالدعاء. إني عائد إلى هذه البلاد، قادماً من المنفى[2]...

(يصعد على الرابية)

على رابية هذا القبر أنا أهيب بأبي أن يعيرني سَمْعه وأن يسمع...

(يقصّ خصلة من شعره ويضعها على القبر)

قَدّمت إلى أناخوس[3] خصلة من شعري لأنه غَذّاني في شبابي: وأنا أقدّم خصلة أخرى قرباناً في الحِداد...

---

(١) بعد وقت قصير من ابتداء تمثيل المسرحية، يحمل الكورس القرابين (المرشّات) إلى قبر أجاممنون، ومن هنا جاء اسم المسرحية: «حاملات القرابين».

(٢) ليس لدينا غير مخطوط واحد لمسرحية «حاملات القرابين»، وهو مخطوط مدتشي (في فيرنتسه). وفي أوله خرم قبل: «ماذا أرى...». ومن هذا الخرم بقيت أربع شذرات: الأولى والثانية منها موجودة في مسرحية «الضفادع» (١٢٦ وما يليها) لأرسطوفانس، والثالثة والرابعة أوردها النحاة اليونانيون.

(٣) اسم نهر في إقليم آرجوس، واسم إله هذا النهر.

يا أبتاه! لم أكن موجوداً هناك لأبكي على موتك؛ ولم أبسط ذراعي في الساعة التي غادرت فيها الجثة البيت. . .

ماذا أرى؟ أيّ موكب من النساء يسير هكذا وهن مرتديات خُمُراً جنائزية؟ أية مصيبة عليّ أن أفترض وقوعها؟ هل جاء ألَمٌ جديد ليضرب هذا القصر؟ أم هل الأحرى بي هو أن أتصوّر أن هؤلاء النسوة يحملن إلى أبي القرابين (الرشّات) التي تهدّىء الموتى؟ نعم، الأمر هكذا، فها هي ذي إلكترا ـ فيما أظن ـ تتقدم، إلكترا أختي التي يكشف عنها ألَمَها المرّ. آه! أيّ زيوس، هبني القدرة على الانتقام لأبي، وكُنْ لي معيناً صريحاً. ـ لكن، يا پولاد، لنتوقفنّ في ناحية، حتى أعرف بالدقة ماذا تريد هؤلاء النسوة السائرات في موكب رهيب مستجيرات.

(يستتر بالقرب من المدخل الأيسر هو وپولاد. الكورس يدخل بصحبة إلكترا)

الكورس: صدر الأمر لي بالخروج من القصر لمصاحبة القرابين الجنائزية بتصفيق بالأذرع سريع. انظروا: على خدّي ذي القطوع الدامية رسم الأظفُر شقوقاً حديثة ـ لأن قلبي يتغذى كلّ يوم بالزفرات ـ وألَمي ـ وهو يجعل تيل الأقمشة يصيح ـ قد مَزّق الخُمُر التي تكسو صدري: لقد هرب مِنّي السرور إلى الأبد تحت وطأة المصائب التي أصابتني.

بلهجة واضحة جداً ترتعد منها الفرائص ـ تكلم المتنبىء، في هذا المسكن، بصوت الأحلام، داعياً إلى الانتقام، إبان النوم في وسط الليل، في داخل القصر، معلناً عن وحيه بصرخة مروّعة، وانقض تقتيلاً على غرف النساء. فقام رجال ـ صوتهم تضمنه الآلهة ـ بتفسير هذه الأحلام فأعلنوا أنه تحت الأرض الموتى يشكون مرّ الشكوى ويثورون ضد قاتليهم.

ومن أجل رغبتها الحارة في أن يصرف «هذا التكريم» ـ أو بالأحرى: هذه الإهانة! ـ الشقاء عنها ـ آه! أيتها «الأرض» الأمُ! ـ فإن هذه المرأة الفاسقة قد أرسلتني. لكني أخشى صدور هذه الكلمات: هل توجد فدية عن الدم المسفوح على الأرض؟ آه! مسكنٌ حافل بالمصائب! قصر مخرّب! إن البيوت التي هلك

(١) «المتنبىء» هنا هو ضمير قلوطمنسترا المليء بالقلق والجزع. والصرخة التي أطلقها هذا الضمير في الليل، على لسان قلوطمنسترا، هو «وحي» من الميت ضرب القصر بنداء الانتقام.

أهلها مغلقة دون الشمس، وبغيضة عند الأحياء، والظلام يغمرها.

إن الاحترام القديم، الذي لا يُقهر، ولا يُدَمَّر، ولا يجادل فيه، والذي نفذ في القلوب كما نفذ في أسماع الشعب، ـ إن هذا الاحترام قد زال الآن: وساد الخوف وحده. النجاح: هذا هو ما يتخذه بنو الانسان الفانون إلهاً لهم، بل أكبر من إله. لكن «العدالة» الساهرة تصيب البعض بسرعة في رائعة نهارهم؛ وبالنسبة إلى البعض الثاني يشاهد أن الساعة الفاصلة للظلام هي التي تدّخر لهم الآلام في وقت متأخر؛ وبالنسبة إلى البعض الثالث والأخير الليل لا يقدّم العقاب[1].

لكن، متى ما شربت الأرض القطرات المسفوحة عليها، فإن الدم المطالب بالانتقام يجمد ولا يسيل بعد، والخراب القاسي هو الفدية عن الإمهال ويستطيع أن يجلب الكثير من الشرور.

مَنْ ثقب غرفة عذراء لا يجد علاجاً للشر الذي ارتكبه؛ ولتطهير إنسان يداه ملطختان بالدماء لا تكفي كل الأنهار معاً، وإن مزجت كل مجاريها، كي تغسل نجاسته.

وبالنسبة إليّ أنا، أنا الذي غمرته الآلهة في مصائب مدينتي وأدت به إلى العبودية بعيداً عن منزل أبي ـ ينبغي عليّ أن أذعن لأوامر الأقوياء وأن أكظم كراهيتي المرّة، على الرغم منّي، سواء أكانت هذه الأوامر عادلة أم ظالمة. وتحت نقابي أنا أبكي من ضربات المصير العمياء التي أصابت سادتي، وقلبي متجمد من الحِداد الذي أخفيه.

---

(١) هذه العبارة قد تثير اللبس. ولهذا فإن پول مازون Paul Mazon يفسّرها كما يلي: «ينبغي عدم إساءة فهم هذه المجازات، وينبغي ربطها بالعبارات التالية لها. فليس المقصود من «الليل»: الموت، ولا يريد اسخولوس أن يقول إن كثيراً من المجرمين يموتون قبل أن ينالوا العقاب. بل على العكس من هذا هو يقرّ أنه في هذه الحياة نفسها فإن كل قاتل سينال عقابه. ومحصل المراد هنا هو: «إن من يحكمون الآن في آرجوس مجرمون؛ والناس يذعنون لهم خوفاً منهم، وليس عن احترام لهم كما كانت الحال في أيام أجاممنون. بيد أن المجرمين قد ينسون الإله، ولا يرون إلاّ النجاح: غير أن «العدالة» ساهرة وتستطيع دائماً أن تنتقم منهم. إن بعض المجرمين يصيبهم العقاب في الحال؛ والبعض الثاني يمهلون؛ والبعض الثالث، الذين قد يظنون ان جرائمهم قد نسيت تماماً، بيد أنهم لن يفلتوا أبداً من العقاب الذي ينادي به الدم المسفوح على الأرض، وسيكون هذا العقاب أشدّ هولاً بقدر ما أمهل طويلاً في وقوعه.

(صمت. إلكترا توقفت أمام القبر؛ ويبدو عليها التردد؛ ثم تتوجه نحو الكورس).

إلكترا: أيتها الأسيرات! يا من بواسطتكن يسود النظام في هذا القصر، لما كنتن صواحبي في هذا الموكب الجنائزي المستجير، فكُنَّ أيضاً مستشاراتي. ماذا يقال أثناء تكرار هذه الرَّشَّات[1] الجنائزية؟ وأين نجد الكلمات المناسبة؟ وبأية عبارات ندعو أبي؟ هل أقول إني أحضرت إلى الزوج العزيز الهدايا المقدمة من زوجته التي تحبّه - هدايا أُمِّي؟

قلبي لا يقوى على النطق بهذا القول، ولا أدري ماذا أقول، وأنا أصبّ هذا القربان على قبر أبي. - اللهم إلاَّ أن أستخدم العبارات التقليدية المقرّرة، وأن أرجوه أن يمنح مَنْ يبعث إليه بهذا التكريم «مكافأة سعيدة»، مكافأة تليق بجرائمهما! أو هل أصبّ - في صمت وإهانة، ما دام أبي قد هلك على هذا النحو - أصبّ في مرة واحدة هذه الرشات على الأرض التي ستشربها ولا ترجع إليَّ - شأنها شأن شيء شعائري يرمى به بعد الاستعمال[2] - بعد رمي هذه الإجانة بعيداً دون أن أشيح بوجهي؟ أيُّ قرار إذن أتخذ؟ عاونَّني يا صديقاتي؛ ما دمنا نحن جميعاً في هذا القصر نحمل نفس الكراهية. ولا تخفين عنّي ما تشعرن به في أعماق قلوبكن: فماذا تخشين؟ نفس المصير مقدر على الإنسان - حراً كان أو عبداً، ما دام تحت سلطان سيّد. تكلّمن، من فضلكن، إن كان لديكن ما تقلنه خيراً من هذا.

رئيسة الكورس: إن قبر أبيك هو بالنسبة إليّ مذبح: فأمامه، وأنا ممتلئة بالاحترام، أقول لك ما دمت تأمرين بهذا، ما يمليه عليَّ قلبي هنا.

إلكترا: تكلمي حسبما يوحى به إليك ما يليق بالقبر من احترام.

رئيسة الكورس: صُبِّي وصلِّي بصوت مرتفع من أجل من يحب ذلك.

---

(١) هذه الرشات تكون برش الخمر، أو العسل، أو اللبن، أو الزيت. ويقوم الداعي بالدعاء وهو واقف، ورأسه مكشوف، ويداه مرفوعتان إلى السماء حينما يكون الدعاء موجهاً إلى آلهة السماء، ومخفوضتان حين يكون الدعاء موجهاً إلى آلهة العالم السفلي.

(٢) كل الأشياء التي تستعمل في مراسم التطهير الديني تعد حاملة للنجاسات التي قامت بالتطهير منها، ولهذا تكون نجسة، ويجب إذن التخلص منها بعد إجراء هذه المراسم: إن بإحراقها، أو دفنها في التراب، أو بأن يلقيها المرء وراء ظهره دون أن يشيح بعينيه.

الكترا: ومَنْ مِنْ بين أهله أستطيع هنا أن أذكر؟

رئيسة الكورس: أنت نفسك أولاً، وبعد ذلك مَنْ يكره إيجيست.

الكترا: إذن سأصلّي من أجلك أنت ومن أجل نفسي؟

رئيسة الكورس: فَكّري: وعليك أن تسمعي فكرتي.

الكترا: ومَنْ أستطيع أن أضمّه إلينا هنا؟

رئيسة الكورس: تذكّري أورست، وإن يكن منفياً.

إلكترا: آه! أحسنت! هذه المرة أنت فتحت عينيّ.

رئيسة الكورس: الآن، تذكّري، وضد الجناة...

إلكترا: ماذا ينبغي عليّ أن أطلب؟ خبريني فأنا جاهزة.

رئيسة الكورس: اطلبي أن يظهر أخيراً إله أو إنسان فانٍ...

الكترا: وماذا أضيف؟ قاضٍ أو منتقم؟

رئيسة الكورس: آه! قولي دون لف ودوران: قاتل مثلهما.

الكترا: ألا تكون هذه الأُمنية أُمنية فاسقة، في نظر الآلهة؟

رئيسة الكورس: إن من التقوى مجازاة الجريمة بالجريمة.

(إلكترا تأخذ الكأس التي تقدمها إليها إحدى الأسيرات، ويُصَبّ منها الماء الشعائري وتبدأ هي في صب الرشات على القبر)

إلكترا: يا هرمس العالم السفلي، يا رسول الأحياء، والأموات القديم، استمع إليّ، وكَلّف نفسك بتبليغ رسالتي، وليت آلهة العالم السفلي، وهم شهود منتقمون لقتل أبي، يعيرون أسماعهم إلى صوتي وكذلك «الأرض» التي تلد وحدها كل الكائنات وتغذّيهم، ثم تتلقى منهم البذرة الخصبة من جديد ـ بينما أنا أُوجّه هذا النداء إلى أبي وأنا أصبّ هذا الماء الشعائري، وأقول:

«ارحمني أنا وأورست ابنك، ولنصبح سادة في بيتنا! في هذه الساعة نحن شريران، باعتنا تلك التي أنجبتنا، وفي مقابل ذلك اتخذت عاشقاً هو إيجيست، شريكها في الجريمة وقاتلك. أما أنا فأعامل معاملة العبيد. أما أورست فقد نُفِي وجُرّد من أمواله، بينما هما يتباهيان بالانتصار، بوقاحة، محوطين بالفخفخة التي حصّلتها أنت بتعبك. ألا ليت الحظ السعيد يعيد إلينا هنا أورست! ذلك هو

دعائي، يا أبي، فاستمع إليه؛ وامنح ابنتك قلباً أعفّ من قلب أُمّها، وأيدياً أطهر من أيديها. تلك هي تمنياتي لنا. أما لأعدائي فليظهر مَنْ ينتقم لك، يا أبي، وليُقْتل القاتلان هما بدورهما: سيكون هذا عين العدل! وأنا أتوكل على من تعهدوا بالانتقام. ولتكن لعنة الموت على المذنبين وحدهم. وأرسل إلينا السرور من أعماق الظلام، بعون الآلهة، و«الأرض»، و«العدالة» الظافرة.

الكورس: ارفعن أصواتكن بالنواح الصاخب، نواح الموت اللائق بالمولى الميّت، أمام هذا الاستحكام[1]، بين الألم والسرور! إن قدرة النواح على الكفارة ستقضي على تأثير الرشات البغيضة التي صُبَّت منذ قليل وأنت، يا صاحب الجلالة، اسمع، أيها السيّد، نداء قلبي الحزين! أواه، أواه! وا أسفاه!

آه! أيّ محرّر سيأتي إذن إلى هذا البيت، محاربٌ قويٌّ، ممتشقاً السلاح الاشقوتي الذي تلويه الأيدي في المعركة، والسيف الذي حَدُّه ومقبضه شيء واحد، للقتال عن قُرْب؟

إلكترا: الأرض شربت رشّاتنا، وأبي تلقاها. لكن شاركنني الآن في دهشتي.

رئيسة الكورس: آه! تكلمي إذن؛ قلبي ينبض بالخوف.

إلكترا: إني أرى على هذا القبر هذه الخصلة من الشعر المقصوص.

رئيسة الكورس: أهي لرجل أو لعذراء عميقة النطاق؟

إلكترا: من السهل حَزَرُ هذا.

رئيسة الكورس: على الأكثر شباباً أن يخبرن من هن أكبر منهن.

إلكترا: ألا يمكن أن يكون شخص غيري هو الذي قدّمها؟

رئيسة الكورس: ليس إلاّ الكراهية عند أولئك الذين قدموا هذا القربان.

الكترا: نعم، نعم، من حيث اللون هذه الخصلة تشبه . . .

رئيسة الكورس: شَعر مَنْ؟ هذا هو ما أُريد أن أعرفه.

الكترا: شعري أنا: إن لونها يذكّر بلون شعري أنا!

رئيسة الكورس: أيكون هذا إذن قرباناً سرّياً قدمه أورست؟

---

(١) يبدو أن المقصود به هو: القبر.

الكترا: نعم! هذا الشعر يشبه شعر أورست.

رئيسة الكورس: وكيف تجاسر على المجيء إلى القبر؟

الكترا: من الممكن أن يكون قد أرسل هذا الشعر ليقدم قرباناً.

رئيسة الكورس: آه! ماذا قلت؟ إن الدموع تتدفق من عينيّ، إذا كان مفروضاً عليه ألا تطأ قدمه بعدُ هذه الأرض.

الكترا: وأنا أيضاً: سيل من المرارة الصفراء يصدم قلبي، كما لو كان ضربة في صدري؛ ومن عيني تنهمر الدموع الحارّة كأنها فيض من العاصفة الجامحة، لدى رؤية هذه الخصلة. هل أستطيع أن أُصدّق حقاً أن هذا الشعر هو شعر شخص أرجوسي آخر؟

كذلك لا يمكن أن تكون القاتلة - أُمّي - هي التي قَصّتها، وهي وإن كانت أُمّي فإنها فاسقة، بسبب ما تحمله من مشاعر نحو أولادها: ومن ناحية أخرى، فإن قبول هذه الفكرة دون تحفّظ، فكرة أن هذا القربان قد وصل إلى هنا مرسلاً من أعزّ بني الإنسان... على الرغم من كل شيء، فإن الأمل يداعبني في أن يكون الأمر كذلك. ليت هذه الخصلة تكون الصوت العذب لرسول، حتى لا أترجّح بين فكرتين فأستطيع عن ثقة أن أرفضها بفزع إن كانت مقصوصة من جبين عدوّ، أو إن كانت جاءت من أخي فأضمّها حينئذ إلى حِدادي من أجل تزيين هذا القبر وتكريم أبي! لكن الآلهة الذين ندعوهم يعلمون ما هي العواصف التي تعصف بنا في دوّامتها كأننا بحّارة في محنة، فإن أرادت الآلهة أن نفلت من الحزن، فيمكن أن تصدر عن أقل بذرة شجرة النجاة الباسقة! (تعيد وضع الخصلة على القبر بعناية، وقد لاحظت وهي تنحني آثار أقدام). لكن ثمّ علامة ثانية: آثار أقدام! تشبه آثار أقدامي أنا! نعم، هذه الآثار تكشف عن شخصين: هو قطعاً وصاحب يصحبه! الكعب، محيط عضلات القدم، إذا ما قورنت، تبين أنها تشبه آثاري أنا. القلق يستبد بي، وعقلي ينهار.

(أورست يتقدّم. پولاد يبقى خلفه ببضع خطوات)

أورست: اطلبي من السماء أن تحتفظي دائماً بحظّ التعبير عن تمنيات تتحقق.

الكترا: أيُّ فضل وهبتني السماء؟

أورست: ها أنت ذي أمام أولئك الذين التمستهم تمنياتك.

الكترا: من هو إذن الشخص الذي نشدته نفسي؟

أورست: إنه أورست ـ أنا أعلم هذا ـ هو الذي نشدته تمنياتك الحارّة.

الكترا: فيمن تحققت إذن تمنياتي؟

أورست: فيَّ أنا: لا تبحثي عن إنسان أعزّ مني.

إلكترا: أيها الغريب، هل تدبّر مكيدة ضدي؟

أورست: سأكون حينئذ صانع هذه المكيدة ضد نفسي أنا!

إلكترا: لا شك في أنك تريد أن تسخر من مصائبي؟

أورست: ومن مصائبي أنا الآخر، إن كنت سخرتُ من مصائبك أنت.

إلكترا: أهو حقاً أورست هو الذي يتكلم بصوتك؟

أورست: أنت إذن حينما ترينني فإنك ترفضين أن تتعرّفيني، ومنذ قليل لما أن شاهدتِ خصلة الشعر المقصوصة رمزاً للحداد، فإن قلبك استطار من الفرح، واعتقدتِ حينئذ أنك ترينني ـ وكذلك حين فحصتِ آثار أقدامي.. تأمّلي: اقتربي من المكان الذي فيه قُصَّت هذه الخصلة المأخوذة من شعر أخيك والشبيهة جداً بشعرك انت. وانظري إلى هذا القماش الذي نسجته يداك؛ وتأمّلي صُوَر الصيد التي رسمتها في الماضي ضربات المضرب[1].

(إلكترا تلقي بنفسها بين ذراعيه. وهو يكتم الصرخة التي ستنطلق منها).

اضبطي نفسك؛ لا تدعي السرور يُضِلّك، لأنني أعلم أن من ينبغي عليه أن يحبنا هو الذي يكرهنا هنا.

إلكترا: أوه، أيها الهمّ العزيز لبيت أبيك، أيها الأمل المبكى عليه لفرع مُنْقِذ، هيّا، أهِب بشجاعتك وستسترد قصر أبينا. أيها الكائن الحلو، الذي يحتفظ بأربعة أجزاءٍ مِنْ حناني! إن المصير يريد أن أُحيّي فيك أبي، وإني أخصُّك أنت بالحب الذي أَدين به لأمّي ـ أُمّي التي أكرهها بكل نفسي، ولأختي التي ضُحّيَ بها

---

(١) في نول النسيج المضرب يحمل المشط، والمشط هو الذي يتولى العمل في الواقع، لكن اسخولوس ينسب العمل الى المضرب. لكن لما كان المضرب بحركته المنتظمة هو الذي يضم الخيوط بعضها إلى بعض فإنه يمكن أن يعدّ هو الجزء الرئيسي في النول، إذ هو الذي ينسج ويرسم في نفس الوقت.

دون شفقة. وهأنذا أجد فيك الأخ المخلص الذي سيعيد إليَّ احترام بني الإنسان! ألا ليت زيوس العظيم جداً، بالقوة وبالحق، يهبني عونه!

أورست: يا زيوس، يا زيوس! تعالَ تأمّل بؤسنا. انظر: إن صغار النسر فقدت أباها؛ لقد مات في تلافيف وعُقَد أفعى خسيسة، والجوع المهلك يضغط على أيتامها، لأنهم ليسوا في السنّ التي تمكنهم من أن يجلبوا إلى العُش صيد الوالد. نفس المصير هو مصيرنا كلينا: أنا وإلكترا. فينا تستطيع أن تشاهد أولاداً بغير أب، وكلاهما مطرود من بيتهما. فإن تركت صغار هذا الأب يموتون، هذا الأب الذي كان في الماضي كاهناً لك وأفاض في إقامة الصلوات لك، فأين ستجد إذن يداً فسيحة كهذه تقدم إليك المآدب الحافلة؟ وإذا تركت جنس النسور يجهلك، فلن تستطيع أن تبعث إلى الأرض شارات تتلقاها بإيمان، واذا تركت هذه السلالة الملكية تجفُّ حتى الجذور، فمن ذا الذي سيخدم مذابحك في أيام المجازر؟ احفظنا: إن بيتنا واطىء، وفي وسعك أن تسمو به، مهما كان آيلاً للسقوط اليوم.

رئيسة الكورس: اسكتوا أيها الأولاد الذين تستمتعون ببيت الوالد! خافوا أن يسمعكما أحد، يا أولاد، ولا تكشفوا كل شيء بشأننا لمجرد اللذة في الكلام: يا ليتني أراهم يحترقون في حريقة مشتعلة يعطر منها الصمغ.

أورست: كلا، لن يخونني وحيُ لوكسياس القدير الذي أمرني باجتياز هذا الخطر ورفع صوته المُلحّ وأنذرني بآلام يجمد منها دم قلبي إن أنا لم أطارد قتلة أبي بنفس الطريقة التي اتخذها، ولم أطع أمره: أقتل مَنْ قَتَل، مستبعداً الآلام التي لا تحرم إلاَّ من النقود. وإلاَّ فإنني سأدفع ثمن حياتي أنا وسط آلام شديدة عديدة. لقد كشف لبني الإنسان ما سيقوم به العالم السفلي المغتاظ من ألوان الانتقام، وعرّفنا تلك الأمراض المخيفة التي تهاجم الأجساد، وأنواع البرص ذوات الأنياب الحادة التي ستلتهم ما كان بالأمس جسماً سليماً، بينما شعره الأبيض ينمو على هذه الجروح. ثم إن صوته يعلن لنا عن هجمات آلهات الانتقام التي أثارها قتل أب، ورؤى الخوف التي تأتي في الليل لتواجه النبأ يجيل في الظلام عيناً من نار[1]. إن السلاح المظلم في العالم السفلي، حينما يدعوه موتى من أقاربه ـ الفزع، الهذيان، الخوف الناجم عن الليالي ـ هذا السلاح يهزّ الإنسان ويشيع فيه

(١) في النص هنا خرم، ولهذا فإن المعنى ليس مؤكداً.

الاضطراب إلى درجة أن يطرده من المدينة، ولحمه قد أهين وتحطم تحت هذا المنخاس البرونزي[1]. بالنسبة إلى هذا، لا تصيب له في الفوهات، وفي أمواج الرشّات: إن الغضبة غير المرئية للأب تبعده عن المذابح؛ ولا يستطيع أحدٌ أن يستقبله ولا أن يشركه في المأوى؛ إنه منبوذ من الجميع، وليس له صديق، وفي النهاية يسقط صريعاً لموت يقضي عليه قضاءً تاماً، بعد أن يكون قد جفّ جفافاً لا يرحم. فهل يمكن عصيان مثل هذه الأنواع من الوحي؟ كلا، ولا بد للعمل من أن يُنْجَز، حتى لو لم يكن ثم عصيان. إن كثيراً من الرغبات في نفسي متفقة في هذا الأمر: فإلى جانب أوامر الإله، فإن الحداد العميق على أبي ناهيك عن الحرمان الذي يرهقني - فإن هناك خصوصاً الرغبة في عدم ترك مواطنيّ، الذين انتصروا على طروادة بنفوسهم القوية - تركهم عبيداً لامرأتين، لأن قلبه هو قلب امرأة: وإذا كان هو لا يعلم ذلك فسيعلمه عما قليل.

(الجميع يتوجهون نحو القبر)

رئيسة الكورس: يا آلهات الانتقام القديرة، ليتمَّ - بحق زيوس - كل شيء في الاتجاه الذي يتوجه إليه «الحقُّ» اليوم.

«ليكن الرد على كل كلمة كراهية بكلمة كراهية» - هذا هو ما تنادي به «العدالة» بصوت عالٍ مطالبة كل واحد بأداء ما عليه.

«ولتعاقب كل ضربة قاتلة بضربة مثلها قاتلة: وعلى الجاني يقع العقاب» - هذا مَثَلٌ عريق في القِدَم.

أورست: يا ابتاه، يا أبي المسكين! بأيّ كلمات، وبأي قرابين أستطيع أن أصل إليك حتى المرقد الذي ترقد فيه؟ إن الظلام والنور يقدّمان حظوظاً متساوية أما نصيبنا نحن فهو النواح بوصفه التكريم الوحيد المقبول، النواح الذي يطلقه آل أتريوس الواقفين أمام أبواب قصرهم المغلق[2].

---

(١) هذا الخوف الجنوني الذي يطرد من وطنه المنتقم غير المخلص لواجبه يشبه هنا بمنخاس مثل ذلك الذي يشاهد في أيدي «المحسنات في المآسي» (استوبيوس ١١٧ : ٩) وصورته قد عبر عنها منذ قليل في صورة «السلاح المظلم في العالم السفلي». وهذا «المنخاس» هو من البرونز، لأن للبرونز قيمة دينية خاصة، ويلوح أنه كان مكرّساً خصوصاً لآلهة العالم السفلي.

(٢) إن مصير آل أتريوس الباقين أحياء يستحق هو الآخر نشيد رثاء مثلما استحق مصير آل أتريوس الموتى.

الكورس: أيها الابن، إن السنّ المتوحشة للنار لا تقرع روح الميت؛ ذات يوم لا بد أنه سيكشف عن غضبه. ابكوا على الضحية، وليظهر المنتقم لها بسرعة. حين يتعلق الأمر بأب، يدين له الابن بحياته، فإن نواح الأقارب يطارده مطاردة واسعة مبكرة لا تقاوم.

إلكترا: اسمع، يا أبي، نواحي الأليم. إن وَلَدَيْك ينشدان على قبرك رثاء الموتى. إن قبراً هو الذي يستقبلنا وحده اليوم، ونحن مستجيران ومنفيان. أين نجد السلوى في هذا؟ وأيّ نصيب لنا غير الآلام؟ وهل يمكن التغلُّب على «الشقاء»؟

رئيسة الكورس: لكن أحد الآلهة يستطيع ـ إن شاء ـ أن يولّد ذات يوم من هذه المحنة أصواتاً مسرورة. وبدلاً من إنشاد رثاء على قبر يمكن المديح أن يعيد إلى قصر ملوكنا الفرحة الناجمة عن شراب من الخمر الحديث[1].

أورست: آه! ألا ليتك يا أبي كنت قد سقطت صريعاً تحت أسوار إليون (طروادة)، ممزقاً برمح لوقياني! إذن لكنت قد تركت في مسكنك اسماً مجيداً، وصنعت لأولادك حياة تجتذب اليهم كل الأنظار في طريقهم، ولَكُنْتَ قد رقدت في بلاد ما وراء البحار، تحت رابية هائلة، تستوجب من أهل بيتك دموعاً أقل.

الكورس: وهناك تحت التراب، ومحبوباً ممن أحبُّوه، وهم أولئك الذين ماتوا ميتة مجلّلة بالمجد، كان سيحكم بينهم، أميراً محاطاً باحترام مقدّس، ووزيراً لسادة العالم السفلي الأقوياء ـ لأنه كان مَلِكاً لما كان حيّاً؛ وكان من أولئك الذين وُكّل إليهم قرار المصير سلطان السلاح وصولجان المجالس!

الكترا: أو: بدلاً من أن تسقط، يا أبي، أمام أسوار طروادة وسط سائر المحاربين الذين سقطوا تحت الرماح، ووجدوا لهم قبوراً على شاطىء نهر اسكاماندر ـ أو كان قاتلوك هم الذين هلكوا على هذا النحو حتى لا يُبَلَّغ هنا إلاّ نبأ المصير الذي أصابهم من بعيد، دون الشعور بكل هذه المخاوف.

رئيسة الكورس أيها الولد، أنت تريد أكثر من الذهب، وأكثر من السعادة العظمى التي هي نصيب الهوپپوريين[2]: فليكن!

---

(١) رئيس الكورس يستدعي هنا صورة الرشات المقدمة للشكر، مصحوبة بنشيد المديح، تلك الرشات التي سينشرها أورست حين ينتصر.

(٢) شعب خرافي يعدّ نموذجاً للسعادة الكاملة.

لكن ألا تسمع صوت سوطٍ مزدوج[١]. إن مدافعين يرقدون تحت التراب، وسادة أيديهم ملطخة بالدماء: إذا كان الحظ قاسياً عليه، فإنه على أولاده أشدّ قسوة.

أورست: هذه الكلمة، مثلها مَثَل السهم، تنفذ مباشرة في أُذني. أي زيوس، يا مَنْ تخرج ـ عاجلاً أو آجلاً ـ من العالم السفلي «الشقاء» لكل إنسان كانت يده مجرمة غادرة... حتى الأم لا بد لها أن تدفع الثمن!

الكورس: آه! هل أستطيع إذن أخيراً أن أتفوه، ملء صوتي، بالصراخ المقدس[٢] على الرجل المقتول. وعلى المرأة المذبوحة! لماذا أُخفي فكرتي، وهي تطير من تلقاء نفسها من داخل نفسي، وأمام وجهي يهب ـ كريح عاتية ـ غضب قلبي وكراهيته المليئة بالأحقاد[٣] ؟

الكترا: لكن متى يضرب زيوس القدير إذن ضربته؟ آه! إن الرؤوس التي سيطيح بها ستعيد الثقة إلى هذا البلد! إني أُطالب بالعدالة ضد الظلم: فأصغي إليَّ أيتها الأرض ويا قُوى العالم السفلي!

رئيسة الكورس: لا، لا، إنه لقانون أن القطرات الدموية، متى ما أُريقت على الأرض، فإنها تطالب بدم جديد. إن القتل يستدعي إلاهة الانتقام كي تجعل الشقاء يتلو الشقاء، وهذا باسم الضحايا الأُولى.

أورست: وا أسفاه! وا أسفاه! يا سادة العالم السفلي، يا لعنات الموتى القديرات، انظروا ماذا بقي من آل أتريوس، وفي أي بؤس هائل وأي منفى مهين هم! إلى مَنْ نتوجه إذن، يا زيوس؟

الكورس: قلبي يتواثب من جديد، حينما أسمع أمثال هذه الشكاوى. هنالك أفقد كل أملٍ، ونفسي لدى كل كلمة ينتابها الغمّ. بيد أن نبرات رجولية تصرف عني الحزن، ويبدو لي كل شيء حينئذ مملوءاً بالأمل[٣].

---

(١) «السوط المزدوج» هو نداء الواقع الصارخ: ذلك أن إلكترا تتمنى لو كان أبوها لم يمُت، مع أنه الآن «تحت التراب»؛ وعلى العكس أخوها أورست يتمنى لو كان أبوه، قد مات ميتة مجيدة في القتال حول طروادة بينما هو قد قتل الآن وقتلته لا يزالون يسيطرون على قصره. أفليس عار ولديه أشدّ قسوة من موته؟!

(٢) معنى هذا الموضع ليس مؤكداً تماماً.

(٣) النص اليوناني في هذا الموضع شديد التحريف؛ ولهذا فإن المعنى غير وثيق.

إلكترا: بأية كلمات أنطق؛ هل أقول إن هذه الآلام مصدرها أُمّنا؟ يمكن محاولة تهدئتها، لكن لا مهدّىء لها. أُمّي صنعت من قلبي ذئباً آكلاً للحوم ولا يستطيع شيء أن يهدّئه أبداً.

(صمت. ثم فجأة ينطلق الكورس في النواح ويلطمن صدورهن).

الكورس: وأما أنا فسأضرب صدري على إيقاع الرثاء الآري. انظروا إذن: بحسب شعائر الباكيات الكيسيين، يدي الشاردة تتواثب دون انقطاع؛ وتتزايد ضرباتها، ضاربة من أعلى ومن بعيد، وتحت ضرباتها تجعل جبهتي المحطمة تنوح.

إلكترا: آه! يا أُمّي القاسية الحمقاء، لقد تجاسرتِ - ويا لها من جنازة رهيبة! - أن تدفني، في صمت - ملكاً بدون مشاركة مدينته في الحداد، وزوجاً بدون ذرف دموع وفيّة عليه!

أورست: أنت تذكريننا بكل مخازي الماضي. لكن هذا المصير المخزي الذي هيأته لأبي - إنها ستدفع ثمنه، بعون الآلهة وبواسطة ذراعي. فلأقتلها - ولأمُت!

الكورس: إن شئت أن تعلم كل شيء فأعلم أنها مثلت[1] به، وبدفنها وهو على هذه الحال فإنها أرادت أن تسربل حياتك أنت بالعار، لقد عاملت أباك بهذه المعاملة المليئة بالاهانة والعار.

إلكترا: أنتِ تتكلمين عن مصير أبي، أما أنا فقد نحّوني جانباً، مُهانةً منبوذة؛ وأغلقوا عليّ مسكني، كما لو كنت كلباً مسعوراً؛ وتطايرت منّي الدموع، فاختبأت لإطلاق الزفرات والعبرات بدون انقطاع. (مخاطبة أورست): اسمع وسجّل في قلبك.

الكورس: سَجِّل؛ ومِنْ أُذنيك أنزل رأيي حتى الأعماق الصامتة لفكرك. ذلك هو الماضي! أما ما ينبغي أن تفعله الآن، فعلى غضبك أن يُخبرك به! مَنْ ينزل

---

(١) كانت العادة هي أن القاتل يقطع أطراف جثة القتيل، ويربط هذه الأطراف في عنقه بحبل وتحت ابطيه. وبهذا يؤمن نفسه ضد انتقام أهل القتيل. ومن العقائد المنتشرة عند كثير من الشعوب أنه ليس للقاتل أن يخشى شيئاً من ضحيته لو أنه مثل بها على نحوٍ يجعل الحيّ غير قادر على الإيذاء!

لساحة المعركة خليق به أن يغضب غضبة هائلة.

أورست: يا أبتاه، إني أُناديك أنت: كُنْ في عون أبنائك.

الكترا: وأنا أيضاً أُناديك وأنا غارقة في الدموع.

الكورس: وأصواتنا تردد هنا أصواتهم. استمع إلينا: تعالَ إلى النور، وأعِزْنا عونك ضد أعدائنا.

أورست: ستناضل «القوة» ضد «القوة»، و«الحق» ضد «الحق».

الكترا: أيتها الآلهة! تنطق عدالتكم وفقاً للعدالة!

الكورس: إني أشعر من هذه الدعوات، أن «المصير» قد تأخّر طويلاً: ويمكن أن يظهر تحت تأثير أدعيتنا.

آه! كم تمكّن البؤس من هذه السلالة العتيقة! إنها لضربة من «الشقاء» دامية محزنة! واحسرتاه! يا له من جزع نائح لا يُحْتَمل! واحسرتاه! آلام لا نهاية لها!

لكن العلاج لهذه الأسقام هذا القصر يحتوي عليه. فليس خارجه بل منه سيستخرجه لقاء نزاع وحشي دامٍ. وهذا هو النشيد الذي تريده آلهة العالم السفلي!

رئيسة الكورس: هيّا، أيتها الآلهة الذين تحكمون تحت الأرض، اسمعوا اللعنة، وبرحمتكم ابعثوا إلي هذين الولدين بعونكم الظافر.

(أورست وإلكترا يصعدان على الرابية المقام عليها القبر، ويركعان ويضربان الأرض بأيديهما)

أورست: يا أبتاه، يا أبتاه الذي مُتَّ ميتة غير جديرة بملك، إني أدعوك، اجعلني أحكم في بيتك.

إلكترا: هنالك ستقام المآدب المخصصة على شرفك. وإلاّ، فإنك ستُنسى، في يوم المآدب الخاصة المقدّمة في هذا البلد على المذابح التي ينطلق عليها الدخان.

إلكترا: وعلى نصيبي الكامل من الميراث، سأُقدم إليك رشّاتي بوصفي عروساً حديثة الزواج، حينما أُغادر بيت أبي. وفوق كل شيء سيكون قبرك مقدساً عندي.

أورست: أيتها الأرض، انشقّي: أبي يريد أن يسهر على المعركة.

إلكترا: يا برسفونيه! أرسلي إلينا النصر المبين.

أورست: يا أبي، تذكّر الحمّام الذي قُتِلْتَ فيه.

إلكترا: تذكّر شبكة مكائدهم الجديدة.

أورست: وتذكّر السلاسل التي قُيِّدت فيها.

إلكترا: والأقنعة الغدّارة للمؤامرة الخسيسة.

أورست: يا أبتاه، هل تستيقظ أخيراً على هذه الاهانات؟

إلكترا: هل ترفع رأسك الحبيب العزيز؟

أورست: أرسل إذن «العدالة» لتناضل إلى جانب أولادك؛ أو، بالأحرى، دعهم يستعملون نفس الغنائم، إذا كنت تريد أن تنتصر بعد أن هُزِمت في الماضي.

إلكترا: استمع يا أبي إلى دعائي الأسمى: انظر إلى صغارك وهم متعلقون بهذا القبر: ارحم ابنتك وإبنك؛ لا تمحُ من الأرض آخر البيلوپسيين Pelopsides: إنك بهم ستظل حياً وأنت ميت.

أورست: إن أبناء الرجل ينقذون اسمه من الموت، مثل الفلّين الذي يحتفظ بالشبكة، فينقذ شبكة التيل من الغوص في أعماق المياه. استمع إليَّ إذن؛ إني من أجلك أنت أنا أنوح ها هنا: إن استجبت إلى ندائي فإنك تنقذ نفسك بنفسك.

(يبتعدان عن رابية القبر)

رئيسة الكورس: صلاتك الطويلة قد أوفت بالشعائر، وعوّضت عن النسيان الذي أُرتكب، نسيان النواح على هذا القبر والآن، ما دامت إرادتك قد همت بالعمل، فهيّا إلى العمل! وحقق تجربة «المصير».

أورست: نعم! ولكن ليس من غير المناسب أن نتساءل أولاً لماذا، ولأي غرض، أرسلت هي هذه الرشّات وحاولت ـ بعد فوات الأوان ـ تسكين داءٍ لا يمكن شفاؤه. إنه تكريم هزيل وجّهته إلى الميّت الذي لا يشعر. أنا لا أقصد إلى تقدير هذه القرابين، لكن أعلم أنها تحت مستوى الخطيئة. من أجل دفع ثمن قطرة من الدم، في وُسْعك أن تَصُبّي كل أموالك مرة واحدة: لكن هذا سيكون تعباً لا طائل منه. تلك هي الحقيقة. لكنّي أرجوك، خبّريني عن حقيقة الأمر، إن كنت تعرفين.

رئيسة الكورس: أنا أعرف، يا بُنَيّة، لأنني كنت حاضرة هناك. إنها أحلام، ومخاوف أقلقت لياليها هي التي جعلتها تقفز من فراشها لترسل هذه الرشّات ـ هذه المرأة الفاسقة!

أورست: لكن الحُلم الذي حلمته هي، هل تستطيعين أن ترويه لي؟

رئيسة الكورس: إنها قالت إنها شاهدت في الحلم أنها تلد ثعباناً.

أورست: اذكري لي الخاتمة: كيف كانت خاتمة هذا الحلم؟

رئيسة الكورس: إنها لفّته في لفائف كأنه طفل وليد.

أورست: وبم كان يتغذى هذا الوحش الوليد؟

رئيسة الكورس: هي نفسها في الحُلم قدّمت إليه ثديها.

أورست: ولم يُجرح الثدي من وحش كهذا؟

رئيسة الكورس: بلى! اختلطت جلطة دم بلبنها.

أورست: من الممكن ألا يكون هذا حُلماً زائفاً!

رئيسة الكورس: لقد استيقظت وصرخت صرخة الفزع. والمشاعل التي أغلق عيونها الظلام، ظهرت في البيت في الحال على صراخ سيدة البيت (= قلوطمنسترا). وحينئذ أرسلت هذه القرابين، على أمل أن يكون فيها العلاج لمخاوفها.

أورست: إذن! أنا أرجو من «الأرض» التي تحملنا، وأرجو قبر أبي أن يدعني أحقق هذا الحلم. انظري، إنني أفسّره على النحو التالي: إذا كان هذا الثعبان، الذي خرج من نفس البطن مثلي أنا كأنه ابن، قد لُفَّ في لفائف، وألقى شفتيه حول الثدي الذي رضعت منه، ومزج باللبن الحلو للأم جلطة من الدم ـ بينما هي صرخت من الألم فزعاً ـ فلا بد، ما دامت قد أعطت ثديها للوحش الذي أفزعها ـ لا بد: من أن تعطيني أنا دَمَها، وأنا ـ الثعبان! ـ أنا الذي سأقتلها، كما تنبأ بذلك حُلمها الذي حَلَمته.

رئيسة الكورس: آه! إني أُقِرّ لك اليوم بأنك عَرّاف: فليكن هذا إذن! والآن، أَصدِر أوامرك إلى أصحابك: قُل لبعضهم ماذا يجب عليهم أن يفعلوا، وقُل للآخرين ماذا ينبغي عليهم أن يحترسوا منه.

أورست: خُطّتي بسيطة. (يشير إلى الكترا): سأرجو هذه أن تدخل القصر. أما أنتم فساندوا خُطّتي، من أجل أنه بعد أن أذبح - بالحيلة - بطلاً موقّراً، فإنهم بدورهم يسقطون فرائس ويؤخذون ويهلكون في نفس الشبكة، كما أعلن ذلك لوكسياس[١] بنفسه، وهو مولانا أپولون، الذي لم يكذب حتى الآن. وسأحضر مثل غريب، حاملاً الأمتعة الكاملة لشخص مسافر، إلى أبواب القصر ومعي پولاد هذا - وهو ضيف جديد إلى جانب الضيف القديم[٢]. وسنستخدم كلانا لغة الپارناس، بمحاكاة نبرة لهجة اقليم فوقيس. وأنا أتوقع ألا يلقانا أيُّ بوّاب بانشراح: فإن الكثير من القلق يسود في البيت. لهذا سننتظر إذن دون أن نتحرك، كيما يتساءل المارّة قائلين: «لماذا يصرف ايجيست المستجير عن بابه، ما دام هو في أرجوس ولا بد أنه أُبلِغَ بهذا؟» لكن سواء اجتزت أنا عتبة الأبواب للقائه، والعثور عليه جالساً على عرش أبي - أو يريد هو أن يتكلم معي مواجهة ويجيء هو بنفسه ويصبح أمام عينيّ - فعلى كل حالٍ فإنه قبل أن يقول: «مِنْ أيّ بلد هذا الغريب؟» فإني أكون أنا قد قتلته بأن أشمله بالسيف البرونزي المرهف، وإلاهة الانتقام، وهي شبعى بالقتل، ستشرب هذا الدم صافياً لثالث مرة[٣]. فعليك أنت إذن أن تراقب داخل القصر، حتى يسير كل شيء معاً. ولست أطلب منك إلاّ لساناً فطناً يعرف كيف يسكت أو ينطق بالكلمات المناسبة. وما تبقى أنا سأطلب منه (يشير الى القبر) أن يسهر عليه، بتأمين النصر في المعركة التي سأحضرها بسيفي.

(أورست وپولاد يخرجان من اليسار)

الكورس: لا حصر لها البلايا المفزعة والوحوش التي تغذيها الأرض، والحيوانات القاسية على الانسان التي يحتويها جوفُ البحار.

---

(١) هذا هو لقب أپولون؛ ومعناه اللغوي: «الملتوي»، لأن كلامه يصعب فهمه ومعناه ملتوٍ.

(٢) ثالث مرة يقتل فيها فرد من سلالة لايوس: المرة الأولى كانت قتل أبناء تونست. والثانية كانت قتل أجاممنون، وهذه المرة الثالثة ستكون قتل أيجيست، ويشبهه أسخولوس بالرشة الشعائرية الثالثة، التي توجّه إلى زيوس المخلّص عند نهاية مأدبة، وهي دائماً رشة بالنبيذ الخالص، ولكن في حالتنا هذه ستكون بالدم الخالص الموجه إلى آلاهة الانتقام.

(٣) يقصد أن الزواج إنما تقتله الشهوة المسيطرة على المرأة، وهي شهوة عارمة تستبد بالمرأة مثلما تستبد بإناث الحيوان.

بين الأرض والسماء تنبثق شهب من نار. وكل ما يطير أو يمشي يستطيع أن يتحدث عن غضبة الرياح العاتية.

لكن مَنْ ذا الذي يستطيع أن يصف الجرأة التي لا حدّ لها الصادرة عن المخلوقات الإنسانية، والغراميات الفاجرة للنسوة ذوات القلوب العاهرة؟ الزواج تتغلب عليه الشهوة التي لا كابح لها والتي تسيطر على المرأة، سواء عند بني الإنسان وعند الحيوان.

على أولئك الذين لم تطرِ من ذاكرتهم الحكايات التي تعلموها ـ عليهم أن يتذكروا النار الغدارة التي قتلت ابنا وتجرّأت في الماضي على اشعال بنت ثستيوس[1] مستهلكة في النار الزناد الناري. هذا الرفيق الذي أعطى لأبنها عند أول صرخة صرخها لما خرج من بطن أمه، والذي كان يقيس مروره خلال عمره حتى اليوم الذي حدّده القدر.

والحكايات القديمة تردّدت ايضاً باستولا الدموية التي ذبحت أباها لأعدائه، وأغرتها أساور ذهبية كريتية، كانت هدايا من مينوس Minos، بانتزاع الشعرة التي جعلته خالداً، انتزاعها من جبهة نيسوس[2] النائم مطمئناً ـ يا لها من كلبة فاجرة! ـ فأمسك هرمس[3] به.

وما دمتُ قد ذكّرت بهذه الأحداث المحزنة، أولم تجيء الساعة لهذا القصر كي يهين الزوجة البغيضة، ويفضحُ غدر قلب امرأة بمحارب ملك كانت غضبته وبالاً على أعدائه ـ بينما ظل يحترم البيت الهادىء الذي فيه كانت المرأة تمارس الجلالة الملكية العذبة؟

ومن بين كل الجرائم أفرد التاريخ مكاناً خاصاً للجريمة التي شاهدتها

---

(١) بنت ثستيوس Thestios ملك پلورون في اقليم ايتوليا هي: ألثايا Althaia وابن الثايا هو ملياجر. وحياة ملياجر كانت مرتبطة بجذوة كانت أمه تحفظه في صندوق. فلما علمت ذات يوم أن ملياجر قتل اخوه عقب نزاع، فإنها ألقت بهذه الجذوة في النار فمات ملياجر في الحال.

(٢) Nisus: هو ابن پنديون Pandion، ملك ميغارا. وكان في وسط رأسه شعرة حمراء. وقد أعلن الوحي أنه سيموت في اليوم الذي تنتزع منه هذه الشعرة. ومينوس، لما كان يحاصر مدينة ميغارا، وجد وسيلة لإعزا ابنة الملك، واسمها اسقولا، وانتزع الشعرة السحرية، وبهذا أهلك الأب وبلدته.

(٣) هرمس يقود الأرواح إلى العالم السفلي.

لمنوس[1]. إن الصوت العام يلفها بفزع؛ ولا تزال أبشع الجرائم تبعث: «جريمة لمنوسية». والجنس الذي ارتكب هذه الجريمة المكروهة من الآلهة قد هلك محاطاً بازدراء بني الإنسان: إنه لا يوجد إنسانٌ يمجّد ما يكرهه الآلهة. فما هي الحقيقة من بين هذه الحقائق التي لا يحق لي أن أذكّر بها؟

إن السيف الحادّ ينفذ في القلب ويخترقه ـ باسم العدالة. إن للعدالة كل الحقوق على كل الذين ـ ضدّ كل حق ـ قد داسوا بأقدامهم وأهانوا جلالة زيوس الكاملة.

متى ما طرح مذبح «العدالة» على الأرض فإن «المصير» يمتشق سيفه.

وها هوذا ابن الاغتيالات القديمة دخل البيت بدوره، وقد اقتادته تلك التي لا بد لها أخيراً أن تدفع ثمن هذه النجاسة، إلاهة الانتقام الشهيرة بمؤامراتها السوداء.

(أورست وپولاد يدخلان من الناحية اليسرى ويتوجهان نحو القصر. ويتبعهما خادم أو خادمان يحملان متاعيهما)

أورست: يا عَبْد، اقرع الأبواب. ألا يوجدُ أحدٌ في القصر؟ يا عبد، يا عبد، اقرع مرة أخرى! أنا أُنادي للمرة الثالثة فليخرج إنسان، إن كان هذا البيت، في عهد ايجيست، يمارس الضيافة.

(الباب يفتح)

العبد: هأنذا! أسمع. من أي بلد هذا الغريب؟ من أين جاء؟

أورست: كرّر هذه الكلمات لأولئك الذين هم أصحاب الأمر هنا والذين جئتُ إليهم حاملاً أنباءً ـ لكن أسرع، لأن عربة الليل المظلمة تُسرع هي الأخرى، وقد جاءت الساعة للمسافر كي يلقي بالمرساة في البيوت المفتوحة للغرباء ـ: «ليتفضل أحد سادة هذا البيت أن يأتي ـ إن صاحب الأمر هنا امرأة ـ أو بالأحرى: رجل، إذ في هذه الحالة الثانية لن يكون هناك حَرَج في الحديث ولا غموض في الأقوال: ذلك لأن الرجل يتكلم مع الرجل دون خوف وبلغة واضحة».

---

(١) كانت نساء جزيرة لمنوس قد قتلن كل الرجال فيها، ومن هنا جاء المثل: «جريمة لمنوسية» وصفاً للجريمة البالغة الفظاعة.

(قلوطمنسترا تخرج من القصر)

قلوطمنسترا: أيها الغرباء، قولوا ماذا تريدون. إنكم ستجدون في هذا القصر ما يحق للمرء أن يتوقعه: حماماً ساخناً، سريراً يهدّىء متاعبكم، واستقبالاً ذا طابع مَلَكي. فإن كنتم قد جئتم لأمرٍ جادّ، فهذا من شأن الرجال الذين ترجع إليهم.

أورست: أنا غريب، قادم من دوليس Daulis في اقليم فوقيس. لكن لما كنت في طريقي إلى أرجوس، حاملاً حقائبي، على الهيئة التي نزلت فيها هنا ـ فإن رجلاً لا يعرفني ولا أعرفه جاء إليّ وبعد أن حدثني عن رحلته وسألني عن رحلتي، فقد قال لي استروفيوس الفوقيسي هذا ـ وقد عرفت اسمه أثناء الحديث معه ـ ما يلي: «ما دمت ذاهباً إلى أرجوس، أيها الغريب، فأخبر أقارب أورست أنه مات؛ وأرجوك ألاّ تنسى هذا فهل يفضل أقاربه أن يدفن بالقرب منهم؟ أو ـ على العكس ـ يفضلون أن يُدْفن عندنا، إنه أجنبي قد صار ضيفاً عندنا إلى الأبد؟ أحضر إليّ مما يأمرون به. في هذا الوقت رماد جثته محفوظ في إجانة من البرونز، وتمّ البكاء عليه بما يليق». وأنا كررت لك كل ما قاله لي. هل أنا أتكلم مع أقارب مؤهلين لسماع كلامي؟ أنا أجهل هذا. لكن مَنْ أنجبه، لا بد أنه يعرف ذلك(١).

قلوطمنسترا: ويلٌ لي! كلماتك تقضي عليّ. ومن الصعب النضال ضدّك، إن هذه لعنة صُبّت على القصر! إن نظرتك نافذة! إن كان ما ظننت أنه بعيد جداً وفي أمان، قد استطعت أنت أن تصرعه بقوسك التي لا تخطىء الهدف، وجرّدتني أنا البائسة من كل أهلي! اليوم، أورست أورست الذي دعته الفطنة إلى انتزاع قدمه من الحمأة الدموية ـ هو الأمل الأخير في سرور قادر على أن يشفي هذا القصر، أمل ظهر. . . ثم اختفى(٢).

أورست: كان بودّي لو أتيت إلى مثل هؤلاء المضيافين النبلاء بأنباء سعيدة، كي يعرفوني ويستقبلوني، ومَنْ أطيب استعداداً نفسياً مِنْ ضيفٍ بالنسبة إلى من يستضيفونه! لكن قلبي كان سيشعر بالقسوة لو أنه لم يؤدّ دوره عند أصدقاء، بعد

---

(١) المعنى هو: لقد طلبوا مني أن أتوجه إلى والد أورست أو إلى أمه. فهل التي تقف أمامي هي أمه ـ التي يجب عليّ أن أخبرها بالرسالة التي كلفت بها؟ لست أدري؛ لكنها هي تعرف، وستقول ذلك».

(٢) يشبه الأمل عند اليونان برسم خفيف تكفي لمحوه بعض لمسات من الاسفنجة.

أن وعدهم وتم استقباله استقبالاً حسناً[1].

قلوطمنسترا: ومع هذا فلن يقلل ذلك من معاملتك كما تستحق واستقبالك في هذا البيت كصديق. وعاجلاً أو آجلاً كان شخص آخر غيرك سيحمل إلينا نفس الرسالة. لكن حانت الساعة، بالنسبة إلى الضيوف في نهاية اليوم، أن يلقوا العناية المتكافئة مع رحلتهم الطويلة. (مخاطبة عبدة): اقتاديه إلى الغرف المخصصة لضيوفنا هو وخدمه ورفاقه[2]. وليجدوا كل ما يليق ببيتنا. وأسهل: عليك أن تخبرني بما فعلت. (أورست وپولاد تقتادهما العبدة ويدخلون القصر). وفيما يتعلق بنا، فإننا سنبلغ كل شيء إلى سيّد القصر، ولما كنّا لا يعوزنا الأصدقاء، فإننا سنشاورهم في هذا الأمر.

(تدخل القصر)

رئيسة الكورس: هيّا، أي صواحبي، يا أسيرات القصر! ماذا تنتظرن كي نبذل لصالح أورست القوة الوحيدة التي تملكها: قوة أصواتنا؟

أيتها الأرض الجليلة، وأنت أيتها الرابية الجليلة، التي تغطّي كتلتها العالية جسد رئيس فرقة ملكية، لقد جاءت الساعة: أعيريني سمعك، أعيرينا نجدتك! لقد جاءت الساعة لإقناع الغدار كي ينزل معهم إلى الحلبة، ولهرمس العالم السفلي، ولهرمس الظلمات ايضاً، كي يوجّه صراع السيوف القاتلة.

(تخرج المربية من القصر)

لا شك أن الغريب هو بسبيل القيام بضربة شديدة: إني أُشاهد المربية تبكي، مربية أورست. إلى أين أنت ذاهبة، يا كيلسا[3]، خارج القصر؟ يبدو ألمك تابعاً لم تطلبيه.

المربية: «إن الغُرباء يطلبون ايجيست، دون إبطاء» ـ هذا هو الأمر الذي أصدرته مولاتي ـ «كي يأتي ليسمع رسالتهم رجلاً في مواجهة رجل». ووجهها أمام خَدَمها مكتئب، لكن عينيها في الداخل تخفيان ابتسامة، لأن كل شيء بالنسبة إليها انتهى على خير وجه؛ أما بالنسبة إلى هذا القصر فإن الخراب تام، الخراب الذي

---

(١) الوعد الذي أُعطي إلى استروفيوس، واستقبال قلوطمنسترا لهم.

(٢) أي ما معه من خدم أو أصدقاء. وقد أدركت أن پولاد ليس خادماً أو عبداً.

يعلنه لنا هؤلاء الغرباء. أما هو فلو سمعهم، فإن قلبه سيكون مسروراً من النبأ الذي سيبلغ به. أما أنا البائسة. آه! يا ليت الأحزان القديمة تسقط بكل ثقلها جملة واحدة على مسكن آل أتريوس هذا، والتي أبهظت في الماضي قلبي الذي في صدري. ومع ذلك فإني لم أتحمل مثل هذا الألم بعدُ. أما الآلام الأخرى فإني قد استنفدتها بصبر. أما أورست، الذي استهلكت حياتي من أجله، وتلقيته لما خرج من بطن أُمّه وغَذَّيته حتى النهاية... وعذاب صراخه في كل لحظة مما جعلني أجري الليالي بطولها! لقد تحملت هذا كله إذن في غير طائل! مَنْ ليس لديه معرفة ينبغي تربيته مثل جَرْو صغير ـ أليس كذلك؟ والتعود على تصرفاته. إن الطفل في القِماط لا ينطق، سواء كان جائعاً أو عطشان أو يشعر بالحاجة الملحة: إن بطنه الصغير يتبرّز وحده. ولا بد أن تكون المربية عرّافة إلى حد ما، ولما كنت أُخطىء في كثير من الأحيان فإني كنت أقوم بدور غسالة القماطات: إن الغسالة والمربية تجتمعان في شخص واحد. لكني استطعت أن أؤدّي هذه المهمة المزدوجة، لأني تلقيت أورست[1] باعتبار أنه أبوه. وقد علمت اليوم أنه مات ـ فيا ويلتاه لي! لكني ذاهبة للعثور على الرجل الذي فقد هذا المنزل. إنه سيسمع هذا النبأ دون أن يتألم؛

رئيسة الكورس: لكن بأية هيأة هي تريد منه أن يظهر؟

المربية: بأية هيأة؟ كرري قولك حتى أفهم أحسن.

رئيسة الكورس: ومعه كل حُرّاسه؟ أو وحده، دون حراسة؟

المربية: هي تريد منه أن يصحب معه كل حرسه مسلّحين.

رئيسة الكورس: لا تنقلي هذا الرأي إلى السيّد الذي تكرهينه. وليأتِ وحده، مسرعاً، وليبق قلبك مسروراً. على الرسول يتوقف نجاح الخطة المخبأة.

المربية: لكن هل تؤملين بعد هذا النبأ؟

رئيسة الكورس: في وسع زيوس أن يحوّل كل مصائبنا إلى مسرّات.

المربية: كيف؟ إن أورست مات، وكان هو أمل هذا القصر.

---

(١) هذه هي العبارة المألوفة عند الدايات؛ وهي تكررها بإلحاح ساذج، إنها تفخر بأنها شهدت مولد ابن هذا البيت؛ وأنها تلقته «باعتباره أباه».

رئيسة الكورس: ليس بعد: ومن يعتقد هذا سيكون عرّافاً رديئاً.

المربية: ماذا تقولين؟ هل تلقيتِ أنباءً أخرى؟

رئيسة الكورس: هيا، صدّقيني، وأدّي رسالتك. وعلى الآلهة أن تسهر على ما يجب عليها أن تسهر.

المربية: سأذهب، وسأعمل بنصيحتك. ولتصنع الرعاية الإلهية ما فيه الخير.

(المربية تبتعد عن القصر من ناحية اليمين)

الكورس: والآن، استحلفك، يا زيوس، يا أبا آلهة الأولمب[1].......... نعم، يا زيوس! انصر على أعدائه مَنْ هو في هذا القصر فإنك إذا رفعت قدره وجعلته قوياً، فإنه سيرد لك ذلك اضعافاً مضاعفة.

انظر إلى الفارس الشاب، يتيم بطل، كان أثيراً عندك، وهو الآن يجرّ عربة من الآلام..........

نعم! يا زيوس! انصر على أعدائه مَنْ هو في هذا القصر، فإنك إذا رفعت قدره، وجعلته قوياً، فإنه سيردّ لك ذلك أضعافاً مضاعفة.

وأنتم يا مَنْ تقيمون في أعماق القصر، بين لألاء الذهب المسرور، أيتها الآلهة المُحْسنة، أصغي إليّ. هيّا!.......... امحي دم الجرائم الماضية بانتقام سريع، لعل الجريمة القديمة لا تلد بعد الآن في هذا القصر!

وأنت يا من تسكن في البناء الفخم المشيّد حول الفم الرهيب[2]، اعمل بحيث يستطيع بيت البطل أخيراً أن يرفع رأسه، وأن يشاهد بعيونه المُخْلِصة الشمس الرائعة للحرية تتلو هذا القناع من الظلمات.

وليت هرمس، ابن مايا، يُسْدِي إلينا العون الذي يجب عليه، لا أحد يعرف خيراً منه كيف يجعل الرياح المواتية تهبُّ...... بكلمة غامضة يستطيع أن ينشر على العيون ظلمات الليل، التي لن يبددها حتى النهار نفسه.

---

(١) النص اليوناني في كلام الكورس هنا ضاع معظمه.

(٢) النص هنا غير مفهوم. ويمكن أن يكون المقصود هو أبولون ومعبده في دلف. وحينئذ يكون «الفم الرهيب» هو الشق الذي فوقه يوضع الكرسي المثلث الأرجل والذي يجلس عليه الكاهن المتلقي لوحي ابولون ومن خلاله تصاعد الأبخرة التي تلهم الوحي.

وأنت يا مَنْ تسكن في البناء الفخم المشيّد حول الفم الرهيب، اعمل بحيث يستطيع بيت البطل أخيراً أن يرفع رأسه، وأن يشاهد بعيونه المُخْلِصة الشمس الرائعة للحرّية تتلو هذا القناع من الظلمات.

وحينئذ، من أجل الاحتفال بالبيت المحرَّر، سنغدو صائحين في المدينة الصيحة التي بها النساء تُحَيِّي ظهور الرياح السعيدة.......... النصر! المكسب لي، المكسب لي أنا، حينما يكون البلاء بعيداً عن أولئك الذين أحبُّهم.

وأنت حينما يأتي دورك للعمل بجسارة، إذا هي صاحت نحوك قائلة: «يا بني!» ـ فاصرخ أنت في وجهها قائلاً إن أباك يصرخ فيك، واقتل قتلة تضع حداً للشقاء.

احمل في صدرك قلب پرسيوس[1] الصلب، واحرص على أن تَسُرَّ أولاً أهلك: الموتى والأحياء......... وحتى لو كان ذلك نظير حدوث مصيبة دامية، اقضِ على الفاعل المسؤول عن الاغتيال.

وأنت حينما يأتي دورك للعمل بجسارة؛ إذا هي صاحت نحوك قائلة: «يا بُنَيّ!» ـ فاصرُخْ أنت في وجهها قائلاً إن أباك يصرخ فيك؛ واقتل قتلة تضع حداً للشقاء.

(ايجيست يأتي من ناحية اليمين)

ايجيست: هأنذا أعود، لا من تلقاء نفسي، ولكن دعتني رسالة. قيل لي إن غرباء قد جاءوا إلينا بنبأ لم يكن موثوقاً، نبأ موت أورست.. إن تحمل مثل هذا الحمل على الأكتاف فيه ما يشيع في البيت من الفزع ما أحدثه موت سابق جعله يدمي ويتحطم[2]. لكن هل ينبغي علينا أن نعدّ ما يُحْكى لنا أمراً صادقاً وواقعياً؟ ألا يمكن أن يكون من نوع هذه الأقوال الجبانة التي تقولها النساء والتي تُطلق

---

(١) الجورجون كانت بنظرتها تحجّر من تتطلع فيه. ولهذا فإن پرسيوس حينما ضربها فإنه أشاح عنها برأسه. وبالمثل يقول هذا الكلام هنا إن على أورست أن تكون عزيمته صارمة مثل عزيمة پرسيوس، وأن يشيح برأسه حينما يطعن أمه، وإلاّ فإن شجاعته ستخونه لو تطلع في أمّه. وهذا الكلام يمهد للحادث المقبل، وهو تردد أورست في مواجهة أن يقتل أمّه.

(٢) ها هنا صورة حيوان يحمل الأثقال، وظهره قد تحطم من الأثقال، وهو لهذا يرتعد من ثقل حمل جديد على ظهره المليء بالجروح الحيّة.

وتطير، ثم تختفي دون أن يكون لها أية حقيقة؟ ماذا تستطيعين أن تسوقي من دليل يفرض نفسه عليَّ؟

رئيسة الكورس: لقد سمعنا هذا النبأ. لكن أدخل واستعلم من الغرباء. إن الرسول لا يساوي الذهاب بنفسك لاستجلاء حقيقة الأمر.

ايجيست: أريد أن أذهب بدوري وأن أرى وأسأل الرسول. هل كان هو بنفسه حاضراً بالقرب من الميّت؟ أو هو يروي شائعة مهمة؟ وأنا أتحداه أن يخدع بصيرتي.

(يدخل في القصر)

رئيسة الكورس: يا زيوس، يا زيوس، ماذا ينبغي عليَّ أن أقول؟ وكيف أبدأ دعائي، وندائي إلى الآلهة؟ وفي حماسة التمنيات، كيف أتمّها وأقول ما ينبغي أن يقال؟

ذلك أنه الآن السيوف القتالة ستخضّب بالدماء، وسيتم إلى الأبد خراب بيت أجاممنون؛ أو أن بطلنا سيشعل نار الخلاص، ويسترد سعادة آبائه مع القصر وعرش الحاكم الشرعي.

ذلك هو النضال الذي سيخوض فيه الآن أورست الإلهي، كأنه مصارع احتياطي[1] ـ هو وحده ضد اثنين: وليكن هذا من أجل الانتصار!

(تُسْمَع صرخات وراء الباب)

ايجيست: آه! آه!

الكورس: آه! ماذا يحدث؟ كيف انتهى كل شيء في القصر؟

رئيسة الكورس: لنبتعد.. المغامرة على وشك الانتهاء؛ لا تبدونَّ مشاركات في القتل؛ ذلك لأن النتيجة قد تقررت، فيما يتعلق بالمعركة.

---

(١) «المصارع الاحتياطي» يجب عليه أن يصارع ضد المنتصر في الصراع السابق؛ والمنتصر هنا إثنان: إيجيست وقلوطمنسترا، ولهذا فالخطر كبير.

(الكورس ينسحب إلى ركن من الأوركسترا ـ خادم يخرج وهو مذهول، من الباب الرئيسي ويندفع نحو باب الحريم، ويقرعه بشدة).

الخادم: وا أسفاه! أجل، وا أسفاه! مولاي ضُرِب حتى مات! وا أسفاه! مرة أخرى وا أسفاه! مرة ثالثة: ايجيست فارق الحياة! ـ هيا، افتحوا، بسرعة! اسحبوا مزلاج بيت الحريم! ـ آه! لا بد من رجل قويّ ها هنا ـ لا من أجل نجدة مَنْ مات، فما الفائدة في هذا؟ هيا! هيّا! ـ إني أصرخ لصمّ. إنهم نائمون: أصرخ بلا فائدة، عبثاً! أين قلوطمنسترا إذن؟ ماذا تفعل هي؟ ها هي ذي رقبة ـ حسبما أظن ـ على حدّ السيف وقد ضربت ضربة قاضية وستسقط الآن على الأرض.

(قلوطمنسترا تخرج من بيت الحريم)

قلوطمنسترا: ماذا هناك؟ لماذا تملأ البيت بكل هذه الصرخات؟

الخادم: أقول إن الموتى يصرعون الحيّ.

قلوطمنسترا: وا مصيبتاه عليّ! إني أفهم كلمة اللُّغز. سنهلِك بالخيانة، كما قتلنا نحن. لن يُقدِّم إليَّ أحدٌ بسرعة إذن البلطة القاتلة! لنعلم أخيراً هل نحن منتصرون أو مهزومون ـ ما دام قد حان مصيري الحزين.

(تتوجه نحو الباب الرئيسي، الذي يُفتَح بغتةً. أورست يظهر وسيفه في يده. وپولاد خلفه. الخادم هرب فزعاً)

أورست: بالضبط، أنا أبحث عنك. أما هو فقد نال جزاءه.

قلوطمنسترا: وا أسفاه! لقد مُتَّ إذن، يا ايجيست الشجاع!

أورست: أنت تحبينه؟ إذن أرقدي الى جواره. حتى وهو ميّت، أنت لا تخونينه.

(يقفز رافعاً سيفه. قلوطمنسترا تسقط عند ركبتيه، وتمزق ثوبها، وتريه صدرها).

قلوطمنسترا: لا تفعل يا بُنَيّ! احترم، يا ولدي، هذا الصدر، الذي طالما، وأنت نائم، مصصت بشفتيك لبنه المغذّي.

(أورست يدع سيفه يسقط على الأرض)

أورست: يا پولاد ـ ماذا أفعل؟ هل أستطيع أن أقتل أُمّي؟

پولاد: وماذا ستصير من الآن فصاعداً، أوحاء ابولون، والآراء التي أوحى بها في پوثو (= دلف)، والأمانة التي هي الضمان للأقسام (جمع: قَسَم)؟ صدِّقني: الأفضل لك أن يكون كل الناس ضدك من أن يكون الآلهة ضدك.

أورست: أنت على حق، إني أعترف بهذا، ونصيحتك عادلة. (مخاطباً أُمّه قلوطمنسترا): اتبعيني، إني أريد أن أذبحك بالقرب منه. لما كان حيّاً، أنتِ فَضَّلْتِه على أبي: فنامي إذن إلى جواره في الموت، لأنه هو مَنْ تحبينه، بينما أنت تكرهين مَنْ كان من الواجب عليك أن تحبيه.

قلوطمنسترا: إني أنا الذي غَذَّيتك، وأريد أن أشيخ إلى جوارك.

أورست: يا قاتلة أبي، أتريدين أن تعيشي معي؟!

قلوطمنسترا: في هذا كله، يا بني، كان للقدر نصيبه.

أورست: والقدر هو الذي أعدَّ موتك.

قلوطمنسترا: آه! يا بني، خف أن تلعنك أُمك.

أورست: الأمّ التي ألقت بابنها في الشقاء!

قلوطمنسترا: إني لم أرسلك إلاَّ إلى بيت رجل مضياف.

أورست: لقد تمَّ بيعي مرتين، أنا ابن والدٍ حرّ[1].

قلوطمنسترا: وما هو الأجر الذي حصلت عليه أنا من هذا؟

أورست: إني أخجل مِن ذكره، هذا الأجر المسربل بالعار.

قلوطمنسترا: قُلْ كل شيء، لكن قُلْ أيضاً أخطاء والدك.

أورست: أتتهمين الجندي، أنتِ الجالسة في البيت!

قلوطمنسترا: يا ولدي، كم هو قاس على النساء أن يكنّ بعيدات عن الزوج! إن عمل الزوج هو الذي منه تقتات المرأة.

أورست: إن تَعَب الرجل هو الذي يُطْعِم المرأة.

قلوطمنسترا: هل تريد حقاً أن تقتل أُمك، يا ولدي؟

(١) قلوطمنسترا حرمت ابنها أورست من صفتين: إنه أمير، وإنه ابنها. فالمقصود بقوله إنه بيع مرتين، أي: حرم من هاتين الصفتين.

أورست: ليس أنا، بل أنتِ التي ستقتلين نفسك بنفسك.

قلوطمنسترا: احذر: فكّر جيداً في الكلبات[1] المنتقمات لأمّك.

أورست: وكلبات أبي - أين أفر منها إذا أنا ترددت؟

قلوطمنسترا: آه! أنا موجودة هنا حيّة أدعو القبر!

أورست: إن المصير الذي خَصَصْتِ به أبي يحكم عليك بالموت.

قلوطمنسترا: هل أنا إذن الذي ولدت وغَذَّيت هذا الثعبان؟!

أورست: إن مخاوف أحلامك كانت عرّافاً صادقاً. أنتِ قتلتِ زوجكِ، فموتي بسيف الابن.

(يجرّ أمّه إلى داخل القصر)

رئيسة الكورس: إني أبكي على مصير كليهما. لكن ما دام أورست البائس قد توّج - في هذه الساعة - سلسلة الاغتيالات، فإني على الأقل أفضل ألا تُطفأ عين البيت إلى الأبد.

الكورس: العدالة قد جاءت؛ لقد انتهى بها الأمر إلى ضرب آل فريام وإنزال العقاب الشديد بهم. كذلك جاء إلى قصر أجاممنون الأسد المزدوج[2]، القتل المزدوج. لقد مضى حتى النهاية المنفى الذي تنبأ به وحي فوثو (= دلف) وقد قادته في وثبته نصائح إله!

---

(١) أي: الأرنيات Erinys (وعند الرومان: الفوريات Fouries)، وهن أرواح انثوية يهمهن العدالة والانتقام. وقد ولدن من قطرات الدم التي نزلت على الأرض لما أن قام خرونوس (الزمان) بطعن أورانوس (السماء). وهناك رواية أخرى تقول إن الليل Nyx هو الذي أنجبهن. وعددهن غير محدد بوجه عام، لكن الشاعر الروماني ڤرجيل يؤكد أنهن ثلاث، أسماؤهن هي: الكتو (= التي لا ترحم)، ومينجترا (= السيئة النية) وتيسيفونية (= المنتقمة للقتل). ومهمتهن الأساسية هي مطاردة الرجال والنساء الذين ينتهكون قوانين «الطبيعة»، وبخاصة: حقوق القرابة بقتل الآباء والأمهات والإخوة والأخوات والأصهار. فمن يقتل واحداً من هؤلاء فإن الأرنيات كن ينتقمن منه.

وسنراها في مسرحية «المحسنات» لاسخولوس تطارد أورست لأنه قتل أمه قلوطمنسترا، كما طاردت قلوطمنسترا في مسرحيتنا هذه لأنها قتلت أجاممنون.

(٢) بحسب قول صاحب الحاشية اليوناني على هذا الموضع: الاسد المزدوج هو أورست وپولاد. وبالمثل قال يوريفيدس («أورست»، البيت رقم ١٤٠٠) وهو يتحدث عن أورست وپولاد: «لقد جاءا إلى المنزل: الأسدان اليونانيان».

آه! أطلقن صيحة السرور على قصر سادتكن، الآن وقد تخلص من مصائبه، كما تخلص من الجريمتين اللتين اتخذتا سبيل الموت من أجل التهام ثَرَواته.

لقد جاء ذلك الذي بالنضال في الخفاء، عرف بالحيلة كيف ينزل العقاب. وإن ابنة زيوس قد لمست ذراعه[1] في النضال ـ ابنة زيوس التي نسميها نحن، بني الإنسان، بالاسم اللائق بها، أعني: «العدالة» التي تصبّ على أعدائها الانتقام والموت.

آه! أطلقي صيحة السرور على قصر سادتكن، الآن وقد تخلص من مصائبه، كما تخلّص من الجريمتين اللتين اتخذتا سبيل الموت من أجل التهام ثَرَواته.

إن الوحي الذي أعلنه في الماضي صوتُ لوكسياس البرناسي القويّ في أعماق الكهف الرهيب ـ يهاجم بدوره ـ بواسطة خيانة بلا خيانة ـ الغلطة التي ظلت طويلاً بدون عقاب.

وعندي أن الإرادة الإلهية هي التي انتصرت ها هنا: فمن الممكن إذن ألا تَخْدم الجريمة بعد الآن، وأن تحترم ـ كما ينبغي ـ القوة التي تحكم في السماء!

وأخيراً يمكن رؤية النور. لقد شعرت بسقوط الحطام القاسي الذي كان يتسلّط على هذا البيت. هيّا، انهض أيها القصر بعد أن بقيت طويلاً مطروحاً على الأرض!

عما قليل ستجتاز الساعة الحاسمة دهليز هذا البيت. وسيكون ذلك حين يتم طرد كل نجاسة من هذا المسكن بواسطة شعائر للتكفير تطرد الأخطاء الجنونية. . . . . والأجنبيات[2] المقيمات في هذا المسكن سيُطْردون منه بدورهم.

وأخيراً يمكن رؤية النور. لقد شعرت بسقوط الحُطام القاسي الذي كان يتحكم في هذا المسكن. هيّا! انهض أيها القصر بعد أن بقيت طويلاً مطروحاً على الأرض.

---

(١) إن العدالة هي التي وجهت ذراع أورست، وما كان إلاّ منفذاً لإرادتها.

(٢) أي: الارنيات Erinys: أرواح الانتقام. لكن النص مشكوك فيه.

(الباب الرئيسي يُفتح. نُشاهد جثتا ايجيست وقلوطمنسترا مطروحتين الواحدة إلى جانب الأخرى. ومن ناحية اليمين الشعب يهرع لمشاهدة هذا المنظر)

أورست: تأملوا طاغيتي هذا الوطن، قاتلي أبي، والعابثين بمسكني! لقد كانا يتربعان في الماضي على عرشيهما: ولا يزالان حتى الآن مرتبطين معاً. ـ فإن مصيرهما يدعونا إلى اعتقاد ذلك ـ وقَسَمهما باقٍ مخلصاً لما تعهدا به. لقد أقسما معاً أن يقتلا أبي المسكين، كما أقسما أن يموتا معاً: وقد صدقا مرة أخرى. ـ (مخاطباً الشعب): تأمّلوا، أنتم يا من لم تسمعوا إلاّ بمصائبنا، تأملوا أخيراً الشَّرَك الذي فيه شدّا أبي المسكين، محيقين لذراعه، مقيدين لقدميه. انشروه أنتم؛ اقتربوا، وعلى شكل دائرة ابسطوا القناع الذي أحاط بالبطل، من أجل أن توضع الجرائم الخسيسة التي ارتكبتها أُمّي ـ تحت نظر الأب ـ لا الأب الذي انجبني، بل الأب الذي يرى كل شيء، أعني الشمس. وهكذا تستطيع الشمس أن تشهد أمام العدالة أنني كنت على حق لما أن قمت بالانتقام إلى حدّ أنني قتلت أُمّي ـ وأنا لا أتكلم عن قتل ايجيست: فهذا الزاني قد تحمل العقاب الذي يفرضه القانون. لكن تلك التي تصوّرت مثل هذه الفظاعة ضد رجل قد حملت منه في بطنها أولاداً ـ وهو حمل حب في الماضي، وحمل كراهية، اليوم، وهو بنفسه قد برهن عليه! ـ كيف تبدو هي لكم؟ مورينا[1] أو أفعى؟ إنها على كل حال كائن قادر على أن يضرّ دون لدغ، بمجرد اللمس، وبتأثير جرأته وغطرسته الطبيعيتين. فماذا نسمّي هذا تسمية عادلة، ومع استعمال أرق الألفاظ؟ شرك وحش؟ كفن نعش يحيط بالميّت حتى قدميه؟ كلا، بل بالأحرى أداة قاطع طريق يخدع ضيوفه ويعيش من النهب، وبواسطة هذه الأداة يزداد سروراً كلما زاد عدد ضحاياه. آه! لن تذل صاحبة كهذه في بيتي! ليت الآلهة تجعلني أموت دون ذُرّية!

رئيسة الكورس: وا حسرتاه! وا حسرتاه! جرائم رهيبة! لقد وقعت فريسة لموت قاس[2]!

وا حسرتاه! وا حسرتاه! إن العقاب الذي كان منتظراً من وقت بعيد سيكون ذات يوم أشدّ قسوة!

---

(١) كلمة يونانية تدل على سمكة طويلة نحيلة تتماوج في الماء، وهي شرهة جداً.

(٢) يخاطب جثة قلوطمنسترا.

أورست: هل هي ضَرَبَتْ أو لم تَضْرِبِ؟ هذا هو شاهدي: هذا القناع الذي يعلن أن لونه يرجع إلى سيف ايجيست. ان الدم الذي لطخه يعمل مع الزمن على تدمير ألوانه العديدة. آه! الآن أستطيع بصراحة أن أزكّي نفسي، وأن أشكو بصراحة! في اللحظة التي أعلن فيها أن هذا القناع هو قاتل أبي، فإني أنوح على الجريمة وعلى العقاب في وقت واحد، وعلى سُلالتي كلها؛ لأني لا احتفظ لنفسي من هذا الانتصار إلا بنجاسة رهيبة[1].

رئيسة الكورس: لا أحد من بني الإنسان يمضي حياة خلوةً من الآلام دون أن يدفع نصيبه منها.

وا أسفاه! وا أسفاه! آلام اليوم، وآلام غداً.

أورست: لكن اعلموا جيداً، لأني لا أعلم كيف سينتهي كل شيء. يلوح لي أنني أسوق مركبة خرجت عن الجادّة؛ مزاجي المتمرّد يقودني وأنا منهزم، بينما الفزع ماثل هناك، أمام قلبي، ومتأهب للغناء، والوثوب صاخباً على سماع صوته ـ لكني وأنا ضابط لعقلي أصرخ عالياً لكل أهلي: نعم، أنا قتلتُ أُمّي وأنا على حق في هذا: لأنها قتلت أبي، وهي لم تكن إلاّ نجاسة، ملعونة من الآلهة؛ وأؤكد أن الباعث الكبير إلى جرأتي كان تنبؤ فوثو (= دلف)، لوكسياس، الذي تنبأ لي بأنني لو فعلت ما فعلت فلن أُتّهم بارتكاب الجريمة، أما إذا أنا أهملت أمره فإن مدى أقواسنا لن يصل إلى مثل هذه الآلام، ولن أذكر لكم العقاب. ـ والآن انظروا كيف أنه بهذا الغُصن المزيّن بالصوف سأسلك الطريق إلى المعبد المبني حول سُدّة العالم[2]، أرض لوكسياس، حيث يلمع ضوء نار لا تنطفىء، ابتغاء الهرب من دم أُمّي: فإلى هذا المرضع وحده أمرني لوكسياس بالسير. وفيما بعد، فإنني سأطلب من كل الأرجوسيين أن يقولوا هم كيف ولدت هذه المصائب، وان يعيروني

(١) الآن وقد وجد «شاهدا» لا يكذب ـ وهو الشمس ـ وبرهن على وقوع جريمة قتل أبيه، فقد صار في وسعه أن يفخر بفعله، لأنه فعل عادل، لكنه يستطيع أيضاً أن يحزن لأن الجاني هو أُمّه، وعليه إذن أن ينتقم منها ويقتلها. وحين يقول عن «القناع» إنه القاتل فهذا التعبير كناية عن أمّه التي لفّت أباه ـ وهو في الحمام ـ بقناع ـ أو ما يشبه الشبكة بحيث جعلته لا يستطيع الحراك والدفاع عن نفسه ضد الضربات التي أهوت عليه بها قلوطمنسترا. لكن هذا الانتقام هو أيضاً حلقة من حلقات النجاسة التي أصابت سلالة آل لايوس بسبب الجريمة الأولى.

(٢) كانت سُدّة العالم حجراً مخروطيّ الشكل، مغطى بشبكة من الأربطة.

شهادتهم في اليوم الذي فيه يعود منلاس إلى أرجوس. أما عن نفسي، أنا الشارد المنفيّ عن هذه الأرض، فإني سأهرب في ربوع العالم، حيّاً أو ميتاً، غير تارك إلاّ هذه الشُّهرة.

رئيسة الكورس: أنت انتصرتَ، فلا تضع شفتيك في خدمة لغة مُرّة؛ ولا تلعن نفسك بنفسك، في اليوم الذي خَلّصت منه أرض أرجوس بأن أطحت ـ بضربة موفقة ـ برأسي هذين الثعبانين.

(أورست الذي توجه ناحية المخرج عن يساره تراجع بغتة وهو فزع)

أورست: آه! آه! أيتها الأسيرات. . . أنتن نساء متدثرات بالسواد، ومحاطات بأفاعٍ لا حصر لها. إني لا أستطيع أن أبقى.

رئيسة الكورس: أمام أية أشباح زائفة تدور أنت هكذا، أنت يا أعز الناس عند أبيك. تشجّع! ماذا يخشى منتصر مثلك؟

أورست: كلا، ليست أشباحاً زائفة هي التي تعذبني هنا. آه! الأمر واضح جداً: ها هي ذي: الكلبات المهتاجة، كلبات أُمّي!

رئيسة الكورس: لا يزال الدم طازجاً على يديك: ومِنْ ثَمّ جاء الاضطراب الذي ينقضّ على نفسك.

أورست: مولاي أپولون! ها هي ذي تتكاثر! ومن عيونها يسيل دم كريه قطرة فقطرة.

رئيسة الكورس: هناك وسيلة تطهيرك: اذهب والمَسْ لوكسياس، يُخَلّصك من عذابك.

أورست: أنتم لا ترونها، أما أنا فأراها. إنها تطاردني، فلا أستطيع أن امكث بعد.

رئيسة الكورس: وداعاً إذن. وليحفظك إله يرعاك بنظرات محسنة، ليحفظك لأيام أحسن.

(أورست يخرج، مذهولاً، من ناحية اليسار)

تلك إذن هي العاصفة الثالثة التي انقضّ هبوبها العنيف على قصر ملوكنا!

إن أبناءَ التُّهِموا قد افتتحوا ـ ويا لبؤس توئست! ـ سلسلة بلايانا.

ثم كان المصير الذي أصاب البطل الملكي: رئيس الجيوش اليونانية الذي هلك مذبوحاً في حمامه. والآن أيضاً، وللمرة الثالثة، قد جاءنا ـ ماذا ينبغي أن أقول: الموت؟ أو النجاة؟ أين إذن ستنتهي، وستتوقف، بعد أن يصيبها النوم أخيراً ـ غضبة آتيه Até؟

انتهت مسرحية

«حاملات القرابين»



مَسرحيَّة «المُحسِنات»



مُقدّمة «المحسنات»

بقلم: الدكتور عبد الرحمن بدوي

- (١) -

الصراع بين الآلهة

في نهاية مسرحية «حاملات القرابين» تظهر لأورست الارنيات Erinyes، وهن آلهات الانتقام اللواتي يقمن في العالم السفلي وينتقمن من مرتكبي جرائم القتل الظالم، وخصوصاً قتل الأبوين. لكنهن في تلك المسرحية إنما يظهرن كأشباح باطلة، تعبرّ عن ثورة الضمير أمام جريمة قتل أورست لأمّه، وهي مع ذلك جريمة أوعز بها الإله أپولون.

أما في مسرحيتنا هذه: «المحسنات» فإنهن يلعبن الدور الرئيسي طوال المسرحية كلها؛ وهن هنا آلهات حقيقية يطالبن بالانتقام من أورست لأنه قتل أُمّه. ولما كان هذا القتل بإيعاز من الإله أپولون إلى أورست كيما ينتقم من أمه لقتلها أباه، فإن مجرى الأحداث والحوار يدور أساساً بين آلهة الانتقام من ناحية، وبين أپولون وآثنا من ناحية أخرى.

وفي ختام مسرحية «حاملات القرابين» يعلن أورست أنه ذاهب إلى معبد أپولون في مدينة دلف.

ومن هنا نجده في المنظر الأول من مسرحيتنا هذه: «المحسنات».

وتبدأ هذه المسرحية بأن نشاهد «الفوثيا» أي الكاهنة المتنبئة في معبد أپولون، تتراجع فزعة حينما دخلت المعبد، لما شاهدت أورست وقد سجد مستجيراً بالإله أپولون، وفي مواجهة نسوة بشعات المنظر كن قد اتبعنه حتى دخل المعبد: وهؤلاء النسوة هن «الارنيات»: آلهات الانتقام اللواتي يطاردنه للانتقام منه بسبب قتله لأمّه. لكن أپولون أوقعهن في نومٍ عميق، وفي الوقت نفسه نصح أورست بأن يهرب.

ثم يظهر شبح قلوطمنسترا، أُم أورست الذي قتلها انتقاماً منها لقتلها لأبيه أجاممنون. وتوبّخ «الارنيات» لأنهن نِمنَ وتركن أورست يفلت هارباً. لكنهن يلقين المسؤولية على أپولون لأنه أوقعهن في نوم عميق، مكّن أورست من الفرار؛ ولهذا وجهن اللوم إلى أپولون، الذي حَمَى أورست الذي استجار به. لهذا طردهن أپولون من معبده معلناً لهن أنه سيحمي أورست لأن أورست إنما قتل أُمّه قلوطمنسترا تنفيذاً لأمر صادر منه هو: أي من أپولون نفسه.

وانطلق أورست في فراره حتى بلغ مدينة أثينا. وهنا صعد رابيتها الشهيرة المعروفة باسم: «الأكروپول»، ولجأ إلى معبد منصوب فوق الأكروپول أمامه نُصِبَ تمثال للإلاهة آثنا. وسجد عند قاعدة هذا التمثال مستجيراً بهذه الإلاهة.

بيد أن «الارنيات» عدون في إثره، وأقسمن على العمل كي ينال العقاب الذي يستحقه جزاءً وفاقاً عن قتله لأمّه قلوطمنسترا.

وابتهل أورست إلى الإلاهة آثنا كي تحميه من العقاب وتشفع لديها بحجة أنه قد تطهّر وصار من حقه أن يستجير بها. وبينما كان يتلو إبتهالاته هذه، أحاطت به «الارنيات» ورحن ينشدن نشيد التهديد والوعيد، ويذكّرنه بأن هذه هي مهمتهن التي وكلها إليهن القدر (أو: المصير)، ومنذرات بأنه لن يستطيع الإفلات منهن.

وكانت الإلاهة آثنا على شاطىء نهر اسكمندر، في أرض منحها ملوك اليونان لأبناء ثيسيوس. وسمعت نداء الاستغاثة الذي أطلقه نحوها أورست، فجاءت إلى معبدها القائم كما قلنا على رابية الأكروپول في مدينة أثينا وطلبت من كلا الطرفين المتنازعين: أورست من ناحية، و«الارنيات» من ناحية أخرى ـ أن يشرح دعواه في هذا النزاع. ففعلا، وطلبا منها أن تفصل في هذه الدعوى.

لكنها لم تشأ أن تتولى هي الفصل في هذا الأمر، خوفاً من أن يؤدي حكمها لصالح أورست إلى إغضاب «الارنيات»، اللواتي سينتقمن حينئذ بصب الأذى على أهل مدينة أثينا، وهذه المدينة في حمى الإلاهة آثنا.

وتجنباً لذلك قررت آثنا أن تشكل محكمة للفصل في هذه القضية وشُكّلت المحكمة من أفضل المواطنين في مدينة أثينا.

وجاءت الإلاهة آثنا بصحبة أعيان مدينة أثينا الذين اختارتهم ليكونوا قضاة. وجاء الإله أپولون، من ناحيته، للدفاع عن أورست.

وافتتحت جلسة المحاكمة وبدأت الارنيات بالكلام، فسألن أورست: ألم تقتل أمك؟ فيجيب بالإيجاب، وبأنه فعل ذلك تنفيذاً لأمر الإله أپولون. وهنا يتدخل أپولون للدفاع عن أورست: فيصف ـ تحت تأثير درامي يستدرّ التعاطف ـ كيف قتلت قلوطمنسترا زوجها أجاممنون، هذا البطل العظيم العائد من نصر مؤزر ظفر فيه اليونانيون ضد أهل طروادة؛ وقارن بين كلا المقتلين: قتل قلوطمنسترا لزوجها أجاممنون، وقتل أورست لأمّه قلوطمنسترا، فقال إن قتل الأب أفظع من قتل الأم، لأن الأم ليست إلاّ مستودع الجرثومة التي أنتجها الرجل. واستجلب عطف القضاة الذين هم خيرة أهل مدينة أثينا بأن وعدهم بأن أورست سيؤمن دائماً لمدينة أثينا التحالف مع مدينة أورست وهي: أرجوس.

ولما تمت هذه المرافعات أخذ القضاة في الإدلاء بأصواتهم في إجانة (ما يناظر صندوق الاقتراع في انتخابات هذا العصر الحديث). ولما فرزت الأصوات تبين أنها متساوية بين الجانبين.

وهنا جاء الدور على الإلاهة آثنا، فأعلنت أنها صاحبة الحق في الإدلاء بآخر صوت. وأعلنت ـ وهي التي لم يكن لها اسم ـ أنها في صف الرجل. وأدلت بصوتها لصالح أورست؛ وبفضل هذا الصوت رجحت كفة أورست، فأعلنت براءة أورست.

وعاد أورست إلى بلده أرجوس، معلناً الصداقة الأبدية بين مدينة أثينا ومدينة أرجوس.

أما «الارنيات» فقد ثرن على هذا الحكم، قائلات إنهن جُرّدن من وظيفتهن، وأعلنَّ أنهن سينتقمن من أهل مدينة أثينا. لكن الإلاهة آثنا أخذت في تهدئتهن

وتطييب خاطرهن بأن وعدتهن بالتكريم وطيب الإقامة إن هن شئن الإقامة في مدينتها: أثينا. وأفلحت فعلاً في استرضائهن. وبهذه المناسبة نظم موكب حافل، صَحِب فيه أعيان مدينة أثينا هؤلاء الارنيات إلى كهف تحت الأرض سيكون من الآن فصاعداً مقاماً للارنيات.

وعلى هذا النحو تم الوفاق بين «الپارك» وزيوس، بين الارنيات وبين آلهة الأولمپ، بين صرامة القانون والرحمة.

ـ (٢) ـ

شكوك حول معاني المسرحية

وهنا تثور شكوك عديدة حول مقاصد المسرحية

١ ـ وأولها: لماذا لم تطارد «الارنيات» قلوطمنسترا التي قتلت زوجها دون أدنى إساءة أو جريمة ارتكبها ـ بينما طاردت أورست الذي لم يفعل إلاّ أن عاقب أمّه التي قتلت أباه غدراً وسفالة كيما تخلو مع عشيقها؟

لا يمكن تبرير مسلك الارنيات بأن يقال إنه لا يحق للمرء أن يأخذ العدالة بيده، كما يقال في هذه الأيام، لأن العدالة إما أن تطبق على جميع الجرائم، أو لا تطبق ابداً. وفي هذه الحالة الأخيرة يحق لمن وقع عليه الأذى أن يأخذ العدالة بيده فيقابل الشر بالشر دون أن يسرف.

٢ ـ ثانياً: يبرز بعض النقاد إشادة اسخولوس بالمحكمة والعدالة في مدينة أثينا، فيجعل الإلاهة آثنا تحذر المواطنين في أثينا من الحدّ من سلطة المحكمة الجليلة، فسيكون لديكم حصن حصين لحماية بلدكم ومدينتكم، حصن لا مثيل له في العالم: لا عند الاسقوثيين، ولا على أرض فيلوفس Pelops، حصن لا يرتشي، حصن موقّر لا يرحم، وحارس ساهر على حراسة المدينة الغافية: هو هذه المحكمة التي أنشؤوها لكم».

ومع ذلك فإن الحكم كان في يد هذه الإلاهة، وبصوتها الواحد قررت مصير أورست. فكأن العدالة قد تقررت بواسطة شخص دخيل على المحكمة، وليس عضواً فيها، فنحن هنا في الواقع بإزاء ما يعرف باسم Deus ex machina (= الإله

المنزل بواسطة آلة على المسرح ليفرض القرار الفاصل الحاسم).

٣ ـ ثالثاً: ما هي «الفكرة» الموجّهة في هذه المسرحية؟

لقد اختلف الباحثون في تحديدها إلى ثلاثة مذاهب:

أ ـ فقال فريق إنها فكرة تاريخية ـ قانونية؟

ب ـ وقال فريق ثان إنها فكرة تاريخية ـ دينية.

جـ ـ وقال فريق ثالث إنها فكرة أخلاقية سياسية.

والهدف من هذه الاتجاهات المختلفة هو تفسير ما كان لهذه المسرحية من تأثير كبير في عصرها.

ويرى كارل رينهردت أن الفكرة التي لا تزال تبهرنا فيها حتى اليوم هي فكرة: «التقدم»، أي الاعتقاد بأن «الأساس القديم الذي يقوم عليه البناء الجديد لجماعة سياسية يتكون من مخاوف، وألوان من القلق الفطري، ثم التغلب عليها فيما بعد، ونقلت عن مواضعها وحوفظ عليها أيضاً».

وبحسب هذه المذاهب الثلاثة في تفسير المسرحية، فإن التفسير التاريخي ـ القانوني يرى أن «الفكرة الموجّهة» فيها هي تسييس القانون، أي إحلال الاجراءات القضائية المنظمة محل التصرف الحرّ للانتقام والمنازعات العالمية. «فبينما الجماعة تعلن أن السلطة القاهرة تخصها هي، فإن الآلية العمياء للقِصاص قد حل محلها ممارسة العدالة الإنسانية التي تتم ممارستها علانية».

أما بحسب الاتجاه التاريخي ـ الديني في تفسير المسرحية، فإن مسرحية «المحسنات» تعلن انتصار آلهة الأولمپ على مخاوف العصور الأولى، وانتصار آلهة «جديدين» على آلهة «قدماء»، ويتبع ذلك انتصار الإنسانية، والروح، والشكل، والروح اليونانية الخ على الجِني، والمقلق، والغامض، وانتصار النور على الظلمة، والحرية الأولمپية على الضرورة الأرضية. ومن ثم سلسلتان من المعادلات: روحيّ مذكّر ـ جديد ـ أولمپي من ناحية، ومن ناحية أخرى: مؤنث ـ أصلي ـ غريزي ـ قديم ـ جنيّ. قانون الأب ضد قانون الأمّ: ذلك ـ بحسب رأي باخوفن Bachofen هو مفتاح النزاع في مسرحية «المحسنات».

أما حسب التفسير الثالث، وهو الأخلاقي ـ السياسي، فإن مسرحية

«المحسنات» تمثل مجيء «المدينة» Polis، ويقظة الروح في وجود منظّم مرتبوفقاً لما هو سياسي، أي خاضعاً لمقتضيات السياسة، وتحرر الإنسان وقد صار مسؤولاً، والانتقال من خضوع أعمى لسحر الشقاء إلى معرفة بالقانون وبالحقيقة التي تدعو إليها روح الإلاهة اثنا[1].

ـ (٣) ـ

الإرنيات

قلنا إن الصراع في هذه المسرحية يقوم بين آلهة الأولمب من ناحية، وبين آلهة العالم السفلي أو الارنيات. فمن هنَّ الارنيات؟

الارنيات Erinyes ـ ويناظرهم عند الرومان: الفوريات Furies ـ هنَّ أرواح مؤنثة تتولى العدالة والانتقام، وتمثل تشخيصاً قديماً للعقاب. وقد تولدن من قطرات دم سقطت على الأرض، لما أن طعن خرونوس أباه أورانوس بمنجل واستولى مكانه على العرش. وثم رواية أخرى تقول إن الارنيات قد أنجبهن الليلة Nyx. أما عددهن فتختلف الروايات بشأنه أيضاً. وقد أخذ الشاعر اللاتيني ڤرجيل برواية مصدرها علماء مدينة الاسكندرية (في مصر) تقول إن عددهن ثلاث: ألكتو Alecto، وميجيرا Megere، وتيسيفونيه Tisiphone ومعناهن على التوالي: «التي لا ترحم»، «ذات النية الشريرة»، «المنتقمة من القاتل».

وبالجملة، فإن مهمتهن هي القصاص من القتلة، والسهر على النظام، وصيانة الوضع القائم.

ويرد ذكرهنَّ في الملاحم والمآسي اليونانية، وفي الأساطير المتعلقة بالأبطال وبالآلهة، وفي صِيَغ القَسَم، وفي قانون الأسرة، وفي أعراف ومظاهر مختلفة واليوناني حين يريد أن يسمي قوة لعينة أو شريرة، أو ما يتعلق بالدم المسفوح، أو بنتائج شهادة الزور، فإن كلمة: «أرنياس» هي التي تخطر بباله. وتأثير الارنياس تأثير وقتي، ويحدث في حالة محددة جزئية. وهنَّ لا يهاجمن إلاَّ فريسة محددة بعينها: فهن أشبه بكلاب الصيد، التي تعدو لمواجهة هدف محدّد بعينه، دون التلفت يمنة أو يسرة.

---

(١) كارل راينهرت: «اسخولوس ويوريفيدس»، ترجمة فرنسية ص ١٥٤ ـ ١٥٥. باريس، سنة ١٩٧٢.

ويقول هيرقليطس، الفيلسوف اليوناني السابق على سقراط، إنه لو قررت الشمس أن تغير مسارها المرسوم لها كل يوم، لما استطاعت ذلك، لأن الارنيات ستمنعها من ذلك. ومهمتهن الأساسية هي اضطهاد ومطاردة الرجال والنساء الذين ينتهكون قوانين الطبيعة، وعلى وجه التخصيص: قوانين القرابة: بقتل الأب أو الأم أو الأخ أو الصهر.. وهنّ يسهرن على الانتقام من القاتلين، وخصوصاً قاتلي هؤلاء الأقارب الذين ذكرناهم. ولا يتوقفن عن مطاردتهم حتى يتم القصاص العادل.

وهنّ يمثلن عادة حاملات لمشاعل ولسياط، وأحياناً محاطات بالأفاعي. وكن يُصِبن فرائسهن بالجنون - ومن هنا جاء اسمهن عند الرومان: furies (من furia = جنون). وكان في اقليم أركاديا (في شبه جزيرة البلوبونيز جنوبي بلاد اليونان) موضع فيه معبدان مكرّسان للارنيات ويسميان باسم Maniai أي: «اللواتي يُصبن بالجنون».

وكنّ في العادة يقمن في العالم السفلي (طرطاروس عند اليونان)، ويتولين التعذيب الأبدي للمحكوم عليهم بالعذاب الأبدي في الجحيم. ومن ثم جاءت رواية تقول إن الذي أنجبهن هو «هادس»، إله العالم السفلي لما أن واقع پرسفونيه، زوجته التي هي بنت زيوس من زوجته ديميتر Demeter. ولما كانت پرسفونيه ذات طبيعتين: طبيعة خيّرة، وطبيعة شريرة، فإن الارنيات - بحسب هذه الرواية، ذوات طبيعتين: خيرة، وشريرة.

وفي مسرحيتنا هذه نجدهن يتخذن هاتين الطبيعتين: التعذيب، والإحسان. فهن طوال المسرحية إلى قبيل آخرها قاسيات مطاردات لأورست، لكنهن في الخاتمة يتحولن إلى محسنات، يتخلين عن مطاردة أورست ومعاقبته، ويحسنّ إليه وإلى أهل مدينة أثينا. ومن هنا جاء عنوان المسرحية: «المحسنات».

ومن ثم قامت هنا مشكلة عويصة حار في تفسيرها الفيلولوجيون وهي: كيف حدث هذا التحول من النقيض إلى النقيض في الارنيات؟ إنهن في معظم المسرحية منتقمات قاسيات متعطشات إلى الثأر والعقاب - فكيف تحولن في النهاية - لمجرد كلمات معسولة من الإلاهة آثنا - إلى «محسنات» طيبات يبذلن الخير ويمنحن النعمة لأهل أثينا؟

أما الفيلولوجي الألماني العظيم ڤيلاموڤتس مولندورف Wilamowitz Möllendorf فيرى أن الارنيات الأصليات القديمات كن محسنات لكنهن في عصر الهجرات اليونانية الكبرى إلى آسيا الصغرى تحولن إلى قاسيات عنيفات. وقد أراد اسخولوس في مسرحيته هذه أن يردهن إلى طبيعتهن الأصلية، أي إلى محسنات: ولم يفعل اسخولوس هذا التحويل من عنده، بل وجده في بعض الروايات. لكن كارل راينهردت يعارض (ص ١٦٨ ـ ١٧٠) رأي ڤيلاموڤتس هذا ويسوق حججاً كثيرة.

ولا محل لترجيح أحد الرأيين، لأن كليهما يقوم على فروض مجانية لا سبيل إلى تحقيقها.

باريس في ١٣ يونيو ١٩٩٥

عبد الرحمن بدوي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

«المحسنات»
شخصيات المسرحية

الفوثيا: الكاهنة والمفسّرة في معبد أپولون في دلف.

أپولون: ابن زيوس وليتو، وإله الشمس.

أورست: ابن أجاممنون.

شبح قلوطمنسترا.

كورس من أرواح الانتقام.

آثنا: بنت زيوس، والإلاهة الحكمة.

القضاة في محكمة مدينة أثينا.

المنظر هو أولاً في دلف، وبعد ذلك في أثينا.



(في دلف، أمام معبد أپولون. تدخل الفوثيا من ناحية اليمين وتتوجه نحو الباب المغلق للمعبد. لكن قبل أن تدخل، تتوقف وتركع بورع).

الفوثيا: صلاتي، بين الآلهة، تخصّ المتنبئة الأُولى - وهي «الأرض» - بالحكاية الأولى؛ وتتلوها ثاميس[1]، الجالسة الثانية على كرسي التنبؤ الذي تركته أُمها، كما تؤكد ذلك رواية قديمة. والثالثة، بحسب اقرار ثاميس، ودون أن تستخدم العنف مع أحد، هي طيطانة أخرى، وهي ابنة «الأرض» وتجلس بعدها؛ ومنها تلقت فويبوس Phoibos هدية عند مولدها[2]، هي اسمها المأخوذ من اسم فوپيبه. ولما تركت فويبوس البحيرة وصخرة ديلوس فإنها نزلت على سواحل پلاّس[3] التي كان يغشاها السفن، ثم جاءت إلى هذه البلاد واستقرت على جبل البرناس. وأبناء هيفايستوس[4] يحرسونها بورع وتوقير، ويشقّون أمامها الطريق، بأن يمهّدوا لها الأرض الوعرة. ولدى وصولها استقبلهاالشعب وملكهم دلفوس بمراسم فاخرة، وكان دلفوس هو رُبّان هذا البلد. وزيوس، بعد أن ملأ قلبه بعلم إلهي، أجلسه، في المرتبة الرابعة، على عرش التنبؤ، وقد صار لوكسياس هو اليوم متنبىء زيوس أبيه. وإلى هذين الإلاهين أُوجّه استهلال صلواتي. لكن

---

(١) في مسرحية «بروميثيوس مغلولاً..» اسخولوس يجعل من الأرض وثاميس إلاهة واحدة هي هي نفسها.

(٢) بحسب رواية أخذ بها كل من فندارس ويوريفيدس فإن أپولون استولى بالعنف على وحي دلف وطرد منه ثاميس. أما فويبا فهي بنت أورانوس وجيا. وعند الشعراء المتأخرين لم تعد طيطانة، بل اختلطت بأرتميس.

(٣) بحسب الرواية الآثينية كانت اقامتها بالقرب من ماراثون.

(٤) يلقب أهل أثينا بلقب: «أبناء هيفايستوس» بسبب أن ملكهم ارخثونيوس كان ابن هيفايستوس.

المنقول يمجد أيضاً بخاصةٍ پلاس[١] پرونايا، وأنا أُوقّر أيضاً الحوريات اللواتي يسكنّ في مغارة كوروكوس[٢] التي تؤثرها الطيور والآلهة الذين يأوون إليها. وپروميوس[٣] Bromios يقيم في هذا المكان ـ أنا لا أغفل عن هذا ـ منذ الزمن الذي فيه الإله، وهو على رأس جماعة من الباخوسيات، اقتاد بنثيا Penthée كما لو كان أرنباً وقتله. وأخيراً أدعو منابع نهر پلايستوس[٤]، وفوسيدون القدير، وزيوس العالي جداً والذي يقود كل شيء إلى نهايته ـ قبل أن أحتل مكاني على عرشي بوصفي متنبّئة. والآن، يا ليت هؤلاء الآلهة يوفقونني في دخولي في هذا المعبد. وإن كان ثم قادمون من بلاد اليونان، فليقتربوا بحسب الترتيب الذي حددته المقادير، كما جرت العادة؛ لأنني أتنبأ وفقاً للترتيب الذي وضعني فيه الإله.

آه! إن منظراً رهيباً في وصفه، رهيباً في رؤيته بعينيّ ـ يجعلني أخرج من معبد لوكسياس (= أپولون)، وهو من الرهبة بحيث لا أجد في نفسي القوة على الوقوف، فأعدو بمساعدة يديّ، غير قادر بعد على الاعتماد على سرعة أقدامي. إن العجوز التي تخاف ليست بشيء بعد، أو هي بالأحرى طفلة. كنت ذاهبة إلى أعماق المعبد الحافل بالقرابين لما أن أبصرت بالقرب من السرّة[٥] رجلاً نجساً لارتكابه جريمة فظيعة، وهو في موقف المستجير، ويداه تقطران بالدم، ومعه سيف حديث الامتشاق. وكان يحمل غصناً عالياً من الزيتون لفّت حوله بعنايةٍ خيوط من الصوف، أو بتعبير أدق خصلة من الصوف البيضاء. وكانت أمام هذا الرجل جماعة غريبة من النساء نائمة وهي جالسة على كراسيّ. ماذا أقول؟ بل هن بالأحرى جورجونات، بل لن أُقارنهن بنمط الجورجونات. لقد شاهدتهن من قبل على لوحة وهن يخطفن طعام فينيه[٦] Phinée. لكن هؤلاء ليس لهن أجنحة؛ وهن سوداوات

---

(١) كان لپلاّس معبدٌ في دلف يقع امام معبد أپولون. وپلاّس قد جلبت أپولون إلى دلف بعد تطهّره في وادي تمبه Tempé.

(٢) مغارة كوروكوس في جبل پرناسوس.

(٣) اسم آخر لديونسيوس، ومعناه: المرتعد، المنذر.

(٤) نهر في اقليم فوقيس.

(٥) كانت «السُّرة» حجراً مخروطياً مغطى بشبكة من الأربطة.

(٦) فينيا الذي من سالمودس ـ في تراقيا ـ وكان ملكاً، ومتنبئاً وقد أصابه الآلهة بالعمى، وكانت الوحوش المجنحة الهاربيات تأتي كل يوم لتسلبه ما يقدم إليه من طعام أو تنجسه. ثم أنقذه الأرجونوت. وقد ألّف اسخولوس مسرحية مأساوية بعنوان: «فينيا، مثلت في سنة ٤٧٢ ق.م.

ومقززات تماماً؛ وشخيرهن من الشدة بحيث لا يجرؤ أحد على الاقتراب منهن؛ ويسيل من عيونهن سائل مخيف، وثيابهن[١] ليست من النوع التي يمكن ارتداؤها أمام تماثيل الآلهة ولا في بيوت الناس. ولم أُشاهد البلد الذي يمكن أن يفخر بإطعام هذه الجماعة دون أن يعاقب ودون أن يأسف على عقابه. أما ماذا يمكن أن يحدث عن هذا، فعند سيد هذا المقام، لوكسياس القدير، الخبر اليقين عنه. إنه يستطيع أن يشفي بوحيه، وأن يفسر المعجزات بل كان يطهر بيوت الآخرين.

(تخرج والمعبد يفتح).

أپولون: كلا، لن أخونك. وسأكون حتى النهاية حارساً لك، وبالقرب منك، ولن أكون رحيماً مع أعدائك. وهأنت ذا ترى هؤلاء الغاضبات المجنونات وقد انخدعن. لقد وقعن في النوم، هؤلاء العذارى المكروهات، عوانس الماضي السحيق، اللواتي لا يقترب منهن أبداً أيّ إله، ولا أيّ انسان، ولا أي حيوان. إنهن لم يولدن إلاّ من أجل فعل الشرّ، وهن يسكنّ في مقام الشرّ: الظلمات وطرطاروس الذي تحت الأرض، ولا يتركنك أبداً، لأنهن سيدفعنك للشرود في قارة فسيحة، وبعد ذلك يعبرن بك البحر إلى مدن محاطة بالأمواج، ولن يتركنك ترعى آلامك وأن تعانق بذراعيك التمثال العتيق. وحينئذ ستجد، مع قضاة وكلمات مهدّئة، الوسيلة لتخليصك من آلامك أبداً. ذلك لأنني أنا الذي حملتك على قتل أُمّك.

أورست: أپولون أيها الملك، أنت تعلم ما معنى العدل. ومن ثم تعلّم أيضاً أن تكون يقظاً. إن قوّتك ضمان لإحسانك.

(هرمس يظهر).

أپولون: تذكّر كلماتي: لا تجعلن الحزن يقهر نفسك. وأنت يا أخي، يا من صدرت مثلي عن دم زيوس، أي هرمس! اسهر عليه. بَرّر اسمك بوصفك «مرشداً»، وذلك بأن ترشد المستجير[٢] بي: وزيوس نفسه يرعى المطرودين ويرشد بني الإنسان.

---

(١) وهي الثعابين التي يلفها الأرنيس حول رؤوسهن أو أذرعتهن أو وسطهن.

(٢) كان هرمس يسمى «بقائد» لأنه كان يقود النفوس إلى العالم السفلي.

(أبولون يختفي.. هرمس وأورست يخرجان من المعبد ويبتعدان من ناحية الشمال. شبح قلوطمنسترا يظهر فجأة في وسط المعبد).

شبح قلوطمنسترا: أنتن نائمات، هيا انظرن! هل أنا في حاجة إلى نائمات! أنا التي تحتقرونها بين أشباح الموتى، إني أسمع باستمرار بين أشباح الموتى من يلومني بكوني قاتلة، وأنا هائمة ها هنا، يسربلني العار. وأكرر القول وأقول إنهن ينعتن ما فعلت بأنه جريمة عظيمة؛ وبعد المعاملة المهينة التي عاملني بها أعز الناس عندي، فإنه لم يظهر أي واحد من الآلهة غضباً لصالح أم ذبحتها أيدٍ قاتلة للأهل. انظرن[1] إلى هذه الجروح بعيون الروح، لأن للروح النائمة عيوناً تضيء لها، بينما إبان النهار بصر بني الإنسان يبقى قصيراً. ومع ذلك فكثيراً ما تجرّعتنّ هداياي، وصبّاتي الخالية من الخمر، وإنما هي مشروبات مهدّئة، في ساعة لا يعرفها الآلهة الآخرون. وكل هذا أنا أراه يداس عليه بالأقدام. أما هو[2] فقد رحل؛ لقد أفلت مثل الظبي، وأبداً بخفة خارج شباككن، وقد غرر بكنَّ بلطف، أصغين إليّ: إن الأمر يتعلق بالحياة، إستعدن رشدكن، يا آلهات العالم السفلي، إني أنا قلوطمنسترا التي تناديكن في الحلم في هذه اللحظة.

(ضجيج من الكورس)

قلوطمنسترا: أضججن ما شئتن؛ لكن الرجل نجا وهرب إلى مكان بعيد. إنهن إنما يتدخلن لصالح أصدقائهن لا لصالحي أنا.

(ضجيج من الكورس)

قلوطمنسترا: حقاً أنت تبالغ في النوم، ولا تأخذك شفقة بما أعانيه، وقاتل أُمه: أورست، قد اختفى.

أنت[3] تنام، انهض بسرعة أليست لك شغلة غير أن تحدث الآلام؟

(صرخة من الكورس)

قلوطمنسترا: النوم والتعب، متحالفان لا يُقْهران، قد جمدا غضب التنين الأنثى الرهيبة.

---

(١) الخطاب موجّه إلى الكورس.
(٢) أي: أورست.
(٣) أي الكورس.

(ضجيج حاد مزدوج)

الكورس: أمسك، أمسك، أمسك، أمسك! انتبه.

قلوطمنسترا: أنت تطارد الدابة في الحلم، وتنبح مثل كلب ملازم دائماً لمهمته. ماذا تفعل؟ انهض ولا تدع التعب يتغلب عليك. لا تغفل عن إدراك ما يكلّفك تخاذلك بواسطة النوم. وعلى قلبك أن يتأثر بتوبيخاتي العادلة؛ إن التوبيخات هي حوافز الحكيم. انفخ على هذا الرجل (= أورست) نفختك الدموية، جَفِّفه بنار ذلك البخار المنبعث من بطنك، طارده وتتبعه، واستنفد قواه بمطاردة جديدة.

(الشبح يختفي)

الكورس: آه! أيتها الآلهة العظام! آه! لقد تألمنا، يا صواحبي!

ـ آه! نعم، لقد تألمتُ كثيراً، وما من أجل شيء!

ـ لقد عانينا ألماً شديداً، وا أسفاه! شرّاً لا يحتمل.

ـ هذه الدابة قد أفلتت من شِباكي، وقد صارت بعيدة!

ـ لقد غلبني النعاس، فأضعت فريستي.

ـ أه! يا ابن زيوس، أنت لصّ.

ـ أيها الإله الشاب، أنت دُستَ بأقدامك على آلهات قديمة.

ـ أنت تشرّف المستجير بك، وهو رجل فاسق، قاسٍ على أهله.

ـ أنت إله، وأنت سرقت منّا جناية قتلٍ للأهل.

هل يمكن أن يقال إن في هذا بعض العدالة؟

لقد جاءني في الحلم توبيخ أصابني في أعماق قلبي كأنه نخاس السائق الذي يمسكه من وسطه. وأشعر تحت ضرب جلدة جلاّد متوحش قشعريرة أليمة جداً تجمّد قلبي.

وعلى هذا النحو يعمل الآلهة الجُدد الذين يحكمون العالم دون أن يحفلوا بالعدالة. ويمكن مشاهدة هذا العرش الذي تقطر منه الدماء من الأقدام حتى

الرأس، تتشرّبه الأرض، الحاملة لنجاسة القتل الرهيبة.

إن الإله المتنبىء قد قَبِل في صور متعامة ذلك الشيء النجس الذي يُدَنِّسه بحركته، دون أن يُطلب منه ذلك. إنه يخالف قانون الآلهة من أجل تكريم إنسان، وقد مزّق التوزيع القديم.

وعبثاً يعذبني، فإنه لن يُسَلم هذا الرجل. وحتى لو هرب تحت الأرض، فإنه لن يُسلَّم أبداً. وأنا اذهب حاملاً تضرّعاته، فإنه سيجد على رأسه منتقماً آخر.

أبولون: اخرج من هنا، أنا آمرك بهذا. اخرجن بسرعة من هذا المقام؛ أخلين معبد التنبؤ: أخشى أن يلدغكن الثعبان ذو الأجنحة البيضاء والذي تطلقه القوس الذهبية التي - تحت تأثير الألم - ستجعلكن تلفظن من أحشائكن رغوة سوداء وتستنزفن دماً متخثراً استخرجنه من القتيل. ليس لكنّ الحق في الاقتراب من هذا المقام. ومكانكم هو حيث العدالة تطيح بالرؤوس، وحيث تقتلع العيون، وحيث يتم الذبح، وحيث يهدر السائل المنويّ عند الأطفال الناشئين، وحيث تقطع أطراف الأعضاء، أو حيث يتم الرجم، وحيث يحدث الصراخ الفظيع تحت تأثير الخازوق المغروس في سلسلة الظهر. أيها الوحوش الملعونون من الآلهة، استمعوا إلى الاحتفالات التي تسركم، وكل تقريركم يتفق مع هذه الفظائع. إن المقام الذي يناسب وحوشاً مثلكن، هو معناه الأسد الشرّاب للدماء، وليس لكنّ أن تتحكمن في هذا المعبد التنبوئي لتطبعن عليه نجاستكن. إذهبن للرعي بدون راعٍ؛ لا أحد من الآلهة يمكن أن يهتم بمثل هذا القطيع.

رئيسة الكورس: أيها الملك أبولون، استمع إليَّ، بدورك. أنت نفسك لا أقول: الشريك، بل الفاعل الوحيد المسؤول مسؤولية كاملة عن الجريمة التي أُرتكبت.

أبولون: وكيف كان ذلك؟ أجيبي، واقصري على هذا كلامك.

رئيسة الكورس: إن وحيك هو الذي أمر ضيفك بأن يقتل أُمّه.

أبولون: لقد أمرته بالذهاب للانتقام لأبيه. وبعد ذلك؟

رئيسة الكورس: وبعد ذلك أنت وعدته باستقباله في الحال بعد إهدار الدم.

أبولون: أجل، أنا أمرته بأن يبحث عن ملجأ في هذا المعبد.

رئيسة الكورس: لماذا تسُبّنا إذن اللواتي يصحبنه؟

أپولون: لأنكن لستنّ مؤهّلات للدخول في هذا المقام.

رئيسة الكورس: إني لا أفعل إلاّ تأدية المهمة التي كُلِّفت بها.

أپولون: وما هذه المهمة الشريفة؟ تفاخري أمامنا بهذا الإمتياز.

رئيسة الكورس: نحن نطرد قتلة أهلهم من بيتهم.

أپولون: وماذا تفعلون مع المرأة التي قتلت زوجها؟

رئيسة الكورس: إنها لم تقتل شخصاً دمه من دمها.

أپولون: أنت تخطئين خطأ فاحشاً، أنت لا تعلمين بألوان القسم التي ضمنها زيوس وهيرا التي هي إلاهة الزيجات. إن حجتك تزدري قوپريس Cypris التي تمنح بني الإنسان أجمل المسرّات. ذلك لأن الفِراش الذي عليه يجمع القدر بين الرجل وزوجه والذي عليه تسهر العدالة هو أجدر بالاحترام من القَسَم. فإن كانت حماستك ضد الزوجين اللذين يقتل كلاهما الآخر قد تراخت إلى درجة أنك لا تحفلين بهما ولا تطاردينهما بغضبك، فإني أُعلن لك أنك ظالمة حين تطاردين أورست. إني أرى أن هناك جرائم تهمّك أشدّ اهتمام، وأخرى تنهار عندها حماستك. لكن الإلاهة پلاّس Pallas (= آثنا) ستتولى الفصل في هذه القضية.

رئيسة الكورس: فيما يتصل بذلك الرجل، فإني أعتقد أنني لن أتركه في سلام أبداً.

أپولون: طارديه إذن، وأضيفي إلى متاعبك.

رئيسة الكورس: لكن لا تسع أنت بأقوالك أن تقلل من شرف تصرّفاتي.

أپولون: تصرفاتك الشريفة هذه أنا لن أقبلها لو بذلتها لي أنا.

رئيسة الكورس: ذلك لأنك ـ فيما يقولون ـ قويّ، وأنت جالس بالقرب من عرش زيوس. أما أنا فيدفعني دم أمّ. وسأطارد بانتقامي هذا الرجل وسأتعقبه.

أپولون: أمّا أنا فسأساعده، وسأنقذ من استجار بي. ذلك انه أمرٌ رهيب عند بني الإنسان وعند الآلهة استصراخ مستجير وقعت به الخيانة عن قصد وارادة.

(المنظر يتغير. يشاهد أورست وهو يعانق تمثال الإلاهة آثنا على الأكروپول في مدينة أثينا).

أورست: «أي آثنا الجليلة! إني ها هنا بأمرٍ من لوكسياس: فاستقبلي هذا

الملعون بإحسان. إنه لم يَعُدْ مستجيراً ذا يدين نجستين: إن نجاستي قد تضاءلت، بفضل الاتصال بالناس الذين استقبلوني في بيوتهم أو التقيت بهم في الطرقات، أثناء تجوالي خلال الأرض والبحر، لقد أطعت وصايا لوكسياس التنبوئية، ووصلت إلى معبدك، وهأنذا متعلق بصورتك أنتظر هنا قرار العدالة.

(الكورس يدخل من ناحية اليسار).

رئيسة الكورس: هذا حسن! ها هوذا دليل واضح: أَطِعْ نصائح هذا المبلّغ الصامت. مثلما يتبع الكلب ظبياً جريحاً، نحن نتبع أثر الدم الذي يتقطر منه نقطة بعد نقطة. لكن تحت تأثير كل هذه المتاعب فإن أعضائي تحطّمت، ومِن صدري تتهدّج أنفاسي. لا يوجد على الأرض مكان لم يمرّ به قطيعي. التزمت بمطاردته، فطرت ـ بدون أجنحة ـ فوق الأمواج أسرع من أية سفينة. وفي هذه المرّة هو يقعي في مكان ما: إن رائحة الدم الإنساني تبسم لي.

الكورس: حذار، حذار جيداً! تفحّص في كل ناحية، إن شئت ألاّ يفلت منك قاتل أُمّه دون أن يدفع ما عليه من دَيْن.

(مجموعة من أفراد الكورس يلمحون أورست).

ـ آه! لقد عثر على ملجأ! لقد أحاط بذراعيه تمثال الإلاهة الخالدة، ويريد أن يحاكَم على الفعل الذي ارتكبه بذراعه.

ـ هذا مستحيل! إن دم الأُم وقد سال على الأرض، فليس من السهل تذكره، ووا أسفاه! إن السائل الذي سال على الأرض قد ضاع إلى الأبد!

ـ بل عليك أنت، وأنت حيّ، أن تقدّم إلى عطشى قرباناً أحمر مأخوذاً من عروقك. أُريد أن أرتوي منك بهذا الشراب الرهيب.

ـ سأجُرّك إلى باطن التراب وقد جف دمك وأنت حيّ، من أجل أن تعاقب، أي قاتل أُمّك بما تستحق من عقاب.

ـ ستشاهد هناك المخازي التي أهانت الألوهية. وسواء أكان المرء ضيفاً أم قريباً فإنه سيعاني العقاب الذي تتطلبه العدالة.

ـ هادس، تحت التراب، يطالب بني الإنسان بحسابات رهيبة، وروحه التي ترى كل شيء تحتفظ بأثر لكل شيء.

(أورست، دون أن يلتفت الى الارنيات، يستمر في الابتهال إلى اثنا).

أورست: علّمني الشقاء، فصرت أعرف أكثر من طريقة للتطهّر وأعرف أيضاً أين ينبغي السكوت، وأين يحق الكلام. وفي الحالة الجاهزة تلقيت - من مولى حكيم - الأمر بأن أرفع صوتي. إن الدم على يدي ينام ويمّحي؛ والنجاسة الناشئة عن قتل الأمّ قد غُسِلَت. كانت لا تزال غضّة حينما طردها، في معبد فويبوس (= أپولون) القربان المطهِّر المكوّن من خنزير مذبوح.. ويطول ذكر أولئك الذين اقتربت منهم دون أن يكون اتصالي بهم قد أصابهم بأي ضرر.

لا يوجد شيء لا يمّحي بمرور الزمن. وفي وسعي إذن، الآن، أن أبتهل بلسان طاهر إلى تلك التي تحكم هذه البلاد. فلتكن إذن آتنا في عوني، وبدون بذل مجهود حربي ستغزو أورست وأرض أرجوس وشعبها، وسيكون حليفاً لها باخلاص وإلى الأبد. فإمّا أن تذهب لنجدة أنصارها، مكشوفة أو محجبة بالظل[1]، إلى البلاد اللوبية، بالقرب من نهر تريثون[2] الذي شاهد شاطئه ميلادها. وإمّا أن تتفحّص - كقائد حربي جسور في سهل فلجرا[3] Philegra - إن الإله يسمع أبعد النداءات - فلتأت إليّ وتنقذني من هؤلاء.

رئيسة الكورس: كلا، لن تنقذك قوّة آثنا، ولا قوة أپولون؟ بل ستهلك، وقد تخلّى عنك الجميع، وغادر السرور روحَك إلى الأبد، وصرت شبحاً خالياً من الدم الذي يغذي الآلهات.

أنت لا تجيب؛ وأنت تنبذ كلامي باصقاً عليه، وأنت فريسة سَمِنَت من القرابين المقدّمة إليّ! أنت، وأنت حيّ، ستقدم إليَّ طعام مأدبتي، دون ذبح شيء على المذبح. ولتسمع أولاً النشيد الذي سيقيدك في الأغلال.

(الكورس يقترب من أورست).

هيّا! لنعقد السلسلة الراقصة: نريد أن ننشد نشيد الفزع، وأن نذكر كيف توزّع فرقتنا على بني الإنسان حظوظهم.

---

(١) معنى النص اليوناني هنا غير واضح تماماً. وقد اتبعنا ما اقترحه مازون في ترجمته الفرنسية.

(٢) من أسماء الإلاهة آثنا الاسم: سليلة تريتون. وتفسيراً لهذا الاسم رأى البعض أن تفسيره هو أن آثنا ولدت على شواطىء نهر، أو بحيرة تريتونيس في ليبيا.

(٣) فيلجرا: ساحة معركة اسطورية انتصر فيها الآلهة على العمالقة. وهذه الساحة كانت توجد في اقليم خلقيس، غير بعيد عن مدينة أثينا.

نحن نحسب أننا قضاة عادلون؛ وإذا أبدى إنسان عن يدين طاهرتين، فلن تتوجه غضبتنا ضده؛ بل سيمضي العمر دون آلام.

لكن حين يخفي مجرم، مثل هذا، يديه الداميتين، فإننا ونحن شهود صادقون، سنذهب لنجدة الموتى، وننبثق أمامه دون رحمة، من أجل أن يدفع دَيْن الدم الذي سفكه.

(الارنيات يحطن بتمثال آثنا پلاّس، مكوّنات سلسلة تحيط بأورست).

الكورس: يا أيها الليل، يا والدي، يا مَنْ انجبتني لمعاقبة من يرون النور ومَنْ فقدوا النور، اسمع صوتي! إن ابن ليتو Leto يريد أن يذلني بأن ينتزع مني هذا الأرنب[١]، وهو القربان الوحيد الذي يستطيع أن يكفّر عن قتل الأم.

وبالنسبة الى فريستنا ـ ها هو نشيد الهذيان الذي فقد الصواب؛ ها هو نشيد الإرنيات، اللواتي يقيدن الأرواح في السلاسل؛ وهو نشيد غير مصحوب بقيثارة، ويملأ بني الإنسان بالرعب.

إن الحظ الذي غزلته البارك[٢] التي لا ترحم ـ هو مصاحبة الانسان الذي ألقى به الجنون في طُرق القتل، مصاحبته حتى أعماق العالم السفلي، ولن يستطيع الموت نفسه أن ينقذه!

وبالنسبة الى فريستنا ـ ها هو نشيد الهذيان، الذي فقد الصواب؛ ها هو نشيد الارنيات اللواتي يقيدن الأرواح في السلاسل؛ وهو نشيد غير مصحوب بقيثارة، ويملأ بني الانسان بالرُّعب.

إن البخت، عند ميلادنا، قد قدّر لنا هذا الحظ: ولا يجوز لأحد من بني الإنسان أن يغمس يده فيه. ولهذا لا يشارك أحدٌ في مآدبنا[٣]. لكن النُّقب[٤] البيض محرّمة عليّ وممنوعة[٥].

---

(١) يشرن إلى أورست، وهو ممسك بقدم التمثال.

(٢) احدى آلاهات المصير اللواتي يغزلن حياة بني الإنسان.

(٣) «مآدبهم» تقوم في الامتلاء من دم ضحاياهن.

(٤) هذا لا يعني فقط أنهن يلبسن الثياب السوداء، بل يعني أيضاً وخصوصاً أن عبادتهن لا تتضمن ثياباً خاصة بالأعياد.

(٥) هنا ينقص بيت شعر في النص اليوناني.

ها أنا أخذت لنفسي خراب البيوت، تلك التي فيها آرس Ares يصرع أخاً هنالك نحن نطارده، مهما تكن قوّته، ونقضي عليه تحت نجاسة جديدة[١].

وها نحن أولاء متأهبات لاعفاء آخرين من هذه المهمة: إننا نريد، أن نتولى القيام بهذا بدلاً من الآلهة، وحتى لا يحتاجوا إلى إجراء مخادعات من هذا النوع.

إن زيوس يبعد عن حضرته الفئة الكريهة المؤلفة من كل أولئك الذين تدنّسوا بسفك الدماء.

وأنا أخذت لنفسي خراب البيوت، تلك التي فيها آرس Ares يصرع أخاً. هنالك نحن نطارده، مهما تكن قوّته، ونقضي عليه تحت نجاسة جديدة.

إن أعظم ألوان المجد تحت السموات تذوب وتضيع مهينة تحت التراب، بتأثير هجوم نُقبنا السوداء وأخاديع خطواتنا الراقصة.

لقد وثبت إلى أقصى علوٍ بقدمي القوية، كيما أسقط بوزن أشد ثقلاً - والهاربون ترنحوا تحت المنجل الثقيل للشقاء[٢].

فيسقط وهو لا يشعر في نوبة من الهذيان تقضي عليه: مثل الليل الذي تنشره نجاسته من حوله فيعمي عينيه، بينما تنقض على بيته سحابة سوداء، كما تعلن ذلك شائعة أليمة.

لقد وثبت الى أقصى علوّ بقدمي القوية، كيما اسقط بوزن أشد ثقلاً - والهاربون ترنحوا تحت المنجل الثقيل للشقاء.

حظي بقي ثابتاً لا يتغير: مهارة وإصرار، ذاكرة جيدة تتذكر الجرائم - هذا كله قد مُنِح للمخيفين، مع قلب مغلق دون التوسلات الانسانية، ليمكنها من متابعة المهمة الحقيرة والمهينة التي تبعدهم عن السماء، وتبقيهم في الحمأة[٣] المظلمة

---

(١) يعني أن مهمة الارنيات هي الانقضاض على الجاني لفرض النجاسة عليه لأنه يستحقها. وهذه النجاسة بعد ذلك تستهلكه وتقضي عليه شيئاً فشيئاً.

(٢) النص غير واضح تماماً. لكن المعنى العام هو أن قطيعاً من الدواب الغاضبة يهاجم الجاني ويسحقه تحت ثقله. والمقصود هو جماعة الارنيات اللواتي ينقضضن على من يقتل اباه أو أُمه عقاباً له وانتقاماً منه.

(٣) كانت الفرقة الأورفية تستعمل هذا التعبير للدلالة على الجزء من العالم السفلي الذي يوضع فيه من لم ينتسب إليهم.

القاسية على خُطى الأموات والأحياء على السواء.

أي انسان كان يمكنه أن يسمع - دون أحلام ولا قشعريرة - القانون الذي حددته لي «البارك» وصدّق عليه الآلهة؟ لقد احتفظ لي بامتياز قديم، ولست مجرداً من التشريفات كيما يكون لي مكانة تحت الأرض، في ليل مغلق دون الشمس.

(الإلاهة آثنا تظهر).

آثنا: سمعت من بعيد نداء صوت: على شواطىء نهر اسكامندر امتلكت البلد الذي وهبني إياه ملوك ورؤساء بلاد اليونان بوصفه نصيباً ثميناً من غنائمنا الحربية، وصارت أرضه ملكاً لي من الآن فصاعداً، وهو نصيب ممتاز يمنح لأبناء ثيسيوس[١]. ومن هناك أحضرت إلى ها هنا خطواتي التي لا تتعب، تاركة - بمثابة أجنحة - ترفرف في الرياح قائدتي المنضوية، وهي عربة سحرية تجرّها خيول قوية[٢]. لكنني لما رأيت هذه الفرقة الجديدة في هذا البلد، فإن نظرتي اندهشت، وإن لم يهتز قلبي. من أنتنّ إذن؟ وأنا أتوجه بسؤالي هذا إلى الجميع: إلى هذا الغريب القابع أمام صورتي؛ وإليكن أنتنّ يا من لا تشبهن أية مخلوقات: إن الآلهة لا يرونكن أبداً بين عِداد الآلهات، وأنتن ليس لكنّ شكل النساء. لكن سبّ الغير دون أن يكون فيه ما يلام عليه - هو فعل ظالم بعيد عن الإنصاف.

رئيسة الكورس: ستعرفين كل شيء بكلمات قليلة، يا ابنة زيوس: نحن بنات الليل الحزينات؛ في المساكن الموجودة تحت الأرض يطلقون علينا اسم: «اللعنات».

آثنا: حسن! أنا أعرف جنسكن والاسم الذي يطلقونه عليكن.

رئيسة الكورس: اعلمي الآن إذن ما هي التشريفات الخاصة بي.

آثنا: ليكن! إن شئت ان تتكلمي بلغة واضحة.

رئيسة الكورس: نحن اللواتي نطرد القاتل من بيته.

---

(١) المقصود هو لسان سيجيا Sigée عند مدخل مضيق البوسفور حيث كان للإلاهة آثنا معبد. وكان هذا الموضع مهماً بالنسبة إلى أهل مدينة أثينا، إذ كانوا يستوردون جزءاً كبيراً من القمح من البنطش وكان ينازعهم عليه كثير من البلاد الأخرى. واسخولوس يريد هنا أن يؤكد حقوق أهل أثينا في لسان سيجيا. وبعد ذلك بثماني سنوات صارت سيجيا من المدن التابعة لأثينة.

(٢) هذه الخيول هي الرياح.

آثنا: وبالنسبة إليه، أين تتوقف مطاردته؟

رئيسة الكورس: في الملكوت الذي لم يعرف فيه السرور أبداً.

آثنا: أهذا إذن هو الموضع الذي تطارد إليه صرخاتكن الرَّجل!

رئيسة الكورس: نعم، لأنه تجاسر وذبح أُمّة.

آثنا: أكان ذلك قهراً، أو خوفاً من انتقام؟

رئيسة الكورس: أي دافع يمكن أن يدفع إلى حد قتل الأبوين؟

آثنا: إني أرى هنا خصمين، لكني لا أسمع إلاّ صوتاً واحداً.

رئيسة الكورس: إنه لا يريد مِنَّا قَسَماً منا ولا لنفسه.

آثنا: أنت تريدين أن تكوني عادلة أكثر مما أنت عليه بالفعل.

رئيسة الكورس: كيف إذن؟ خبّريني، فأنت مليئة بالحكمة.

آثنا: إن الأقسام (جمع: قَسَم) لا تجعل الظلم ينتصر.

رئيسة الكورس: قومي إذن بالتحقيق في هذا الأمر واحكمي حكماً منصفاً.

آثنا: إذن أنتن تكلن إليَّ الحكم في هذه القضية.

رئيسة الكورس: نعم، من أجل أن نقدم إليك التكريم الواجب لك.

آثنا: بماذا تجيب على هذا، أيها الغريب؟ لكن خبّرني أولاً ما هو بلدك، وجنسك، ومصائبك - قبل أن تدافع عن نفسك فيما تتهم به. إن كنت تثق حقاً بالعدالة، وأنت حارس بالقرب من مذبحي، وتعانق صورتي، مستجيراً محترماً مثلما كان اكسيون[1] - فأجب إجابة واضحة عن كل هذه النقط.

أورست: آثنا يا صاحبة الجلالة! سأريحك أولاً من الهم الثقيل الذي تكشف عنه كلماتك الأخيرة إنني لست كائناً نجساً. وأنا لم أجلس عند أقدام تمثالك

(١) كان اكسيون Ixion يعدّ أول قاتل وأول مستجير. وكان قد قتل حماه ديونيه Dionée من أجل يقدم إليه الهدايا المفروضة في مقابل الزواج. فاستجار بزيوس، وزيوس استجاب لاستجـ وطهّره، بل وأقامه في الأولمپ. وهناك عشق هيرا - زوجة زيوس - وأوشك أن يغتصبها لولا زيوس أبدل بهيرا سحابة على صورتها. وعقاباً له قيد في عجلة تدور أبداً. والارنيات يشرنّ هنـ إلى الجزاء الذي لقيه اكسيون عن عقوقه.

ويداي نجستان. وسأسوق إليك الدليل الساطع على هذا. صحيح أن القانون يمنع القتل من أن يرفع صوته، لكن حتى اليوم الذي فيه دم دابة صغيرة يسيل عليه من يد مُطَهِّر للدم المسفوك وقد مضى وقت طويل منذ أن استهلكت نجاستي بالاتصال بمذابح أخرى وفي كل الطرق الموجودة على البرّ وعلى البحر. فاستبعدي إذن هذا الهمّ. إنني من أرجوس، وأبي معروف لك جيداً: إنه أجاممنون الذي سلّح أسطول اليونانيين وساعدك أنتِ على أن تحوّل مدينة الطرواديين إلى خرائب. لقد هلك هذا الوالد في ميتة شائنة حينما عاد إلى بيته. إن أُمّي الخبيثة قتلته بأن شدّته في شبكة معقدة تشهد على الجريمة التي ارتكبت في الحمام. وأنا كنت منفياً منذ زمان طويل، فلما عُدْتُ إلى وطني قتلت أُمّي ـ هذا أمرٌ لا أُنكره ـ كي يكون في هذا القتل الجزاء عن قتل أبي العزيز لكن لوكسياس مسؤول أيضاً عن سلوكي هذا، لأن وحيه كان الدافع عندي، إذ تنبأ لي بأشد الآلام إذا أنا لم أُنفذ أوامره ضد الجُناة. فهل أخطأت في هذا؟ أو كنت على حق؟ لك أن تحكمي، وأنا تحت تصرفك؛ وأقبل حكمك، مهما قرّر بالنسبة إليّ.

آثنا: إذا كانت القضية أخطر من أن يفصل فيها إنسانٌ قاض[1]، فأنا أيضاً ليس مسموحاً لي بالفصل في اغتيالات أملتها غضبة انتقامية ـ خصوصاً وأنك قد جئت مستجيراً، خاضعاً، مُطهراً، دون خطر على مقامي، وأعتبرك ايضاً بريئاً من كل خطأ فيما يتعلق بمدينتي. لكن هؤلاء، من ناحيتهن، لهن حقوق لا يمكن استبعادها بخفة، وإن لم يحصلن على انتصار لقضيتهن على أرض هذا البلد. ففيما بعد سينزل سهم حَنَقهم على المدينة أعني كارثة محزنة لا تحتمل. فأنا إذن في هذا الوضع المحرج: فسواء أرضيتهن أو رفضتهن، فكلا الأمرين سيفضي بي إلى شرور لا مفر منها. لكن ما دام الأمر قد وصل إلى هذا الحدّ، فسأختار القضاة الذين يفصلون في قضية الدم المسفوك؛ وعليهم أن يقسموا القسم الملزم لهم، والمحكمة التي سأقيمها ستقام إلى الأبد. وعليكن أن تلجأن إلى شهود، وإلى أدلّة، وإلى مساعدين أقسموا اليمين. وسأعود بعد أن أُميّز أفضل أهل مدينتي من أجل أن يحكموا بكل صراحة دون أن ينتهكوا أقسامهم بقلوب قد نسيت الانصاف.

---

(١) يعني أن القضية هي من الخطورة بحيث لا يمكن أن يفصل فيها حكام من بني الإنسان أو من الآلهة؛ وإنما يجب أن تتولى الفصل فيها محكمة، بل ومحكمة من بني الإنسان.

(الإلاهة آثنا تخرج).

الكورس: هذا اليوم سيرى إذن مجيء قوانين جديدة، إن كانت قضية - جريمة هذا القتل للأُم يجب هنا أن ينتصر!

إن هذا الحادث الجميل سيعطي لكل بني الإنسان الفانين لهجة الرُّخَص المسموح بها.

ألف جرح بالغ أحدثته الأنباء في أجسامهم - ذلك هو النصيب المخصّص للأقارب في المستقبل القادم!

وهذا لأن الفوريات Furies التي تراقب بني الإنسان ستتوقف هي الأخرى عن الغضب ضد مثل هذه الجرائم. منذ هذا اليوم سأُطلق العنان للقتل بمختلف أشكاله.

وسيتساءل الناس حينئذ بعضهم لبعض، وعلى فم كل واحدٍ رواية مصائب الآخرين: أين نعثر إذن على نهاية، على هدنة لهذه البلايا، ولن يستطيع هؤلاء المساكين إلا أن يتشاوروا عبثاً بشأن العلاج غير الأكيد.

وليس لأحد أن ينادي طالباً النجدة حينما يصيبه البخت، ولا أن يصيح: «إيه أيتها العدالة! إيه يا عروش الارنيات!»

هذه الشكوى النائحة ربما سينوح بها أب، أو أُمّ؛ فريسة لقدر لم يسمع بمثله: إن العدالة في هذا اليوم ستشهد انهيار مسكنها!

هناك أحوال فيها يكون الخوف مفيداً، ويكون حارساً ساهراً على القلوب، وينبغي عليه أن يبقى فيها باستمرار. من الخير أن يتعلم المرء أن يكون حكيماً، في مدرسة الألم.

أيّ إنسان أو أية مدينة سيتحلى بالاحترام الواجب للعدالة، إن لم يوجد شيء تحت السماء يسكن الخوف في روحه؟

لا تُوافق على العيش في ظل الفوضى، ولا في ظل الاستبداد. في كل مكانٍ يسود الاعتدال: هذا هو الامتياز الذي وهبته له الآلهة، وهو وحده الذي يَحُدُّ من سلطتهم المتقلبة المزاج[1].

---

(١) أي أن الآلهة هم أنفسهم قد حدُّوا من سلطانهم بهذا المبدأ وهو: الاعتدال ينتصر دائماً.

أليس من المناسب تكرار هذا هنا؟ إذا تأكد أن عدم الاعتدال هو ابن الفسق، فإن العقل السليم ـ بعكس ذلك ـ ابنه هو السعادة المحبوبة التي ترتجيها كل الأماني الإنسانية.

وأُكرر لك هذا هنا وأقول إنه القانون الأسمى: احترام مذبح العدالة، ولا تقلبه بضربة من قدم فاسقة، تحت تأثير واغراء أي مكسب. سيأتي العقاب، والنتيجة لا مفرّ منها.

وإذن قبل كل شيء، عليك أن تراعي الاحترام الواجب لأهلك، وأحسن إلى الضيوف الذين يدخلون في بيتك. مَنْ مِن تلقاء نفسه ودون أي قسر يَكُنْ عادلاً، لن يُحْرم من السعادة ولن يهلك كُلّه.

لكن العاصي الجسور، الذي حِمْله الاجرامي مكوّن من كنوز تكدّست حيثما اتفق، على الرغم من العدالة، فإنه سيجد نفسه ذات يوم ـ وأنا واثق من هذا ـ مضطراً إلى طيّ شراعه، حينما يستولي عليه القلق أمام السارية التي تتحطم.

إنه ينادي ـ دون أن يصغي إليه أحد ـ وهو في قبضة الدوّامة التي لا تقاوم. والسماء تضحك وهي تشاهد هذا الوقح الذي لم يتوقع مجيء هذه الساعة، وقد صار فريسة لمصائب لا علاج لها وهو عاجز عن مقاومة الأمواج العاتية.

إن سعادته الطويلة المدى في الماضي هو قد ألقى بها في مواجهة صخرة العدالة، وها هو ذا قد هَلَك، دون أن يبكي عليه أحد.

(آثنا تدخل من ناحية اليمين. ووراءها منادٍ يدخّل القضاة. وهؤلاء يجلسون في مواجهة الجمهور. والكورس يتجمع في جانب من الأوركسترا. وأورست يقف في مواجهة الكورس).

آثنا: يا منادي! قم بواجبك، وهدِّىء الجمهور. ولينطلق بوق اترووريا[1] بصوته الحادّ حتى عنان السماء، نافذاً في آذان الشعب. في الساعة التي يجتمع فيها هذا المجلس، ينبغي التزام الصمت وجعل المدينة كلها تسمع القوانين التي أعلنها ها هنا، كيما تدوم أبداً، ومنذ اليوم لتمكين هؤلاء الناس من النطق بحُكم عادل.

---

(١) كان بوقاً طويلاً، ينتهي بنهاية منحنية. وكان يسمى في روما باسم Likuus لأنه كان شبيهاً بالعصا التي كان يستخدمها الأوتروسكيون في التنبؤ بالغيب. وينسب اختراعه إما إلى الأوتروسكيين، وإما إلى التورسيين الساكنين في اقليم لوديا.

رئيسة الكورس: يا مولاي أبولون، ابقَ على أرضك. وإلاّ، فما دخلك في هذه القضية؟

أبولون: أنا جئت كشاهد أولاً: إن هذا الرجل هو ـ بحسب القانون ـ مستجير بي، وهو ضيف في معبدي؛ وأنا طهّرته من الدم المنسوب إليه. كما أنني جئت أيضاً كمدافع، لأنني مسؤول عن قتل أُمّه. (مخاطباً اثنا): افتتحي الجلسة، وافصلي في هذه القضية بحسب حكمتك.

(آثنا تلتفت نحو الارنيات).

آثنا: الكلمة لكنّ؛ وأُعلن افتتاح المناقشة. وعلى مقدّم الاتهام أن يتكلم أولاً، وأن يبيّن لنا الوقائع بالدقة.

رئيسة الكورس: على الرغم من كثرة عددنا، فإننا نستطيع الإيجاز. على كل سؤال أجيب إجابة صريحة دقيقة. خبرني أولاً ألم تقتل أُمّك؟

أورست: نعم أنا قتلتها: هذا امرٌ لا أُنكره.

رئيسة الكورس: هذه واحدة من ثلاث[1] قد كسبناها.

أورست: أنا لم اسقط على الأرض؛ فلا تفتخري بشيء.

رئيسة الكورس: وعليك أن تذكر ايضاً كيف قَتَلتها.

أورست: ذراعي سحب السيف واحتزّ عنقها.

رئيسة الكورس: لكن مَنْ دفعك إلى هذا؟ ومن حرّضك؟

أورست: وحي الإله الذي هو اليوم شاهدي.

رئيسة الكورس: لعل العرّاف هو الذي أملى عليك أن تقتل أُمّك؟

أورست: وأنا لا أشكو حتى الآن من قَدَري.

رئيسة الكورس: حين يصدر الحكم عليك، فإنك ستُغير رأيك.

أورست: إن أبي ـ الذي أثق به ـ سيرسل إليَّ نجدته.

رئيسة الكورس: ضع ثقتك في الموتى، أنت يا مَنْ قتلت أُمّك!

---

(١) في المصارعة كان المصارع لا يعد منتصراً تماماً إلا إذا كان خصمه قد مسّ الأرض ثلاث مرات.

أورست: إنها كانت قد تنجّست بجريمتين اثنتين معاً.

رئيسة الكورس: وكيف؟ خبِّر مَنْ عليهم أن يحكموا.

أورست: إنها بقتلها لزوجها قد قتلت أبي[1].

رئيسة الكورس: لكنك حيّ، بينما هي قد لقيت جزاءها بقتلها.

أورست: لكن لما كانت لا تزال حيّة، هل طاردتها أنت؟

رئيسة الكورس: كلا، لأنها لم تكن مِنْ دم مَنْ قتلته.

أورست: ماذا؟ وهل أنا مِنْ دم أُمّي؟

رئيسة الكورس: وكيف إذن غَذَّتك في رحمها، أيها القاتل؟ هل تنكر إذن دم الأمّ العذب؟

أورست: عليك أن تشهد يا أپولون. بَيِّن: هل أنا قتلتها بالعدل؟ إنني لا أنكر الواقعة نفسها لكن: هل يبدو لروحك أن هذا القتل له ما يبرره، أو لا؟ انطق، وبهذا سأُخبر هؤلاء.

أپولون: سأُجيب عليك أيتها المحكمة التي أقامتها آثنا: هذا القتل له ما يبرره. وبوصفي نبياً فلا يمكنني أن أكذب. وعلى عرشي التنبُّوئي لم أنطق بوحي خاص برجل أو امرأة أو مدينة ـ لم يكن بأمر من زيوس، أبي الألومپيين (= الآلهة المقيمين على جبل الأولمپ). وهذا التبرير له قيمته: وأنا أدعوكم إلى فحصه واتباع إرادة أبي. ولا قَسَم يتغلّب على زيوس.

رئيسة الكورس: إنه إذن زيوس ـ بحسب كلامك ـ هو الذي أملى عليك الوحي الذي أمر أورست بالانتقام من مقتل أبيه دون أن يحفل بالاحترام الواجب نحو الأم.

أپولون: نعم! وفارقٌ عظيم بين موت بطل نبيل يحيط به الإجلال الواجب للصولجان الذي هو هبة من زيوس ـ وبين الموت الناجم عن ساعد امرأة لم تقتل

---

(١) بحجة مماثلة قال أورست لأمه (في مسرحية «حاملات القرابين») «لقد تمّ بيعي مرتين» ـ أي بصفتين: بوصفي ابناً، وبوصفي أميراً. وكذلك الحال فيما يتعلق بقلوطمنسترا: إنها قتلت زوجاً كما قتلت رب أُسرة، بقتلها لأجاممنون. فالجاني يصاب بنجاسات بمقدار ما يرتكب من انتهاك لحقوق مختلفة.

بواسطة القوس البعيد المدى لأمزونة محاربة وإنما تم بالطريقة التي ستعلمينها يا بلاّس Pallas (= آثنا) وسيسمعها كل أولئك الجالسين هنا للفصل في هذه القضية بأصواتهم. إن أجاممنون كان عائداً لتوه من حرب ظفر فيها بالانتصار في كل موضع بعيد، واستقبلته قلوطمنسترا بكلمات المحبة، واقتادته إلى الحمّام. ولمّا غادر الحوض ألقت هي عليه ملاءة كبيرة وضربت زوجها وقد أحيط به في هذا الرداء المطرّز الذي كان بمثابة أحبولة لا مخرج منها. تلك كانت نهاية البطل العظيم، قائد الحملة البحرية.. لقد قلت ما قلت من أجل إيقاظ غضبة الناس المكلفين ها هنا بالفصل في هذه القضية.

رئيسة الكورس: لو استمع لك، لكان زيوس كبير الاهتمام بالوالد. لكنه هو قيّد في السلاسل أباه العجوز: خرونوس. فكيف توفّق بين هذا وذاك؟ (مخاطبة القضاة): وأتوسل إليكم أنتم أن تصغوا جيداً.

أپولون: إن زيوس يعرف كيف يفك الوحوش البغيضة عند الطبيعة كلها، وعند الآلهة - يفكها من أغلالها. وثم علاج لهذا، إذ توجد وسائل عديدة للتخلص منها. لكن حين يتشرب التراب دم إنسان مات، فليس له بعث. إن أبي لم يخلق لهذا تمائم سحرية، وهو الذي قَلَب العالم دون أن يناله أيُّ تعب.

رئيسة الكورس: على هذا النحو إذن أنت تحكم ببراءته! إنه دم أُمّه الذي يجري في عروقها هو ما سفكه وأساله على الأرض، وسيسكن في أرجوس، في قصر أبيه! في أية مذابح هو سيذبح إذن الأضاحي؟ وأية فرترية[1] ستسمح له باستخدام مائها الطقوسي؟

أپولون: استمع إلى جوابي، وشاهد صحّة احتجاجي: ليست الأُمّ هي التي تنجب مَنْ يسمى: الابن؛ إنها ليست إلاّ المُغَذِّية للجرثومة التي تُبذَر فيها. أما الذي ينجبه حقاً فهو الرجل الذي يلقي بمنيّه فيها، أما هي - مَثَلها مَثل أجنبية فإنها تحرس الغرس، حينما لا يصيبه الآلهة بأية إصابة.. وأسوق إليك الدليل على هذا: وهو أن من الممكن أن يكون المرء أباً بدون مساعدة أُمّ. وثم شاهد على

(١) كانت الفرترية Phratrie في أثينا ذات صبغة دينية، وكانت تجمع في داخلها عدداً من الأُسر اللاتي تمارسن عبادات مشتركة. وأثينا كانت مقسّمة إلى أربع قبائل، وكل قبيلة تتألف من ثلاث فرتريات؛ وكانت الفرترية مكوّنة من ثلاثين أُسرة مرتبطة بالاشتراك في تقديم الأضاحي.

هذا قريب منا وهو أن ابنة زيوس الأولمپ لم تتغذ في رحم أمّ: فأية إلاهة استطاعت أن تنجب مثل هذا الإنجاب. . وفيما يتعلق بي، أنا پلاس Pallas، حكمتي تستطيع أن تجعل عظيماً شعبك ومدينتك لكن منذ هذه الساعة قد اقتدت هذا المستجير إلى مذبح معبدك، كيما يكون مخلصاً لك دائماً، ويكون لك حلفاء: فيه وفي أبنائه، ويبقى لك هذا الإخلاص في أبناء أبنائه.

(آثنا تخاطب الارنيات).

آثنا: هل أقدر أن أدعو الآن هؤلاء القضاة كي يضعوا في الإجانة أصواتهم المنصفة، بحسب ما تمليه ضمائرهم؟ وهل قلتم كل شيء؟

رئيسة الكورس: إن جعبتنا نحن قد صارت فارغة الآن: وأنا أنتظر القرار الذي يُنْهي المناقشة.

(آثنا تتوجه إلى أبولون وأورست).

آثنا: وأنتما؟ ماذا ينبغي عليَّ أن أفعل لتلافي مآخذكما؟

أبولون (مخاطباً القضاة): لقد سمعتم ما سمعتم، فاحتفظوا في قلوبكم باحترام القَسَم، أيها الغرباء.

آثنا: اسمعوا الآن ما توصلت إليه، يا مواطني مدينة أثينا، فأنتم أول المدعوّين لمعرفة الشأن في الدم المسفوك. إن شعب إيجيه سيحتفظ بهذا المجلس من القضاة، مع تجديده باستمرار. على جبل آرس Ares هذا أقامت الأمزونات في الماضي خيامهن، في الأيّام التي حاربن فيها مدينة أثينا بغضاً منهن لثيسيوس[1] ـ وفي مواجهة قلعته أقمن المتاريس العالية لقلعة أخرى. وضحين بالأضاحي قرباناً لآرس هناك، ولا تزال الصخرة والجبل يحتفظان باسم آرس ـ أقول إنه على هذا الجبل من الآن فصاعداً ـ الاحترام والخوف أخوه ـ سيمنعان المواطنين بعيدين عن

(١) الدافع إلى هذا البغض اختلف في تحديده: هل هو اختطاف ملكتهن (أنثيوب أو هپوليت)؟ أو الاهانة التي وجهت إلى هذه الملكة، لما ان هجرها تيسيوس بعد أن تزوجها، وتزوج من فدر Phèdre؟ إن الخلاف في هذا الشأن كبير بين الأساطير المتعلقة به، ومن الصعب معرفة رأي اسخولوس في هذا الشأن. ويلوح أن استقرار الجيش المهاجم على صخرة المحكمة مستلهم من حصار الفرس للأكروپول في سنة ٤٨٠ ق.م.

الجريمة ليلاً ونهاراً، اللهم إلاّ إذا قلبوا قوانينهم: ذلك لأن من يعكّر الينبوع الصافي بمجاري نجسة وبطين فلن يجد بعد ذلك ما يشربه. لا فوضى، ولا استبداد: تلك هي القاعدة التي أنصح مدينتي باتباعها بتوقير. وينبغي حصرها، ألا تطرد أيّ خوف إلى خارج أسوارها؛ ذلك أنه إذا لم يكن ثمَّ ما يخاف منه، فأي إنسان سيفعل ما يجب عليه؟ إنكم إن احترمتم ـ كما ينبغي ـ هذه السلطة الجليلة، فستجدون فيها حصناً حصيناً لبلادكم ولمدينتكم، حصناً لم يظفر بمثله أي شعب: لا في اسقوثيا، ولا على أرض فالوفس[1] Pelops. إن المجلس الذي أشكله ها هنا نزيه، موقّر، لا يلين ولا يتهاون في رعاية والسهر على المدينة النائمة. تلك هي النصائح التي أردت إسداءها الى مواطني ليعملوا بها في الأيام القادمة. والآن يجب عليكم أن تقفوا وأن تدلوا بأصواتكم وأن تفصلوا في هذا النزاع وأنتم تحترمون قَسَمكم. هذا ما أردت أن أقوله.

(القضاة: ينهضون جميعاً ويتوجهون نحو الاجانات).

رئيسة الكورس: احذروا! إن حضوري سيكون ثقيلاً على هذا البلد، وأنصحكم ألا تزدروا هذا التهديد.

أبولون: وأنا أقول لكم: إن وحيي هو وحي زيوس؛ فاخشوا من تبديد ثماره.

رئيسة الكورس: إن قضايا الدم ليست من اختصاصك: فلماذا تهتم بها؟ لن يكون فمك طاهراً للنطق بو-حيك.

أبولون: هل أخطأ أبي إذن في حساباته يوم أن جاءه اكسيون ـ أول قاتل ـ مستجيراً به؟

رئيسة الكورس: أنت الذي تقول هذا! ـ أما أنا فإنني إذا لم أكسب هذه القضية، فإن هذا البلد سيشعر بوطأة حضوري هنا.

أبولون: لا واحد من الآلهة الأقدمين أو المحدثين يحترمك: إنني أنا الذي سأنتصر.

---

(١) كان الاسقوثيون والداريون يعتبرون نماذج للحكم الحسن، أي أنهم كانت لديهم أنظمة حكيمة وعادلة.

رئيسة الكورس: هكذا أنت تتصرف في قصر فيريس Pheres: أنت أقنعت الپاركات بجعل بني الانسان خالدين[١].

أپولون: أليس من الطبيعي فعل الجميل مع من يوقرك، خصوصاً في ساعة الحاجة؟

رئيسة الكورس: إنك أنت الذي مزّقت التقسيم القديم واستعملت الخمر لخداع الآلهات القديمة.

أپولون: حينما تخسرين الحكم المتوقّع فإنك لن تبصقي بعد إلاّ سمّاً عاجزاً في وجوه أعدائك.

رئيسة الكورس: إنه ليلذ لك، أيها الإله الشاب، أن تسحق شيخوختنا: فليكن! أما أنا فإني أنتظر سماع قرار المحكمة، وأكظم غضبي على هذا البلد حتى حينئذ.

آثنا: من حقي أن أكون آخر من يدلي بصوته. لم تجلبني إلى هذا العالم أُمّ. وقلبي يؤيد الرجل تأييداً تاماً ـ على الأقل حتى الزواج. وأنا في صف الأب دائماً وبدون أي تحفظ. وليس لديّ اعتبارٌ خاص بالنسبة إلى موت امرأة كانت قتلت زوجها، الساهر على بيتها. (تضع صوتها في الإجانة) وكي ينتصر أورست يكفي أن تتساوى الأصوات. ألقوا بسرعة بأصواتكم في الإجانات، يا أيها القضاة المكلفون بهذه المهمّة.

أورست: إيه يا أپولون فويبوس، ماذا سيكون القرار؟

رئيسة الكورس: يا أيها الليل البهيم، يا أبي، ألا ترى ما يحدث؟

أورست: هل لا بد لي أن أشنق نفسي، أو أن استأنف الحياة؟

رئيسة الكورس: هل لا بد لنا أن نهلك، أو أن نحتفظ بشرفنا؟

أپولون: احسبوا بالدقة الأصوات التي أُدليَ بها، أيها الغرباء؛ وفي عدّها اعملوا على تجنب كل غلط أو غش. إن الصوت الناقص يؤدي إلى كارثة، كما أن الصوت الزائد يرفع شأن بيت.

---

(١) إشارة إلى أسطورة أدميت Admète. ومعناها أن أپولون قد حصل من الپاركات على إنقاذ أدميت من الموت، وقد تم له هذا بفضل إسكاره للإلاهات بالخمر.

(القضاة المكلفون بفحص الأصوات يقدمون إلى آثنا اللوحات التي سجّلوا عليها الأصوات).

آثنا: هذا الرجل بريء من جريمة القتل: إن عدد الأصوات متساوٍ بين كلا الجانبين.

أورست: يا پلاّس، يا من إليك يرجع الفضل في انقاذ بيتي، لقد فقدت حتى أرض آبائي، وأنتِ أعدتها إليّ. وسيقول الناس في بلاد اليونان: «لقد صار من جديد مواطناً في مدينة أرجوس ومالكاً لتراثه وأمواله، بفضل پلاّس وبفضل لوكسياس» ـ وبفضل الحكم الأعلى، الإله المنجّي[1]، الذي التفت إلى قتل الأب، ولما رأى هؤلاء يدافعن عن أُمي، وهبني النجاة. لكن من أجل هذا البلد، ومن أجل شعبك، ومن أجل المستقبل والزمان الذي لن ينتهي ـ ها هو القَسَم الذي أقسم به في اللحظة التي أعود فيها إلى مسكني: لن يحمل ملك يحكم أرجوس السلاح الظافر في هذه الأماكن أبداً. وأنا نفسي، حين أكون في أعماق قبري، سأتعهد لمن ينتهك هذا العهد الذي ذكرته لكم هنا، أن أجعله يندم على مقامرته، وذلك بإصابته بانتكاسات لا شفاء منها، وبتيئيسه من تصرّفه ووضع العقبات الأليمة في طريقه. وفي مقابل ذلك، فإنه إذا روعيت أقسامي (جمع: قَسَم)، وإذا لم تتوقف بلدي عن مساعدة مدينة پلاس (= مدينة أثينا) بالسلاح الحليف، فإنني سأكون رحيماً معها. وداعاً إذن، وداعاً يا پلاّس، وداعاً يا شعب مدينة أثينا ولتكن هجماتك على الأعداء قوية لا تقاوَم: تنقذ مدينتك، وتمجّد أسلحتك.

(أورست يخرج. أپولون كان قد خرج).

الكورس: آه، أيها الآلهة الشباب! أنتم دُستم على القوانين القديمة، وتنتزعون ما في يدي منها. ليكن! إن البائسة التي أُهينت ستجعل هذه الأرض ـ آه! يا للويل! ـ تشعر بوطأة غضبها. وكل قطرة تسيل من قلبي ستكلّف هذه المدينة ثمناً غالياً: سيصيبها البَرَص المهلك للأُسرة، والمهلك للولد[2]، حينما يصيب هذه الأرض ـ الانتقام! الانتقام ـ سيوقع بها أكثر من جُرح قاتل. لكني أنوح! فكيف العمل؟ لنكن شديدي الوطأة على هذه المدينة. آه! لقد أُصِبن بإهانة رهيبة: بنات الليل الحزينات، وأُهِنَّ بكل قسوة.

---

(١) المقصود هو: زيوس.

(٢) حينما تصاب مدينة بنجاسة، فإن آرس ـ إله الطاعون ومنفذ انتقام الآلهة ـ يصيبها بالبلايا الشديدة: بالجراح الواسعة، ويهلك الناس والأنعام والمحاصيل الزراعية.

آثنا: استمعن إليّ، واعفين أنفسكن من الزفرات الثقيلة. لستن مهزومات: إنه قرار غير متين ذلك الذي صدر عن التصويت ومن أجل إرضاء الحقيقة، وليس من أجل إذلالكنّ. لقد كانت هناك شهادات ساطعة، صادرة عن زيوس، وقد أتى بها إلينا ذلك الذي تنبأ لأورست بأن أمثال هذه الأفعال لا تستحق أي عقاب. أنتن تردنّ أن تنفثن على هذا البلد بغضبة شديدة: فَكّرن، ولا تنفعلن. ولا تجعلن هذه الأرض جدباء، بأن تفرزن من شفاهكنّ الالاهية رغوة متوحشة مليئة بالجراثيم. وأنا أُقدّم إليكن، في هذا البلد الملجأ اللائق، والمذابح اللامعة[1] التي عليها تجلسن محوطات باحترام هؤلاء المواطنين.

الكورس: آه! أيها الإلاهة الشابة! أنتم دُستم على القوانين القديمة، وتنتزعون ما في يدي منها. ليكُن (إن البائسة التي أُهينت ستجعل هذه الأرض ـ آه! يا للويل! ـ تشعر بوطأة غضبي وكل قطرة تسيل من قلبي ستكلّف هذه المدينة ثمناً غالياً. سيصيبها البَرَص المُهْلِك للأُسرة، والمهلك للولد، حينما يصيب هذه الأرض ـ الانتقام! الانتقام! ـ سيوقع بها أكثر من جُرْح قاتل. لكنني أنوح! فكيف العمل؟ لنكن شديدي الوطأة على هذه المدينة. آه! لقد أُصِبنَ بإهانة رهيبة بنات الليل الحزينات، وأُهِنَّ بكل قسوة.

آثنا: إنّكنّ لم تُهَنَّ أبداً؛ في إسرافكن في الغضب، أيتها الإلاهات، لا تَثُرنَّ على بني الإنسان؛ لا تجعلن الأرض صَمّاء عن نداءاتهم.. أنا أتكفّل بزيوس؛ وأنا ـ هل يحق لي أن أقول ذلك؟ ـ وأنا، وحدي من بين الآلهة، أعرف كيف أفتح الغرفة التي ترقد فيها العاصفة المجنونة، لكن لا حاجة إلى هذا ها هنا. هيّا! لا يحق لفمك الغاضب أن يُلقي على الأرض كلمات ثمرتها الوحيدة هي الموت للجميع! قِف هذا السيل الأسود من الكراهية؛ وتلق نصيبك من الشرف وتعال عِشْ معي. في هذا البلد الشاسع كل البواكير، وقرابين الميلاد، وقرابين[2] الزواج ستقدم إليك ولن تَكُفَّ عن إطراء نصيحتي.

---

(١) كانت المذابح تعدّ عروش الألوهية، وكان المؤمنون يلمعونها بالزيت.

(٢) في عشية الزواج كان أبو العروسة يقدم أضحية أولية «تسمى بروقليا». وكانت هذه الأضحية تقدم الى الارنيات، على الأقل في مدينة أثينا. ونحن نعلم أن الپاركات كن أيضاً يبتهل إليهن في هذه المناسبة وكانت الارنيات يطلبن مساعدة الپاركات لتأمين زواج الفتيات في أثينا.

الكورس: أأعاني أنا هذا المصير، وأنا الإلاهة القديمة؟! أأقيم في هذا البلد ككائن نَجِس ومحتقَر، آه! كلا، إني لا أتنفس إلاّ الغضب والانتقام. إيه يا أرض ويا سماء! أية آلام تنفذ إذن في قلبي! استمع إليّ أيها الليل، يا أب! شرفي القديم قد انتزعه مِنّي آلهة لهم حِيَل خبيثة وأطاحوا به.

آثنا: أرى التسامح مع غضبك، لأن لك احترام السنّ. لكن إن كنت ـ من غير شك ـ تعرفين أكثر مما أعرف أنا، فإن زيوس قد أعطاني بعض الحكمة. إنك إن ذهبت إلى بلد آخر، فإنك ستأسفين على هذا البلد. أصغي إلى وحيي: إن الموجة الصاعدة التي للأيام ستزيد من مجد مدينتي؛ وأنتِ إذا استقريت، على الأرض الماجدة، إلى جوار مقام ارختيا[1]، فستشاهدين مواكب من الرجال والنساء يقدمون إليك ما لا يستطيع أي شعب آخر أن يقدمه. وأنتِ، من ناحيتك، في هذه الأماكن التي أحبّها، لا تغرزي هذه السّنان الدامية التي تهلك الصدور الشابة وتسكرهم ـ بدون خمر ـ بسورات جنونية، لا تهَيِّجي الغضب في قلوب مواطنيّ ـ كما يفعل الناس مع الدِّيكة، ولا تمنيهم بالتعطش إلى القتل، الذي يثير الأخ ضد أخيه ببث الجرأة في كل منهما. فلتأتِ الحرب الأجنبية، وهي دائماً في متناول أولئك الذين تعمل فيهم الرغبة في المجد الحقيقي ـ لكن يا لسوأة المعارك التي تقع بين الطيور الساكنة في نفس الوكر! هذا هو ما يحق لك أن تتلقبه من يدي: تبريكات للتوزيع، تبريكات للقبول، وستكونين مباركة من البلد الطيب الذي ستصيرين مواطنة فيه.

الكورس: أأعاني أنا هذا المصير، وأنا الإلاهة القديمة؟! أأقيم في هذا البلد ككائن نَجِس ومُحتَقر؟! آه! كلا، إني لا أتنفس إلاّ الغضب والانتقام. إيه يا أرض ويا سماء! أية آلام تنفذ إذن في قلبي! استمع إليّ أيها الليل، يا أبي! شرفي القديم قد انتزعه مِنّي آلهة لهم حِيَل خبيثة، وأطاحوا به.

آثنا: كلا، أنا لا أكِلُّ عن ذكر ما هي مصلحتك، خوفاً من أن تدّعي أن أُلوهيتي الشّابة ورجال هذه المدينة قد طردوا دون شرف ونفوا من هذه الأرض إلاهة قديمة. إن كنت تعرفين احترام الإقناع المقدس، الذي يهب كلامي عذوبته

(١) أي مبنى الأرختيون على الأكروبول في أثينا، وربما الأكروبول هو نفسه الذي كان يعد مقام ملوك مدينة أثينا القدماء.

السحرية ـ فستبقين ها هنا. لكن إن رفضت هذا، فإنك ستكونين ظالمة حقاً إن سمحت بأن يقع على هذا البلد الحَنَق، أو الغضب، أو الانتقام اللواتي ستكون قاسية على شعبي، بينما مسموح لك أن تتمتعي ـ دون معارضة ـ بحق المواطنة في وسط مدينة ستحترمك أبداً.

رئيسة الكورس: يا آثنا الجليلة، ماذا سيكون مقامي؟

آثنا: خالياً من كل تعب: اقبليه، وصدّقيني.

رئيسة الكورس: لنفرض أنني أقبله: فأية تشريفات تنتظرني؟

آثنا: بدونك لن يسعد أيّ بيت[١].

رئيسة الكورس: هل تستطيعين أن تؤمّني لي كل هذه القوة؟

آثنا: لن أحمي إلاّ من يشرّفك.

رئيسة الكورس: وهذا الالتزام سيستمر إلى الأبد؟

آثنا: مَنْ ذا الذي يرغمني على التعهد، إذا كنت لا أستطيع الوفاء؟

رئيسة الكورس: إنك تسحرين غضبي: وأنا أتخلى عن كراهيتي.

آثنا: إذن ستكوّنين لك هنا أنصاراً مخلصين.

رئيسة الكورس: أية آمال تأمرينني بأن أنشدها على مدينتك؟

آثنا: تلك التي تجلب انتصاراً[٢] لا غبار عليه. وأولها: أن تأتي الأنسام التي تهب من الأرض، ومن الأمواج البحرية أو من السماء ـ تأتي على هذا البلد على أشعة شمس سعيدة الطالع! وأن لا توقف خصوبة التربة الثمينة والماشية عن جعل مدينتي تعيش في رغد وهناء، أبداً. وأن تصان ذرية بني الإنسان المقيمين فيها! وأن تجتثي أنت الفاسقين دون رحمة. بودي أن أرى مثل بستاني صالح، أن العادل ينمو في حمى من هذا الزؤان. تلك هي الأماني التي تتعلق بك. وأما فيما يتعلق

---

(١) الأرنيات يعطين السعادة المادية، وليس في قدرة آثنا أن تضيف إلى هذا الامتياز. لكن المدينة الهانئة لا تستمتع بالسعادة إذا كان يهددها عدو. وحمايتها من الكوارث أمر من شأن آثنا وحدها. وآثنا بتعهدها بحماية الشعب الذي يجل الأرنيات، فإنها تقدم السبب الحاسم للتعلق بهؤلاء الآلهات.

(٢) أي: انتصاراً ليس انتصار فئة على فئة، بل الوفاق بين الجميع. وهذا أيضاً هو ما سيطلبه الأرنيات؛ عما قليل.

بالصراعات الحربية، فإنني أنا سأعمل على أن تكون مشرّفة لمدينتي، وأن تكون المنتصرة من بين بني الانسان!

الكورس: نعم، أنا أُريد أن أعيش مع پلاّس (= آثنا) وألاّ أزدري أبداً المدينة التي جعلها زيوس القدير وآرس بُرْجَ سيادة الآلهة بفضل حضورها، وحصناً حصيناً لمذابح اليونان المقدسة. وسأنشد عليها تمنياتي على شكل وحي مبارك. ولتنبثق المفاخر التي تؤمن الحياة السعيدة ـ تنبثق جمّة على ضوء شمس ساطعة!

آثنا: إني أطبع الحب الذي أحمله لهذا الشعب، بأن أوطّن ها هنا آلاهات قويّة الشكيمة، مهمتهن هي ترتيب كل أمور بني الإنسان. مَنْ لم يستطع أن يتصالح مع هذه الآلهات الرهيبة لا يستطيع أن يدرك من أين تأتي الضربات التي تنقضُّ على حياته. إنها جرائم آبائه هي التي تسوقه أمامها، وتهلكه منية صامتة تحت غضبتها الجبارة، على الرغم من لهجته المتكبّرة.

الكورس: يا ليت الريح السموم لا تأتي لإصابة أشجارنا بالجفاف: ستكون هذه نعمتي: إن النار التي تحرق البراعم الغضة لن تجتاز حدودكم. ويا ليت الماء الشرير الذي تموت منه المحاصيل لا يقترب من هنا! ويا ليت الأرض تغذي بالكلأ الأغنام الجميلة، ويا ليت كل نعجة تلد خروفين معاً في الوقت المحدّد! ويا ليت نتاج الكنز الذي كشفت لكم عنه هذه الأرض لا يتوقف أبداً عن تشريف هبة الآلهة[1]!

آثنا: هل سمعتم، يا حرّاس المدينة، ما هي مستعدة لعمله من أجلكم؟ إن قوة ارنيس العظيمة كبيرة، بالنسبة الى الخالدين (= الآلهة)، كما بالنسبة إلى آلهة العالم السفلي. أما بالنسبة إلى بني الإنسان فإنهن هن اللواتي يعطين البعض منهم الأناشيد، ويعطين البعض الآخر حياة مكللة بالدموع.

الكورس: إني أُقصِي عنكم الأقدار التي تحصد الشباب. فاسمحوا للعذارى المحبوبات بالعيش مع الزوج، أيتها الپاركات المتحكّمات في مصير بني الإنسان، بنات آثنا، أيتها الموزعات الإلاهيات للانصاف؛ إنكن مقيمات في كل بيت، وفي

(١) الاشارة هنا هي إلى مناجم مارونيا Maronée التي اكتشفت في القرن الخامس قبل الميلاد (راجع ارسطو: «دستور أثينا» فصل ٢٢، بند ٧)؛ وقد كانت بالفعل «هبة» من الآلهة، إذ كانت وفيرة الانتاج دون انقطاع».

كل ساعة أنتن تُشعرن بثقل حضوركن المحقق للعدالة، أنتن أكبر الآلهة حظاً من الإجلال.

آثنا: إن قلبي يستشعر السرور وأنا أسمع ما يؤمّنه من إحسان لمدينتي؛ وأنا أُبارك الإقناع الذي ترشد نظراته شفاهي ولساني في مواجهة ما لهن من رفض جبار. إن إله القول، زيوس، قد انتصر، وإصراري المُحْسن قد انتصر إلى الأبد.

الكورس: ألا ليت العذاب المتشرب للدماء السوداء التي سفكها المواطنون لا يجازى بدم الانتقام الذي يدمّر المدن! ألا ليت الجميع لا يتبادلون فيما بينهم إلاّ المسرّات، وهم مملوؤون بالحب المتبادل، وإذا كرهوا كرهوا بقلب واحد أحد!

آثنا: هل يستطيع أحد أن يقول إنهن يرفضن العثور على طريق التمنيات السعيدة؟ على هذه الوجوه المخيفة أرى أنه سيخرج لهذا الشعب منافع رائعة. فإن أجبتم على حبهم بتشريفات رائعة وأبدية فإنكم ستظهرون للعالم أنكم جميعاً تقودون بلدكم وشعبكم في سُبل العدالة المستقيمة.

الكورس: وداعاً! عيشوا سعداء في بحبوحة من نِعَم الثراء، عيشوا سُعداء، يا سُكّان هذه المدينة، وأنتم جالسون إلى جوار عذراء زيوس، باذلين لها الحب، ومحصّلين الحكمة في كل يوم! إن الذي يحتمي تحت جناح بلاّس (= آثنا) يحترمه أبوها (= زيوس).

آثنا: وداعاً، وأنتن أيضاً عِشن سعيدات! لا بد لي أن أسير أمامكن وأن أريكن مسكنكن، على الضوء الورع للموكب السائر اذهبن، مع هذه الأضاحي المقدسة واهبطن إذن تحت الأرض، وأبعدن الشرّ بعيداً عنّا، وابعثن الينا بالسعادة، وبالنصر لمدينتي.

وأنتم، يا سادة هذه المدينة، يا أبناء كراناوس - بيّنوا الطريق لأولئك اللواتي يتلقين هنا حق الإقامة؛ وعلى مواطنيّ - من أجل سعادتهم - ألاّ يضعوا إلاّ الخطط السعيدة.

الكورس: وداعاً! عيشوا سُعداء، أُكرر تمنياتي لكم جميعاً يا من تقيمون في هذه المدينة «آلهة» كنتم أو من بني الإنسان. إن مدينتكم هي مدينة پلاّس (= آثنا): فعليها أن تشرّف أولئك اللواتي تمنحهنّ حق الإقامة، ولن يكون لديكم داعٍ إلى الشكوى من المصير الذي ستهيؤه الحياة الكريمة.

آثنا إني أُصفّق لتمنياتك، وسأقودكن ـ على ضوء المشاعل[1] الساطعة ـ إلى الأماكن التي ستنفتح في أسفل، تحت الأرض. ومعي ستأتي خادماتي الحارسات لتمثالي. إن مكانهن هناك: إنني أدعو عين كل بلد ثيسيوس للخروج هنا: جماعة النساء النبيلة، وجماعة الأطفال[2]، والمواكب الورعة المؤلفة من النساء العجائز[3]... (مخاطبة الكاهنات الخارجات من المعبد:) تعالين، اتبعن خطواتي مجّدن هؤلاء الآلهات بأن تتدثرن بثياب من القورفير، وأبرزن النار الساطعة، ابتغاء أن يتجلى حضورهن المبارك فيما بيننا على شكل ازدهارات إنسانية.

الموكب: سيروا أيتها الآلهات المتعطشات للتمجيد والتشريف، البنات العواقر لليل الولود، على خطوات موكبٍ صديق، وليخشع جميع من في المدينة! ـ ابتغاء الوصول إلى الكهف الذي تحت الأرض حيث ستجدون ـ بين القرابين والطقوس القديمة ـ عبادة لا نظير لها. وليخشع جميع مَنْ في المدينة!

وأنتن أيتها المخيفات، والمحسنات المُخلصات لهذا البلد ـ اذهبن إذن، واستمتعن بلألأ المشاعل التي تلتهمها النار، والتي تدلّكن على الطريق. (مخاطبة الشعب:) والآن، صيحوا الصيحة الشعائرية جواباً عن نشيدنا.

(صيحة متواصلة).

حصل السلام لشعب پلاس اليوم، ابتغاء سعادة معابدها. وهكذا تم الوفاق بين «الپارك» وزيوس الذي ترى عينه كلّ شيء ـ (مخاطبة الشعب:) والآن، صيحوا الصيحة الشعائرية، جواباً عن نشيدنا.

(صيحة متواصلة).

انتهت مسرحية

«المحسنات»

---

(١) الحاح اسخولوس في إبراز دور المشاعل في المراسم التي ستعدّ ـ يدل على أن هذه المشاعر علامة بارزة في عيد المحسنات في أثينا.

(٢) المقصود: البنات الصغيرات، وليس الأولاد الذكور، اللواتي في خدمة الالاهة آثنا.

(٣) في النص اليوناني خرم هنا.



الفهرست









التراجيديات اليونانية

٢

تراجيديات أسخولوس



الدكتور عبد الرحمن بدوي

- حصل على شهادة الدكتوراه برسالته في «الزمان الوجودي» بإشراف الدكتور طه حسين سنة ١٩٤٣.
- أسسَ ورأس قسم الفلسفة في جامعة «عين شمس» منذ ١٩٥٠ حتى ترك الجامعة في سبتمبر ١٩٧١.
- عمل في عدد من الجامعات العربية، منها بنغازي والكويت وبيروت.
- عمل مستشاراً ثقافيا ومديراً للبعثة التعليمية المصرية في «بيرن»من ١٩٥٦ -١٩٥٨.
- انتدب في١٩٦٧ استاذاً زائراً لإلقاء محاضرات في السوربون.
- له أكثر من مائة وخمسين كتابا في تاريخ الفلسفة والدراسات الإسلامية والأدب الأوروبي.
- ترجم عدداً كبيراً من روائع الأدب الألماني (جوته وبريشت وغيرهما).
- له فضل عظيم على الثقافة العربية بما حققه من مخطوطات، وما قدمه من دراسات وترجمات من كثير من اللغات الأوروبية الحديثة.
- ألف في السنوات الأخيرة عدداً من الكتب باللغة الفرنسية في انتقال الثقافة اليونانية إلى الغرب عن طريق العرب، وفي الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام، وأخيراً في الدفاع عن الإسلام.
- يقيم حاليا في باريس عاكفاً على دراساته الخصبة المتنوعة.



المؤسسة العربية للدراسات والنشر

بيروت، ساقية الجنزير، بناية برج الكارلتون، ص.ب: ٥٤٦٠-١١
العنوان البرقي: موكيالي، هـ ٨٠٧٩٠٠/١
تلكس: LE/DIRKAY ٤٠٠٦٧

الغلاف: زهير أبو شايب